المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد التاسع

- التعليقات النجمية على المنظومة البيقونية.
- السلفية، الطائفة الناجية المنصورة.
- رسائل في الردود.
- رسائل في الصيام.
- مواعظ.
- تراجم وسير.
- سؤالات.
- نظم الشيخ النجمي.
- رسائل ومقالات متفرقة.
- وصيته قبل موته.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد التاسع

- التعليقات النجمية على المنظومة البيقونية.
- السلفية، الطائفة الناجية المنصورة.
- رسائل في الردود.
- رسائل في الصيام.
- مواعظ.
- تراجم وسير.
- سؤالات.
- نظم الشيخ النجمي.
- رسائل ومقالات متفرقة.
- وصيته قبل موته.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م



العِلمُ ميراثُ النبيِّ كذا أتى   في النصِّ والعلماءُ هُم وُرّاثُهُ

ما خلَّفَ المختارُ غيرَ حديثِهِ   فينا فذاكَ متاعُهُ وأثاثُهُ



رقم الإيداع القانوني: سبتمبر-2023

ردمك: 3-235-48-9947-978

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098(00213) المبيعات: 550471594(00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

التَّعليقاتُ النَّجميَّة
على المنظومة البيقونيَّة

تعليقُ فضيلة الشَّيخ العلَّامة
أحمد بن يحيى النَّجميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نصُّ المنظومة البيقونيَّة

أَبْـدَأُ بِالْحَمْـدِ مُصَـلِّيًا عَلَـىٰ مُحَمَّـدٍ خَيْـرِ نَبِـيٍّ أُرْسِـلَا
وَذِي مِـنَ اقْسَامِ الْحَدِيثِ عِـدَّهْ وَكُـلُّ وَاحِـدٍ أَتَـىٰ وَحَـدَّهْ
أَوَّلُهَا (الصَّحِيحُ) وَهْـوَ مَـا اتَّصَلْ إِسْـنَادُهُ وَلَـمْ يَشُـذَّ أَوْ يُعَـلّ
يَرْوِيـهِ عَـدْلٌ ضَـابِطٌ عَـنْ مِثْلِـهِ مُعْتَمَـدٌ فِـي ضَـبْطِهِ وَنَقْلِـهِ
وَ (الْحَسَنُ) الْمَعْرُوفُ طُرْقًا وَغَدَتْ رِجَالُـهُ لَا كَالصَّـحِيحِ اشْـتَهَرَتْ
وَكُـلُّ مَـا عَـنْ رُتْبَـةِ الْحُسْـنِ قَصُرْ فَهْـوَ (الضَّـعِيفُ) وَهْـوَ أَقْسَامٌ كُثُرْ
وَمَـا أُضِـيفَ لِلنَّبِـيْ (الْمَرْفُـوعُ) وَمَـا لِتَـابِعٍ هُـوَ (الْمَقْطُـوعُ)
وَ(الْمُسْنَدُ) الْمُتَّصِـلُ الإِسْنَادِ مِـنْ رَاوِيـهِ حَتَّـىٰ الْمُصْطَفَىٰ وَلَـمْ يَبِنْ
وَمَـا بِسَـمْعِ كُـلِّ رَاوٍ يَتَّصِـلْ إِسْنَادُهُ لِلْمُصْـطَفَىٰ فَـ (الْمُتَّصِـلْ)
(مُسَلْسَلٌ) قُلْ مَا عَلَىٰ وَصْفٍ أَتَىٰ مِثْـلُ: أَمَـا وَاللهِ أَنْبَـانِي الْفَتَـىٰ
كَـذَاكَ قَـدْ حَدَّثَنِيـهِ قَائِمَـا أَوْ بَعْـدَ أَنْ حَـدَّثَنِي تَبَسَّـمَا
(عَزِيـزُ) مَـرْوِيْ اثْنَـيْنِ أَوْ ثَلَاثَـهْ (مَشْـهُورُ) مَـرْوِيْ فَـوْقَ مَـا ثَلَاثَـهْ
(مُعَنْعَنٌ) كَعَـنْ سَـعِيدٍ عَـنْ كَـرَمْ (وَمُـبْهَمٌ) مَـا فِيـهِ رَاوٍ لَـمْ يُسَـمْ
وَكُـلُّ مَـا قَلَّـتْ رِجَالُـهُ (عَـلَا) وَضِـدُّهُ ذَاكَ الَّـذِي قَـدْ (نَـزَلَا)

وَمَا أَضَفْتَهُ إِلَىٰ الْأَصْحَابِ مِنْ ... قَوْلٍ وَفِعْلٍ فَهْوَ (مَوْقُوفٌ) زُكِنْ

وَ (مُرْسَلٌ) مِنْهُ الصَّحَابِيُّ سَقَطْ ... وَقُلْ (غَرِيبٌ) مَا رَوَىٰ رَاوٍ فَقَطْ

وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَّصِلْ بِحَالِ ... إِسْنَادُهُ (مُنْقَطِعُ) الْأَوْصَالِ

(وَالْمُعْضَلُ) السَّاقِطُ مِنْهُ اثْنَانِ ... وَمَا أَتَىٰ (مُدَلَّسًا) نَوْعَانِ:

الْأَوَّلُ: الْإِسْقَاطُ لِلشَّيْخِ وَأَنْ ... يَنْقُلَ عَمَّنْ فَوْقَهُ بِعَنْ وَأَنّْ

وَالثَّانِ: لَا يُسْقِطُهُ لَكِنْ يَصِفْ ... أَوْصَافَهُ بِمَا بِهِ لَا يَنْعَرِفْ

وَمَا يُخَالِفْ ثِقَةٌ فِيهِ الْمَلَا ... فَـ (الشَّاذُّ)، وَ(المَقْلُوبُ) قِسْمَانِ تَلَا

إِبْدَالُ رَاوٍ مَا بِرَاوٍ قِسْمُ ... وَقَلْبُ إِسْنَادٍ لِمَتْنٍ قِسْمُ

وَ (الْفَرْدُ) مَا قَيَّدْتَهُ بِثِقَةِ ... أَوْ جَمْعٍ أَوْ قَصْرٍ عَلَىٰ رِوَايَةِ

وَمَا بِعِلَّةٍ غُمُوضٍ أَوْ خَفَا ... (مُعَلَّلٌ) عِنْدَهُمُ قَدْ عُرِفَا

وَذُو اخْتِلَافِ سَنَدٍ أَوْ مَتْنِ ... (مُضْطَرِبٌ) عِنْدَ أُهَيْلِ الْفَنِّ

وَ (الْمُدْرَجَاتُ) فِي الْحَدِيثِ مَا أَتَتْ ... مِنْ بَعْضِ أَلْفَاظِ الرُّواة اتَّصَلَتْ

وَمَا رَوَىٰ كُلُّ قَرِينٍ عَنْ أَخِهْ ... (مُدَبَّجٌ) فَاعْرِفْهُ حَقًّا وَانْتَخِهْ

مُتَّفِقٌ لَفْظًا وَخَطًّا (مُتَّفِقْ) ... وَضِدُّهُ فِيمَا ذَكَرْنَا (الْمُفْتَرِقْ)

(مُؤْتَلِفٌ) مُتَّفِقُ الْخَطِّ فَقَطْ ... وَضِدُّهُ (مُخْتَلِفٌ) فَاخْشَ الْغَلَطْ

(وَالْمُنْكَرُ) الْفَرْدُ بِهِ رَاوٍ غَدَا ... تَعْدِيلُهُ لَا يَحْمِلُ التَّفَرُّدَا

(مَتْرُوكُهُ) مَا وَاحِدٌ بِهِ انْفَرَدْ ... وَأَجْمَعُوا لِضَعْفِهِ فَهْوَ كَرَدّْ

وَالْكَذِبُ الْمُخْتَلَقُ الْمَصْنُوعُ ... عَلَىٰ النَّبِي فَذَلِكَ (الْمَوْضُوعُ)

وَقَدْ أَتَتْ كَالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ سَمَّيْتُهَا مَنْظُومَةَ الْبَيْقُونِي
فَوْقَ الثَّلاثِينَ بِأَرْبَعٍ أَتَتْ أبياتُهَا ثُمَّ بِخَيْرٍ خُتِمَتْ



أَبْدَأُ بِالْحَمْدِ مُصَلِّيًا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ خَيْرِ نَبِيٍّ أُرْسِلَا

بدأ النّاظم بالحمدِ لله ربّ العالمين امتثالًا لما جاء في الحديث: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ، - وفي رواية: بِالْحَمْدُ للهِ - فَهُوَ أَقْطَعُ أَوْ أَبْتَرُ**»[١]، والمعنىٰ: ناقص البركة.

ثمَّ قال: «**مُصلِّيًا علىٰ مُحمَّدٍ**»، أي حال كوني مصلّيًا علىٰ محمّد ﷺ، الذي هو «**خَيرُ نبيٍّ أُرسلَا**».



ثمَّ قال:

وَذِي مِنَ اَقْسَامِ الْحَدِيثِ عِدَّهْ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَتَىٰ وَحَدَّهْ

هو يريد الآن أن يذكر عدّةَ أقسام الحديث، وهذا يُعتبر للمبتدئين، وهو ذكر بعض أقسام الحديث التي اشتمل عليها المُصطلح، ولهذا قال: «**وكلُّ واحدٍ أتىٰ وَحَدَّه**»، أي: جعله حدًّا وفارقًا.

والحدُّ: ما به يُعرف الشّيءُ ويُميِّزه عمّا عداه؛ لأنّه يكون فاصلًا بينه وبين غيره.



(١) رواه أحمد (٨٦٩٧)، وابنُ ماجه (١٨٩٤)، وابنُ حبّان (١، ٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعّفه الألباني في «إرواء الغليل» (١، ٢).

وبعد هذا التّعريف قال:

أَوَّلُهَا الصَّحِيحُ وَهُوَ مَا اتَّصَلْ ... إِسْنَادُهُ وَلَمْ يَشُذَّ أَوْ يُعَلّ

يَرْوِيهِ عَدْلٌ ضَابِطٌ عَنْ مِثْلِهِ ... مُعْتَمَدٌ فِي ضَبْطِهِ وَنَقْلِهِ

القسم الأوّل: الصّحيح:

هذان البيتان ذكر فيهما تعريف الصّحيح، وهو ما اتّصل إسناده برواية عدلٍ ضابطٍ عن مثله، وأشار إلىٰ الاتّصال بقوله: (وهو ما اتّصل إسنادُه)، وهذا فيه ثلاثة شروط:

١- أن يرويه عدلٌ.

٢- تامّ الضّبط.

٣- متّصل السّند.

فالعدلُ: هو المستقيم في دينه ومُروءته، فخرج (الفاسق).

والضّابط: هو أن يكون ذلك العدل يملك مزيّة الضّبط.

والضّبط ضبطان:

الأوّل: ضبط صدر: وهو أن يُؤتىٰ الرّجل ملكةً يحفظ بها ما سمعه فلا ينساه، بل يقدرُ علىٰ استحضاره متىٰ شاء.

والثّاني: ضبط كتاب: وهو أن يكتب ما سمعه وصحّحه علىٰ شيخه ثمّ يحفظه لديه ليعود إليه متىٰ أراد أن يروي منه.

قوله: «عن مثله»، أن يكون السّند عن عدلٍ ضابطٍ يرويه عن مثلِه أي: عدلٍ ضابطٍ مِمّن عاصره ولقيه إلىٰ الصّحابي ثمّ إلىٰ النّبيّ ﷺ.

قوله: «ولم يَشُذّ»، والشّاذّ هو ما خالف فيه الثّقة الثّقات.

قوله: «**أو يُعلَّ**»، العلّة تنقسم إلىٰ قسمين:

الأوَّل: علّة قادحة، وهي أثر خفي يقدحُ في صحّة الحديث.

الثّاني: علّة غير قادحة.

فإذا سلم سند الحديث بأن توفّرت فيه شروط الصّحة وسلم من الشّذوذ والعلّة فهذا هو الحديث الصّحيح.

كأن يروي البخاري أو غيرُه من أصحاب الكتب الأمهات من طريق قتيبة بن سعيد حدّثنا مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النّبيَّ ﷺ فعل كذا، أو قال كذا، فرجال هذا السّند كلّهم ثقات عدولٌ حُفّاظٌ، والسّند ليس فيه شذوذ ولا علّة.



ثمَّ قال:

وَالحَسَنُ المَعْرُوفُ طُرْقًا وَغَدَتْ ... رِجَالُهُ لا كَالصَّحِيحِ اشْتَهَرَتْ

القسم الثّاني: الحَسَنُ:

يعني أنَّ الحَسَن: ما جمع شروط الصّحيح إلّا أنَّ الضّبطَ خفَّ، ومتىٰ خفَّ الضّبط قيل للحديث الذي يُروىٰ بهذا السّند حديث حسن، ثمَّ إنَّ الحسن ينقسمُ إلىٰ قسمين، كما أنَّ الصحيح ينقسمُ إلىٰ قسمين: فيُقال: صحيحٌ لِذاتِه، وصحيحٌ لِغيرِه، وحسنٌ لِذاتِه، وحسنٌ لِغيرِه.

فالصَّحيح لذاته هو: ما جمع شروط الصّحة، وكان ضبطه من أعلىٰ الضّبط.

والصّحيح لغيره هو: الحسنُ لذاته إذا تعدّدت الطّرق، فإذا جاء الحسنُ لذاته من طريق آخر ارتقىٰ كلٌّ منهما بشاهده إلىٰ الصّحيح لغيره، وقيل للمتن صحيحٌ لغيره.

ثمَّ إنَّ الحسن لذاته قلنا عنه: إنّه ما جمع شروط الصّحيح إلَّا أنَّ الضّبط خفَّ، فهذا حسنٌ لذاته.

والحسنُ لغيره: كأنْ يأتي من طريق فيها مُدلّسٌ أو مستور، فلا يكون مُؤهّلا لدرجة الحَسن لذاته، ويأتي من طريق آخر مثل ذلك، فإذا جاء من طريق آخر مثله ارتفع إلىٰ درجة الحسن لغيره.



ثمَّ قال:

وَكُلُّ مَا عَنْ رُتْبَةِ الحُسْنِ قَصُرْ فَهْوَ الضَّعِيفُ وَهْوَ أَقْسَامٌ كُثُرْ

القسم الثّالث: الضّعيف:

يعني: أنَّ ما قصر عن درجة الحَسَن لغيره فهو الضّعيف، وهو أقسام كثيرة.



ثمَّ قال:

ومَا أُضِيفَ للنَّبِي المَرْفُوعُ ....

القسم الرّابع: المرفوع:

أي: إذا أُضيف الحديث إلىٰ النّبي ﷺ فهو المرفوع، كأن يُقال: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فَعَلَ كذا، أو فُعل عنده كذا، فهذا يُقال له: المرفوع.



ثمَّ قال:

.... وَمَا لِتَابِعٍ هُوَ المَقْطُوعُ

القسم الخامس: المقطوع:

يعني: أنَّ الكلام إذا نُقل عن التّابعيّ فمَن دونه يُقال له: «المقطوع»، كأن يُقال عن سعيد بن المسيّب أو القاسم بن محمّد أو عروة بن الزّبير أنّه فعل كذا أو قال كذا، فهذا يُقال له: «مقطوع».



ثمَّ قال:

وَالمُسْـنَدُ المُتَّصِـلُ الإِسْـنَادِ مِـنْ ... رَاوِيـهِ حَتَّـىٰ المُصْـطَفَىٰ وَ لَـمْ يَـبِنْ

القسم السّادس: المُسندُ:

المسندُ: هو الإسناد المُتّصل من راويه حتّىٰ المصطفىٰ ﷺ ولم يَبِنْ، أي: لم ينقطع.



ثمَّ قال:

وَمَـا بِسَـمْعِ كُـلِّ رَاوٍ يَتَّصِـلْ ... إِسْـنَادُهُ لِلْمُصْـطَفَىٰ فَالْمُتَّصِـلْ

القسم السّابع: المُتّصل:

يعني: أنّه إذا كان كلُّ راوٍ من الرّواة يقولُ: سمعتُ أو أخبرنا، أو حدّثنا من بداية السّند إلىٰ النّبيّ ﷺ فهذا يُقالُ له: «مُتّصلٌ».



ثمَّ قال:

مُسَلْسَلٌ قُلْ مَا عَلَىٰ وَصْفٍ أَتَىٰ ... مِثْلُ أَمَـا وَاللهِ أَنْبَـانِي الفَتَـىٰ

كَـذَاكَ قَـدْ حَدَّثَنِيـهِ قَائِـمَا ... وَبَعْـدَ أَنْ حَدَّثَنِـي تَبَسَّـمَا

القسم الثّامن: المُسلسل:

المسلسل: هو ما حصل له التّسلسل فيه بقولٍ أو فِعلٍ.

فمن القول المسلسل بالأوّلية، كأن يقولَ كلُّ واحدٍ: وهو أوّلُ حديث حدّثنيه.

ومن المسلسل بالفعل: حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شبّك بيدي أبو القاسم ﷺ(1).



ثمَّ قال:

عزِيــزُ مَــرْوِي اثْنَــيْنِ أَوْ ثَلَاثَــهْ ....

القسم التّاسع: العزيز:

العزيز ذكروا له تعاريف؛ وهو: ما رُويَ مِن طريقَين، فإذا روىٰ الحديث اثنان

---

(1) يشير الشّيخ إلىٰ حديث التّربة الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨٩) قال: حدَّثني سُريجُ بن يونسَ وهارونُ بنُ عبدِ اللهِ، قالا: حدَّثنا حجّاجُ بنُ محمَّدٍ، قال: قال ابنُ جُريجٍ: أخبرني إسماعيلُ بنُ أُميَّةَ، عن أيُّوبَ بنِ خالدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ رافعٍ مولىٰ أمِّ سلمةَ، عن أبي هُريرة، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي، فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَىٰ اللَّيْلِ»، ورواه البيهقي في «الأسماء والصّفات» (٨١٣) مسلسلًا، فقال: «فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا حَدِيثٌ مَدَنِيٌّ؛ رَوَاهُ هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي. قَالَ عَلِيٌّ: وَشَبَّكَ بِيَدِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي يَحْيَىٰ وَقَالَ لِي: شَبَّكَ بِيَدِي أَيُّوبُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ لِي: شَبَّكَ بِيَدِي عَبْدُ اللهِ بْنُ رَافِعٍ، وَقَالَ لِي شَبَّكَ بِيَدِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لِي: شَبَّكَ بِيَدِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ وَقَالَ لِي: «خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ السَّبْتِ». فذكرَ الحديثَ بنحوه». ثمّ قال بعد ذلك: «قَالَ عليُّ بنُ المدينيِّ: وَمَا أَرَىٰ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أُمَيَّةَ أَخَذَ هَذَا إِلَّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَىٰ. قُلْتُ: وَقَدْ تَابَعَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ مُوسَىٰ بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، إِلَّا أَنَّ مُوسَىٰ بْنَ عُبَيْدَةَ ضَعِيفٌ، وَرُوِيَ عَنْ بَكْرِ بْنِ الشَّرُودِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَىٰ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

من الصَّحابة عن النَّبيِّ ﷺ فهو عزيزٌ.



ثمَّ قال:

.... مَشْهُورُ مَروِيْ فَوْقَ مَا ثَلَاثَهْ

القسم العاشر: المشهور:

المشهور: هو ما رُوي من ثلاثة طرق فأكثر ولم يبلغ حدَّ التّواتر، فإذا رویٰ الحديثَ ثلاثةٌ فأكثر ولم يبلغ حدَّ التّواتر فهو المشهور، وإذا رواه اثنان فقط فهو العزيز، وإذا رواه واحدٌ فهو الغريب، كحديث: «بَيْعُ الْوَلَاءِ وَهِبَتِهِ»[1]، لم يروه عن النَّبيِّ ﷺ إلّا عبد الله بن عمر، ولم يروه عن عبد الله إلّا عمرو بن دينار.



ثمَّ قال:

مُعَنْعَنٌ كَعَنْ سَعِيدٍ عَنْ كَرَمْ ....

القسم الحادي عشر: المعنعن:

المعنعن: وهو ما أتىٰ بصيغة «عن»، وهي محمولة علىٰ الاتّصال في حقِّ من لم يُعرف بالتّدليس، أمّا من عُرف بالتّدليس فإنّها لا تُقبلُ منه حتّىٰ يُصرّح بالتّحديث، فإن لم يصرّح بالتّحديث فإنَّ حديثه لا يكون مقبولًا.



ثمَّ قال:

.... وَمُبْهَمٌ مَا فِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٥)، ومسلم (١٥٠٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

القسم الثّاني عشر: المُبهم:

المُبهم: أن يأتي غير معيّنٍ، كأن يُقال: حدّثني رجلٌ. وهذا يكون قدحًا في السّند حتىٰ يأتي معيّنًا من جهة أخرىٰ، لكن إن كان هذا الرّجل من الصّحابة فإنّ الجهل به لا يكون قادِحًا في الحديث إذا كان الرّاوي عنه ممّن يُمكن روايته عن الصّحابة.



ثمّ قال:

وَ كُـلُّ مـا قَلَّـتْ رِجَالُـهُ عَــلَا ....

القسم الثّالث عشر: العالي:

يعني أنّ السّند الذي قلّت رجاله يُعتبرُ عاليًا؛ فمن العالي مثلًا: ثلاثيّات البخاري، وهو أن يكون بين المُصنِّف وبين النّبي ﷺ رجلان والثّالث الصّحابي، وفي صحيح البخاري واحدٌ وعشرون حديثًا من هذا القبيل، يقولُ في غالبها: حدّثنا مكيُّ بنُ إبراهيم حدّثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع عن النّبي ﷺ.



ثمّ قال:

وَضِــدُّهُ ذَاكَ الَّــذِي قَــدْ نَــزَلا ....

القسم الرّابع عشر: النّازل:

وإذا كثر رجال السّند اعتُبر نازلًا؛ مثلًا: أصحاب الأمهات السّتّ كلّهم عاشوا في القرن الثالث لكن تجد الفرق بينهم في رجال السّند، فتجد عند النّسائي وابن ماجه مثلا كثير، قد يبلغ السّند إلىٰ سبعة وإلىٰ ثمانية وإلىٰ تسعة، وهذا يُقال له «نازلٌ»، والذي سبق الكلام عليه يُقال له «عالٍ».

ثمَّ قال:

وَمَا أَضَفْتَهُ إِلَىٰ الأَصْحَابِ مِنْ ... قَوْلٍ وَفِعْلٍ فَهْوَ مَوْقُوفٌ زُكِنْ

القسم الخامس عشر: الموقوف:

أي: إنَّ ما أُضيف إلىٰ الصّحابيِّ من قوله أو فعله أو تقريره فهو موقوفٌ؛ كأن يقول: قال الصّحابيُّ فلانٌ كذا، وفعل الصّحابيُّ فلانٌ كذا، ومن ذلك ما ذكره البخاري عن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنّه قال: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ»[1].



ثمَّ قال:

وَمُرْسَلٌ مِنْهُ الصَّحَابِيُّ سَقَطْ ...

القسم السَّادس عشر: المُرسل:

المُرسل: هو ما سقط منه الصَّحابيّ؛ بأن يروي التّابعي الحديث عن النّبيّ ﷺ.

والخلاف في المُرسل عند المُحدّثين موجود، علمًا بأنّ بعض أهل العلم يعتبر مراسيل سعيد بن المُسيّب صحيحة، ويقولون عن مراسيل الحسن بأنَّ أغلبها منكرات.



ثمَّ قال:

... وَقُلْ غَرِيبٌ مَا رَوَىٰ رَاوٍ فَقَطْ

(١) ذكره البخاري معلّقًا في «كتاب الأدب: باب المداراة مع النّاس»، قبل حديث (٦١٣١)، ووصله البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٤٩).

القسم السّابع عشر: الغريب:

الغريب: هو الفرد، وقد تقدّم ذكره والتّمثيل له مع العزيز والمشهور.



ثمّ قال:

وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَّصِلْ بِحَالِ ... إِسْنَادُهُ مُنْقَطِعُ الأَوْصَالِ

القسم الثامن عشر: المنقطع:

يشترط في رجال السّند: أن يكون كلُّ واحد منهم قد عاصر من روىٰ عنه، فإن روىٰ عمّن لم يُعاصره فإنَّ السّند منقطع لا محالة، لكن إذا عاصره فهل يشترط اللّقاء بينهما أو لا يُشترط؟ يعني: إذا لم يكن قد اشتهر لقاء الرّاوي لمن روىٰ فهل يُحمل علىٰ اللّقي أم لا؟

هذه المسألة فيها خلاف بين البخاري ومسلم، فالبُخاري يشترط اللّقي، ومسلم يكتفي بالمعاصرة دون اللّقي.



ثمّ قال:

وَالمُعْضَلُ السَّاقِطُ مِنْهُ اثْنَانِ ... .

القسم التّاسع عشر: المُعضل:

إذا سقط من السّند اثنان فأكثر علىٰ التّوالي فهو معضلٌ، وإذا سقط واحدٌ منه أو اثنان في موضعين فهو منقطع.



ثمَّ قال:

وَمَـا أَتَـىٰ مُدَلَّسًـا نوْعَـان ....

الأوَّلُ الإسْـقَاطُ للشَّـيْخِ وَأَنْ يَنْقُـلَ عَمَّـنْ فَوقَـهُ بِعَـنْ وَأَنْ

وَالثَّـانِ لا يُسْـقِطُهُ لكِـنْ يَصِـفْ أوْصَـافَهُ بِمَـا بِـهِ لا يَنْعَـرِفْ

القسم العشرون: المُدلّس:

وهو أن يُسقط الرّاوي شيخه ويروي عمّن فوقه بقوله «عن فلان» أو «أنّ فلانًا»؛ لأنّ كلمة «عن» و«أنّ» و«قال» محتملة للاتّصال وغيره.

النّوع الثّاني من التّدليس: هو ألّا يُسقطه ولكن يصف أوصاف هذا الرّاوي بشيءٍ لا ينعرف؛ لأنّه لا يُريد أن يُعرف كأن يكون الرّجل مشهورًا بالكُنية بواحد من أبنائه فيأتي هذا الرّاوي فيروي عنه ويُكنّيه ببعض أبنائه الذين لم يشتهر بالتّكنّي بهم، كأن يكون مشهورًا بأبي عبد الله فيُكنّيه بأبي عبد الرّحمن عِلمًا أنّه لم يكن مشهورًا بهذه الكُنية، فهذا من أنواع التّدليس.

وهناك نوعٌ ثالث: وهو شرُّ التّدليس، وهو ما يُسمّىٰ بتدليس التّسوية؛ كأن يروي عن شيخٍ ضعيف ويكون هذا الرّاوي قد شارك شيخه في بعض شيوخه فيسقط الشّيخ الضّعيف ويُسوّي السّند ثقات كلّهم فهذا تدليس التّسوية وهو شرُّ التّدليس.



ثمَّ قال:

وَمَـا يُخَـالِفْ ثِقَـةٌ فِيـهِ المَـلَا فَالشَّـاذُ........

القسم الحادي والعشرون: الشّاذ:

الشّاذُّ: هو مخالفة الثّقة للثقات.



ثمَّ قال:

...... وَالمَقْلُـوبُ قِسْمانِ تَـلَا ....

إِبْـدَالُ رَاوٍ مَــا بِــرَاوٍ قِسْـمُ وَقَلْـبُ إِسْنَـادٍ لِمَـتْنٍ قِسْـمُ

القسم الثّاني والعشرون: المقلوب:

المقلوب: هو إعطاء الحكم بمُضاد من أُعطي له.

مثاله: أنَّ بعض الرّواة روى حديث: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... »[1] الحديث، وقال في آخره: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ»[2]، مع أنَّ أصل الحديث: «حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[3].

إبدال راوٍ ما براوٍ: هذا قسمٌ.

والثّاني: إبدال سندٍ لمتنٍ وهذا قسمٌ آخر.



ثمَّ قال:

وَالْفَـرْدُ مَـا قَيَّدْتَـهُ بِثِقَـةِ أو جَمْـعٍ أَوْ قَصْـرٍ عَلَـىٰ رِوايَـةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، عن أبي هريرة رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) هذا لفظ مسلم (١٠٣١).

(٣) وهذا لفظ البُخاري وغيره.

القسم الثّالث والعشرون: الفرد:

الفرد: ما انفرد به ثقةٌ، وقد سبق وأن مثّلنا للفرد المُطلق: وهو ما انفرد به الصّحابي عن النّبي ﷺ، أمّا هذا فالمقصود به الفرد النّسبي، فيُقال: لم يروه ثقة عن مالك إلّا قتيبة بن سعيد مثلا، وكذلك أن يُقال: هذا حديث انفرد به أهل الشّام، أو أهل مصر، أو ما أشبه ذلك، وهذا يُسمّىٰ فردًا نسبيًّا.



ثمَّ قال:

وَمَـا بِعِلَّـةٍ غُمُـوضٍ أَوْ خَفَـا ... مُعَلَّـلٌ عِنْـدَهُمُ قَـدْ عُرِفَـا

القسم الرّابع والعشرون: المُعلّل:

سبق لنا الكلام علىٰ المُعلّل، وقلنا: إنَّ المُعلّل ما فيه علّة قادحة تمنع صحّة الحديث.

وهناك علّة غير قادحة، يكون السّند معلًّا بعلّة ليست قادحة فيُقال هذه علّة ليست قادحة.



ثمَّ قال:

وَذُو اخْـتِلَافِ سَـنَدٍ أَوْ مَـتْنِ ... مُضْـطَرِبٌ عِنْـدَ أُهَيْـلِ الفَـنّ

القسم الخامس والعشرون: المضطرب:

إذا كان السّندُ فيه اختلاف كثير فهذا يُعتبر مضطربًا، وكذلك الاختلاف في المتن، فيُقال هذا حديث مضطربٌ سندًا ومتنًا، وما كان مضطرب السّند ولا مرجّح أو مضطرب المتن ولا مرجّح، فإنّه يُعتبر قادِحًا في صحّة الحديث.

ثمَّ قال:

وَالمُدْرَجَاتُ فِي الْحَدِيثِ مَا أَتَتْ ... مِنْ بَعْضِ أَلْفَاظِ الرُّوَاةِ اتَّصَلَتْ

القسم السّادس والعشرون: المُدرج:

المدرج: هو ما أُلحق بالحديث من غير كلام النَّبيِّ ﷺ، وهو تارة يكون في أوّله، مثاله: «**أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»[1]، فكلمة: «**أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ**» مدرجةٌ في أوّل الحديث.

وهناك إدراج في وسط المتن وفي آخره.



ثمَّ قال:

وَمَا رَوَى كُلُّ قَرِينٍ عَنْ أخِهْ ... مُدَبَّجٌ فَاعْرِفْهُ حَقًّا وَانْتَخِهْ

القسم السّابع والعشرون: المُدبّج:

المُدبّج: هو أنْ يرويَ كلُّ قرينٍ عن قرينِه؛ كأنْ يرويَ أحمدُ بن حنبل عن عليِّ بن المديني، وعلي بن المديني عن أحمد بن حنبل فهذا هو المُدبّج.



ثمَّ قال:

مُتَّفِقٌ لَفْظًا وخَطًّا مُتَّفِقْ ... وَضِدُّهُ فِيمَا ذَكَرْنَا المُفْتَرِقْ

القسم الثّامن والعشرون: المتّفق والمفترق:

ما اتّفق لفظًا وخطًّا فهو المُتّفق، قد يكون الاتفاق في أسماء الرّواة أو أسمائهم وأسماء آبائهم أو في أسمائهم وأسماء الآباء دون النّسبة، مثاله: الخليل بن أحمد ستّة.

---

(١) رواه البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢). عن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأنواعه سبعةٌ، وفائدته ألّا يُظَنَّ الاثنانِ واحِدًا.



ثمَّ قال:

مُؤْتَلِــفٌ مُتَّفِــقُ الخَــطِّ فَقَــطْ وَضِــدُّهُ مُخْتَلِــفٌ فَــاخْشَ الغَلَــطْ

القسم التّاسع والعشرون: المُؤتلف والمختلف:

إذا اتفّقت الأسماء في الخطّ واختلفت في النّطق، فهو: المؤتلف والمختلف وهو نوعان:

أحدهما: ما لا ضابط له يُرجع إليه وهو الأكثر.

الثاني: ما له ضابط يُرجع إليه وفائدته الأمن من التّحريف والتّصحيف.



ثمَّ قال:

وَالمُنْكَــرُ الفَــرْدُ بِــهِ رَاوٍ غَــدَا تَعْدِيلُــهُ لا يَحْمِــلُ التَّفَــرُّدَا

القسم الثلاثون: المنكر:

المنكر: ما انفرد به راوٍ لا يُحتملُ تفرّدهُ.



ثمَّ قال:

مترُوكُــهُ مَــا وَاحِــدٌ بِــهِ انْفَــرَدْ وَأَجْمَعُــوا لِضَــعْفِهِ فَهْــوَ كَــرَدْ

القسم الحادي والثّلاثون: المتروك:

إذا انفرد شخصٌ أجمعُوا علىٰ ضعفِه بحديثٍ فهو المتروكُ، ويُعتبر قسمًا من أقسامِ المردودِ.

ثمَّ قال:

وَالْكَـذِبُ المُخْتَلَـقُ المَصْـنُوعُ عَلَـىٰ النَّبِـيْ فَـذَلِكَ المَوْضُـوعُ

القسم الثَّاني والثَّلاثون: الموضوع:

الكذب علىٰ النَّبيِّ ﷺ يقال له: موضوع، وهو كثيرٌ؛ منه ما وضعته الزَّنادقة يقصدون به هدم الدّين. وقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ من طرُق تبلغ حدَّ التّواتر أنّه - صلوات الله وسلامه عليه - قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).



ثمَّ قال:

وَقَـدْ أَتَـتْ كَـالجَوْهَرِ المَكْنُـونِ سَمَّيْتُهَــا مَنْظُومَــةَ البَيْقُــونِي

فَــوْقَ الثَّلاثِيــنَ بِـأَرْبَعٍ أَتَـتْ أَبْيـاتُهَا ثُــمَّ بِخَيْـرٍ خُتِمَـتْ



---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٢٩١)، ومسلمٌ (٤)، عن المُغيرة بن شُعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

السَّلفيَّة
الطَّائفة النَّاجية المنصورة

- مَن هُم السَّلف؟
- الطَّائفة النَّاجية المنصورة

مَنْ هم السَّلفُ؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعدُ:

فقد طُلِبَ منِّي أن أقوم بكلمةٍ بواسطة الهاتف إلىٰ بريطانيا بعنوان: «**مَنْ هم السَّلفُ الَّذين كَلَّفنا اللهُ أنْ نعتصمَ بالكتاب والسُّنَّة علىٰ فهمهم؟**».

وأقولُ: كلمة السَّلف تُقال لمَن مضىٰ قبْلك؛ قال في «مختار الصِّحاح» (ص٣٣١): «سَلَفَ يَسْلُفُ - بالضَّم - سَلَفًا بفتحتَين، أي: مضىٰ، والقوم السُّلَّاف: المُتقدِّمون، وسلَفُ الرَّجُل: آباؤه المُتقدِّمون، والجمعُ: أسلافٌ وسُلَّاف». اهـ.

وفي حديثِ التَّسليم علىٰ أصحاب القُبور لمَن مرَّ بها - علَّم النَّبيُّ ﷺ أمَّته أنْ يقولُوا: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِكُمْ لَاحِقُونَ؛ يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ**»[(١)].

فقوله: «أَنْتُمْ سَلَفُنَا»، أي: مُتقدِّمونا.

وقد وصَف اللهُ عَزَّوَجَلَّ المُؤمنين بأنَّهم يستغفرون للمؤمنين الَّذين سبقوهم بالإيمان - حين قسَّمهم في سورة (الحشر) إلىٰ ثلاثة أقسام:

فقال: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا**﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الترمذيُّ (١٠٥٣) عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقُبُور المدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوَجْهِهِ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُور، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بالأَثَر»، وقال: «غريبٌ»، وضعفَّه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف التِّرمذيِّ» (١٠٥٣).

ثمَّ قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ..﴾ الآية.

والقسمُ الثَّالثُ: هم الَّذين جاؤوا مِن بعدِهم؛ كما وصفَهم اللهُ بقولِه: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وقدْ نقَل البغويُّ عن ابن أبي ليلىٰ أنَّه قال: «النَّاسُ علىٰ ثلاثةِ منازلَ: الفقراء المهاجرون، والَّذين تبوَّؤُا الدَّارَ والإيمان مِن قبلِهم - قلتُ: يعني الأنصار، قال -: والَّذين جاؤوا مِن بعدِهم؛ فاجْتهِدْ ألَّا تكون خارجًا مِن هذه المنازل»(١).

وقال الشَّيخُ العلَّامة السعدي بعدَ أنْ فسَّر الآيتين في المُهاجرين والأنصار: «فهذانِ الصِّنفان الفاضلان الزَّكِيَّان هم الصَّحابة الكرام والأئمَّة الأعلام، الَّذين حازُوا مِن السَّوابق والفضائل والمناقب ما سَبقوا به مَن بعدَهم، وأدركُوا به مَن قبلَهم؛ فصارُوا أعيان المؤمنين، وسادات المُسلمين، وقادات المُتَّقين، وحَسْب مَن بَعدهم من الفضل أنْ يسير خَلْفهم، ويَأتمَّ بهُداهم، ولهذا ذكر الله من اللَّاحقين مَن هو مُؤتمٌّ بهم وسائرٌ خَلْفهم؛ فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، أي: مِن بعدِ المهاجرين والأنصار، ﴿يَقُولُونَ﴾ علىٰ وجه النُّصح لأنفسِهم ولسائر المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

وهذا دعاءٌ شاملٌ لجميع المؤمنين؛ السَّابقين مِن الصَّحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا مِن فضائل الإيمان أنَّ المؤمنين ينتفع بعضُهم ببعض، ويدعو بعضُهم لبعض؛ بسبب المشاركة في الإيمان المُقتضي لعقد الأُخوَّة بين المؤمنين، الَّتي مِن فُروعِها أن يدعوَ بعضُهم لبعض، وأنْ يُحبَّ بعضُهم بعضًا.

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٧٩ طيبة)، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٨).

ولهذا ذكَر اللهُ في هذا الدُّعاء نفيَ الغِلِّ عن القلب؛ الشَّامل لقليله وكثيره، الَّذي إذا انتفىٰ ثبَت ضدُّه، وهو المحبَّة بين المؤمنين والموالاة والنُّصح، ونحو ذلك مما هو مِن حقوق المؤمنين.

فوصف الله مَن بَعْدَ الصَّحابة بالإيمان؛ لأنَّ قولهم: ﴿سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ دليلٌ علىٰ المشاركة فيه، وأنَّهم تابعون للصَّحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، الَّذين لا يَصدقُ هذا الوصف التَّامُّ إلَّا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذُّنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغلِّ والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين؛ لأنَّ دُعاءهم بذلك مُستلزمٌ لما ذكَرْنا، ومتضمِّنٌ لمحبَّة بعضِهم بعضًا، وأن يُحبَّ أحدُهم لأخيه ما يُحبُّ لنفسه، وأن ينصح له حاضرًا وغائبًا؛ حيًّا وميتًا...

ثمَّ ختموا دعاءهم باسمَين كريمَين دالَّين علىٰ كمالِ رحمة الله، وشدَّة رأفتِه، وإحسانه بهم، الَّذي مِن جُملتِه بل مِن أجلِّه توفيقُهم للقيام بحُقوق الله وحُقوق عبادِه.

فهؤلاء الأصنافُ الثَّلاثةُ هم أصناف هذه الأمَّة» المهاجرون والأنصار هم أصحاب رسول الله ﷺ، ثمَّ مَن جاء بعدهم من المؤمنين، وكلُّ الثَّلاثة «هم المُستحقُّون للفيء الَّذي مَصرفه راجعٌ إلىٰ مصالح الإسلام». اهـ[(١)].

قلتُ: وممَّا يدلُّ علىٰ تَأسِّي المؤمنين المُتأخِّرين بصحابة رسول الله ﷺ ذمُّ الله عَزَّوَجَلَّ لمَن ترَك طريقتَهم في قولِه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: ١١٥].

ولقد أمَر اللهُ علىٰ لسانِ رسولِه باتِّباع سُنَّته وسُنَّة الخُلفاءِ الرَّاشدِين المَهديِّين

---

(١) «تفسير السَّعدي» (٨٥١، ٨٥٢) بتصرُّف واختصار.

مِن بَعدِه؛ كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ...**»(١).

وقوله ﷺ في حديث الافتراق: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

فَقَوْلُه ﷺ هذا يُعيِّن أصحابَه، ويجعل فَهْمَهم وعَمَلَهم أُسوةً لِمَن بعْدَهم؛ لأنَّهم معصومون مِن أنْ يَجْتَمِعُوا علىٰ باطلٍ، وفي الحديث: «**لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**»(٣)، وبالله التَّوفيقُ.

كتبها: أحمد بن يحيى النَّجمي

٢٠/ ١١/ ١٤٢٦هـ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيُّ (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» رقم (٢٤٥٥). وانظر: «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الصَّغير» (١/ ٤٤٨) (٨٩٩)، و«الأوسط» (٥/ ١٣٧) (٤٨٨٦) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٩٤٧٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وله شواهد منها: عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه أبو داود (٤٢٥٣). وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه الترمذي (٢١٦٧). وعن أبي بصرة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد (٤٥/ ٢٠٠) برقم (٢٧٢٢٤).

قال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ٢٩٩): «حديث مشهور، لهُ طرقٌ كثيرةٌ، لا يخلُو واحدٌ منها مِن مقالٍ».

وانظر: «تحفة الطَّالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب» لابن كثير (ص ١١٩ – ١٢٣)، و«مصباح الزُّجاجة» للبوصيري (٤/ ١٦٩).

وقد جاء عن أبي مسعود البدري موقوفًا، رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٧/ ٥٠٨ و٥١٦ – الرُّشد)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٨٥)، والحاكم (٤/ ٥٥٢ و٥٩٨). وصحَّحه الحافظ في «التلخيص» (٣/ ٣٠١). وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ في «تخريج السُّنَّة» لابن أبي عاصم (١/ ٤٢)، وقال في الحديث المرفوع: «صحيحٌ، له شواهدُ».

الطَّائفةُ النَّاجية المنصورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، أمَّا بعدُ:

فقد طُلب منِّي أَنْ أُلقيَ كلمةً عن عقيدة الطَّائفة المنصورة الَّتي قال عنها النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ؛ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ**»[(١)]، وفي رواية: «**لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[(٢)].

وحيثُ إنَّ الكلمةَ المكتوبةَ تبقىٰ وتستمرُّ الاستفادة منها علىٰ مرِّ الزَّمن، فقد فضَّلتُ أنْ أكتبَ ما يسَّره اللهُ، لعلَّ اللهَ أن ينفعَ بذلك، **فأقولُ:**

بيان عقيدة الطَّائفة النَّاجية المنصورة

إنَّ الطَّائفةَ المنصورة هم الفِرقةُ النَّاجيةُ، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، وهم الجماعة، وهم الَّذين يَسيرون علىٰ ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، وهذا لا يستطيعه أحدٌ غيرُ أصحاب الحديث الَّذين يتَّبعون الآثار المرويَّة عن النَّبيِّ ﷺ وأصحابه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٧)، والبخاريّ بنحوه (٣٦٤١) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٤) من حديث عُقبة بن عامر رضي الله عنه.

أمَّا عقيدتُهم، فهم:

اعتقادُهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

١- يؤمنون بأنَّ الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يلدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأنَّه هو الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ، وهو الآخرُ الَّذي ليس بعده شيء، وهو الظَّاهر الَّذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء؛ خلق السَّموات والأرض في ستَّة أيَّام، ثمَّ استوىٰ علىٰ العرش.

اعتقادُهم في علْم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

٢- يعلمُ ما كان وما يكونُ؛ يعلم حركات العباد وسكناتهم وألحاظهم وألفاظهم ووساوس صدورهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

اعتقادهم في القدر:

٣- يؤمنون بأنَّه كتَب علىٰ العباد ما هم صائرون إليه مِن سعادةٍ وشقاوةٍ، وإيمانٍ وكُفر، وطاعةٍ ومعصيةٍ، وغنًىٰ وفقر، وقوَّةٍ وضعفٍ، وصحَّةٍ ومرض، وسيصير كلُّ عبدٍ منهم إلىٰ ما هو مكتوبٌ له أو عليه، فالمؤمنون يهديهم الله بفضله، والكافرون يضلُّهم الله بعدلِه؛ وله فيهم الحكمة البالغة، وله عليهم الحجَّة الدَّامغة؛ لا يظلم ربُّنا أحدًا، ولكنَّ النَّاس أنفسَهم يظلمون؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النِّساء: ٤٠].

اعتقادُهم في أسماء الله وصفاته:

٤- يُؤمنون بأنَّ لله أسماء حسنَىٰ، وصفاتٍ عُليا تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّ الواجبَ علىٰ العِبادِ الإيمان بها علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله سبحانه، وأنَّ

الواجبَ إمرارُها كما جاءتْ مِن غيرِ تحريفٍ، ولا تأويلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيل، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل؛ بل يعتقدون معنىٰ كلِّ صفةٍ علىٰ ما تقتضيه في اللُّغة العربيَّة علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله سبحانه.

اعتقادُهم في الإيمان:

٥- **وتعتقدُ الطَّائفة المنصورة**: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ؛ قولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

وأنَّه يزيد وينقص؛ يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية.

وأنَّ تاركَ العمل زنديقٌ غيرُ صادقٍ في ادِّعائه الإسلام؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ذكَر الإيمان إلَّا وذكَر معه العمل الصَّالح.

وأنَّ تارِكَ الصَّلاة كافرٌ كفرًا يُخرج من الملَّة؛ للأدلَّة الدَّالَّة علىٰ ذلك؛ منها: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التَّوبة: ١١].

وقد اتَّفق الأئمَّةُ الثَّلاثة: مالكٌ، والشَّافعيُّ، وأحمد أنَّ تارك الصلاة يُستتاب؛ فإن تاب وإلَّا قُتل حدًّا علىٰ رأي الإمامين؛ مالكٍ والشَّافعيِّ، وعن أحمد روايتان؛ رواية كقول مالك والشَّافعي، ورواية أنَّه يكفر بالتَّرك؛ فلذلك يقال بأنَّه يقتلُ كُفرًا.

أمَّا أبو حنيفة فإنَّه لا يرىٰ قتله؛ وهو قولٌ شاذٌّ.

ومن ادَّعىٰ الإسلام ونطق بالشَّهادتَين وترَك العمَل، لم يكن صادقًا فيما ادَّعاه حتَّىٰ يعملَ، وإن لم يعمل استتيب؛ فإن تاب وإلَّا قُتل، كما سبق بيانه.

اعتقادُهم في صفةِ كلامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

٦- **وتعتقدُ الفِرقةُ النَّاجيةُ والطَّائفةُ المنصورة**: أنَّ الله يتكلَّم بكلامٍ قديم

النَّوع، حادثِ الآحاد.

وأنَّه كلَّم موسىٰ - عليه الصَّلاة والسَّلام - مِن الشَّجرة، وكلَّم نبيَّنا محمَّدًا ﷺ ليلة عُرِج به من وراء حجاب.

والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، ومنها: قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]، ومن ذلك أيضًا قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وكلامه صفةٌ من صفاته؛ لا نقولُ: «خلقه في الشجرة» كما تقوله بعض فئات الضلال، ولا نقول: «عبارةٌ عنه». كما يقوله بعضهم، بل نقول: كلام الله، وكلامه: صفة لائقةٌ بجلاله سبحانه.

اعتقادُهم في القُرآن:

٧- وتؤمنُ الطَّائفة المنصورة: أنَّ القرآنَ كلامُ الله منزَّلٌ، غيرُ مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (ج١٢/ ٤٨٧): «المأثور عن أحمد وعامَّة أئمَّة أهل السُّنَّة والحديث: أنَّهم كانوا يقولون: مَن قال: (القرآن مخلوقٌ)؛ فهو كافر، ومَن قال: إنَّ الله لا يُرىٰ في الآخرة؛ فهو كافر، ونحو ذلك، ثمَّ حكىٰ أبو نصر السِّجزيّ عنهم في هذا قولين:

أحدهما: أنَّه كفرٌ ينقلُ عن الملَّة؛ قال: وهو قول الأكثرين.

والثَّاني: أنَّه كفرٌ لا ينقلُ.

ولذلك قال الخطَّابيُّ: إنَّ هذا قالوه علىٰ سبيل التَّغليظ.

وكذلك تنازع المتأخِّرون مِن أصحابنا في تخليد المكفر مِن هؤلاء، فأطلق أكثرهم عليه التَّخليد، كما نُقل ذلك عن طائفةٍ من مُتقدِّمي عُلماء الحديث؛ كأبي حاتم، وأبي زُرعة، وغيرهم، وامتنع بعضُهم من القول بالتَّخليد». انتهىٰ ما أردت نقله بتصرفٍ يسير في أوَّله.

قلتُ: في نظري أنَّ القول بكُفر مَن قال: إنَّ القُرآن مخلوقٌ، أنَّه كافرٌ كُفرًا يُخرج من الملَّة بعد إقامةِ الحجَّة عليه؛ هذا هو الحقُّ إنْ شاء الله؛ لأنَّه كذَّب الله في خبره حيثُ قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: ٦]، والمقصود بكلام الله: هو القُرآن، وكذلك قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقد قامَ إجماع السَّلف مِن الصَّحابة ومَن بعدَهم مِن أئمَّة الهدىٰ: أنَّ القُرآنَ كلامُ الله، مُنزَّلٌ، غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعودُ، أنزلَه بعلمه؛ ليتَّخذَه العبادُ إمامًا؛ يعتقدونه، ويعملون علىٰ ضوئِه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

اعتقادُهم في الحاكميَّة:

٨- وتُؤمنُ الطَّائفةُ المنصورةُ بوجوب التَّحاكم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، **وإلىٰ رسوله** ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشُّورىٰ: ١٠]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّساء: ٥٩]، والرَّدُّ إلىٰ الله هو بالرَّدِّ إلىٰ كتابه، والرَّدُّ إلىٰ الرَّسولِ هو بالرَّدِّ إلىٰ ما صحَّ مِن سنَّتِه ﷺ علىٰ قواعد أهل الأثر؛ سواء كان ذلك في العقائد أو غيرها، وأنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يَدَعَ سُنَّةَ رسولِ الله ﷺ لقول

أحدٍ مِنَ النَّاس كائنًا مَن كان، وقد قال مالكٌ فيما أُثر عنه: «مَا مِنَّا أحدٌ إلَّا ويؤخذُ مِن قولِه ويُردُّ إلَّا صاحب هذا القبر»، وأشار إلىٰ قبر رسول الله ﷺ[(١)].

ولنضربِ لذلك مَثَلًا مِن الواقع الَّذي نعيشُه:

فرسولُ الله ﷺ أُمرَ أنْ تكونَ دعوتُه مبدوءةً بالتَّوحيد، كما هي دعوةُ كلِّ رسولٍ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦].

وقد قرَّر مُؤسِّسُ دعوةٍ معاصرةٍ أن تكون دعوتُه ودعوةُ أتباعه إلىٰ إعادةِ الخلافةِ الضَّائعة، فأطاعه أتباعه في ذلك، فأظهروا للنَّاس أنَّهم يدعون إلىٰ التَّنسُّك والعبادة، وتسرَّروا[(٢)]، وأبطنوا في دعوتهم الإطاحة بالدُّوَل الموجودة؛ واحدةً تلو الأُخرىٰ، حتَّىٰ تعودَ الخلافةُ إلىٰ ما كانت عليه سابقًا، حسَب زعمِهم، حتَّىٰ يكون للمسلمين جميعًا خليفةٌ واحدٌ، ويقول الواحدُ منهم للسَّحابة: «أمطِري حَيثُ شِئتِ فَسيأتِيني خَراجُك». وقد توصَّلوا إلىٰ ذلك بأمور يطولُ شرحُها.

والمهمُّ: أنَّ أولئك القوم عصَوا أمْر الله وأمْر رسولِه، حين أمَر اللهُ ورسولُه أن تكونَ الدَّعوةُ مبدوءةً بالتَّوحيد، وأطاعوا ذلك المُتحزِّب حين أمَرهم بالدَّعوة إلىٰ إعادةِ الخِلافةِ.

---

(١) ذكره أبو شامة في «مختصر المؤمّل» (ص٦٦ الصَّحوة)، وصحَّحه ابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (ص٤٠٢ ابن حزم)، وقال السَّخاويُّ في «المقاصد الحسنة» (ص٥١٣) (٨١٥): «هو مِن قولِ مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل في الطَّبرانيِّ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رفعَه: مَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ، أورده الغزاليُّ في (الإحياء) بلفظ: مَا مِنْ أَحَدٍ إلَّا يُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِه وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولُ الله ﷺ، ومعناه صحيحٌ».

(٢) أي: انتسبوا إلىٰ السُّروريَّة، أتباع محمَّد سُرور زين العابدين.

واللهُ أمَرَ أن تكونَ الدَّعوةُ دينيَّةً، وذلك المؤسِّس أمَر أن تكون الدَّعوة سياسيَّةً.

واللهُ تعالىٰ أمَر أنْ تكون الدَّعوةُ ظاهرةً، وذلك المُؤسِّس أمَر أنْ تكونَ الدَّعوةُ سرِّيَّةً.

واللهُ جعَل الشِّركَ الأكبر مُحبطًا للعمل، مُوجبًا للخلودِ في النَّار، وذلك المُؤسِّسُ خصَّ بالمحاربة الفواحشَ، وسكَت عن الشِّرك الأكبر المُخرج من الملَّة.

واللهُ أمَر بطاعة ولاة الأمر، وعدم الخُروج عليهم، وذلك المتحزِّب أمَر بالخروج علىٰ ولاة الأمر، وأَخْذ السُّلطة مِن أيدِيهم.

وهكذا مُخالفاتٌ لأمر الله ورسولِه، وطاعةٌ عمياءُ لأوامرِ مؤسِّس الحزب؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

اعتقادُهم في طاعةِ وُلاة الأُمور:

٩- **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورةُ**: وجوبَ طاعةِ وُلاة الأمور، وعدم الخروج عليهم والمنازعة لهم، والكلام في المجالس العامَّة بما يُعدُّ إثارةً عليهم، أو انتقاصًا لهم، أو تهوينًا مِن شأنِهم، وأنَّ الواجبَ طاعتُهم فيما لا يكون معصيةً لله تعالىٰ، والصَّلاة وراءهم، والقتال معهم، ودفع الزَّكاة إليهم.

والأحاديثُ في ذلك كثيرةٌ ومشهورةٌ، منها:

حديثُ عُبادة بن الصَّامت في «الصَّحيحين» قال: «**دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا**[١]**، وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ؛ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[٢].

---

(١) استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إيَّاها بأنفسهم، أي: ولو منعنا حقُوقنا.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٥)، ومُسلم (١٧٠٩).

ومنها: حديثُ ابنِ عبَّاس فِي «الصَّحيحين»: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الجَمَاعَةِ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

وفِي روايَةٍ: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(٢).

ومنها: حديث ابن عمر فيهما أيضًا: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٣).

ومنها: حديث أبي هريرة عند مسلم(٤).

ومنها: حديث أبي ذرّ(٥).

ومنها: حديث عوف بن مالك الأشجعي(٦).

ومنها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص(٧).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٤)، ومُسلم (١٨٤٩).

(٢) أخرج أبو داود (٤٧٥٨) عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٦٤١٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مُسند الأنصار، (٥/ ١٨٠) (٢١٦٠٠) (٢١٦٠١ قرطبة).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

(٧) أخرجه مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا

ومنها: حديث أمِّ سلمة(١).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري(٢).

وحديث عرفجة الأشجعيّ(٣)، رضي الله عنهم جميعًا.

وكلُّ هذه الأحاديث تَنهىٰ عن الخروج والمُنازعة، وتأمُر بالسَّمع والطَّاعة، ومَن خالفَها واستهان بأوامر الرَّسول ﷺ الَّتي فيها، فهو مُبطلٌ ومُعتدٍ وظالمٌ.

اعتقادُهم في الخوارج:

١٠ - **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورة**: أنَّ الخوارجَ فرقةُ ضلالة، وفئة إفساد، وأنَّ الواجب علىٰ ولاة الأمور أن يتعقَّبوهم ويقتلوهم أينما حَلُّوا، وحيثما وُجدوا، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ**

= كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤) عن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا».

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطَّويل؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، وَأَظُنُّهُ قَالَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**»[(٢)]، وفي رواية: «**قَتْلَ عَادٍ**»[(٣)]، وفي رواية: «**هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ**»[(٤)]، وفي رواية: «**طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ**»[(٥)]، وفي رواية: «**شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ**»[(٦)].

وإنَّ هذه الأوصافَ الَّتي وُصف بها الخوارج الَّذين يخرجون علىٰ ولاة الأمر منطبقة علىٰ الَّذين ظهروا في هذا الزَّمن، وهم الَّذين يُسمَّون بالإرهابيِّين في الاصطلاح الجديد، وهم جديرون بهذا الاسم؛ لأنَّهم يستعملون الخداع والتَّورية؛ فهُم إذا قالوا: نحنُ في أعناقنا بيعةٌ لوليِّ الأمر إنَّما يُورُّون بذلك تورية؛ وهم يقصدون أنَّ في أعناقهم بيعةً لولي الأمر المنتظر الَّذي تنبثق عنه هذه الجماعة، كما قال ذلك صاحبُ (الجماعة الأمّ).

وهم يختلفون عن الخوارج القُدامىٰ بأنَّهم يستعملون النِّفاق والتَّقيّة.

فهم أخذوا من كلِّ بدعة شرَّ ما فيها؛ فأخذوا عن الخوارج القُدامىٰ الخروجَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٥) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: «حديث حسن»، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الترمذي»: «حسن صحيح».

واستباحةَ دماء المسلمين وأموالهم بناءً علىٰ تكفيرهم لهم.

وأخذوا من أهل التَّشيُّع التَّقيَّة وهي النِّفاق،.. إلىٰ غير ذلك من الأمور الَّتي هي حاصلةٌ منهم، ومعروفةٌ عنهم.

اعتقادُهم في التَّكفير:

١١- **وتؤمنُ الطَّائفة المنصورة**: بأنَّه لا يجوز لأحدٍ أنْ يُكفِّر أحدًا مِن المسلمين إلَّا بما يوجبُ ذلك؛ كأن يقع منه الشِّركُ الأكبرُ، أو يكفر بواحدٍ من أركان الإيمان السِّتَّة؛ كإنكار يوم القيامة، أو إنكار الملائكة، أو غير ذلك ممَّا هو ثابتٌ بالكتاب والسُّنَّة، أو يرتكب ناقضًا مِن نواقض الإسلام.

وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذكَر رابطة الإيمان بين المؤمنين المُتقاتلين؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجرات: ٩]. وقال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ومِن هنا يفهم من الآيتين أنَّ ارتكابَ المعاصي لا تُخرج من الإسلام؛ سواءً كانت كبائر أو صغائر، إلَّا أنْ يستحلَّ حرامًا مُجمعًا عليه؛ كالرِّبا والزِّنا وشُرب الخمر؛ أي: يستحلُّه استحلالًا اعتقاديًا؛ أمَّا الفعلُ فلا يوجبُ كُفرًا، وكذلك تحريم الحلال المُجمع عليه.

اعتقادُهم فيما يترتَّبُ على تكفير المُسلمين:

١٢- **وتعتقدُ الطَّائفة المنصورةُ**: أنَّ تكفير المُسلمين تترتَّب عليه أمورٌ مشينة وضارَّة بالمسلمين، وهي استباحة دمائهم، واستحلال أموالهم وأعراضهم، وأنَّ مَن قال بذلك فإنَّه يحوِّل المجتمعَ الإسلاميَّ إلىٰ مجتمعٍ مضطرب لا يجدُ أهلُه الرَّاحة، ولا الطّمأنينة؛ ليؤدُّوا عبادةَ ربِّهم في يُسر وسُهولة؛ فلذلك يجبُ أنْ

يَحذرَ المسلمون من هذا المسلك الخطير، وأنْ يبتعدُوا عنه كلَّ البُعد، وأنْ يعلمُوا أنَّ مَن دعاهم إليه، فقد دعاهم إلىٰ ما يضرُّ بدنياهم وآخرتهم.

اعتقادُهم في هجْر أهل البدع:

١٣- **وتعتقدُ الطَّائفة المنصورة**: وجوب مجانبة أهل البدع، والبعد عنهم، وهجرهم بقدر الإمكان؛ سواء كانوا خوارج، أو شيعة، أو جهميَّة، أو معتزلة، أو صوفيَّة، أو إخوانيَّة، أو سروريَّة، أو قطبيَّة، أو تبليغيَّة، أو تحريريَّة، أو غير ذلك من الأحزاب الجديدة، وأنَّ الواجب علىٰ المسلم أن يبتعد عن هذه الأحزاب وعن أصحابها خوفًا مِن أنْ ينالَه مِن مَعرَّتها ما يكون جارحًا في دينِه؛ وضارًّا بمجتمعِه.

نسألُ اللهَ أنْ يعصمَنا مِن هذه الحزبيَّات ومِن أصحابها، وأن يَقيَنا كيدَهم وشرَّهم؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

اعتقادُهم في الآل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

١٤- **وتعتقدُ الطَّائفة المنصورة**: وجوب الاعتراف بفضل قرابة النَّبيِّ ﷺ وأهل بيته، ومحبَّتهم لله، ثمَّ لقرابتهم لنبيِّه ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشُّورىٰ: ٢٣]، أي: إلَّا أنْ تودُّوا قرابتي، وتحبُّوهم مِن أجلي.

لذلك فنحن يجبُ أنْ نحبَّهم من غير غلوٍّ فيهم، ولا اعتقادٍ لعصمتِهم.

اعتقادُهم في زوجاتِ النَّبيِّ ﷺ:

١٥- **وتعتقدُ الطَّائفة المنصورة**: أنَّه يجبُ أنْ نُحبَّ زوجاتِ الرَّسول ﷺ، ونعرف لهنَّ حقَّهنَّ، ونعتقد بأنَّهنَّ طيِّبات طاهرات مطهَّرات، ونبغض ونلعنَ مَن يَرميهنَّ بالفاحشة بعد أنْ برَّأهنَّ الله منها؛ بل ونعتقد كُفره؛ لقوله تعالىٰ في سياق براءة عائشة رضي الله عنها وعن جميع أزواجِه: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ

لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النُّور: ٢٦]؛ فهذه البراءة لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وهي براءةٌ لجميع الأزواج المطهّرات - رضي الله عنهن وأرضاهنَّ - وأفضلهنَّ خديجة، ثمَّ عائشة - رضي الله عنهنَّ أجمعين.

اعتقادُهم في الأصحاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

١٦- **وتعتقد الطَّائفة المنصورةَ**: أنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مسلم أن يعرفَ لأصحاب النَّبيِّ ﷺ حقَّهم وفضلَهم؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». رواه البخاري ومسلم[(١)].

ويعتقدون وجوبَ الكفِّ عمَّا شَجَر بين الصَّحابة، وعدمَ الخوض في ذلك.

ويعتقدون أنَّ أفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها: أبو بكرٍ الصِّدِّيق، ثُمَّ عمر بن الخطَّاب، ثمَّ عُثمان بن عفَّان، ثمَّ عليُّ بن أبي طالب، ثمَّ بقيَّة العشرة، ثمَّ أهل بيعة العَقبة، ثمَّ المهاجرون الأوَّلون مِن أهل بدرٍ، ثمَّ أهل بيعةِ الرِّضوان، ثمَّ مَن أسلَم وهاجَر وقاتَل قبْل الفتح، ثمَّ مَن أسلمَ وقاتَل بعدَ الفتْح، ثمَّ صغار الصَّحابة رضي الله عنهم جميعًا.

اعتقادُ أفضليَّة القُرون الثَّلاثة الأُولىٰ:

١٧- **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورةُ**: فضْلَ القُرون الثَّلاثة المُفضَّلة علىٰ غيرها مِن الأمَّة؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**خَيرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[(٢)].

إنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يعود إلىٰ فهم الصَّحابة - رضوان الله عليهم -

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم بنحوه (٢٥٣٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

للنُّصوص الشَّرعيَّة، ثمَّ إلىٰ فهم علماء التَّابعين الَّذين أخذوا عن الصَّحابة، ثُمَّ إلىٰ فهم علماء أتباع الأتباع، ثمَّ أهل الحديث في كلِّ زمَن؛ لأنَّهم هم المُنوَّهُ عنهم في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النِّساء: ١١٥]؛ فأيُّ تفسيرٍ للقرآن أو شرحٍ للسُّنَّة لا يُؤثر عن الصَّحابة، ولا عن أهل الحديث مِن بعدهم، فإنَّه باطلٌ، ولا يجوزُ المصيرُ إليه، ولا الأخْذُ به.

ولمَّا سُئل الإمامُ أحمدُ بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن الطَّائفة المنصورة قال: «إنْ لَمْ يَكُونوا أصحابَ الحديثِ فلا أَدْري مَن هُمْ؟!»[1].

اعتقادُهم في نعيم القبر وعذابه:

١٨- وتُؤمنُ الطَّائفة المنصورة بعذاب القبر ونعيمِه، وقد جاء في الحديث إنَّ: «القَبْر رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاض الجَنَّة، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»، إلَّا أنَّ الحديث بهذا اللَّفظ فيه ضعف، فهو عند التِّرمذي من طريق عطيَّة العوفي؛ وهو ضعيفٌ[2].

وعزاه في «مجمع الزَّوائد» (٣/ ٤٦) إلىٰ الطَّبراني في «الأوسط»، وقال: «فيه محمَّد بن أيُّوب بن سويد، وهو ضعيف».

ولكنَّه من حيث المعنىٰ تشهدُ له أحاديثُ كثيرةٌ وصحيحةٌ، ولفظه: عن محمَّد بن أحمد بن مدويه، حدَّثنا القاسم بن الحكم العرني، حدَّثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطيَّة، عن أبي سعيد قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُصَلَّاه،

(١) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ٣٥). وانظر: «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص٢٥ - ٢٧)، و«الصَّحيحة» للألباني تحت حديث رقم (٢٧٠)، و«أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية» للشيخ ربيع المدخلي حفظه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فرأىٰ ناسًا كأنَّهم يَكْتَشِرون[١]؛ قال: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَىٰ، فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ المَوْتِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَىٰ القَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ، فَيَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ، وَأَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ، فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ، قَالَ لَهُ القَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَىٰ صَنِيعِيَ بِكَ". قَالَ: "فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الجَنَّةِ. وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ أَوِ الكَافِرُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَىٰ صَنِيعِيَ بِكَ"، قَالَ: «فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ بأَصَابِعِهِ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ، قَالَ: «وَيُقَيِّضُ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا؛ لَو أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، فَيَنْهَشْنَهُ وَيَخْدِشْنَه حَتَّىٰ يُفْضِيَ بِهِ إِلَىٰ الحِسَابِ». قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ».

قال أبو عيسىٰ التّرمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلَّا مِن هذا الوجه».

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف سنن الترمذي»، (ص٢٣٩): "ضعيفٌ جدًّا، وانظر «سلسلة الأحاديث الضَّعيفة» برقم (٤٩٩٠)، لكن جملة: «هَادِمِ اللَّذَّات» صحيحةٌ، فانظر الحديث برقم (٢٤٠٩)".

قلتُ: عطيَّةُ الوارد في سند الحديث ضعيفٌ جدًّا؛ كان يُقدِّم عليًّا على الكُلِّ، وكان يُجالس أبا سعيد الخدري، فلمَّا توفِّي جالس الكَلبيّ، وكنَّاه أبا سعيدٍ،

(١) أي يضحكون، من الكَشْر، وهو ظهور الأسنان للضَّحك.

وكان يُحدِّث عن الكلبي؛ فإذا قيل: مَن حدَّثك؟ قال: حدَّثني أبو سعيد. يوهم أنَّه أبو سعيدٍ الخدري؛ وهو يقصد الكلبيَّ؛ وهذه خيانةٌ عظيمةٌ.

قال الإمام أبو جعفر، أحمد بن محمَّد الطَّحاوي في «العقيدة الطَّحاويَّة»:

«وقد تواترت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ في ثُبوت عذاب القبر ونعيمه لمَن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين؛ فيجب اعتقادُ ثُبوت ذلك، والإيمانُ به، ولا نتكلَّم في كيفيَّته؛ إذْ ليس للعقل وقوفٌ علىٰ كيفيَّته؛ لكونِه لا عهْدَ له به في هذه الدَّار، والشَّرع لا يأتي بما تُحيلُه العُقول، ولكنَّه يأتي بما تَحارُ فيه العُقول»[(١)].

اعتقادُهم في البعث والنُّشور:

١٩- **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورة:** أنَّ اللهَ يبعثُ مَن في القُبور، ويَجمعهم ليوم القيامة؛ فتدنو الشَّمس منهم، ويَصهرهم العرقُ، فيَلتمس المؤمنون الشَّفاعة، فيأتون إلىٰ آدم، ثمَّ إلىٰ أولي العزم؛ فكلُّهم يأباها حتَّىٰ تصلَ إلىٰ النَّبيِّ الكريم ﷺ، فيقول: «**أَنَا لَهَا**»[(٢)]. فيَشفعُ في فصل القضاءِ، وذلك هو المقامُ المحمودُ الَّذي وعدَه به ربُّه عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

وصحَّ أنَّه ﷺ يستأذن علىٰ ربِّه عَزَّوَجَلَّ فيأذن له، فإذا رأىٰ ربَّه سجَد سجدةً قَدْر جُمُعةٍ، ثمَّ يقالُ له: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَيَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[(٣)]، فيأمرُ اللهُ بفصل القضاءِ، وأمَّة محمَّدٍ ﷺ هي أوَّل

---

(١) «شرح العقيدة الطَّحاوية» لابن أبي العزّ (ص ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في حديث الشَّفاعة الطَّويل.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث الشَّفاعة الطَّويل، بدون تحديد قدر السَّجدة، أمَّا تحديد السَّجدة بقدر جمعة، فقد أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (٤/ ٣٩٣) (٦٤٧٦) من حديث أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أُمَّةٍ يُقضىٰ بينها؛ لذا قال ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

اعتقادُهم في أهوالِ يوم القِيامةِ:

٢٠- **وتعتقد الطَّائفةُ المنصورةُ:** بما يَحويهِ يوم القيامة؛ من الوُقوف، والحساب، وتطاير الصُّحف، والميزان، والصِّراط، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك ممَّا يَجري في ذلك اليوم.

اعتقادُهم في الجنَّة والنَّار:

٢١- **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورة:** أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان الآن، وأنَّهما خُلقتا قبل خلْق السَّموات والأرض، وأنَّهما لا تَفنيان أبدًا؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨]، وقال تعالىٰ في الجنَّة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرَّعد: ٣٥]، وقالَ جَلَّ وَعَلَا في النَّار: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرف: ٧٧].

اعتقادُهم في رُؤيةِ الله في الآخرةِ:

٢٢- **وتعتقدُ الطَّائفةُ المنصورةُ:** أنَّ اللهَ يُرىٰ في الآخرة؛ يراه المُؤمنون في عرصات القيامةِ، ويرونه في الجنَّة حين يَكشفُ الحجاب عن وجهه، ويُمكِّنهم من النَّظر إليه زيادةً في نعيمِهم؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمامُ ابنُ كثير - رحمه الله تعالىٰ - في «تفسيره»: «تشمل الزِّيادة تضعيف ثواب الأعمال؛ بالحسنة عشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وزيادة علىٰ ذلك أيضًا، وتشمل ما يُعطيهم الله في الجنان من القصور والحُور والرِّضا عنهم، وما أخفاه لهم مِن قرَّة أَعْين، وأفضَلُ مِن ذَلِكَ وأعلاه: النَّظر إلىٰ وجهه الكريم؛ فإنَّه زيادة أعظمُ مِن جميع ما أُعطوه، لا يستحقُّونها بعملهم، بل بفضله ورحمته. وقد رُوي تفسير «الزِّيادة» بالنَّظر إلىٰ وجهه الكريم عن أبي بكر الصِّدِّيق، وحُذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عبَّاس، وسعيد بن المسيّب، وعبد الرَّحمن بن أبي ليلىٰ، وعبد الرَّحمن بن سابط، ومُجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضَّحَّاك، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، ومحمَّد بن إسحاق، وغيرهم من السَّلف والخلَف». اهـ[1].

وأخيرًا، هذا ما تَيسَّر تدوينُه في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

نسألُ اللهَ أنْ يجعلَه خالصًا لوجهه، مُوافقًا لمَا صحَّ عن رسوله ﷺ.

وبالله التَّوفيقُ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

كتبها

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

١/ ٤/ ١٤٢٧هـ



(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦٢) بتصرُّف يسير.

رسائل في الرُّدودِ

- الرُّدودُ مِن منهج السَّلفِ
- الرَّدُّ على الغيثيّ
- نسفُ الدَّعاوى الَّتي قرَّرها المغراويّ
- حوارٌ مع الحلبيّ
- ردٌّ على صوفيٍّ
- ردٌّ على مفتي مصر (علي جمعة)
- دحض بعض شبهات البدري المفتري
- حفُّ الحواجبِ وتَشقيرُها مُخالفٌ للشَّرع
- بيع الخمر في ديار الكفَّار (ردٌّ على نجيب عصام يماني)
- حقُّ النَّبيِّ ﷺ بين الغُلوِّ والتَّفريطِ

الرُّدودُ مِن منهج السَّلفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسولِ الله، وعلىٰ آلِه وصحبِه، وبعدُ:

فباستقراء أحوال النَّاس وُجد أنَّ هناك أقوامًا ينتمون إلىٰ المنهج السَّلفيِّ - حسَب زعمِهم -، ولكنَّهم يَكرهون الرُّدودَ، ويرَون أنَّها سببٌ في التَّفرُّق ونشْر الضَّغائن بين النَّاس، وبثِّ العداوات، وغرس بذُور الفُرقة؛ وهذا يدلُّ علىٰ قلَّة تعمُّق هؤلاء فيما يترتَّب علىٰ كلٍّ مِن الأمرَين - الرَّدِّ وتركه - مِن نتائج حسنةٍ أو سيِّئةٍ، حُلوةٍ أو مُرَّةٍ.

والحقيقة أنَّ الرَّدَّ علىٰ المخالف يُعتبرُ إنكارًا لمُنكرٍ فَشَا، وردًّا لباطلٍ رُوِّج.

وقد قرَن الله عَزَّوَجَلَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر بالإيمان، فجعَلَ الثَّلاثةَ سببًا لخيريَّة هذه الأمَّة حيثُ قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير هذه الآية:** «يخبرُ تعالىٰ عنْ هذه الأمَّة المحمديَّة بأنَّهم خيرُ الأمم؛ فقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

قال البخاريُّ: حدَّثنا محمَّد بن يوسف، عن سفيان، عن مَيسرةَ، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ قال: «خير النَّاس للنَّاس؛ تأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم حتَّىٰ يدخلُوا في الإسلام». وهكذا قال

ابنُ عبَّاس، ومُجاهد، وعكرمةُ، وعطاء، والرَّبيع بن أنس، وعطيَّة العَوفي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني: خيرَ النَّاس للنَّاس. والمعنىٰ: أنَّهم خير الأُمم، وأنفع النَّاس للنَّاس، ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾».

ثمَّ قال: «قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أحمد بن عبد الملك، حدَّثنا شريكٌ، عن سِماك، عن عبد الله بن عُمَيرةَ، عن زوج دُرَّة بنت أبي لهَب، عن دُرَّة بنتِ أبي لهب قالتْ: قَامَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ المنْبرِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاس خيرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاس أَقْرَؤُهُمْ، وَأَتْقَاهُمْ لله، وَآمَرُهُمْ بالمعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ المنْكَرِ، وَأَوْصَلُهُمْ للرَّحِمِ**»(١)». اهـ(٢).

وقد تَتبَّعتُ سندَ هذا الحديث، فوجدتّهم كلّهم ثقات، وشريكٌ سيِّئ الحفظ، وعبد الله بن عميرة كوفيٌّ مقبولٌ من الثَّانية، وزوج درَّة بنت أبي لهب لم أعرفه، ولعلَّه كان صحابيًّا.

وقد ساق ابنُ كثيرٍ أحاديث كثيرة في خيريَّة هذه الأمَّة، ثمَّ قال: «فهذه الأحاديث في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؛ فمن اتّصفَ مِن هذه الأمَّةِ بهذه الصِّفات، دخَل معهم في هذا الثَّناءِ عليهم والمدح لهم، كما قال قتادةُ: بَلَغَنا أنَّ عمرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حجَّةٍ حَجَّها رأىٰ مِن النَّاس سُرعة - فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثمَّ قال: «مَنْ سرَّه أَنْ يكون مِن تلْك الأُمَّة فليؤدِّ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٣٢) (٢٧٤٧٤ قرطبة).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٣ سلامة).

شرطَ الله فيها». رواه ابن جرير[(١)].

قال ابنُ كثير: «ومَن لم يتَّصف بذلك أَشْبَه أهلَ الكتاب الَّذين ذمَّهم الله بقوله: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾»[(٢)]. اهـ.

وأقولُ: إنَّ الأمْرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر واجبٌ حتميٌّ علىٰ الأمَّة جمعاء، لا يجوزُ لأحدٍ ترْك ما يَقدرُ عليه منه، وإنْ ترَك شيئًا يقدر عليه، ناله من جرَّاء ذلك مِن الإثم ما ناله لا محالة، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**مُرُوا بالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوا عَنِ الْمُنْكَر قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»، رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ!**». قَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ؛ إنَّما هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المجَالِس، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّها!**». قَالَوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَر، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَام، وَأَمْرٌ بالمعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**»، رواه البخاري ومسلم[(٤)].

ومِن هذه الأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نأخذُ وجوبَ الرُّدود.

والرُّدودُ لا تكونُ إلَّا علىٰ أخطاء؛ فهل يجوز أن نسكتَ علىٰ الخطأ فلا ننكره؟

الجواب: لا، إنَّ الَّذين يُنكرون الرُّدود إنَّما يُريدون أنْ يفشوَ المُنكرُ، فلا

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٠٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٠٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٤) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف ابن ماجه» (٤٠٠٤).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

يُنكر حتَّىٰ يستفحلَ الباطلُ وأهله، ويضعف الحقُّ وأهله، فإذا خَلَتِ الأرض مِن آمرٍ بمعروفٍ، وناهٍ عن مُنكر - استحقَّ أهلها اللَّعنة كما لُعن بنو إسرائيل؛ قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

واللهُ عَزَّوَجَلَّ جعَل خيريَّة هذه الأمَّة مَبنيَّةً علىٰ ثلاثِ قواعدَ؛ وهي:

١ - الأمر بالمعروف.

٢ - النَّهي عن المنكر.

٣ - الإيمان بالله.

والخُلاصةُ: أنَّ مَن أنكَر الرُّدودَ فقد أنكَر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ومَن أنكَر الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فقد أضاع اثنتين من تلك القواعد.

وإذا ضاعتْ منه اثنتان فقد ضاعتْ منه الثَّالثة، وهي الإيمان بالله؛ لأنَّ الإيمان بالله هو الباعث علىٰ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وبفقدهما يُفقد؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

كتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

في ٢/ ٥/ ١٤٢٧هـ



الرَّدُّ على الغَيثي

إليكَ أَخي طالِبَ الحقِّ بعضَ أقوالِ أبي حُذيفة؛ فاروق بن إسماعيل الغيثي، وقَدْحَه في عُلماءِ ومشائخ أهلِ السُّنَّةِ، وذلك مِن خلالِ شريط بعنوان: «**التِّبيان الجَلِيّ في فَضْح حِزْب المَدخليّ**»، وَقَدْ سُجِّلَ هذا اللِّقاء من دولة الإمارات - إمارة الفجيرة - منطقة الشّرية، وإليك نصُّ ما ذكَره في هذِهِ الجلسة، هدَاه الله للرُّجوع إلىٰ الحقِّ والصَّواب:

١ - خطَّأتُ الفوزان في مسألةٍ أيُّ طَالِبِ عِلْمٍ يُخَطِّئه فيها.

٢ - طُلَّابُ العِلْمِ كثيرًا شَابَهوا اليهودَ والنَّصارَىٰ.

٣- إنَّ الشَّيْخَ ابن باز، وابن عثيمين، والفوزان، ما تَصدَّرُوا للرَّدِّ علىٰ أهلِ البدَعِ.

٤ - الشَّيخُ ربيعٌ والشَّيخ عُبيدٌ يُقلِّدونَ عُلَماءَ أَهْل الرَّأي قَدِيمًا الَّذين ذَمَّهُمْ السَّلفُ.

٥ - كلام أبي حَامِد الغزالي في أَهْلِ البِدَعِ أشدُّ مِن كَلَام ربيع المدخلي في أَهْلِ البِدَعِ.

٦ - مَصَالحُ الشَّيخ ربيع مصالحُ أَهْل الرَّأي الأَحْناف الغُلَاة.

٧- الشَّيخُ ربيعٌ - واللهِ - لو قرأ «الرِّسالةَ» للشَّافعيِّ ما يَفْهم شيئًا.

٨- مَنِ الشَّيخ ربيع؟! هؤلاء ما يَفْهمُونَ ولا يَقْرؤون، ما عِنْدهُمْ إلَّا الأُصُول الثَّلاثة، وَشُرُوحات آل الشَّيخ وغيره، يَمْشُونَ علىٰ قَوَاعد أَهْلِ الرَّأي.

٩- أُحَذِّركُمْ من مَنْهج الشَّيخ ربيع وعُبيد الجَابري.

٣٣- يَقُول عنِ الشَّيخ عبيد: «يَكْفي أنَّ ربيعًا وَقَعَ في إِرْجَاءاتٍ وتَخبُّطاتٍ في العقيدة، وَهُوَ ساكتٌ».

٣٤- نَحْنُ فرقةٌ ثالثةٌ تمامًا، لا مع الأثريِّ، ولا مع ربيع، لكن مع الشَّيخ فالح، وإِنْ كنَّا نتَّبع الأدلَّةَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وبعدُ:

فهذِه مُناقشةٌ مُخْتصرةٌ لأَبِي حُذَيفةَ؛ فاروق بن إسماعيل الغيثي في بَعْض أقوالِهِ الَّتي ضُبِطَتْ عليه من خِلَال شريطٍ له بعُنْوان: «**التِّبْيَان الجَلِي في فَضْح حزْب المَدْخلي**»، وإنَّ هذه الأقوالَ الَّتي نَشَرها في خِيار العُلماءِ مِن أَهْلِ السُّنَّةِ لا يَقولُها إلَّا مَنْ بُلِيَ بتَخلُّفِ العقلِ، أو سَفَاهةِ الرَّأي، أو انْحِلَالٍ خُلُقِيٍّ، أو دَخَلَ في حِزْبيَّةٍ من الحِزْبيَّاتِ الضَّالَّةِ جَعَلتْهُ يَحْمل حِقْدًا علىٰ عُلَماءِ السُّنَّةِ، أَوْجبَ له أن يَقُولَ فيهم ما قال، غَير مُبَالٍ بالنَّتائج المُترتِّبة علىٰ ذَلِكَ في الدُّنيا والآخرة.

أسألُ اللهَ أن يُلْهَمه رُشدَه، وأَنْ يردَّه إلىٰ صوابِهِ.

وقَدْ جَمَعْتُ من شريطِهِ هذا أربعًا وثلاثِينَ مُلاحظةً، ويَتَّضح مِنها ما يلي:

١ - إنَّ مِمَّا يُنكَر علىٰ هذا الرَّجل: الادِّعَاءاتِ العَرِيضةَ والتَّعَالُمَ.

٢ - التَّطَاول علىٰ العُلماءِ السَّلفيِّينَ، وَاحتقارهم، ونِسْبَتهم إِلَىٰ الجَهْلِ تارةً، وعَدَم الفَهْم تارةً، والتَّقْصير تَارةً، وقَصْد تَضْليل الآخرين تارةً، حَتَّىٰ ولو كانُوا مِمَّنْ أَطبَقَ جميعُ النَّاس علىٰ إِمَامتِهم ونَزَاهَتِهِمْ.

٣ - اتِّهامُه للعُلماء السَّلفِيِّينَ أنَّهم جعَلوا الدِّينَ مَصْيدةً للمصَالح الدُّنيويَّة.

٤ - رَمْيُه للعُلماءِ بالضَّلال والإضْلال، بَلْ جَعَل بَعْضَهم إمامًا من أئمَّة الضَّلَال.

٥ - تَفْضِيله لأئمَّة الضَّلَال كأبي حامد الغزالي الَّذي قال عَنْه ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبو حامد دَخَلَ في أَجْوافِ الفَلَاسفةِ، ثمَّ أرادَ أن يَخرجَ فلَمْ يَسْتطِعْ»[1].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٦٦) عن أبي حامد الغزالي: «وهو يَميل إلىٰ الفلسفة، لكنه أظهرَها في قالب التَّصوُّف والعبارات الإسلامية. ولهذا فقد ردَّ عليه علماءُ =

وَلَهُ كتابُ «الإحياء» في عِلْمِ التَّصَوُّفِ الَّذي يَؤولُ بأَصْحابِه إلىٰ وحدة الوُجودِ.

والحَسَن بن صالح بن حَي الَّذي جَمَعَ بَيْنَ عَقِيدَتين بَاطِلَتينِ؛ عقيدة الخَوَارج الَّذين يَرَوْن السَّيْفَ علىٰ أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ؛ قالَ ذَلِكَ الثَّوْرِيُّ وغيرُه[١]، وقالَ ابنُ إدريس من أَهْلِ الحديث: «ما أنا وابن حي؟! لا يَرَىٰ جُمُعَةً ولا جِهَادًا»[٢].

قلتُ: هَذَا مَذْهبُ الشِّيعة يَقُولون: إنَّ الجُمُعةَ والجهادَ لا تجبُ إلَّا وَرَاء الإمام المَعْصوم من أَهْلِ البيت إذا ظَهَرَ.

يُفَضِّل هؤلاء المُبتدعةَ الضُّلَّالَ علىٰ أئمَّة السُّنَّةِ، وفي هَذَا دليلٌ علىٰ بُغْضِهِ لأَهْلِ السُّنَّةِ، وأنَّ قَلْبَه مَلِيءٌ بالحِقْدِ عليهم.

٦- أنَّ الرَّميَ بالضَّلالِ أو الإضلالِ لَيْسَ بالأَمْرِ السَّهْلِ، فإنْ لَمْ تُحَاسب عليه في الدُّنيا فستُحَاسَبُ عليه في الآخرة، ومَا أَصْعَبَ تِلْكَ المَوَاقف!

وفي الحديث: «وَمَنْ بَهتَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً[٣] ....

= المسلمين حتَّىٰ أخصّ أصحابه أبو بكر بن العربي، فإنَّه قال: «شيخُنا أبو حامد دَخَلَ في بَطْنِ الفلاسفة، ثم أراد أن يَخرج منهم فَمَا قَدرَ».

وقَدْ حُكِي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يُوجد تصديق ذلك في كتبه.

ورَدَّ عليه أبو عبد الله المَازري في كتابٍ أَفْرَدَه، وردَّ عليه أبو بكر الطَّرْطُوشي، وردَّ عليه أبو الحَسن المِرْغِيناني رَفِيقُه؛ ردَّ عليه كلامَه في «مشكاة الأنوار» ونحوه، ورَدَّ عليه الشيخُ أبو البَيَان، والشيخ أبو عمرو بن الصَّلَاح، وحَذَّر مِن كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النَّوَاوي وغيرهما، وردَّ عليه ابنُ عَقيل، وابنُ الجَوْزي، وأبو مُحَمَّد المَقْدِسي، وغيرهم».

(١) قال الإمام الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النُّبلاء» (٧/ ٣٦٣): «عن أبي نُعيم قال: ذُكِر الحسنُ بن صالح عند الثَّوريّ، فقال: ذاكَ رجلٌ يَرَىٰ السَّيْفَ علىٰ أُمَّةِ مُحمَّد ﷺ».

(٢) انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (٧/ ٣٦٣).

(٣) أي: كذَب وافْتَرىٰ عليه. والبُهتان: هو الباطل الذي يُتحيَّر منه؛ وفي الحديث الذي أخرجه مسلم =

حَبَسَهُ اللهُ في رَدْغَةِ الخَبَالِ[١] يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ»[٢].

٧- إذا كان الشَّيخُ ربيعٌ لم يُكفِّر تَارِكَ الصَّلاة بمُجرَّد التَّرْك، بل شَرَطَ أن يَصْحَبَه الجُحُودُ، فقَدْ قال بِهَذَا: مالكٌ، والشَّافعيُّ، وأحمدُ في روايةٍ، فهل يَسْتَطيعُ الغيثيُّ أَنْ يَحْكُمَ علىٰ هَؤُلاءِ بأنَّهم مُرجئةٌ.

والَّذي أَعْلمُه عن الشَّيخ ربيع أنَّه صاحبُ سُنَّةٍ، يَقُول في الإيمان كما يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: أنَّه اعْتِقَادٌ بالقَلْبِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعَمَلٌ بالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بالطَّاعة، ويَنْقص بالمَعَاصِي، وأَحَاديثُ الشَّفاعةِ دالَّةٌ علىٰ ذَلِكَ، فمُجْملُ أَحَاديث الشَّفاعة، ومُجْمل أَحَاديث المُرُورِ علىٰ الصِّراط، كلُّ هذِهِ الأحاديث دالَّةٌ علىٰ تَفَاوت النَّاس في الإيمان تَفَاوتًا عَظِيمًا.

فمَنْ كانَ كاملَ الإِيمَانِ - تَوفَّر له الأَمْنُ وَالاهْتِداءُ في الدُّنيا والآخرة - فدَخَل الجنَّةَ بدُونِ عَذَابٍ، ومَنْ كانَ نَاقِصَ الإيمانِ - نَالَهُ ما نَالَهُ مِن العَذَاب في الآخِرَةِ، ثمَّ تكونُ نهايتُهُ إلىٰ الجَنَّة.

وَفِي الحديث عِنْدَ أَحْمدَ وغيرِه: «انْظُرُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ زِنَةُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»[٣].

= (٢٥٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

(١) أي: عصارة أهل النَّار، وهي صديدهم.

(٢) رواه الطَّبرانيُّ في «مسند الشاميين» في (٣/ ٣٥٧ برقم ٢٤٦٠)، وقال محقِّقه: "ورواه المُصنِّف في «المعجم الكبير» (١٣٤٣٥)، و«الأوسط» (ص ٤٣٨ مجمع البحرين)، وورد مِن غير هذه الطريق عند أحمد (٥٣٨٥ و٥٥٤٤)، وأبي داود (٣٥٩٧ و٣٥٩٨)، والحاكم (٢/ ٢٧)، وهو حديثٌ صحيحٌ".

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٦) (١١١٤٣)، وقال الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٦٣٤): «إسنادُه جيِّد».

«ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُم في قَلْبِه مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجونَ خَلْقًا كَثِيرًا»[(١)].

«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ وَزْن شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»[(٢)].

«أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إِيمَانٍ»[(٣)].

«اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»[(٤)].

فمَا هذه الحَمْلَةُ الشَّعْوَاءُ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ يا غَيْثِيُّ؛ أَلَا تَتَّقِي اللهَ، أَلَا تَخْشَىٰ الوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ؟!

٨- قولُهُ عن الشَّيخ ربيع: «فيه شُرُوطٌ، إذا تحقَّقتْ يكون مُبْتدعًا حقًّا»، انْظُرِ المُلَاحظَةَ الثَّانيةَ والعشرين، وَهَذَا تَنَاقضٌ كَيْف تحكم عَلَيه بأَنَّه ضَالٌّ مُضِلٌّ وأَنْتَ لا تَسْتطيعُ أَنْ تُثْبتَ عليه بِدْعةً.

٩- قولُهُ عن الشَّيخ اللحيدان: «أَنَّ السَّلَفَ لَوْ سَمِعُوهُ لَاعْتَبروه إمامَ ضَلَالَةٍ»، انْظُرِ المُلَاحظَةَ الثَّالثةَ والعشرين.

وأَقُولُ: كانَ الواجبُ عَلَيْكَ أن تَذْكرَ الشَّيءَ الَّذي خَالَفَ فيه اللحيدانُ السَّلفَ، وَلَوْ سَمِعُوه لَاعْتَبروه إمامَ ضلالةٍ، كان الواجبُ عليكَ أن تَذْكرَه حتَّىٰ تَخْرجَ من هذا البُهْتِ، فأنتَ الَّذي تقول قبْل قليلٍ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٤٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتتمّة الحديث: «وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

(٣) أخرجه البخاري (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاريُّ (٧٤٣٩) مِن حديث أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَالـدَّعَاوَىٰ مَـا لَـمْ يُقِيمُـوا عَلَيهَـا بَيِّنَـاتٍ أَصْحَابُهَـا أَدْعِيَـاءُ

١٠ - ومِثْل ذَلِكَ قَوْلك في الدِّفاعِ عَنْ إبراهيم الرّحيلي: «دِفَاع عَنْ إِمَامِ الضَّلالَة»... كانَ الوَاجِبُ عَلَيك أَنْ تُبيِّن الشَّيءَ الَّذي صَارَ بِهِ إبراهيم الرحيلي إِمَامَ ضَلالةٍ، إنَّه لَو ادَّعىٰ شَخْصٌ بأنَّ له عِنْدَكَ مِئة دِينَارٍ، وأَنْتَ لا تَعْلم له عِنْدَكَ شيئًا لقُلْت له أنتَ: أَثْبِتْ، وإِنْ كنتَ قاضيًا وادَّعىٰ، هَلْ تَسْتطيعُ أَنْ تَحْكُمَ للمُدَّعِي بما ادَّعاه من دُون بَيِّنةٍ عَادلةٍ أو اعْترافٍ؟ **الجواب**: لا.

١١ - وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلك عَنْ إبراهيم الرحيلي، وسُليمان الرّحيلي، ومُحمَّد بن هادي: أَنَّهم ضُلَّالٌ كذَّابونَ.

١٢ - أَثْبِتْ عَلَىٰ هَؤُلاءِ ما رَمَيتهم بِهِ من كِتَابةٍ أَوْ شَريطٍ مَنسوبٍ إِلَيْهم بمَا يحكم عَلَيهم أَهْل العِلْمِ بأنَّه ضَلالٌ، ونَحْن مَعَك، أمَّا أن تَسْتطيل في أَعْراض النَّاس، وتَرْميهم بِما يَكونُ فيه نَقْصٌ في دِينِهِمْ بدون ما يثبت ذلكَ فلا.

١٣ - قَوْلك في المُلَاحظة الثَّلاثين: «أنَّ كثيرًا مِنَ الطُّلَّاب قَدْ وَقَعوا في الشِّرْك الأَكْبر، والعُلماء سَاكِتُونَ».

أَقُولُ: لا بُدَّ من أَنْ تُثبتَ مَنِ الَّذي مِن الطُّلَّاب وَقَعَ في الشِّرْك الأكبر، ومَنِ الَّذي اطَّلع عَلَيه من العُلَماءِ، وسَكَتَ عنه.

١٤ - أنَّك إِذَا لم تُثْبِتْ فأنت تُعْتبر قد وَقَعْتَ فيما وَقَعَ فيه التَّكفيريُّونَ الخوارجُ والحدَّادية الَّذين يُكَفِّرون بالذَّنْبِ.

١٥ - قَوْلك: «امْشِ علىٰ طَرِيقة فَالح، طَرِيقتُهُ صَحّ» - أَنْتَ في هذِهِ الفَقْرة نَصَّبت نَفْسك إمامًا ووصيًّا علىٰ أَهْل العِلْمِ في السّعوديَّة، تُجرِّح وتُصحِّح، وتَأْمر وتَنْهىٰ بِلا دليلٍ، فما الَّذي أَوْجبَ لفالح أَنْ يكونَ اتِّجاهُه وعقيدتُه ومَنْهجُه كلّها

في حقِّه صَحِيحةً، أمَّا غَيْرُه مِن أَصْحابِ المَنْهج السَّلفيِّ فكُلُّهم حَكَمْتَ عليهم بالضَّلَالِ والإِضلالِ، وإنَّ عملَكَ هذا - يا غَيْثيُّ - لَيُخالِفُ ما أَمَر اللهُ به رسولَه ﷺ في مُعاملةِ المُؤمنينَ حيثُ قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤].

اللَّهمَّ إنِّي أَبرأُ إِلَيْكَ ممَّا صَنعَ الغَيْثيُّ، وأَسْأَلُك أن تَرُدَّه إِلَىٰ الحقِّ ردًّا جَمِيلًا، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ.

كتبه

أحمد بن يحيى النَّجمي

٢٠/٤/١٤٢٦ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، وبَعْدُ:

إِلْحَاقًا لِمَا سَبَقَ من النَّصيحةِ الَّتي أُرْسِلَتْ قريبًا، وكَانَ سَبَبُ إِرْسالِهَا هو الإِنْكَارُ عَلَىٰ فاروق الغَيْثي في تَجْريحِهِ لكثيرٍ من المَشَائخ المَشْهُورينَ باتِّباع مَنْهج السَّلَف، وفي الأَخِير يُزَكِّي الشَّيخ (فالحًا) ومَنْهجَه، ويَأمر باتِّباعِه مع أنَّه في البَدْءِ أَتَىٰ بالأَثَرِ المَشْهور عن ابنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَةُ»[1]، فخالفَ الأثرَ الَّذي بدأَ منه.

وقَدْ قالَ شيخُ الإسلام ابْنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ١٦٤): «ولَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُنَصِّبَ للأُمَّةِ شَخْصًا يَدْعو إِلىٰ طَريقتِهِ، ويُوَالي ويُعَادِي عَلَيها غيرَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُنَصِّبَ لَهُمْ كَلَامًا يُوَالي عليه ويُعَادي؛ غَيْرَ كلام الله ورَسُولِه، وما اجْتَمَعَتْ عليه الأُمَّةُ، بَلْ هذا مِن فِعْلِ أَهْلِ البِدَعِ الَّذينَ يُنَصِّبُونَ لَهُمْ شَخْصًا أو كَلَامًا يُفَرِّقونَ به بَيْنَ الأُمَّةِ، ويُوَالون به عَلَىٰ ذَلِكَ الكَلَام أَوْ تِلْكَ النِّسْبَةِ ويُعَادُون».

وأَقُولُ: إنَّ السَّلَفَ - رَحِمَهُم اللهُ - لا يَأْمُرُونَ باتِّباع شَخْصٍ بعينِهِ غَيْر رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذَلِكَ فَهُمْ يَأْمُرُونَ باتِّباع كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، واتِّباعِ سُنَّةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ فَهْم السَّلَفِ الصَّالح رحمهم الله.

وأقولُ: إنَّ تَعْيِينَ الغَيْثيِّ للشَّيخ فالح أنَّه هُوَ الَّذي عَلَىٰ الحقِّ وَحْدَه دون سِوَاهُ، قولٌ باطلٌ.

وكَذَلِكَ قولُهُ: «اذْهَبُوا إِلىٰ الجِبَالِ، وإِلىٰ الكُهُوفِ، وخَلُّوكم فتيةً كَأَصْحابِ الكَهْفِ؛ حَتَّىٰ يَبْعثَ اللهُ لهذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يُجدِّد لَهَا أَمْرَ دِينِها».

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

أقول: هَذَا تَيْئِيسٌ، وهُوَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنِ التَّكْفِيرِ.

إِذَا كانَ العُلَماءُ المَوْجُودونَ في السّعوديَّة والإمارات وَغَيْرهما من الدُّولِ المُجَاورةِ لا يُوجَد فيها عَالِمٌ واحدٌ علىٰ الحقِّ حَتَّىٰ يَؤُمَّه طُلَّابُ العِلْمِ حَتَّىٰ الشَّيخ فالح الَّذي زَكَّاه تَنَاسَاه، فمَاذَا يَكُونُ الحال؟ وأَيْنَ تَذْهبُ الأُمَّةُ؟ وماذا يَعْملون؟ أَيْنَ ذَهَبَ القُرآنُ؟ وأَيْنَ ذَهَبَ الحَرَمَان؟ وأَيْن ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الحَرَمَينِ، والدُّول المُسْلمة المُجَاورة؟ أَيْن ذَهبَتْ مَسَاجِدُ أُمَّةِ مُحمَّدٍ وصَلَواتُها، وما فيهَا مِن العِلْمِ والخَيْرِ؟ أَيْنَ ذَهَب ذِهْنُ الغَيْثي وعَقْلُه؟!

وَهَبْ أَنَّ في هذِه البِلَادِ مَن دخَلَ في شَيءٍ من البِدَعِ الَّتي لَيْسَتْ بمُكَفِّرةٍ، فهَلْ خرَجَ كلُّ مَنْ فِيهَا عَنِ الإِسْلام، وأَصْبَح النَّاسُ في حَالةٍ كحالةِ أُولَئِكَ الفِتْيَةِ الَّذين كَانُوا في دَوْلَةٍ كلُّ مَنْ فيها مُطْبِقونَ علىٰ الكُفْر والشِّرْك؛ فقَالَ أُولَئك الفِتْيةُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾، الآياتُ من أَوَّلِ سُورة (الكهف)؟!

لَوْ قُدِّر أَنَّ أَحدًا من المَعْروفِينَ بالسَّلفيَّةِ وَقَعَ في بِدْعةٍ بنَفْسِهِ، أو أَثْنىٰ علىٰ مُبْتدعٍ؛ جاهلًا بحالِهِ، أَوْ مُغْترًّا بِهِ، أو مُجَاملًا لغيرِهِ، فإِنَّ الواجبَ مُنَاصحتُهُ، وعَدَمُ التَّشْهير بِهِ بتسميتِهِ ضَالًّا مُضِلًّا، أَوْ إِمَامَ ضَلَالةٍ، فإِنْ كانتْ البِدْعةُ غَلِيظةً؛ كالتَّجهُّمِ والاعْتِزَالِ، أو القَوْل بقَوْل الخوارج، أو القَوْل بقَوْل المُرْجئةِ في عَدَم وُجُوبِ العَمَل، وأنَّه لا يَتَفاوتُ أي: لا يَزِيدُ ولا ينقصُ، فإنَّه ينصحُ أَوَّلًا، فإِنْ أَصرَّ جازَ إِطْلاقُ البِدْعةِ عَليه باللَّقَبِ الَّذي اخْتارَه لنفسِهِ كأَنْ يُقَال: خَارِجيٌّ أو مُرْجئٌ، وإِنْ كانَ من أَصْحَابِ الحِزْبيَّاتِ قِيلَ فِيهِ: إِخْوانيٌّ سُرُوريٌّ تَبْليغيٌّ، ويَجُوزُ أن يُقَالَ عنه: ضالٌّ، فإِنْ كانَ دَاعِيةً إِلىٰ تِلْكَ البِدْعةِ قِيلَ: ضالٌّ مُضِلٌّ، فإِنْ

كان لَهُ أَتْباعٌ قِيلَ فيه: إمامُ ضلالةٍ.

وَالوَاجِبُ مُرَاعاةُ الفَوَارق، وبِدُونِ ذَلِكَ يَكُونُ وَصْفه بشَيءٍ لَيْسَ هو فيه من الظُّلْمِ الَّذي يجبُ عَلَىٰ المُسْلمِ الابْتِعَادُ عَنْه.

وَقَدْ جَرَىٰ اتِّصَالٌ هَاتِفيٌّ بَيْني وبَيْن الشَّيخ ربيع المدخلي في مساء يوم الثُّلاثاء ٢٣/ ٤/ ١٤٢٦هـ، وقَدْ سَألتُهُ عَنْ قَوْلِكَ يا غيثيُّ: «إنَّ الشَّيخَ (ربيعًا) يَقُول: «إنَّ تاركَ جِنْسِ العَمَل لا يكفر»، وهَذَا إرْجَاءٌ!

فقالَ الشَّيخُ ربيعٌ: «هَذَا كذبٌ، لَمْ أَقُلْهُ أبدًا، ولكنِّي أَقُول: مَنْ قال: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، ولَمْ يَعْمل بمَا أَوْجبَ الإسلامُ عملَه، فإنَّه يُعْتَبر زِنْديقًا كافرًا يُسْتَتابُ، فإنْ تَابَ وإلَّا قُتِلَ، والَّذي يَقُول إنِّي أَقُولُ: «إنَّ تاركَ جِنْسِ العَمَل لا يَكْفر»، فليُخرجْه من كُتُبي، ولكنِّي أقولُ: إنَّ الكَلَامَ في جِنْسِ العَمَل كَلامٌ مُحْدَثٌ، لَمْ يُعْرَفْ عَنِ السَّلَفِ الأَوَّلِين». اهـ.

وأَقُول: إنَّ الشَّيخَ (ربيعًا) قال لي: هل تَعْرف هَذَا عن السَّلَفِ؟ قُلْتُ: لا.

وعَلَىٰ هَذَا فَأقُولُ: إنَّ قَوْلَك يا غيثيُّ للشَّيخ ربيع: «بأنَّه ضَالٌّ مُضِلٌّ» في عدَّة أَمَاكن مِن الشَّريط كما قُلْتَ لغيره - أنَّ هَذَا خَطَأٌ مِنْكَ فاحشٌ، وظُلْمٌ لمَنْ قلتَه له كبيرٌ، وإنَّ الوَاجِبَ عَلَيك أن تَسْتغفرَ اللهَ من التَّسرُّع بمِثْلِ هذِهِ الأَلْقابِ السَّيِّئةِ للعُلَماءِ السَّلفيِّينَ الَّذين عُرِفَ عَنْهم الاتِّباعُ، وعَدَمُ الابْتِدَاعِ.

وأَنْتَ قلتَ لي يا غيثيُّ عَبْر الهَاتِفِ: إنَّك تُرِيدُ أَنْ تَأْتِيَ إليَّ.

فقلتُ لَكَ: إذَا كُنْتَ تَقْبلُ نَصِيحتِي بدون شَرْطٍ وَلَا قَيْدٍ!

فقلتَ: نَعَمْ.

لكنَّني الآن أَقُولُ لَكَ: إنَّ الواجبَ عَلَيك الآن أَنْ تتنازَل عَنْ أَقْوالِكَ في

المَشائِخ الَّذين قُلْتَ فيهم ما قُلْتَ، ونَسَبتهم إلىٰ الضَّلَالِ والإِضْلَالِ، فإِنْ أردتَ أن تَأْتِيَ إليَّ فَاعْلَمْ أنِّي لا أَقْبلُك حتَّىٰ تَذْهبَ إلىٰ هَؤُلاءِ المَشَائِخ، وتَطْلب مِنْهم العفوَ، وتمرَّ علىٰ الشَّيخ (ربيع) أيضًا، وتَعْترف بخَطَئِكَ عَلَيه، وإلَّا فَلَا تَأْتِ إليَّ.

وأَسْأَلُ اللهَ أن يَعْفوَ عنَّا جميعًا فيمَا اجْترحْنا وَأَسَأْنَا، وباللهِ التَّوفيقُ.

وصلّى اللهُ على نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ.

كتبه

أحمد بن يحيى النَّجمي

٢٤/٤/١٤٢٦هـ



نسف الدَّعاوى الَّتي قرَّرها المَغْرَاوي

الحَمْدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

وبَعْد:

الأَصْلُ في الإِمَامِ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا بشَرْعِ الله المُنزَّل علىٰ عبدِهِ ورسولِهِ من كتابٍ وسُنَّةٍ، يَقُود النَّاسَ بالشَّرْعِ، ويُقِيم فيهم العَدْلَ، فيُنْصف المَظْلومَ مِن الظَّالم، ويَقْتصُّ للمجنيِّ عليه مِن الجاني، ويُقِيمُ الحُدُودَ الَّتي أَمَر الله بأَنْ تُقَامُ علىٰ مَنْ تَعَاطىٰ شيئًا مِن أَسْبابِها؛ كالسَّرقةِ، والزِّنا وشُرْب الخَمْر، وغَيْر ذَلِكَ، ويُؤمِّن الطُّرُق، ويَدْفع عَنْهم العدوَّ، ويُطَارد المُفْسدينَ حتَّىٰ يَقْطع دَابِرَهم... هذِهِ هِيَ الحُقوقُ الواجبةُ عليه.

أَمَّا الحُقُوقُ الواجبةُ له فهي أَنْ يُصلَّىٰ وَرَاءه، وتُدفَع الزَّكاةُ إِلَيه، ويُجَاهد تَحْتَ لوائِه، ويُطَاعَ في غَيْر معصيةِ الله، هَذَا هو الأَصْل في الإمام.

ولا يَجُوز الخُرُوجُ عليه، ولا مُنَازعتُهُ في سُلْطانِه، ولا مُقاتلتُه إلَّا أَنْ يَرَىٰ الخارجون عليه منه كُفْرًا بواحًا.

أَمَّا إِنْ قَصَّر في شَيءٍ من الوَاجِبَاتِ، أو تَعَاطىٰ شيئًا من المُحرمَّات، فإنَّه لا يَجُوز الخُرُوجُ عليه، ولا منازعتُهُ، ولا قتالُهُ؛ سواءٌ كان برًّا أو فاجرًا، وسواءٌ كان مُؤْمنًا أو فَاسِقًا، وسواءٌ كان مُطِيعًا أو عَاصِيًا، وسواءٌ أَخَذ الإمارةَ العامَّةَ بِاخْتيارٍ ومَشُورةٍ ثمَّ فسق، أو أَخذها بِقُوَّةٍ، في كِلَا الحَالتين لا يَجُوزُ الخُرُوجُ عليه.

هَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ اتِّباعًا للآثار، واقْتِفاءً لها، فَقَدْ بَيَّن اللهُ لنا علىٰ لِسَانِ رسولِهِ ﷺ أنَّ طاعةَ الإمامِ واجبةٌ، وأنَّ الصَّلاةَ وَرَاءه وَاجِبةٌ، ودَفْع الزَّكاةِ إليه، كلُّ ذَلِكَ من الوَاجِبَاتِ، وإليكم الأدلَّة علىٰ ذَلِكَ:

رَوَىٰ البخاريُّ في: كتاب الفتن، باب: رقم (٢)، باب: قول النَّبيِّ ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدي أُمُورًا تُنْكرونَها»، الحديث رقم (٧٠٥٢): حدَّثنا مُسَدَّد، حَدَّثنا يحيىٰ بن سعيد، حَدَّثنا الأعمش، حَدَّثنا زيد بن وَهْبٍ، قال: سمعتُ عبدَ الله قال: قال لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّكم سَتَرَوْنَ بَعْدي أَثَرَةً[1] وأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا!» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ»[2]، وفي روايةِ الثَّوريِّ: «وتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»[3].

قال الحافظُ في «الفتح» (١٣ / ٦): «أي: بأَنْ يُلْهِمهم إِنْصَافكم، أو يُبْدِلَكم خيْرًا مِنْهُمْ، وهَذَا ظاهِرُهُ العُمُومُ في المُخَاطَبِينَ.

ونَقَل ابن التين عن الدَّاوُدِيِّ أنَّه خَاصٌّ بالأَنْصارِ، وكأنَّه أَخَذه مِنْ حَدِيثِ عبد الله بن زيد الَّذي قَبْله».

قلتُ: وَهُوَ الَّذي أَخْرجَه البخاريُّ في غَزْوة الطَّائف، من كتاب (المغازي): أنَّه ﷺ قال للأَنْصار: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْض»[4].

قَالَ الحافظُ: «ولا يَلْزم مِنْ مُخَاطبة الأَنْصار بذَلِكَ أَنْ يختصَّ بِهِمْ؛ فإنَّه يَخْتصُّ بهم بالنِّسبة للمُهَاجِرينَ، ويَختصُّ ببَعْض المُهَاجِرينَ دُونَ بَعْضٍ،

(١) أي: استئثار الأمراء بأموال بيت المال دونكم.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٣).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٤٣٣٠) مِن حديثِ عبد الله بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالمُسْتأثِر مَنْ يَلِي الأَمْرَ، ومَنْ عَدَاه هو الَّذي يستأثر عليه، ولمَّا كان الأمرُ يَختصُّ بقُريشٍ، ولا حَظَّ للأنْصار فيه - خُوطب الأنصارُ بأنَّكم سَتَلْقون أَثرةً، وخُوطِبَ الجميعُ بالنِّسبة لمَنْ يَلِي الأمرَ، فقَدْ وَرَدَ ما يدلُّ علىٰ التَّعْميم، ففي حديث يزيد بن سلمة الجعفيِّ عند الطَّبرانيِّ أنَّه قالَ: يا رَسُولَ الله، إِنْ كَانَ عَلَيْنا أُمَراءُ يَأْخُذُونَ بالحقِّ الَّذِي عَلَينا، ويَمْنَعُونَا الحَقَّ الَّذي لَنَا، أَنُقَاتِلُهمْ؟ قال: «**لَا، عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»(١).

وأَخْرَجَ مُسْلمٌ من حديث أُمِّ سَلَمة مَرْفوعًا: «**سَيَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَنْ كَرِهَ بَرِئَ، ومَنْ أَنْكَر سَلِمَ، ولكِنْ مَنْ رَضِيَ وتَابَع**»؛ قالوا: أَفَلا نُقَاتِلُهُمْ؟ قال: «**لَا، ما صَلَّوا**»(٢).

ومِن حديث عَوْف بن مالكٍ في حديثٍ رَفَعه في هَذَا المَعْنىٰ قُلنا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلا نُنَابِذُهُمْ عند ذَلِكَ؟ قال: «**لَا، ما أَقَامُوا الصَّلَاةَ**». وَفِي رِوَايةٍ له: أَفَلا نُنَابِذُهُمْ بالسَّيْفِ.

زَادَ في روايةٍ: «**وإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(٣). اهـ.

وأخرجَ من حديث ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بسندِه - أي: البخاري - إِلَىٰ أَبِي رَجَاء العُطارديِّ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفوعًا رقم (٧٠٥٣) بلفظ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِه شَيْئًا**

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (٧/ ٤٠) (٦٣٣٧)، ومسلم (٣٤٣٣) مِن حديث وائل بن حُجر الحضرميِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وفي الحديث بعده برقم (٧٠٥٤) مِن طريق أبي رجاء العطاردي سَمِعْتُ ابْنَ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٧): «قَالَ ابنُ بَطَّال: في الحديثِ حُجَّةٌ في تَرْكِ الخُرُوجِ علىٰ السُّلطان ولَوْ جارَ، وقَدْ أجمعَ الفُقَهاءُ علىٰ وُجُوبِ طاعة السُّلْطانِ المُتغلِّب، والجهاد معَه، وأنَّ طاعتَه خيرٌ مِن الخرُوجِ عليه؛ لِمَا في ذَلِكَ مِن حقْنِ الدِّماءِ، وتَسْكينِ الدَّهْماء، وحُجَّتُهُمْ هَذَا الخبر وَغَيْره مِمَّا يُسَاعِدُهُ، ولَمْ يَسْتثنوا من ذَلِكَ إِلَّا إذا وَقَع من السُّلْطانِ الكُفْرُ الصَّريح، فلا تَجُوز طاعتُه في ذلكَ، بل تَجبُ مُجاهدتُه لمَنْ قدَر عليها كما في الحديث الَّذي بَعْده». اهـ.

وأقولُ: الحديثُ الَّذي بَعْده وهو حديث عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد أَخرجه البخاريُّ في نفس الباب رقم (٧٠٥٥) من طريق بُسْر بن سعيدٍ عن جُنادة بن أبي أُميَّة، قال: دَخلْنا علىٰ عُبادة بن الصَّامت وَهُوَ مَرِيضٌ، فقُلْنا: «أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْ بحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ الله فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

وهذِهِ الأحاديثُ أدلَّةٌ واضحةٌ علىٰ عدَم جوازِ الخرُوجِ والمُنازعة إلَّا عند وُجودِ الكُفْر البَواح، أمَّا بدون ذلكَ من فِسْقٍ وجَوْرٍ؛ فإنَّه لا يَجوزُ ذلكَ، ولا اغترار بما ذكَره الحافظُ في «الفتح» عن ابن التِّين نقلًا عن الدَّاوُديِّ، قال: «الَّذي

عليه العُلماءُ في أُمَراء الجَوْر: أنَّه إنْ قَدَر علىٰ خَلْعه من غَيْر فتنةٍ، ولا ظُلْمٍ - وَجَبَ، وإلَّا فالواجبُ الصَّبْرُ». اهـ.

وأَقُولُ: ماذَا بَعْدَ الحقِّ إلَّا الضَّلال؟

إنَّ عَقِيدةَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ مُتَّفقةٌ علىٰ مُتَابعة الأدلَّة بأنَّه لا يَجُوزُ الخُرُوجُ ولا المُنَازعةُ إلَّا أَنْ يَرىٰ الخَارجون كُفْرًا بَوَاحًا، مَعَهُمْ من الله فيه بُرْهانٌ.

وإِلَيْكَ أقوالَ بَعْضهم؛ ففي شَرْح «العقيدة الطَّحَاوية» في (٢/ ٥٤٠) من شَرْح أبي العِزِّ الحنَفي الدِّمشقي، قال: «وَلَا نَرىٰ الخُرُوجَ علىٰ أئمَّتنا، ووُلَاةِ أُمُورِنا، وإِنْ جَارُوا، ولا نَدْعُو عليهم، ولا نَنْزِعُ يَدًا من طَاعَتِهِمْ، ونَرىٰ طَاعَتهم من طاعةِ الله عَزَّوَجَلَّ فَرِيضةً، ما لَمْ يَأْمُروا بمَعْصيةٍ، ونَدْعُو لهم بالصَّلاح والمُعَافاة». اهـ.

وفي «أُصُولِ أَهْل السُّنَّة» للإمام المُبجَّل إمام أَهْلِ السُّنَّةِ أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - رواية عَبْدوس بن مالكٍ العطَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَحْقيق الوليد بن مُحمَّد نبيه بن سيف النصر، النَّاشر مكتبة ابن تيمية القاهرة (ص٦٤): «والسَّمع والطَّاعة للأئمَّة وأمير المؤمنين؛ البارِّ والفاجرِ، ومَنْ ولي الخلافة، وَاجْتَمع عليه النَّاسُ، ورَضَوْا به، ومَنْ عَلَيهم بالسَّيْفِ حَتَّىٰ صارَ خليفةً، وسُمِّيَ أميرَ المؤمنين، والغزوُ مَاضٍ مع الأُمَراءِ إلىٰ يَوْم القِيامةِ؛ البارِّ والفاجر، وقِسْمة الفيء، وَإِقَامة الحُدُودِ إِلَىٰ الأئمَّة مَاضٍ، لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يطعنَ عَلَيهم، أو يُنَازِعهُمْ، ودَفْع الصَّدقاتِ إِلَيْهِمْ جائزةٌ نافذةٌ، مَنْ دَفَعها إليهم أَجْزأَتْ عَنْه؛ برًّا كان أو فاجرًا...».

إلىٰ أَنْ قال: «ومَنْ خَرَجَ علىٰ إمامٍ مِن أئمَّةِ المُسْلمينَ وَقَدْ كان النَّاسُ اجْتَمعوا عليه، وأقرُّوا له بالخِلَافةِ بأيِّ وَجْهٍ كان؛ بالرِّضا أو الغلَبة، فقَدْ شقَّ هذا الخارجُ عَصَا المُسْلمين، وخالَفَ الآثارَ عن رَسُولِ الله ﷺ، فإنْ ماتَ الخارجُ

عليه، ماتَ ميتةً جاهليَّةً، وَلَا يحلُّ قِتالُ السُّلْطانِ، ولا الخُرُوجُ عليه لأَحَدٍ من النَّاس، فمَنْ فَعَل ذَلِكَ فهُوَ مُبْتدعٌ علىٰ غير السُّنَّةِ والطَّرِيقِ». اهـ.

هذِهِ عقيدةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، فمَنْ خَالَفها فهُوَ مبتدعٌ؛ سواءٌ كان هو المغراويّ أو غيره.

وبَعْض ما جَعَله المغراويُّ - في (ص١) من أَقْوالٍ ومَقَالاتٍ له - شُرُوطًا في الوالي، فلَيْسَتْ شُرُوطًا، ولَيْسَ علىٰ الوالي أَنْ يُطعمَ فقيرَ المُسْلمينَ، ولَيْسَ عَلَيه أن يُدَاوي مَرْضاهُمْ، ومَتَىٰ فسق الوالي فإنَّه يَجِبُ طاعتُهُ ما لَمْ يَصِلْ إلىٰ حدِّ الكُفْرِ.

وما ذَكَره بَعْضُهم من أنَّ الوالي إذا فَسَقَ - وَجَبَ الخروجُ عليه، فهو باطلٌ كما سبَق، ولا نَعْلمُ أنَّ أحدًا من أَهْلِ السُّنَّةِ جَعَل الفسقَ شَرْطًا للخرُوجِ علىٰ الوالي، إنَّما ذلكَ رَأْي الخوارج والمعتزلة، وهُمْ أَهْل بِدَعٍ وضلالاتٍ في الدِّينِ، وإنَّ أَهْلَ السُّنَّة لَيَبْرؤون مِنْهم ومِنْ قَوْلِهِمْ وضَلَالاتِهِمْ.

ومَا ذَكَرَه المغراويُّ في (ص٢) عن المُنَافِقِينَ - في النَّشرة الَّتي نقلت عَنْه من أَشْرطتِهِ بعنوان: أقوال ومقالات للدُّكتور أبي سهل مُحمَّد بن عبد الرَّحمن المغراوي - كلامٌ فيه إِجْحَافٌ وظُلْمٌ ومُبَالغةٌ خَرجَتْ عن حُدُودِ الشَّرْع والمَعْقول، وَفِيهِ تَكْذيبٌ للنُّصُوص الشَّرعيَّة الواردة عن النَّبيِّ ﷺ؛ كقولِهِ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاس»[(١)].

وإنَّ قولَه هَذَا يَتضمَّنُ أُمُورًا باطلةً ومُحرَّمةً، فقولُهُ: «إِنَّ المُنَافِقِينَ تَمكَّنوا مِنْ جَمِيعِ الوَسَائِلِ والإمكانياتِ الماديَّة، والعِلْميَّة، والحسِّيَّة، وأَخَذُوا أَزِمَّةَ الأُمُور

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٧)، والبخاريّ (٣٦٤١) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بأَيْديهم»، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: «إِنَّ المُسْلِمينَ مَسَاكين مُسْتضعَفِينَ لا يَمْلكون فيها أيَّ قَرارٍ». اهـ.

❑ وهَذَا أَوَّلاً: فِيهِ إِشَادةٌ بالمُنَافِقِينَ بأَنَّهم سَيْطَروا علىٰ جَمِيعِ أَهْل الأَرْض، ورَفْعٌ لهم فَوْق مَنْزلتِهِم، وأَنَّهم أَحْكَموا القَبْضةَ علىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، فهُمُ الَّذين يَقُولُون، وهُمُ الَّذين يُقرِّرون.

❑ ثانيًا: فيه احْتقارٌ للمُسْلمين؛ مُلُوكِهم وقَادَتِهم وسُوقَتِهم، وأَنَّهم جميعًا مَمْلوكونَ للمُنَافقِينَ؛ يَتصرَّفونَ فِيهِم كَيْف شَاؤُوا.

❑ ثالثًا: فِيهِ مُصادرةٌ لحرِّيَّاتِ المُسْلمينَ؛ قَادَتِهم ورَعِيَّتِهِمْ، وأَنَّهم لا يَتصرَّفون إِلَّا عَلَىٰ حسَب ما يَأْمرُهمْ به أَسْيادُهم المُنافقُونَ.

❑ رابعًا: يَتَضمَّن قَوْله هذا: أَنَّه لا إِيمانَ عِنْدَ المُؤْمنينَ، ولا أَمْرَ بالمَعْروفِ، ولا نَهْيَ عن المُنْكرِ، وأَنَّه قَدْ ذَهَبَ الحقُّ مِن الأَرْض جميعًا، وسَيْطرَ الباطلُ في كلِّ مكانٍ، فلا إرادةَ للمُؤْمنينَ، ولا تَقْوَىٰ عِنْدَهُمْ، ولا عِلْمَ يَعْملونَ به، ولا شيء عِنْدَهُمْ مِن الفضَائل وغَرَائز الخَيْر والإِيمَانِ يَدْفعهم أَنْ ينفضوا عَنهُمْ هذا الكابوس الَّذي هوَ مُخيِّمٌ علىٰ صدُورِهم.

❑ خامسًا: من المُشَاهد لكلِّ أحدٍ أنَّ هُنَا وهُنَاك دُولًا، تُسَيْطر كلُّ دَوْلةٍ علىٰ ما تَحْت يدها، فهَلْ تِلْكَ الدُّول تَتصرَّف بإِرَادتها أي: بإِرَادةِ الوُلَاة المُتصرِّفينَ فِيهَا، أو بِإِرَادةِ المُنَافقينَ؟ وإِذَا كانوا يَتصرَّفون بِإِرادةِ المُنافقينَ، فأَيْنَ أُولَئك المُنَافقُونَ، وهَلْ هُمْ خارج الدَّولة أو دَاخِلها؟ وإِذَا كانوا خَارِجها فكَيْفَ يُسَيْطرونَ علىٰ الدَّولة ومَنْ فيها حَتَّىٰ يَكونُوا تَحْتَ تَصرُّفهم؟ وإِذَا كَانُوا دَاخلَها فهَلْ هم ظاهرُونَ أو مُخْتفُونَ؟ وإذا كانُوا ظَاهِرينَ، فهَلْ هُم المُتصرِّفون في

الدَّولة، وأنت سمَّيتهم: مُنافقين، أو غَيْرُهم؟ وإذا كانوا غَيْرهم، فهذا يَعْني أَنَّهم قَدْ غَلَبوا رِجالَ الدَّولةِ، فلَمْ تَبْقَ لَهُمْ مَعَهم سُلْطةٌ، وإذا كَانُوا دَاخِلها وهُمْ مُختفُونَ، فهَذَا يَعْني أَنَّهم ضُعَفاءُ، فكَيْف يَتصرَّفون فِي الدَّولة وَهُمْ ضُعَفاءُ؟

كلُّ هذِهِ احْتِمَالاتٌ مُتَناقضةٌ، لا أَدْري كَيْف سَاغَ للمغراويِّ أن يُعبِّر بها مع هَذَا التَّناقض؟!

❑ سادسًا: نَحْن نَعْلمُ، وكلُّ النَّاس يَعْلمونَ أنَّه يُوجَد في كلِّ مُجْتمعِ المؤمنُ والفاسقُ، وربَّما الكافرُ والمُنافقُ نِفاقًا عمَليًّا.

أمَّا أَنْ يُقَال: إنَّهم كُلَّهم مُسْلمونَ، فإنَّ ذَلِكَ جائزٌ، فإِنْ قلتَ: كُلُّهم مُؤمِنونَ، لَمْ تَخْرج عن الكَذِبِ علىٰ اعْتِبَارِ أنَّه لا بدَّ أن يُوجدَ فِيهِمْ فُسَّاقٌ، والفُسَّاقُ لا يصحُّ أن يُقالَ لَهُمْ: مؤمنون، وإنَّما يُقال لهم: مُسْلمون.

فإِنْ قلتَ: أَهْل هَذَا البَلَدِ كلُّهم مُسْلمونَ سُنيُّون - تَقْصد أنَّه لَيْس فِيهِمْ شِيعةٌ، كان ذَلِكَ جائزًا حَتَّىٰ وإنْ وُجِدَ فِيهِمْ شِيعةٌ قليلُونَ، فإنَّ ذلكَ يَجوزُ علىٰ نيَّةِ التَّغْليبِ.

أمَّا أَنْ تُعمِّم الحُكْمَ بأَنَّهم كلَّهم مُنافقُونَ، أو يُسَيْطر عليهم المُنافقونَ، ولا يَملكُ المُسلمونَ أَنْ يُقرِّرُوا قرارًا قطُّ في جميع الأَرْض؛ فهذا القولُ يُنادَىٰ علىٰ قائِلِه بالكذِبِ الصُّراح، والمُجازفة والهَوَس، ولو حلَفَ شخصٌ أنَّ زَوْجتَه لَنْ تُقرِّر قرارًا دُونَه لكانَ احْتِمَالُ الكَذِبِ في كَلَامِهِ بنسبة (٩٩ ٪)، وَاحْتِمَال الصِّدق بنسبة (١ ٪).

فكَيْفَ إذَا قالَ: «إنَّ المُسْلمينَ جميعًا في مَشارق الأَرْض ومَغَاربها لَمْ يُقرِّروا قرارًا قطُّ، وإنَّما يُقرِّر لَهُمْ أو عَلَيهم المُنافقون»؟ فإنَّه يَكُونُ أَبْعَدَ عَنِ الصِّدْقِ.

❑ سابعًا: مِثْلُ هذِهِ المُجَازفات والمُبَالغات الكاذبة تُعْرف عن محمَّد سرور زين العابدين، المُقِيم في لندن، والَّذي يَقُول: «إنَّ السُّلطةَ في السّعوديَّة تَتكوَّن من

شَكْلٍ هَرميٍّ يَتربَّع عَلَىٰ رَأْسِهَا الأَعْلَىٰ رئيس أمريكا»، فمَا أَرَىٰ هَذَا الكاتبَ إلَّا مُشبَّعًا بهَذَا الفِكْرِ المُنْحرف، وإنَّا للهِ وإنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وهذا معنىٰ ما قرَّره المغراويُّ هنا: أنَّ وُلَاةَ المُسْلمينَ في السّعوديَّة أو غَيْرِها لا يَتصرَّفون بِإِرَادَاتِهِمْ، ولا يُقرِّرونَ قرارًا مِن تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، وإنَّما يَتصرَّف فيهم غَيْرُهم، ويقرِّرُ لهم غَيْرُهم، والمَسْؤُولُونَ فيها مُجرَّد كمبيوترات، سُبْحَانَ الله! هَلْ رأيتُم مُجَازفةً مِثْل هذِهِ المُجَازفةِ، وكَذِبًا مثلَ هَذَا الكَذِبِ؟!

دولةٌ قائمةٌ بنَفْسِها، مُسْتقلَّةٌ بأَمْرها وشُؤونِها يُقَال بأَنَّها لا تَمْلك قرارًا تُقرِّرُه بنَفْسِها، ولا أمرًا تَسْتقلُّ به!

فهَلْ أمريكا هِيَ الَّتي أَمرَتْ بتَوْسِعَةِ الحَرَمينِ؟!

وهَلْ أَمْريكا هي الَّتي أَمَرتْ بطِبَاعَةِ المُصْحفِ الشَّريفِ، ونَشْره؟!

وهَلْ أَمْريكا هي الَّتي فَتَحَتِ المَدَارسَ الدِّينيَّة والجامعات الإسلاميَّة؟!

وهَلْ أَمْريكا هي الَّتي تَقُومُ علىٰ الحجِّ كلَّ عامٍ؟!

وهَلْ أمريكا هي الَّتي تَقْتصُّ من الجُنَاةِ، وتُقِيم الحُدُودَ؟!

وهَذَا قولٌ يَعْلم كَذِبَه كلُّ مَنْ له ذرَّةٌ من عَقْلٍ، ولكن قَدْ يكون هُنَاك أقوامٌ أَعْمىٰ اللهُ بَصائِرَهم، وَمَسَخَ قُلُوبَهم، فَصَاروا يُصَدِّقون مِثْلَ هَذَا الهُرَاءِ الفَارغِ.

ولقَدْ كانَ بَعْضُ الحزبيِّين في أيَّام الأَزْمة[1] يَحْلِفُ: «إنَّ القوات الأمريكيَّة قَدْ سَيْطرَتْ علىٰ الحَرَمَيْنِ، وأنَّها لَنْ تَخرجَ منها»، فكَذَّبهم اللهُ، ولَمْ يَعْتبر أَتْبَاعُهُمْ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: «إنَّ الإسلامَ والخلافةَ سَيَنْطلقانِ مِنْ أفغانستان»، فكَذَّبهم اللهُ وَلَمْ يَعْتبر بذَلِكَ أَتْبَاعُهُمْ.

---

(١) أي: أزمة الخليج عام (١٤١١هـ).

وَأَخِيرًا: إِنَّ الفِكْرَ الَّذي سَجَّله المغراوي في هذِه الوريقات ما هُوَ إِلَّا فِكْرٌ سُرُوريٌّ؛ تكْفيريٌّ خَارجيٌّ، وما سيأتي من كلامِهِ في (ص٣، ٤، ٥) يُبيِّنه إِنْ شاء اللهُ.

وأمَّا قَوْله في (ص٢): «المُنَافِقُونَ يُخطِّطونَ المُؤامَرةَ تِلْوَ الأُخْرىٰ حَتَّىٰ يُجْهِزُوا عَلَىٰ ما بَقِيَ مِن رَائِحَةِ الإِسْلامِ حَتَّىٰ ما بَقِيَ شَيءٌ». اهـ.

وأَقُولُ: أَمَّا المُؤامراتُ ضِدَّ الإِسْلامِ، فهِيَ مِن حياة النَّبيِّ ﷺ؛ فقَدِ اجْتمَع الملأُ من قُريشٍ في دَارِ النَّدوةِ، وخَطَّطوا لقتلِه، أو سَجْنه، أو إِخْراجِه من بَيْنهم، وأخيرًا أَجْمعوا رَأْيهم علىٰ قَتْله؛ فأَنزلَ الله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

وَنَتيجة هَذَا المَكْر؛ فقَدْ أَرْصَدوا اثْنَيْ عَشر شابًّا في يد كلِّ واحدٍ مِنْهُمْ سيفٌ مُصْلَتٌ[١] لِيقْتلوا النَّبيَّ ﷺ إذا خرجَ، فأَعْمىٰ اللهُ أَبْصارَهم عنه، وخَرَج من بَيْنهم، ثمَّ هَاجَر[٢].

وما زَالَتِ الخُطَطُ تُحاكُ، والمؤامراتُ تُدبَّر مِن زَمَن النَّبيِّ ﷺ إلىٰ زَمَننا هذا، مِن كلِّ فئةٍ مِن فئاتِ الكُفْر؛ سواء كَانُوا يُهودًا، أو نَصارىٰ، أو مُشْركين وَثنيِّينَ، أو مُلْحِدينَ، أو مُنْتسِبينَ إِلَىٰ الإِسْلامِ ولَكنَّهم علمانيُّون يَنْتمونَ إِلىٰ الإِسْلامِ مُجرَّد انْتِمَاءٍ، أَمَّا اتِّجاهُهُم وهوَاهم وأَعمالُهُم فَهِيَ تُخَالفُ الإِسلامَ، وهُمُ الَّذين أَخْبر عَنْهم النَّبيُّ ﷺ في حديثِ حُذيفة بقولِه: «**دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»؛ قَالُوا: صِفْهُمْ لَنَا يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»[٣].

(١) أي: مُجرَّد مِن غمده؛ حتَّىٰ يكون في كامل الاستعداد.

(٢) انظر قصَّة الهجرة في: «دلائل النُّبوَّة» لأبي نعيم (١/ ١٧٥)، و«السِّيرة النَّبويَّة» لابن هشام (١/ ٤٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والمهمُّ: أنَّ المُؤامراتِ ضِدَّ الإسْلامِ والمُسْلمينَ حَاصلةٌ في كلِّ زمَنٍ وكلِّ مكانٍ؛ وهي حَاصِلةٌ مِن جميع فِئاتِ الكُفْر، وحَتَّىٰ مِمَّنْ هُمْ مَعْدُودونَ أنَّهم مِنَ المُسْلمينَ، وَلكنَّهم تربَّوا في أَحْضانِ غير المُسْلمينَ، وغُذُّوا بأَفْكارٍ ضدَّ الإِسْلامِ والمُسْلمينَ، فكانُوا في الصَّفِّ المُعَادي للإِسْلامِ والمُسْلمينَ، وإِنْ كان المُتآمِرُونَ قَدْ نَالُوا بَعْضَ ما يَقْصدُونَ، ولكنَّ القضاءَ الَّذي هو جُلُّ قَصْدِهمْ لَمْ يحصلْ لهم، بل إنَّهم بَاؤُوا بالفشَل، وحَصَدُوا الخَيبةَ إزاءَ ما بذَلُوا مِن جُهدٍ ومالٍ، وكلُّ ما حَصَل للمُسْلمينَ إنَّما هو بِسَببِ تَقْصيرهم في العِناية بِدِينِهم، ولَوْ أنَّ المُسلمينَ اهْتمُّوا بِدِينِهِمْ، وعَمِلُوا به، ودَعَوْا إليه لَمَا ضَرَّتهم مَكائدُ الأَعْداءِ من مُنافِقينَ وغيرهم؛ لأنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُول وقولُه الحقُّ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عنِ ابنِ عُمَر رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ - سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**[1]»[2].

---

(١) بيع العينة: هو أنْ يبيع شيئًا مِن غيره بثمن مُؤجَّل، ويُسَلِّمه إلىٰ المُشتري، ثمَّ يشتريه قبل قبْض الثَّمن بثمَن نقدٍ أقلَّ مِن ذلك القَدْر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ»، حُمِل هذا علىٰ الاشتغال بالزَّرع في زمنٍ يَتعيَّنُ فيه الجهاد.

«وتَرَكْتُمُ الجِهَادَ» أي: المُتعيِّن فعلُه، «سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا» أي: صَغَارًا ومَسْكَنَةً.

وسبب هذا الذُّلِّ - والله أعلم -: أنَّهم لمَّا تركوا الجهادَ في سبيل الله الَّذي فيه عِزُّ الإسلام وإظهاره علىٰ كلِّ دين عامَلَهم اللهُ بنقيضِه، وهو إنزالُ الذِّلَّة بهم، فصارُوا يَمْشُون خَلْفَ أذناب البقَر بعْد أنْ كانوا يَرْكبُون علىٰ ظُهُور الخَيْل الَّتي هي أعزُّ مكانٍ. «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٩/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وأخيرًا؛ نحن لا ننكر المؤامراتِ، ولكنَّا نَلُومُ أنفسنا لأنَّا أخلينا مَواقِعَ الحراسة لدِينِنَا، فجاءَ العدوُّ، فوَجَد الثَّغْرَ غير مَحْروسٍ، فدَخَل وقَدْ جاء في الحديث: «**كُلُّ رَجُلٍ مِن المُسْلِمِينَ عَلَىٰ ثَغرٍ مِنْ ثُغُور الإِسْلَام، فَاللهَ اللهَ، لا يُؤْتَىَ الإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِهِ**»[1].

وإنَّ حراسةَ الإسلامِ هِيَ حمايتُهُ من كلِّ دَخِيلٍ، وبيانُ أَحْكامِهِ الحقَّة؛ تَعلُّمًا وعَمَلًا وتَعْليمًا ونَشْرًا بالمُحَاضراتِ، والنَّدَواتِ، والدُّرُوس، والمؤلَّفات، وتَصْفيته من البِدَعِ، وغيرها.

ولقَدْ هيَّأ اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ أيْدي السَّلَفِيِّين هُنَا وهُنَاك خيرًا كثيرًا، والحَمْدُ لله؛ رغْم ما يُغبِّش به المُبْتدعةُ والمُتَعاطفُونَ معهم.

والمهمُّ: أنَّا لا نُنْكر وُجُودَ المؤامرات ضدَّ الإسلام والمُسْلمين، ولكن نَشْكُو مِنْ تَقبُّل مَنْ يَزْعمونَ لأَنْفُسِهِمْ أنَّهم مِن السَّلفيِّين، ومَحْسُوبِينَ عليهم، نَشْكو مِنْهُمْ تَقبُّلهم لأفكارِ المُبْتدعَةِ، ونَشْرهم لَهَا، ودَعْوتهم إِلَيْهَا.

اللَّهمَّ أرِنَا الحقَّ حقًّا، وَارزقنَا اتِّباعَه، وأَرِنَا الباطلَ باطلًا، وَارْزُقْنا اجْتِنَابَهُ، ولا تَجْعله مُلْتبسًا علَينا فنَضِلَّ.

---

(١) أخرجه المروزي في «السُّنَّة» (١/ ١٣) (٢٨)، وقال الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواه المروزي في «السُّنَّة» بسند صحيح عن الوضين بن عطاء، عن يزيد بن مَرْثد مرفوعًا بلفظ: «**كُلُّ رَجُلٍ مِن المُسْلِمِينَ عَلَىٰ ثُغْرَةٍ مِنْ ثُغَرِ الإِسْلَامِ، اللهَ اللهَ لا يُؤْتَىَ الإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِكَ**».

قُلْتُ: «وهذا بمعناه، لكن فيه عِلَّتان:

الأولىٰ: الإرسال، فإنَّ ابنَ مَرْثد هذا تابعيٌّ، له مراسيل كما في «التقريب».

والأخرىٰ: الوضين بن عطاء، فإنَّه مُختلفٌ فيه، وقد جزَمَ الحافظُ بأنَّه سَيِّئُ الحفظ، فيُخشىٰ أنْ يكونَ أخطأ في رفعِهِ، فقد عقبه المروزي بروايتين مَوْقُوفتين علىٰ الأوزاعيِّ، والحسن بن حَيٍّ، وفيهما ضعفٌ، والله أعلم». انظر: «السِّلسلة الضعيفة» (١١٦٥).

وقولُهُ: «لأنَّه الآنَ كَيْفَ نَدْعو النَّاسَ للإسلام، كَيْف نُطبِّق الإسلامَ، فإذَا تَآمَرُوا عليهم في ثَقافَتِهِمْ، وَتَآمَروا عَلَيهم في حُكْمِهِمْ، وتَآمَرُوا عَلَيهم في حَالَتِهِمْ الاجتماعيَّة، وَتَآمَرُوا عليهم في الاقْتِصَادِ، بِيَدِ مَنْ الاقْتِصَادُ؟». اهـ.

وأقولُ وأُكرِّرُ: إنَّ ما جَاءَنا مِنْ ذلٍّ وضَعْفٍ مَعْنويٍّ، فهُوَ مِن أَنْفسنا، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُم الجِهَادَ - سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلًّا، لا يَنْزِعُهُ عَنْكم حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إلىٰ دِينِكُمْ»، أو قَالَ: «تُرَاجِعُوا دِينكُمْ»[1].

وعَلَىٰ هَذَا، فإنَّه يجبُ أَنْ نَلُومَ أَنْفسَنا؛ لأنَّا إنَّما خَضَعْنا للأَعْداء حِينَ طَمِعْنا فيما في أَيْديهم، وَظَنَنَّا أنَّا إنَّما نَسْتعلي عليهم بالمَادَّة، فأَهْملنَا الدِّينَ، وَاعْتَنَيْنا بالدُّنيا كَمَا في الحديث السَّابق، وكَمَا تَقدَّم شَرْحه، فتَشبَّهنا بِهِمْ، وقَلَّدناهُمْ في أُمُورٍ كثيرةٍ غير أنَّا لم نَخْرُج بذَلِكَ عَنْ مُسمَّىٰ الإِسْلام.

ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ في (ص٣): «لكن أيش اللِّي (الَّذي) حادث الآن؛ لأنَّه ما كانش[2] الآن (لا يُوجَد الآن) تَوَازنٌ؛ لأنَّه ما كانش (لا يُوجَد) الإسلام الجَمَاعي؛ لأنَّ الإِسْلامَ الآن فَرْديٌّ، مَا كانش الإِسْلام الجَمَاعي، الإسلام الجماعيُّ مَفْقودٌ مُنْذ زَمَانٍ، ما فِيهِ تَوَازنٌ الآن، التَّوازن يَجِيءُ بَعْد الإسلامِ الجَمَاعيِّ، والإسلامُ الجماعيُّ ما كانش، لا؛ ما عِنْدَنا إِسْلامٌ جماعيٌّ الآن، مَوْجودٌ الآن قَنَاعاتٌ فَرْديَّةٌ؛ تَلْقىٰ وَاحِدًا في الأُسْرة و١٥ مُنْحرِفِينَ». اهـ.

---

(١) أخرجها أحمد (٤٨٢٥ الرسالة) بلفظ: «إِذَا - يَعْنِي ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ - تَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ بَلَاءً، فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ».

(٢) هكذا بالأصل: «ما كانش»، والمعنىٰ: لا يوجد، وهي كلمة بالدَّارجة المغربيَّة.

وأَقُولُ: هَذَا تَصْرِيحٌ بالفِكْرِ الخارجيِّ، وهو تكْفير المُسْلمينَ بالمَعَاصِي، فقَدْ كرَّر الكاتبُ عِدَّةَ مرَّاتٍ: (ما كانش إسلام جماعي)، أي: بأنَّه لَمْ يَكُنْ، ولَمْ يُوجَدْ إسلامٌ جماعيٌّ يَعْني أنَّه ليس هُناك إسلامٌ جَماعيٌّ إلَّا قَناعاتٌ فرديَّةٌ.

أَلَيْسَ هَذَا هو فِكْر الخَوارج الَّذين يُكفِّرون المُسْلمين بالذُّنُوبِ، والَّذين قَالَ فِيهِم النَّبيُّ ﷺ حِينَ قَالَ زَعِيمُهم الأوَّل للنَّبيِّ ﷺ حِينَ كَانَ يُوزِّع غَنائم حنين، ويُعْطِي المؤلَّفة قُلوبهم، فقَالَ ذَلِكَ الرَّجل: اتَّق الله يا مُحمَّد، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْض وَلَا تَأْمَنُونِي»، قالَ: ثمَّ أَدْبر الرَّجلُ، فاستأذَنَ رَجُلٌ مِن القَوْم في قَتْلِهِ يَرَوْنَ أنَّه خالدُ بن الوليد، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَام، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، رواه مسلمٌ(١).

وفي «صحيح البخاريِّ» رقم (٣٦١٠) من حديث أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ؛ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ؛ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اعْدِلْ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، فَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

وقَدْ خَرَجَ أُولئِكَ في عَهْدِ عليٍّ، فكَفَّروه وسائر الصَّحابة، وقَتلُوا جَماعةً مِن

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المُسْلمين، مِنْهم: عبد الله بن خبَّاب، فأَرْسَل عليٌّ بن أبي طالبٍ إِلَيْهم ابْنَ عمِّه عبد الله بن عبَّاسٍ، فنَاظَرهُمْ، فرَجَع مِنْهُمْ جماعةٌ، وَبَقِيَ الباقون، فخَرَج إليهم، وقَاتَلَهم، وقتَلَ مِنْهُمْ مَقْتلَةً عظيمةً، وبَقِيَتِ الخوارجُ، وفِكْرُهُم المَأْفونُ مِن عَهْدِ عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ يَوْمِنَا هذَا؛ فِكْرُهُمْ هو فِكْرُهُمْ، تكفيرٌ للمُسْلمين بالمَعَاصي، والحُكْم عليهم بالخُلُودِ في النَّار، والعناية بنَوَافِل العباداتِ، والاجتهاد فيها؛ لقَوْل النَّبيِّ ﷺ: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَكُمْ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ؛ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[١]. وفي رِوَايةٍ: «قَتْلَ ثَمُود»[٢]. وفي رِوَايةٍ: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»[٣].

وأَقُولُ: إنَّ قولَ المغراويِّ: «ما كانش الإسلام الجماعي؛ لأنَّ الإسلامَ الآن فرديٌّ، ما كانش الإسلام الجماعي؛ الإسلام الجماعي مَفْقودٌ، مفقودٌ منذ زمانٍ»، إلىٰ قولِهِ: «لا ما كانش ما عندنا إسلام جماعي الآن مَوْجُودٌ؛ الآن قَناعَاتٌ فرديَّةٌ، تَلْقَىٰ وَاحِدًا في الأُسْرة و١٥ مُنْحرفِينَ»، هَذَا هو الفِكْرُ الخارجيُّ التَّكْفيريُّ السُّروريُّ، ولا أَدْري بأَيِّ شَيءٍ يُكفِّرونَ المُسْلمينَ، وقَدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣)، وأبو داود (٤٧٦٥) بلفظ: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»، وحسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٩٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

وعقيدةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّهم لا يُكفِّرون أحدًا بذَنْبٍ، ولا يَحْكمونَ لأَحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ، وكُتُبُ العقائدِ مَمْلوءةٌ بذَلِكَ.

وفي (فتَاوىٰ) شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٦٧٠، ٦٧١): سُئِلَ عَنْ معنىٰ حديث النَّبيِّ ﷺ: «**إذَا زَنَا الْعَبْدُ، خَرَجَ مِنْهُ الإيمَانُ؛ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ، عَادَ إِلَيهِ الإِيمَانُ**»، رَواه التِّرمذيُّ، وأبو داود[1].

وهَلْ يكونُ الزَّاني في حالة الزِّنا مُؤْمنًا أو غَيْر مؤمنٍ، وهَلْ حَمَلَ الحديثَ علىٰ ظَاهِرِه أحدٌ مِن الأئمَّةِ، أو أَجْمعُوا علىٰ تأويلِهِ؟

فأجاب: «الحَمْدُ لله، النَّاسُ في الفاسق مِن أَهْلِ الملَّةِ؛ مثل: الزَّاني والسَّارق والشَّارب ونَحْوهم - ثلاثةُ أَقْسام؛ طرفان، ووسط:

❑ الطَّرف الأوَّل: ليس بمُؤْمنٍ بوَجْهٍ مِن الوُجُوه، ولا يَدْخل في عُمُومِ الأَحْكامِ المُتعلِّقةِ باسْمِ الإِيمَانِ.

ثُمَّ مِنْ هؤلاء مَنْ يَقُولُ: هُوَ كافرٌ كاليهوديِّ والنَّصرانيِّ، وَهُو قولُ الخوَارج.

ومِنْهُمْ مَنْ يقولُ: نُنزله مَنْزلة بَيْن المَنْزلتَينِ، وهي مَنْزلةُ الفاسق، ولَيْسَ هو بمُؤمنٍ ولا كافرٍ، وهُمُ المُعْتزلةُ، وهؤلاء يَقُولُونَ: إنَّ أَهْلَ الكبائر يُخلَّدون في النَّار، وإنَّ أحدًا مِنهم لا يخرج منها.

وهَذَا من مَقالات أَهْل البِدَعِ، الَّتي دلَّ الكتابُ والسُّنَّة وإجماعُ الصَّحابة والتَّابِعينَ لهم بإحْسانٍ علىٰ خِلَافِها؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إلىٰ قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٥)، وأبو داود (٤٦٩٠) من حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٥٠٩).

﴿أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]، فَسمَّاهم مُؤْمِنِينَ، وجَعَلَهُمْ إِخْوةً مع الاقْتِتَالِ، وبَغْيِ بَعْضِهِمْ علىٰ بَعْضٍ.

وقَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، وَلَوْ أَعْتق مُذْنِبًا، أَجْزأ عِتقُهُ بِإِجْماعِ العُلَماءِ.

ولهَذَا يَقُول عُلَماءُ السَّلَفِ في المُقدِّمات الاعتقاديَّة: «لا نُكفِّر أحدًا من أَهْلِ القِبْلَةِ بذَنْبٍ، ولا نُخْرِجهُ من الإِسْلامِ بعَمَلٍ».

وقَدْ ثَبتَ الزِّنا، والسَّرقة، وشُرْب الخمر علىٰ أُناسٍ في عَهْد النَّبيِّ ﷺ، ولَمْ يَحْكُم فِيهِمْ حُكْمَ مَنْ كَفَرَ، ولا قَطَع المُوَالاةَ بَيْنهم وبَيْنَ المُسْلمينَ، بَلْ جلَدَ هذا، وقطَعَ هذا، وهو في ذلِك يَسْتغفر لَهُمْ، ويقول: «**لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**»[1]، وأَحْكام الإسلام كلُّها مُرتَّبةٌ علىٰ هَذَا الأَصْل.

❑ **والطَّرف الثَّاني**: قول مَنْ يقول: إِيمَانُهُمْ باقٍ كَمَا كان لم يَنْقُص، بناءً عَلَىٰ أنَّ الإيمانَ هُوَ مُجرَّدُ التَّصديقِ والاعْتِقَادِ الجَازم، وَهُوَ لَمْ يَتغيَّرْ، وإِنَّما نَقصَتْ شرائعُ الإِسْلامِ، وهَذَا قَوْلُ المُرْجئةِ والجَهْمِيَّةِ ومَنْ سَلَك سَبِيلَهُمْ، وَهُوَ أيضًا قولٌ مُخَالِفٌ للكِتَابِ والسُّنَّةِ وإِجْمَاعِ السَّابقينَ الأَوَّلِينَ والتَّابعينَ لَهُمْ بإِحْسَانٍ.

ثمَّ شَرَعَ يُفَصِّلُ إلىٰ أنْ قَالَ: «كذلك الزَّانِي والسَّارق والشَّارب والمُنْتهِبُ لَمْ يَعْدَم [أحدٌ مِنْهُمْ] الإيمانَ الَّذي بِهِ يَسْتحقُّ أَلَّا يُخَلَّدَ في النَّار، وبه تُرجَىٰ له الشَّفاعةُ والمَغْفرة، وبِهِ يَسْتحقُّ المُنَاكَحَةَ والمُوَارَثَةَ». انتهىٰ من (٧/ ٦٧٦) من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُتِي النبيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ، فأَمَر بِضَرْبه، فَمِنَّا مَنْ يَضْربُه بيَدِه، وَمِنَّا مَنْ يَضْربُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضربُه بثَوبِهِ، فَلَمَّا انصرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ؟ أَخزَاهُ اللهُ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تكُونُوا عَوْنَ الشَّيطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ**».

«فَتاوىٰ شَيْخ الإسلام» بِتصرُّفٍ.

وأخيرًا، هَذَا ما سَطَّرَه شيخُ الإسلام ابْنُ تَيْمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاكيًا إِجْماعَ السَّلفِ جميعًا، وأنَّهم جميعهم يُسجِّلون في مُقدِّماتِهِمْ الاعتقاديَّة قَائِلين: «لا نُكَفِّرُ أَحَدًا من أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، ولا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بعَمَلٍ». اهـ.

لِذَا؛ فإنَّا نَقُولُ: فمَنْ أَعْلَمُ بالوفاقِ والخِلافِ في الأُمُورِ الاعْتِقَادِيَّةِ مِن شَيْخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ!

وبهذَا يَتبيَّنُ أنَّ مَنْ أَخْرجَ المُسْلمينَ من الإِسْلام بذُنُوبٍ ارْتكَبُوها هي تُعْتَبر من المَعَاصي - كبائر كانت أو صغائر - فإنَّه مُدَانٌ (١٠٠٪).

وفي «سُنَن أبي داود» حديثٌ عن أَنَس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ إِلَىٰ أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ»[(١)]، إلَّا أنَّ في سنده: يَزِيدَ بن أبي نُشْبَةَ السُّلَمِي، الرَّاوي عن أَنَسٍ، قالَ في «التَّقْرِيبِ»: «مَجْهولٌ مِن (الخامسة)»، رقم الترجمة (٧٨٣٨)، طبعة دار العاصمة، وسَائِرُ رُواةِ سَنَدِه علىٰ شَرْط مُسلمٍ.

والخِصالُ المذكورَة فيه مُجْمعٌ عليها كما تَقدَّم عَنْ شيخ الإِسْلامِ ابنِ تَيمية.

وفي صفحة (٤) قال المغْراويُّ: «طبعًا الجاهليَّة الجديدة - أُريد إخواني أن يتنبهوا - انتبهت إلىٰ هَذَا الأمْر، فلهَذَا صَوَّرتُ القَضيَّةَ، وطَوَّقْتُها من جَدِيدٍ، فلهذَا الآنَ المُسْلمُ في أيِّةِ بَلْدةٍ لا يَسْتطيع الذَّهابَ إلىٰ بلَدٍ من البلادِ، يَكونُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، وضَعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود - الأم» (٤٣٧).

أحيانًا من الأُمُور ما لا يَتحقَّق، يَعْني: لو ذَهَبَ مُسْلمٌ الآن - مسلم لا أقول: كافر، ولكن أقول: مسلم - إلىٰ بِلَادِ المُسْلمينَ، فهَلْ تَسْمحُ له هذِهِ البلدة، وتَسْمح حُكُومتُهَا بالإقامةِ لهَذَا المُسْلم بهَذِهِ البلدةِ؟

لا، لا يُمْكن، لا بُدَّ من شُرُوطِ الإقامةِ، لا بدَّ من كَفَالةٍ، لا بدَّ من تَأْشِيراتِ للدُّخُولِ، لا بدَّ مِنْ عَرْضِ الجَوَازِ علىٰ المُخَابراتِ، هَلْ تَسْمح له بالإِقَامةِ أو لَا تَسْمَح؟ فيه شُبْهةٌ سياسيَّةٌ، وشُبْهةٌ غير سياسيَّةٍ.

إذًا؛ مَجْموعةٌ من الأُمُور هي الَّتي تَمْنع هَذَا المُسْلم من أن يُقِيمَ في بِلَادِ المُسْلمينَ، وربَّما يكون ذَلِكَ في أَقْدس البلادِ، يعني: في بلادٍ للمُسْلمِ الحقُّ في أَنْ يُقِيمَ فيها علىٰ رُغْم أَنْف كلِّ أحدٍ.

يعني - مثلًا - الحَرَمينِ الشَّريفين، يَعْني: هي بلاد جميع المُسْلمينَ، يَعْني: لا حقَّ فيها، يعني: لا تَخْضَع لهَذَا، يَعْني: يجب أن تكونَ هِيَ في اسْتِقْبالِ المُسْلمينَ بدُونِ شَرْطٍ وقَيْدٍ، كلُّ مسلمٍ يشهد أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله - له الحقُّ في الإقامة في تِلْكَ البَلْدة، سواء في مكَّة أو المدينة؛ لأنَّ هذِهِ بلادُ المُسْلمينَ.

بَلْ أقولُ: إنَّ المسلمَ إِنْ ذَهَبَ، له الحقُّ في أيِّ بلدةٍ ذَهَبَ، وجواز سفره: أن يشهدَ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، هَذَا جواز السَّفر لبِلَادِ المُسْلمينَ، طبعًا هذه التَّقْسيماتُ المَوْجودة من صُنْعِ الاسْتِعْمارِ، يَعْني: التَّقْسيمات المَوْجودة الآن بِاسْمِ فُلَانٍ، بِاسْمِ الدَّولة الفلانيَّة، نَحْن ليس عندنا هَذَا في الإسلام، لا وَجُودَ له، هَذَا كلُّه من صُنْعِ الاسْتِعْمارِ، يَعْني: ما يُسمَّىٰ بالحُدُودِ الآن وَمَا يُسمَّىٰ بالدُّول، وكلُّ هذِهِ الأُمُورُ لا شكَّ، ويُقْسِمُ الإنسانُ بالله أنَّ هذِهِ من صُنْعِ الاسْتِعْمارِ، المُسْلمونَ يُغطِّيهم خَليفةُ المُسْلمينَ، الخليفة: هُوَ الحَاكِمُ الكبيرُ،

الَّذي تَتبع له الولاياتُ جَمِيعها، يَعْني ولايات المُسْلمينَ أَيْنما كانت في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَاربها، ولكنْ جَاءَ الاسْتِعْمارُ الخبيثُ، فَاسْتَعْمَرَ البلادَ وقسَّمها وَحرَّرها؛ لأنَّها تَحرَّرتْ من هذِهِ القُيُودِ، وعَلَىٰ هذِهِ الشُّرُوط الخبيثة الَّتي حَجزت بَيْنَ المُسْلمينَ، والَّتي سَبَّبَتِ العداوةَ والتَّناحرَ، وأَحْدثَتْ في المُسْلمينَ القَوميَّةَ والوطنيَّةَ، كلُّها فتنةٌ، وكلُّها مِن الأَوْصافِ ومِنَ الأَقْوالِ الوثنيَّةِ الَّتي لا يَجُوزُ للمُسْلم أَنْ يَنطقَ بها، فضْلًا أن يَعْتقدَها أَوْ يَعْمَلها...»[(١)].

وأقول: للمغراويِّ في هَذَا المَقْطع أخطاءٌ تُبيِّنُ ارْتباطَهُ بالحزبيِّين المُعاصرين، وَارْتِبَاط الحزبيِّين المُعَاصرين بالخَوَارج السَّابقين الَّذين يُكفِّرون المُسْلمينَ بالمَعَاصي والبِدَعِ، ويُخْرجُونَهم مِنَ الإِسْلام بذَلِكَ، وبالتَّالي يَحْكمونَ عَلَيهم بالخُلُودِ في النَّار:

١- مِنْهَا: إِنْكارُهُ لتعدُّدِ الدُّول، وانْفِراد كلِّ دَوْلةٍ بِبلَادها ومَوَاطِنِيها.

٢- إنكارُهُ لجَعْل الحُدُودِ بَيْن الدُّولِ الإِسْلاميَّة.

٣- إنكارُهُ لأَنْظمةِ الجنسيَّةِ، والجوازاتِ، والإِقامة في كلِّ بلدٍ.

٤- زَعْمُهُ أنَّ ذَلِكَ كلَّه من الأَوْصافِ والأَقوالِ الوثنيَّةِ الَّتي لا يَجُوز للمُسْلم أَنْ يَنطقَ بها فَضْلًا عن أَنْ يَعْتقدَها، أو يَعْملها.

فأمَّا إنكارُ المغراوي لتَعدُّد الدُّول، وزَعْمه أنَّ ذَلِكَ أمرٌ صَنَعه الاستعمارُ، وأنَّه وثنيَّةٌ - «ومَعْنىٰ ذلك: أنَّه كُفرٌ مُخْرجٌ من الملَّةِ».

وأقولُ: إنَّ هَذَا زَعْمٌ باطلٌ، وتَصوُّرٌ خاطئٌ، وهَذَا أمرٌ مَرْفوضٌ شَرْعًا وعَقْلًا؛ أَمَّا شَرْعًا فقَدْ أَخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ ذلكَ سَيكُونُ في قولِهِ صلواتُ الله وسَلامُهُ عليه:

---

(١) الوجه الأوَّل من شريط رقم (٧): «من دروس العقيدة؛ موقف محمَّد ﷺ».

«**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ؛ وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»(١).

فقولُهُ في هَذَا الحديث: «**سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ**» - دليلٌ عَلَىٰ تعدُّدِ الدُّولِ.

وَقَالَ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»(٢)؛ فَاقْتَتَلَ عليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ رابع الخُلَفاءِ الرَّاشدينَ، ومُعَاوية بن أبي سفيان في صِفِّين، ثمَّ استقلَّ عليٌّ رضي الله عنه بالجزيرة العربيَّة والعراق ومصر، واستقلَّ مُعَاوية بالشَّام وما وَرَاءه.

فلَوْ كانَ ذَلِكَ مُنكرًا ومُحرَّمًا - لما أقرَّه الصَّحابةُ الَّذين هُمْ أحياء، ومِنْهم عليٌّ نفسُه، وهو رَابعُ الخُلَفاءِ الأربعة. ومِنَ العَشْرة المَشْهود لهُمْ بالجنَّة: سعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد. ومِنْ فُضَلاءِ الصَّحابة: أبو أيوبِ الأنصاري، وأبو طلحة، وزيد بن ثابتٍ، وأُبيُّ بن كعبٍ، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عَبَّاسٍ، وعبد الله بن الزُّبير، وغيرُهم، فلَوْ كان الاستقلالُ مُحرَّمًا لَمَا أقرُّوه.

وبَعْدَ وَفَاةِ مُعَاويةَ استقلَّ ابنُ الزُّبير بالجزيرة العربيَّة والعراق، وبَعْدَ قيام الدَّولة العبَّاسيَّة استقلَّ عبد الرَّحمن الدَّاخل بالأندلس، وهَكَذا في سَائِرِ العُصُور، فإِذَا كانَ هَذَا الأمرُ قَدْ حَصَلَ في عصر الصَّحابة، وأَخْبر عن وُقُوعِهِ المُصْطفىٰ ﷺ بقولِهِ: «**سَتَكُونُ أُمَراء فَتَكْثُرُ!**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قال: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ**»، ولم يقُل: إنَّه لا يَجُوز اجتماعُ خَليفتَيْنِ من المُسْلمينَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأمَّا قولُهُ ﷺ: «إذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَينِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنهُمَا»(١)، فذَلِكَ إذا كانَ الخَلِيفَتَانِ في مكانٍ واحدٍ، وزمَنٍ واحدٍ.

أمَّا إذا كانَ كلٌّ مِنهُمَا في مكانٍ مستقلٍّ بِهِ، فذَلِكَ جائزٌ على القَوْلِ الأصحِّ، قالَ الإمامُ مسلمٌ في كتاب الإمارة، باب: وُجُوب الوَفَاءِ ببَيْعةِ الأوَّل فالأوَّل: رَوَىٰ بسندِهِ: «عن فُرَاتٍ القَزَّازِ، عَنْ أبي حازمٍ قال: «قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ!». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»(٢).

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شَرْح هذا الحديث: «قولُهُ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إسرائيلَ تَسُوسُهُمُ الأنبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نبيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»، أي: يَتولَّون أُمُورَهم كما تَفعل الأُمَراءُ والوُلَاةُ بالرَّعيَّة. والسِّياسةُ: القيامُ على الشَّيءِ بِمَا يُصْلِحُهُ.

وفي هذا الحديث جَوازُ قَوْل: هَلَكَ فلانٌ، إذا ماتَ، وقَدْ كثُرت الأحاديثُ به، وجاءَ في القُرْآنِ العزيز قولُهُ تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

قَوْلُهُ ﷺ: «وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ!». قَالُوا: فما تَأْمُرُنا؟ قالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ». قولُهُ: «فتَكْثُرُ» بالثَّاءِ المثلَّثةِ؛ مِن الكَثْرة، هَذَا هو الصَّوابُ المَعْروف.

قَالَ القَاضِي: وضَبَطَه بَعْضُهم: «فتَكْبُرُ» بالباء المُوحَّدة كأنَّه مِن إكْبار قَبِيحِ

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أَفْعالِهِمْ، وهَذَا تَصْحِيفٌ.

وفي هَذَا الحديثِ مُعْجزةٌ ظاهرةٌ لرَسُولِ الله ﷺ.

ومَعْنىٰ هَذَا الحديث: إِذَا بُويِعَ لخَلِيفةٍ بَعْد خليفةٍ، فبَيْعة الأَوَّل صَحِيحةٌ يجبُ الوَفَاءُ بها، وبَيْعةُ الثَّاني باطلةٌ يَحْرمُ الوفاءُ بها، ويَحْرمُ عليه طَلَبُها، وسواء عَقَدوا للثَّاني عَالِمِين بعقد الأوَّل أو جَاهلِين، وسواء كانا في بَلَدَينِ أو بلدٍ، أو أحدهما في بلد الإمام المُنْفصل، والآخر في غَيْره، هَذَا هو الصَّوَابُ الَّذي عَلَيه أَصْحابنا وجماهير العلماء. وَقِيلَ: تكُونُ لمَنْ عُقِدتْ لَهُ في بَلَد الإمام. وَقِيلَ: يُقْرع بَيْنهم، وهَذَانِ فَاسِدَانِ.

وَاتَّفقَ العُلَماءُ عَلَىٰ أنَّه لا يَجُوز أَنْ يعقدَ لخَلِيفَتَينِ في عَصْرٍ وَاحِدٍ، سواء اتَّسعَتْ دارُ الإسلام أَمْ لا؟

وَقَالَ إمامُ الحَرَمينِ في كتابِهِ «الإرشاد»: «قال أَصْحابُنا: لا يَجُوز عَقْدها لشَخْصينِ. قالَ: وعِنْدِي أنَّه لا يَجُوز عَقْدها لاثْنَيْنِ في صُقْعٍ واحدٍ، وهذا مُجْمعٌ عليه. قال: فإِنْ بَعُدَ ما بَيْن الإمَامينِ، وتَخلَّلتْ بَيْنهُمَا شُسُوعٌ، فَللاحْتِمَالِ فيه مَجالٌ، وهوَ خَارجٌ من القوَاطِعِ».

قلتُ: يَقْصد النُّصُوصَ؛ فإِنَّ النُّصُوصَ دالَّةٌ علىٰ أنَّه لا يَجوزُ عَقْدُ الولاية لاثنين في بَلَدٍ وَاحِدٍ، ووقتٍ واحدٍ.

قال: «وَحَكىٰ المازريُّ هَذَا القولَ عَنْ بَعْض المُتأخِّرين مِن أَهْل الأُصُولِ، وأَرَادَ به إمامُ الحَرَمينِ، وهو قَوْلٌ فَاسدٌ مُخَالفٌ لِمَا عليه السَّلفُ والخَلَفُ، ولظَوَاهِرِ إِطْلاقِ الأَحَاديثِ». اهـ[1].

---

(١) انظر: «شرح النَّوويّ علىٰ مسلم» (١٢/ ٢٣١ - ٢٣٢).

قلتُ: ما قَالَه النَّوويُّ هنا لَيس بجيِّدٍ، بل الصَّحيح جوازُ عَقْد الإمارة لرَجُلينِ إذا كانا في بَلَدَينِ مُخْتلفينِ، وبَيْنهما بُعْدٌ وشُسُوعٌ، أي: مسافاتٌ طويلةٌ، كما حَصَل لعليٍّ بن أبي طالبٍ ومُعَاوية، وكما حَصَل لابْنِ الزُّبير ومَرْوان، ثمَّ ابنه عبد الملك، وبَعْد قِيام دولة بَنِي العبَّاس انْفصلَت الأندلسُ.

وإنَّ قَوْلَ النَّبيِّ ﷺ: «سَتكُونُ خُلَفَاءُ فَتكْثُرُ!». قالوا: فما تَأْمُرُنَا؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ»، وقالَ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ»[1] - لَيسَ مَعْناه أنَّ جميعَ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ تكُونُ كذَلِكَ علىٰ رَجُلٍ واحِدٍ، والسُّنَّةُ أَنْ يكونَ للمُسْلمينَ إمامٌ واحدٌ، والبَاقُونَ نُوَّابُهُ، فإذا فُرِضَ أنَّ الأُمَّةَ خَرجَتْ عن ذَلِكَ لمَعْصيةٍ من بَعْضها، وعَجْزٍ من البَاقِينَ أو غَيْر ذَلِكَ، فكانَ لها عدَّةَ أئمَّة لكانَ يجبُ علَىٰ كلِّ إمامٍ أن يُقِيمَ الحُدُودَ، ويَسْتوفي الحُقُوق.

ولشَيْخ الإسْلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ في هَذَا المَوْضوعِ في «الفَتاوىٰ» في (٣٤/ ١٧٥، ١٧٦) حَيثُ قالَ: «والسُّنَّةُ أَنْ يكونَ للمُسْلمينَ إمامٌ واحدٌ والبَاقُونَ نُوَّابُهُ، فإذا فُرِضَ أنَّ الأُمَّةَ خَرجَتْ عن ذَلِكَ لمَعْصيةٍ مِن بَعْضِها، وعجزٍ مِن البَاقِينَ، أو غَيْر ذَلِكَ، فكَانَ لَهَا عدَّةُ أئمَّة - لكَانَ يَجِبُ علىٰ كلِّ إمامٍ أَنْ يُقِيمَ الحُدُودَ، ويَسْتوفِي الحُقُوق (يعني: في مُحيط سُلطتِه)». اهـ.

قلتُ: عِلْمًا بأنَّه لو قُدِّر أنَّ أَهْلَ الإسلام كَانُوا تَحْتَ رايةٍ واحدةٍ وإمامٍ واحدٍ، كَمَا حَصَل في آخر عَهْد بني أُميَّة، وأَوَّل عَهْد بني العبَّاس حَيْث امتدَّت رُقْعةُ الدَّولة الإسلاميَّة، فشملت جميعَ أَفْريقيا ومُعْظم آسيا من المُحيط الأطلسي

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عَرْفَجَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والحديث بتمامه: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ - فَاقْتُلُوهُ».

غربًا إلىٰ حُدُودِ الصِّين شرقًا، فإنَّه في ذَلِكَ الوَقْت قَدْ تكونُ البلدانُ البعيدةُ الشَّاسعة بُعْدًا كثيرًا يصير أَمِيرُهَا كأنَّه مُنفردٌ بها، وسَيْطرة الخليفة الأَصْل علىٰ ما يَبْعُدَ عنه تكونُ ضَعِيفةً، فيَعُود الأمرُ في الحقيقة كأَنَّها إماراتٌ أو خِلَافاتٌ مُتعدِّدةٌ، ولَيْسَتْ خلافةً واحدةً.

عِلْمًا بأنَّ أَصْحابَ الدَّعوات الحزبيَّة الَّذين جعلُوا مَقْصُودَهُمْ في دَعْوتِهِمْ هُوَ إعادةُ الخلافةِ الضَّائعة - كما يَزْعمون - قَدْ كلَّفوا أَنْفُسَهُمْ بشَيءٍ لم يُكلِّفهم اللهُ بِهِ، وتَركوا ما أمرَ اللهُ بِهِ جميعَ الرُّسُلِ، وهُوَ الدَّعوةُ إلىٰ التَّوحيدِ، وإنكارُ الشِّرْك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقَالَ فِي سُورة (الأنبياء): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولَقَدْ تركَ حسن البنَّا النَّاسَ يَطُوفُونَ بالمَشاهِدِ القُبوريَّة، ويَنْذُرُونَ لَها، ويَذْبحونَ علىٰ اسْمِها، ويَهْتِفُونَ بأَسْماءِ أَصْحابِها في الصَّباحِ والمَساءِ، راجِينَ مِنْهُمْ ما لا يُرْجىٰ إلَّا مِنَ اللهِ، مِن جَلْبِ الخَيْرِ، ودَفْعِ الشَّرِّ، ثُمَّ ذَهَبَ يبثُّ في أَصْحابِهِ أَنَّ أُمَّةَ مُحمَّدٍ ﷺ بحاجةٍ إلىٰ أَنْ تجتمعَ علىٰ خليفةٍ واحدٍ، وكأنَّ الشِّرْكَ الَّذي هو مَوْجودٌ، والمَشاهِدَ الَّتي أَيْنَ ما ذَهَبَ الذَّاهِبُ في بلادِ مصر وغيرها فهِيَ مَوْجودةٌ، كأنَّما نَزَل حِلُّ ذلكَ مِنَ السَّماءِ، مع أَنَّ القرآنَ كلَّه مِن أَوَّله إلىٰ آخرِهِ مَلِيءٌ بالتَّحذير مِنَ الشِّرْك، والرَّدِّ علىٰ أَهْلِهِ، والاحتجاج عَلَيهم، وبيان عَجْزِ الآلهة المَدْعوَّة، وتَوعُّدِ للمُشْركين الكافِرينَ بالعَذابِ الأَبَديِّ.

فمِنَ التَّحذيرِ من الشِّرْك والوعيد لأَهْلِه: قَوْل الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن

مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٧].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

وَقَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء: ١١٣ - ١١٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ (الفرقان): ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ (سبأ): ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

وَفِي سُورَة (فاطر) لمَّا ذكر اللهُ شيئًا من أَنواع مُلكِهِ وقُدْرَتِهِ قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

لقَدْ تَعامىٰ حَسَنُ البَنَّا عن هذِهِ الآياتِ كلِّها، وغَيْرِها من الآياتِ الدَّالَّة علىٰ أنَّ دَعْوةَ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، فلَمْ يُنكر علىٰ أَهْلِ مِصْر ما يَفْعَلونَه عند المَشاهد من دَعْوة غَيْر الله، بل أَقرَّهم عَلَىٰ ما هُمْ عليه، وذَهَبَ يَدْعو إلىٰ إعادة الخِلَافةِ الضَّائعة حَسَبَ زَعْمه، فنَعُوذُ بالله من عَمَىٰ البصيرة، وشَطَطِ القولِ!

ثمَّ يَأْتِي الأُلُوفُ من أَتْباعِهِ أَصْحابِ الشَّهاداتِ العُلْيا، فيُتَابِعُونه عَلَىٰ هَذَا الباطِل؛ دَعْوةً إلىٰ إنْشاءِ خلافةٍ، أو إعادة الخِلَافةِ الضَّائعة، ويَنْسونَ ما كلَّفَ اللهُ به رُسُلَه صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيهم أَجْمعينَ، فيَبْذُلُونَ أَقْصىٰ جُهْدهم في الدَّعْوةِ السِّرِّيَّةِ، ويُحَاولونَ أنْ يتوصَّلوا إِلَىٰ ذَلِكَ بالإِعْدادِ السِّرِّيِّ، والإِرْهابِ الفكريِّ

والحسِّيِ، لِكَيْ يَتوصَّلوا بِهِ إلىٰ ذَلِكَ الغَرَض، وفي سَبيلِ ذلك يُكَفِّرون الدُّوَلَ، ويُكفِّرونَ المُجْتمعاتِ، وبِناءً علىٰ ذَلِكَ يُزْهِقون الأرواحَ، ويُتلفُونَ الأَمْوالَ، ويُخِيفونَ المُسْلمينَ، ويُنْكِرُونَ المَعْروفَ الَّذي أَخْبر به النَّبيُّ ﷺ بقولِهِ: «سَتكُونُ أُمَرَاءُ فَتكثُرُ!». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[(١)].

والنَّتيجةُ: أَنَّهم تَركُوا ما أمرَ اللهُ به من الدَّعوةِ إلىٰ التَّوحيدِ، والنَّهْي عن الشِّرْك، وذَهَبوا يَدْعون إلىٰ خلافةٍ بأُمُورٍ يَطُول ذِكْرها، مِنْهَا ما هو شِرْكٌ في التَّحْكيم، ومِنْها ما هو بِدْعةٌ، ومِنْها ما هُوَ كَبِيرةٌ؛ فإِلَىٰ اللهِ المُشْتكىٰ، وبَيْن يَدَيْهِ المُلْتقىٰ.

أَمَّا إِنْكَارُ المغراوي لجَوَاز تَعدُّد الدُّولِ؛ فيُردُّ عَلَيه من جهة المَعْقول: لو أَنَّ اثنين من الرعيان اخْتَلط غنمُهما في المَرْعىٰ، فلا بدَّ عِنْدَ الافْتِرَاقِ أن يأخذَ كلٌّ مِنْهما غَنَمه، ولا يعقل أن يقولَ كلٌّ منهما: هَذَا لي، وهَذَا لَكَ - مُجَازفةً -، أو يَأْخُذُ ما شاءَ، ويَتْرك ما شاء.

وأَمَّا إنكارُ المغراوي لجَعْل الحُدُودِ بَيْنَ الدُّول الإسلاميَّة؛ فهَذَا شيءٌ لم يَقُلْهُ أحدٌ من أَهْلِ العِلْمِ فيما أَعْلمُ؛ لأنَّ هَذَا القولَ الَّذي تَفوَّه به المغراويُّ - كما سَبَق ذِكْرُهُ - يَلْزم عليه لَوَازِمُ:

١- مِنْهَا انْدِمَاجُ النَّاس بَعْضهم في بَعْضٍ، فلا يَدْري الواحدُ مَنْ هو إمامُهُ، ولِمَنْ تكون طاعتُهُ، ولمَنْ قدَّم أو يقدِّم بَيْعته.

٢- وبِهَذَا تَضِيعُ الحُقُوقُ؛ حقُّ الرَّاعي علىٰ الرَّعيَّة، وحقُّ الرَّعيَّة علىٰ الرَّاعي، فَلَا يَدْري الرَّاعي عَلَىٰ مَنْ تَجِبُ طاعتُهُ، ولا يَدْري التَّابعُ من الَّذي يُقدِّم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

له وَلَاءَه، ويُؤَدِّي إليه زكاتَه.

٣- مَعَ العِلْمِ أنَّ للرَّاعي علىٰ الرَّعيَّةِ الطَّاعة، والمُنَاصرة، والصَّلاة وراءه، ودَفْع الزَّكاة له، والجهاد معَه، وبالدَّمج الَّذي يَزْعمه المغراويُّ لا يَعْرف الإمام رَعيَّته، ولا الرَّعيَّة إمامَهم، وبهذا تَضِيعُ الحُقوقُ، ولقَدْ تولَّىٰ معاويةُ الشَّامَ في عَهْد عليٍّ بن أبي طالبٍ، فكانَ كلُّ واحدٍ مِنْهما إمارتُهُ مَعْروفةٌ، وحُدُودُ ما تَحْته مَعْلومةٌ.

وَما ادَّعاه المغراوي من الدَّمْج بَينَ الولاياتِ هو ادِّعاءٌ باطلٌ يَعْرفُه حتَّىٰ رُعاةُ الغنَم، فإذا قالَ أحدٌ مِنهُمْ: غنَمي لكَ، وغَنَمك لي، أَنْكَر عَلَيه كلُّ مَن سَمِعَهُ، واتَّهمه بالغَباءِ، وقِلَّةِ العقلِ.

وأَمَّا إنكارُ المغراويِّ لأَنْظمةِ الجنسيَّة والجوازاتِ والإقامة في كلِّ بلدٍ؛ فإنكارٌ في غَير محلِّه، فأَنْظمةُ الجنسيَّةِ، وأَنْظمة المُرُور، وما أَشْبه ذلك - هذِه كلُّها داخلةٌ في المصالح المُرسلةِ الَّتي يَكُون فيها نَفْعٌ للنَّاس، ولا تعارضُ الشَّرعَ مُعارضةً جُزئيَّةً، ولا كلِّيَّةً.

بَلْ هي - أي: هذِهِ الأنظمة - تَحْمِي الضَّعيفَ من اعتداءِ القويِّ، وتَمْنع القويَّ مِن التَّسلُّطِ، وتُعْطي كلَّ وَاحدٍ حقَّه الَّذي تُخوِّله له العدالةُ الإسلاميَّةُ الَّتي أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها في كتابهِ، وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ؛ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النِّساء: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحل: ٩٠].

وَقَدِ اسْتَبْعدَتِ الدُّوَلُ الإسلاميَّةُ من الجِنْسيَّةِ ما لا يَتَناسبُ مَعَ الإِسْلامِ مِنَ الأَنْظمةِ فيما نَعْلمُ، فالإسلامُ لا يُبيحُ أن يَنْتسبَ الرَّجلُ إلىٰ غَيْر أبيه، أو يَتولَّىٰ غيرَ مَواليهِ.

ودَوْلتُنا - فيما نَعْلم - هي علىٰ ذلكَ.

وكونُ الشَّخص المُسْلم تكون مَعَه بطاقةٌ تُوضِّح قَبيلتَه ودَوْلتَه، ومَحلَّ سكنِه، هَذَا أصبحَ من الضَّروريَّاتِ، فلَوْ سافر إلىٰ أيِّ بلدٍ، وقُدِّر عليه أن يَمُوتَ، فإنَّ تلكَ البطاقةَ، أو جوازَ السَّفر يُوضِّح دَوْلتَه، ومكانَه من الدَّولة الَّتي يَنْتمي إليها حَتَّىٰ تُجْرَىٰ علىٰ ضَوْئِهِ الحُقُوقُ الَّتي لَهُ أَوْ عليه.

ويُلاحظُ علىٰ قول المغراويِّ: «وجَوَاز المُسْلم: شهادة أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله»، أقول للشَّيخ المغراوي: أَلَمْ تَعْلم أَنَّه كانَ في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ مُنَافقُونَ يَشْهدونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، ويُصلُّون مع النَّاس جَمَاعةً، ويُجاهدُونَ مع النَّبيِّ ﷺ، ومَعَ ذَلِكَ ذَمَّهمُ اللهُ؛ لأنَّ قُلُوبَهم غير مُؤْمنةٍ، ولا مُقتنعةٍ بالإِسْلامِ، وقَدْ عَمروا مَسْجدًا للاجْتِمَاعِ فيه، وتَبْييت المكائِدِ للإِسْلامِ والمُسْلمينَ، وطلبُوا مِن النَّبيِّ ﷺ أَنْ يُصلِّي لهمْ فيه، فوَعَدهُمْ بَعْدَ الرُّجُوع مِن تبوك، فلمَّا رجَعوا وقارَبوا المدينةَ - أنزلَ اللهُ الآيات مِن آخر سورة (براءة)، وهي قولُه تَعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ

فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١٠٨].

إنَّ الدَّولةَ السّعوديّةَ - والحَمْدُ لله - تَسْتقبلُ من الدُّول الإسلاميَّة وغيْر الإسلاميَّة المُعتمرِينَ علىٰ طولِ السَّنَةِ، لَمْ تَمْنَعْ أحدًا أرادَ العُمْرةَ، وكذٰلِكَ في الحجِّ، فهِي تَسْتقبلُ الأعدادَ الَّتي تأتي، وتَقُومُ عليها، وتُؤمِّنها، وتُنظِّم سَيْرَها حَتَّىٰ يَنْتهِيَ الحجُّ، ثمَّ تبدأ هذه الوُفودُ في الرُّجوع إلىٰ بُلْدانِها.

إنَّه لا يَجوزُ فِي النِّظامِ الأساسيِّ للدَّولة البقاءُ لأَحدٍ إلَّا أَنْ يكونَ لهُ مَن يَكْفُلُه، وقَدْ أُعْطِيَتْ له إقامةٌ، فهو يُقِيمُ في الدَّولة السّعوديَّة علىٰ هذا الأَسَاسِ، لكنَّ المغراويَّ يُريدُ أَنْ تكونَ المسألةُ فَوْضىٰ؛ هَدَانا اللهُ وإيَّاه.

والحقُّ: أنَّه لا بدَّ مِنَ التَّعاملِ الَّذي جَرَتْ عَلَيه الدُّوَلُ مِن الأَنْظمةِ الَّتي تَظْهرُ مَصْلحتُها، وَلَا تَتَعارَضُ مَعَ الإِسْلامِ.

إنَّ المغراويَّ يَعْلمُ أنَّ كلَّ مُجْتمعٍ يَدْخلُ فيه مُنافقونَ، ويَنْدسُّ في صُفُوفِه أناسٌ مُفْسدونَ، ونِظَامُ الجنسيَّةِ والإقامةِ يُعِينُ علىٰ اكْتِشَافِ هَؤُلاءِ المُفْسدينَ، وتَرْحيلِهِم مِن دَوْلة الإِسْلام قَبْل أن يَنْتشرَ فَسَادُهمْ، ويَضرُّوا بالمُسْلِمينَ المُقِيمِينَ في هَذَا البَلَد، وبهَذَا نَعْلمُ بُطْلانَ قَوْل المغراويِّ: «إذًا، مجموعة من الأُمُور هي الَّتي تَمنع هَذَا المُسْلمَ من أَنْ يُقِيمَ في بِلَادِ المُسْلمينَ، وربَّما يكُون ذَلِكَ في أَقْدَسِ البلادِ، يَعْني في بلادٍ للمُسْلمِ الحقُّ في أَنْ يُقِيمَ فيها علىٰ رُغْم أنف كلِّ أحدٍ»، وأنَّ قوله هَذَا لم يَقُلْهُ علىٰ أُصُولٍ شَرْعيَّةٍ تَحْمي أَهْلَ البلاد من عَبَثِ العَابِثِينَ، وإفسادِ المُفْسدينَ، وما تَسِير عليه الدَّولةُ نَرْجو أنَّه هو الصَّوابُ من الأَمْر الَّذي يَنْبغي السَّيْرُ عليه.

إنَّ المغراويَّ بقَوْلِهِ هَذَا قَدِ اعْتَدَىٰ علىٰ الدَّولةِ السّعوديَّة حيث زَعَم أنَّها

مَنعَتْ حقًّا من حُقُوقِ المُسْلمينَ، وهذا القولُ قولٌ باطلٌ كما بيَنَّا، وأنَّ الدَّولةَ لَمْ تَمْنع حقًّا مَشروعًا لأَحَدٍ من المُسْلمينَ، والحَمْدُ لله، فهِيَ تَسِيرُ علىٰ هَدْي الإِسْلامِ - إِنْ شاءَ الله - في غَالِب أُمورِهَا.

إِنَّ الدَّولةَ لو فَتحَتْ هَذَا البابَ بدُونِ شُرُوطٍ؛ لجاءَ الرَّاغبونَ في البقاءِ بدونِ شُروطٍ، والَّذين يُريدُونَ أن يُضيِّقوا عَلَىٰ المُسْلمينَ الَّذين في هذا البلد مَعِيشَتَهُمْ، ويُكدِّروا عليهم صَفْوَ حيَاتِهِمْ، فَيَكُون في هذا إِضْرارٌ بمواطنِيهَا، وهذا أمرٌ تَرْفضه الشَّرائعُ والعُقولُ السَّليمةُ.

وأنَّ الحقَّ الَّذي عليها قَدْ تأدَّىٰ بِاسْتِقْبالِها للمُعْتمِرينَ طوال العام، وبِاستقبالِهَا للحُجَّاج في وَقْتِ الحجِّ، ورِعايَتِها للجميع حَتَّىٰ يَرْتحلُوا كما ذَكَرنا ذَلِكَ سابقًا.

أَمَّا زَعْم المغراوي أَنَّ ذَلِكَ: «كلّه مِنَ الأَوْصافِ، والأَقْوالِ الوَثنيَّةِ الَّتي لا يَجُوزُ للمُسْلمِ أن يَنْطقَ بِهَا فضلًا أن يَعْتقدَها أو يَعْملها».

فأقولُ: اتَّضحَ بِهَذَا أنَّ المغراويَّ تَكْفيريٌّ؛ لأنَّه يَعْتقد أنَّ هذِهِ الأَنْظمةَ الَّتي هِيَ أنظمةُ الجنسيَّة والمُرُور؛ أنظمةٌ كُفْريَّةٌ لا يَجُوز التَّعامُلُ بها، وهَذَا مَذْهبُ الخَوارج التَّكفيريُّ، لَوْ قُدِّر أنَّ أَنْظمةَ الجِنْسيَّة مَعْصيةٌ، وحَقِيقَةُ الأَمْر أنَّها لَيْسَتْ مَعْصيةً، بَلْ هي من المَصَالِحِ المُرْسلةِ، وَهِيَ نافعةٌ للنَّاس، نَفْعُهَا مَلْموسٌ، وَفَائدتُها مَحْسوسةٌ.

فلَوْ أنَّ شَخْصًا من بلدٍ كالمَغْرب جاءَ إِلَىٰ بَلَدٍ آخر كمِصْرَ أو السّعوديَّة، فدَهَسَتْهُ سيَّارةٌ، أو ماتَ بأيِّ حَتْفٍ، فوُجِدَتْ بطاقتُهُ في ثوبِهِ، عُلِمَ منها هُويَّتُهُ من أيِّ دَوْلةٍ هو، ومن أيِّ منطقةٍ من الدَّولة، وعُرِفَ باسمِهِ وقبيلتِهِ وعشيرتِهِ، ثمَّ اتَّصلوا بدولتِهِ، ودولتُهُ تَتَّصل بأَصْحابِ المَسْؤوليَّة في ناحيتِهِ، ويَصِيرُ البحثُ علىٰ ضَوْءِ ذَلِكَ حَتَّىٰ يعرف ذلك أهله، فيَذْهبُونَ إِلَيْهِ ليَعْرفُوا حالَته، فتُؤدَّىٰ

بذلك الحقوقَ إنْ كان له أو عليه، أمَّا إذَا ذَهَبَ بدون بطاقةٍ، ولا إقامةٍ، ولا شيءٍ يُعرف بِهِ، فإنَّه سيَخْفىٰ أمرُه، ولا يَدْرِي أهلُهُ ماذا فَعَل، هَلْ هو حيٌّ أو مَيِّتٌ، فيَضِيعُ الأولادُ، وتَضِيعُ الزَّوجةُ، وتَبْقىٰ مُدَّةً طويلةً لا هِيَ ذاتُ زَوْجٍ، ولا هي أرْملةٌ.

ومنْ هنا نَعلمُ أنَّ أنظمةَ الجَوازاتِ والجنسيَّةِ أنْظمةٌ لها نَفْعُها وفَائدتُها، لا يُنكر ذَلِكَ إلَّا مَجْنونٌ أو مُكابرٌ، فهِيَ مِنَ المَصَالِحِ المُرْسلةِ كما قَدْ مثَّلنا.

وسَبَقَ أنْ بَيَّنَّا أنَّ هذِهِ الأنظمةَ لَهَا فَائدتُها المَحْسوسَة، ولَا تَدْخلُ في العبادةِ، بَلْ هِيَ مِنَ المُعَاملةِ الَّتي بَيْنَ النَّاس، وتَترتَّبُ عَلَيها مصالحُ.

فالقولُ بأنَّها وثنيَّةٌ قولٌ باطلٌ، بَلْ إنَّ ذَلِكَ يُثْبِتُ علىٰ القائِلِ بأنَّه جاهلٌ أو تكْفيريٌّ.

أمَّا قولُهُ: «وعلَىٰ هذِهِ الشُّروطِ الخبيثةِ الَّتي حَجَزتْ بَيْنَ المُسْلمينَ، والَّتي أَسَّسَتِ العَداوةَ والتَّناحرَ، وأَحْدثَتْ في المُسْلمين القوميَّةَ والوطنيَّةَ، كلُّها فتنةٌ، وكلُّها من الأوْصافِ ومِنَ الأقْوالِ الوثنيَّةِ الَّتي لا يَجُوز للمُسْلم أن ينطقَ بِهَا».

فأقول: تَسْمية هذِهِ الأُمُور وَثنيَّةً يُؤكِّد أنَّه تكْفيريٌّ؛ لأنَّ القَوميَّةَ والوطنيَّةَ تكونُ من المَعَاصِي في بَعْض أَحوالِها، وَهُو ما إذا حَملتْ أَصْحابَها علَىٰ الافْتِخَارِ بِوطنيَّتِهِمْ وازْدِراء مَنْ عداهُمْ كَمَا حَصَل في الأَزْمنةِ السَّابقةِ مِنَ المُفَاخرةِ بَيْنَ قيسٍ ويَمَنٍ، فهَذِهِ عَصبيَّةٌ مَمْقوتةٌ تُؤدِّي إلىٰ انْقِسَامِ المُسْلمينَ وتَحزُّب بَعْضِهم ضدَّ بَعْضٍ، لكن لا تَبْلغ بِهِمْ إلىٰ حَدِّ الوثنيَّةِ الَّتي تُخْرِجُ مِنَ الإسلام، وتَبْلُغ بهم إلىٰ الكُفْر إلَّا عِنْدَ التَّكفيريِّين مِنَ الخَوَارجِ والمُعْتزلةِ.

وَسَيأتِي أَيْضًا في (ص٦، ٧) خَلْطه بَيْنَ ما هو مُكفِّرٌ، وما هو غير مُكفِّرٍ، علمًا بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ جَعلَ المُتَقَاتِلينَ مِنَ المُسْلمينَ إِخْوةً؛ فقَالَ في سُورةِ (الحُجُراتِ): ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والنَّبيُّ ﷺ عِندَمَا قَالَ بَعْضُ الحَاضِرِينَ لِمَنْ كانَ يُكْثِرُ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ: «أَخْزاهُ اللهُ!» قَالَ: «لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ أَخِيكُمْ»[(١)]؛ فسمَّاه أخًا.

وأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ أنَّه لا يُكفَّر مُسْلمٌ بذَنْبٍ، ولَا يَخرجُ من الإِسْلامِ بعَمَلٍ، وعَلَىٰ ذَلِكَ جَرَىٰ أَهْلُ السُّنَّةِ جَمِيعًا.

والمغراويُّ يَقُول في النَّشرة الَّتي نُقِلَتْ عنه في (ص٦): «الإنسانُ أوَّل ما يبدأ الزّفاف يَبْدأ بالعِجْل، يأتي مَجْموعةٌ مِنَ العُجُولِ بأَعْجَالِهِمْ، ويَبِيتُونَ عَلَىٰ العِجْلِ يَعْبدونَ العِجْلَ؛ لأنَّ ما ذَكَروه من عِبادَةِ العِجْلِ لمَّا صَنَعوه بَدَؤوا يَرْقُصونَ حَوْل ذلك العِجْلِ، وهؤلاء أيضًا يَرْقُصونَ، يعني: يَبيتُونَ بعِجْلِهِمْ يَعْني هذِهِ الأَغَاني، والفِرَق الَّتي وَضَعها بِاسْمِ المغنين، وبِاسْمِ الشُّيُوخ والشَّيخات، اسم للفِرَقِ المُوسيقيَّة الشَّعبيَّة، هَذَا نوعٌ، يَعْني: عُجُول لكَثْرة النَّاس الَّذين يَعْبدونها من دون الله!».

ثمَّ استمرَّ يُكرِّر مثل هَذَا الكلام في صَفْحتين، كلُّ صفحةٍ (٢٢) سطرًا، خَلَط بَيْنَ ما يُوجِبُ الكُفْرَ كالصُّوفيَّةِ، والقُبُوريَّةِ، والاشتراكيَّة، والإلحاديَّة، وبَيْن أَغاني العُرْس، والفِرَقِ الغنائيَّةِ فيه، والأَحْزابُ أَطْلَقَ عَلَيها اسْمَ العُجُولِ، ولَمْ يُفَصِّلْ، ولَمْ يَسْتَثْنِ حَيْثُ قال في (ص٧): «كلُّ المَبَادِئ الَّتي تُخَالفُ الإسلامَ كلُّها عُجُولٌ، وكلُّ الأَحْزابِ هِيَ عُجُولٌ، والأشياءُ الَّتي تَجْري فيها أَلَا نُسمِّيها عُجُولًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تَقدَّم.

فالعُجُولُ ما أكثرها! ولكنَّ النَّاس لا يَفْهمون إلَّا أنَّ العِجْلَ هو عِجْل بني إسرائيل، لَيس الأمرُ كذَلِكَ، هناك عُجُولٌ عالميَّةٌ كثيرةٌ شَغَلتِ النَّاسَ عن عبادة الله وَحْده؛ لأنَّ كلَّ ما شَغَل عن عبادة الله وذِكْر الله فهو عِجْلٌ، البرامجُ والمناهجُ كلُّها عُجُولٌ، المدرسةُ وَقْت الصَّلاة: صلاة الجمعة، هَذَا مُخطَّطُ العِجْل السَّامِري...» إلخ. اهـ.

وأقولُ: تَسْميتُهُ للبرامج عُجُولًا، وتَسْميتُهُ للأَحْزابِ عُجُولًا، هذِهِ الأُمُورُ كلُّها عنده مُكفِّرةٌ، كلُّها شِرْكٌ أكبر، كلُّها وثنيَّةٌ.

وهَذَا دليلٌ واضحٌ أنَّه جاهلٌ، لَمْ يُميِّز بَيْن الأُمُور المُكفِّرة وغير المُكفِّرة، وهَذَا وأمثالُهُ إذا تَصدَّروا، أَوْقعوا النَّاسَ في مَتَاهاتٍ، وَلبَّسوا عَليهم دِينَهُمْ، وأَخْرجوا جيلًا كلّهم خَوَارج، فإذَا كان المغراويُّ يَرَىٰ أنَّ الغناءَ في العُرْسِ كله عِجْلٌ، والمغنِّي عِجْلٌ، وفرقتُهُ عُجُولٌ، فهَذَا هو التَّكفيرُ بعينِهِ، وَهُو مَذْهبُ الخَوارج القُدَامىٰ.

أمَّا ما يُوجِبُ الكفرَ، فنَحْن لا نُنَازِعُهُ فيه؛ كالصُّوفيَّةِ الغالية الَّتي تَخْلط بَيْنَ العبدِ والرَّبِّ، فتَجْعل اللهَ - عزَّ ربِّي وجلَّ وتقدَّس -، تَجْعله حالًّا في مخلوقاتِهِ، أو متَّحدًا بِهِمْ، فهذه العقيدةُ كفرٌ من أَبْشع الكُفْر، وكذَلِكَ عبادةُ القُبُور، والتألُّه للأَضْرحةِ، حَيْث يطلبون منها ما لا يُطْلَبُ إلَّا من الله عَزَّوَجَلَّ، وهَذَا شِرْكٌ أكبرُ مُخْرجٌ من الإِسْلامِ.

أمَّا الإلحادُ، فهو إِنْكارُ الباري جَلَّوَعَلَا، وزَعْم هؤلاء أنَّ هَذَا الكونَ وُجِدَ صُدْفةً، وَاحْرِصْ لِزَامًا علىٰ اقتناءِ مَنْظومة: «صيحة حقٍّ في صِمَاخ الباطل»، وَاقْرأْ مَوْضوع: «حوار مع مُلْحِدٍ».

وأمَّا الاشتراكيَّة؛ فمَنِ اعْتقَدَ أنَّ النَّاسَ شُرَكاءُ في الأَمْوال، وشُرَكاءُ في فُرُوجِ النِّساء - فهُوَ كافرٌ، حلالُ الدَّمِ والمالِ، علىٰ السُّلطةِ أَنْ تستتيبَه؛ فإِنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ كافرًا مرتدًّا.

وإنَّ خَلْطَ المغراويِّ بَيْنَ هذِهِ الأُمُور المُتَفاوتة في الأَحْكام، وجَعْل الكَبائِرِ المُفسِّقة الَّتي تُعدُّ مَعاصِيَ لا تُخرِج من الإسلام - جَعَلها مكفِّرةً - لَدَليلٌ علىٰ جَهْلِ المغراويِّ، وعَدَم تَمْييزِهِ بَيْنَ ما هو مُكفِّرٌ، وما هو غير مُكَفِّرٍ، أو اعتقاده عقيدة الخوارج.

ومن ناحيةٍ أُخرىٰ، فإنَّه إنِ اعْتَرَفَ أنَّه يَجْهل التَّمييزَ بَيْنَ المُكفِّر، وغير المُكفِّر، فإنَّه كانَ يجبُ عليه أن يَتعلَّم قَبْلَ أن يَتصدَّر؛ لأنَّ هَذَا مَزْلَقٌ خطيرٌ، كَمْ أَهْلَكَ مِن أُمَمٍ، وكَمْ أضلَّ مِن بَشَرٍ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وَفِي قولِهِ: «كلُّ المَبادئ الَّتي تُخَالفُ الإسلامَ كلُّها عُجُولٌ، وكلُّ الأَحْزابِ هِيَ عُجُولٌ، والأشياءُ الَّتي تَجْري فيها أَلَا نُسمِّيها عُجُولًا».

أقول: زَعْمُهُ أنَّ الأحزابَ كلَّها عُجُولٌ من غَيْرِ تَفْريقٍ بَيْنَ المُكفِّر وغير المُكفِّر، ومَعْلومٌ أنَّ الأحزابَ الَّتي ابْتُدِعَتْ باسْمِ الإسْلامِ مُعْظمها غير مُكفِّرٍ، ومَعَ ذَلِكَ جَعَلها كلَّها عُجُولًا، ولَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله.

وأخيرًا أقول: الحَمْدُ لله أنِّي قَدْ كتبتُ علىٰ المُهِمِّ من النشرة الَّتي نشرت، وأَرْسَلَها جماعةٌ من السَّلفيِّينَ في المغرب، وهذِهِ النَّشرة تُبيِّنُ ما عَلَيه المغراويُّ - هَدَانا الله وإيَّاه - مِنَ المُخالفاتِ الَّتي يَنْبغي عليه أن يَتُوبَ منها، وأن يُقْلِعَ عَنْها، ولَمْ يكنْ دَافِعي إلىٰ كتابةِ هَذَا الرَّدِّ إلَّا بيان الحقِّ، ودَحْض الباطل الَّذي يَحْتاجُ إلىٰ مَعْرفتِهِ المُسْلمونَ، فأسألُ الله أن يَتقبَّل منِّي ما كتبتُهُ علىٰ ضوءِ هذِهِ

النَّشرة، وأَنْ يَجْعلَه خَالصًا لوجهِهِ، وألَّا يَجْعلَ فيه شَائبةَ رِيَاءٍ، ولا سُمْعةٍ، وما تَوْفيقي إلَّا بالله، عليه تَوكَّلتُ، وإِلَيْه أُنِيبُ، وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

كتبه

أحمد بن يحيى محمد النَّجمي

١٤٢٧/٩/٢١هـ



حوارٌ مع الحلبي

كلام عليّ حسن الحلبيّ

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رَسُول الله، وبعدُ:

قَبْل صَلاَة المَغْرب، وأنا متَّجهٌ إلىٰ هُنَا لإقَامة هَذَا اللِّقاء المُبَارك؛ اتَّصل بي بَعْض الإخوة، وقَرَؤوا عليَّ فَتْوَىٰ منقولةً في بَعْض صَفَحات الإنترنت عن فَضِيلةِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي - حفظه الله تبارك وتعالىٰ -، ويَبْدُو أنَّ الفَتْوىٰ قريبةٌ منذ ثَلاَثة أيَّامٍ فقط (يوم الإثنين)، فيَقُول السَّائل: هَلْ تَنْصحونَنا بأَخْذ العِلْمِ من مَشَايخ الأردن في العقيدة؛ وهُمْ شُيُوخ مَرْكز الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فأَجاب فضيلةُ الشَّيخ:

هَؤُلَاءِ مَعْدُودونَ من السَّلفيِّين؛ ولكن نقلت عَنْهم (أي: السائل) أنَّهم يُؤيِّدون أَبِي الحَسَن - هَكَذا في النُّسخة الَّتي بَيْنَ يَدَي، والصَّواب: أبا الحسَن، واللهُ أَعْلم -، ولكن نقل عنهم أنَّهم يُؤيِّدون أبا الحَسَن، ويُؤيِّدون المغراويّ، ويُزكُّونَهم، ومَنْ يُزكِّي المغراوي التَّكفيريَّ؛ فإنَّ علَيه مُلَاحظات، ولا نَسْتطِيعُ أَنْ نقولَ فِيهِ أنَّه يُؤخَذ عَنْهم العلم. انتهىٰ كلامُهُ، حفظه الله.

الحَقِيقَة أنا تأمَّلت، وتَردَّدتُ أَنْ أُعلِّقَ علىٰ هَذِهِ الفَتْوىٰ، والشَّيخ من أَهْل العِلْمِ الأَفَاضل، ولا نُزكِّيهمْ عَلَىٰ الله، والْتَقينا به في بَعْض سَنَوات الحجِّ؛ قَبْل حَوَالي سبع أو ثماني سنواتٍ؛ وهو مَعْروفٌ في نُصْرة السُّنَّة، والعقيدة، والمنهج، ولله الحمد، كتبُه نَحْرص عَلَيها، وندلُّ عليها، وعلمُهُ معروفٌ؛ لَكِنْ لَيس مِن

شَرْط العالم - كمَا هو بَدَهيٌّ - أن يصيبَ في كلٍّ ما يقول، فكلُّ بني آدم خَطَّاءٌ، وخَيْر الخَطَّائينَ التَّوابونَ، ونَحْسبُ أنَّ خطأ العالم في اجتهادِهِ وباجتهادِهِ هو مأجورٌ عليه غير مَأزورٍ؛ لكنَّه أجرٌ واحدٌ دون الأَجْرَين، إن شاء الله.

وأنَا أَعتقدُ أنَّ هَذِهِ الفَتْوىٰ فيها ما فيها؛ أمَّا أنَّنا مَعْدُودونَ من السَّلفيِّين؛ فالحمد لله، ذَلِكَ من فَضْل الله.

ونَحْن نَدْعو إلىٰ الدَّعوة السَّلفيَّة، والعقيدة السَّلفيَّة، ونُؤازِرُ مَشَايخنا في كلِّ مكانٍ؛ لا يَمْنعُنا مِنْهم جُغْرافيَّةٌ، ولا حُدُودٌ، ولا ألوانٌ، ولا أسماءٌ.

ونَعْتقد أنَّ الوَلَاءَ والبراءَ علىٰ المَنْهج والعَقِيدَةِ، ورُدُودنا عَلَىٰ الحِزْبيِّينَ، والتَّكْفيريِّينَ، ومَنْ لَفَّ لَفَّهم أكثر من أن تُذْكَر في هَذَا المَقَام مع اسْتِغْفارِ ربِّي عَزَّوَجَلَّ.

أمَّا أنَّه قال الشَّيخ: ولكن نقلت عنهم... يعني: أنَّ السَّائل نقل لنا عنهم - عنَّا - أنَّنا نُؤيِّد أبا الحسن والمغراوي، ونُزكِّيهم.

وهَذَا في الحَقِيقَةِ كلامٌ غَيْر صحيحٍ؛ نَحْن ننتقدُ أبا الحَسَن، ونَنْتقدُ المغراويَّ فِيمَا أَخْطؤوا فيه، ونَحْن بيَّنَّا ما عندهم من مُلَاحظاتٍ؛ لكن لا يُمْكن أنْ نَرضىٰ لأَنْفُسِنَا أَنْ نكونَ نُسْخةً طبق الأَصْل عن أيِّ إنسانٍ كانَ، مَهْما كان وزنُهُ، ومَهْما عَلَا اسمُهُ؛ حتَّىٰ شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمْ نكُنْ لنُقلِّده، ولَمْ نكُنْ لنَتَّبع قوله هَكَذا في هذه المسَائل.

وبخَاصَّةٍ أنَّ هُنَاك من كِبَارِ المَشَايخ في بِلَادِ الحرَمين الشَّريفينِ؛ مَنْ لا يَزَال يُؤيِّد أبا الحسَن، ويُؤيِّد المغراويَّ، ويُزكُّونهم؛ فهَلْ يَعْني يَسْتطيعُ السَّائلُ أو المجيبُ - حَفِظَ الله الجميعَ - أن يُعمِّموا هذه الفَتْوىٰ بأنَّ مَنْ عليه هذِهِ المُلَاحظة لا يُؤخَذ عنه العِلْمُ؟! حتَّىٰ لو كانَ من كِبَارِ المشائخ؟! ولا أُرِيدُ أَنْ

أُسمِّيَ في هَذَا المقام؛ لكن مَعْروفٌ أَسْماء المَشَايخ الكِبَارِ الَّذين لا يَسْتطيعُ أحدٌ التَّشْكيكَ فيهم؛ مَعْروفٌ ثَنَاؤهم على هَذَا أو ذَاكَ، وَفَّقَ اللهُ الجميعَ؛ لكن قَدْ تكونُ نقطةُ الخلاف أَنَّنا مع مُلَاحَظاتنا على أبي الحَسَن، وعلى المغراوي، وقَدْ وَاجَهْناهُمَا في بَعْض الأَمْر؛ أَنَّنا لا نُخْرجُهمْ من السَّلفيَّة؛ فهَذِهِ قَضيَّةٌ ثانيةٌ؛ نَحْن إِخْرَاجنا من السَّلفيَّة لزيدٍ أو عمروٍ لا يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا على التَّقليد، ولا يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا على الإمعيَّة، وإنَّما يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا عَلَى العِلْمِ، وعَلَى الدِّين، وعلى الحُجَّة؛ فإذا ظَهَر لنا الدَّليلُ، وبَانَتْ لَنا الحُجَّة؛ فإِنْ شاء الله لن نُكابرَ، ولَنْ نَسْتكبرَ، ولَنْ نَظْلم أنفسنا بمُنَاقضة الحقِّ، ومُخَالفة أَهْل العِلْمِ؛ لكن لا يَرْضى عالمٌ سلفيٌّ سُنِّيٌّ يَدْعو إلى الكِتَابِ والسُّنَّة، ويَنْبذ التَّقليد والإمعيَّة.

لا أظنُّ أحدًا من هَذَا الصِّنْف يَرْضى أن يتَّبع قوله أحدٌ من النَّاس دون أن يكونَ منه القَنَاعة الشَّرعيَّة في هَذَا القول؛ فما ظَهَر لك قَدْ لا يَظْهر لي، وما ظَهَر لي قَدْ لا يَظْهر لك.

ويَنْبَغِي أَنْ نَتَوَاصى بالحقِّ، ونَتَوَاصى بالصَّبر؛ فإذا ضَاقَت الأُمُورُ، واخْتَلَفْنا في فُلانٍ؛ فلا يَجُوز ألبتَّة أَنْ نَجْعلَ اخْتِلَافَنا في غَيْرنا سببًا للاخْتِلَافِ بَيْننا، وإلَّا كانَ سبيلًا كبيرًا يَسْتفيدُ منه المُخَالفونَ أَكْثَر ما يَسْتفيدُونَ، وهَذِهِ نقطةٌ كُبْرى.

للتَّاريخ؛ إنَّ كثيرًا من الخِلَافِ الَّذي جَرَى في السَّنَوات الأخيرة بَيْنَ السَّلفيِّين؛ كان أكثر المُسْتفيدِينَ منه وللأَسَف هُمُ المُخَالفونَ من أَهْلِ البِدَعِ، ومِنَ الحِزْبيِّينَ، ومِنَ التَّكْفيريِّينَ، ومِنَ السُّروريِّين، ومن القُطْبيِّينَ.

أظنُّ أنَّ ما جَرَى حَوْل المغراويّ، وأبي الحَسَن؛ وهَذِهِ المَسَائل يَنْبغي أن يطْوَى الآن بعد هَذِهِ السَّنوات؛ لا أقول يُطْوى كتَحْقيقِ مَسَائل عِلميَّة مَنْهجيَّة

عقائديّة؛ فقد حُقِّقت، والحمدُ لله، وظَهر الصَّوابُ؛ لكن لا ينبغي أنْ يستمرَّ الأمْرُ في الامْتِحَانِ للأشخاص، وامْتِحَانِ النَّاس، وبثِّ الفُرْقةِ بيْنهم علَىٰ هَذَا وذَاكَ.

فمِثْلُ هَذَا الامْتِحَانِ لا يَكُونُ علَىٰ مَنِ اتَّفقَتْ كلمة أَهْل السُّنَّة وعُلمائهم علَيهم؛ نقدًا وطَعنًا، أو ثناءً، أو مَدْحًا.

ولا أظنُّ أنَّ الأمرَ كذَلِكَ فِي هَذَيْنِ، أو مَنْ لفَّ لَفَّهما، وأُكَرِّر أنَّ هَذَا القولَ مِنِّي لا يَعْني التَّهاونَ فِي تَحْقيق الحقِّ في المَسَائل الَّتي انْتقدوا فِيهَا؛ بَلْ نَحْن نُبيِّنها، ونُنْكرها، ونَرُدُّها، ونُبْطلها، ولكن يَنْبغي أَنْ يكونَ ذَلِكَ كلُّه فِي باب الحِرْصِ، والشَّفَقَة عليهم؛ حتَّىٰ يَرْجعوا إلىٰ الحقِّ فِيمَا خالَفونا فيه، وخالَفوا مَشَايخنا؛ وأظنُّ أنَّ هَذَا كفايةٌ، وإنْ كنت قَدْ أطَلتُ شَيْئًا ما؛ لكن أَرْجُو أن يكونَ فيه الخيرُ، وأَنْ يكونَ فيه التَّوفيقُ.

علي حسن الحلبي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آلِه وصحبِه، وبَعْدُ:

فَقَدْ وَصلتْ إليَّ أوراقٌ من فضيلة الشَّيخ علِي حسن عبد الحميد الحلبي يظهر أنَّها مَأْخوذةٌ من الإنترنت، قَالَ فِيهَا: «قَبْل صلاة المغرب، وأنا متَّجهٌ إلىٰ هنا لإِقَامةِ هَذَا اللِّقاء المُبَارك؛ اتَّصل بي بَعْض الإخوة، وقَرؤوا علَيَّ فتوَىٰ مَنْقولة في بَعْض صَفَحات الإنترنت عن فضيلة الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي - حفظه الله تَبارك وتَعالىٰ - ويَبْدو أنَّ الفَتْوىٰ قريبةٌ منذ ثَلَاثة أيَّامٍ فقط (يوم الإثنين)، فيَقُول السَّائل: هَلْ تَنْصحُونَنا بأَخْذ العِلْمِ من مَشَايخ الأردن في العقيدة؛ وهم شُيُوخ مَرْكز الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ فأَجَاب فضيلةُ الشَّيخ:

«هَؤُلَاءِ مَعْدُودونَ من السَّلفيِّين؛ ولكن نقلت عَنْهم (أي: السائل) أنَّهم يُؤيِّدون أَبِي الحَسَن - هَكَذا في النُّسخة الَّتي بَيْنَ يَدَي، والصَّواب: أبا الحَسَن، واللهُ أَعْلم -، ولكن نقل عنهم أنَّهم يُؤيِّدون أبا الحَسَن، ويُؤيِّدون المغراويَّ، ويُزكُّونَهم، ومَنْ يُزكِّي المغراويَّ التَّكفيريَّ؛ فإنَّ عَلَيه مُلَاحظات، ولا نَسْتطِيعُ أَنْ نقولَ فِيهِ أنَّه يُؤخَذ عَنْهم العلم». انتهىٰ كلامُهُ، حفظه الله.

ثمَّ قال: «الحَقِيقَة أنا تأمَّلت، وتَردَّدتُ أَنْ أُعلِّقَ علىٰ هَذِهِ الفَتْوىٰ، والشَّيخ من أَهْل العِلْمِ الأَفَاضل، ولا نُزكِّيهمْ عَلَىٰ الله، والْتَقينَا به في بَعْض سَنَوات الحجِّ؛ قَبْل حَوَالي سبع أو ثماني سنواتٍ؛ وهو مَعْروفٌ في نُصْرة السُّنَّة، والعقيدة، والمنهج، ولله الحمد، كُتبُهُ نَحْرص عَلَيها، وندلُّ عَلَيها، وعلمُهُ معروفٌ؛ لَكِنْ لَيْس من شَرْط العالم - كَما هو بَدَهيٌّ - أن يصيبَ في كلِّ ما يقول، فكلُّ بني آدم خَطَّاءٌ، وخَيْر الخَطَّائينَ التَّوابونَ، ونَحْسب أنَّ خطأ العالم

في اجتهادِهِ وباجتهادِهِ هو مأجورٌ عليه غير مَأزورٍ؛ لكنَّه أجرٌ واحدٌ دون الأجرين إن شاء الله، وأنا أعتقدُ أنَّ هَذِهِ الفتوىٰ فيها ما فيها؛ أمَّا أنَّنا معْدُودونَ من السَّلفيِّين؛ فالحمد لله، ذَلِكَ من فَضل الله، ونَحن نَدعو إلىٰ الدَّعوة السَّلفيَّة، والعقيدة السَّلفيَّة، ونُؤازِرُ مَشَايخنا في كلِّ مكانٍ؛ لا يَمنعُنا مِنهم جُغْرافيَّةٌ، ولا حُدُودٌ، ولا ألوانٌ، ولا أسماءٌ، ونَعتقد أنَّ الوَلَاءَ والبراءَ علىٰ المَنْهج والعَقِيدَةِ». اهـ.

وأقولُ: هَذَا ما نَعْتقدُهُ، ونَدِينُ الله به، ونَأْخُذُ أنْفسنا بالعَمَل عليه أخذًا بتَوْجيهات رَبِّنا؛ حيث يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٠].

والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، رَوَاه مسلمٌ عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

ويَقُول: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَر وَالحُمَّىٰ»، رَوَاه مسلمٌ عن النُّعْمان بن بشيرٍ(٢).

أمَّا قولي: «وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ فيه: إنَّه يُؤخَذ عنهم العلم»، فذَاكَ ما رَأَيت أنَّه الوَاجِبُ عليَّ بحَسَب ما عندي من العِلْم في ذَلِكَ الوَقْت؛ لأنَّ الشَّبابَ السَّلفيِّين في المغرب أرْسَلوا لي نشرةً يذكرون فيها ما لُوحِظَ علىٰ المغراويِّ مِن وُقُوعِهِ في التَّكفير، وذَكَروا أسماء علماء أُرْسِلَتْ إليهم كَمَا أُرْسِلَتْ إليَّ، والشَّيخ علي حسن منهم؛ وهَذِهِ النَّشرة مَلِيئَةٌ بما يدلُّ علىٰ أنَّ المغراويَّ تكفيريٌّ، ويُسمِّي الَّذين يأتون بالمُغنِّين للزِّفاف يُسمِّيهم: عُجُولًا، ويَخْلطُ بين المُكفِّر،

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

وغير المُكفِّر، ويَجْعلها كلَّها مُكفِّرةً؛ فحينما بَلَغني أنَّه يُؤيِّدُ المغراويَّ، ويُثْني عليه، الحقيقةُ أنِّي فُوجئتُ؛ فإذا كان أنت - يا شيخ عليّ - تقولُ: إنَّك لا تُقرُّهُ، ولا تُؤيِّدُه، وقَدْ نصحتَه هو وأبا الحسن.

أَقُولُ: كان يَنْبغي أن تُبْديَ تبرُّؤكَ منه، وغَضَبك عليه؛ أمَّا كَوْنك لَمْ تُبْدِ غَضَبك عليه، ولا امْتِعَاضك من اتِّجاهِهِ الخارجيِّ السَّيِّئ؛ فأنا لا أُلَامُ علىٰ ما قُلْتُه، واللهُ يَعْلمُ أنِّي ما قصدتُ غير إِرْضَاء ربِّي عَزَّوَجَلَّ، فأَهْلُ السُّنَّة الرَّابطةُ بَيْنهم هي السُّنَّة، والسَّيْر عليها، والمُوَالاةُ، والمُعَاداة مِن أَجْلها، ويَعْلمُ الله أنِّي لَمْ أَقْصِدْ بقَوْلي إرضاءَ أحدٍ غير ربِّي جلَّ شأنُه، وعزَّ سُلطانُه، ولستُ أُزكِّي نفسي مِن الوُقُوع في الخطإ أحيانًا؛ شَأْني شأن غَيْري من البَشَر.

وقَوْل الشَّيخ علي حَسَن الحلبيّ حفظه الله: «ونُؤازِرُ مَشَايخنا في كلِّ مكانٍ؛ لا يَمْنعُنَا مِنهم جُغْرافيَّةٌ، ولا حُدُودٌ، ولا ألوانٌ، ولا أسماءٌ، ونَعْتقد أنَّ الوَلَاءَ والبراءَ علىٰ المَنْهج والعَقِيدَةِ»:

وأقولُ: هَذَا هُوَ الوَاجِبُ، فمَنْ قَامَ به نَجَا، ومَنْ قَصَّر فيه فَسَيجد مَغبَّة ذَلِكَ التَّقصير إلَّا أنَّ تِلْكَ المُؤازَرة يجب أن تكُونَ مُقيَّدةً بما يَأْتِي؛ وهو قَوْلنا: ما دَامُوا علىٰ المَنْهج الصَّحيح، والاتِّجاه السَّليم؛ فإنْ حَصَل من أَحَدٍ مِنْهم جُنُوحٌ عن المَنْهج الصَّحيح، أو مَيْلٌ عن الاتِّجاه السَّليم، وَجَب نُصْحُهُ، وإشعارُهُ بخَطَئِهِ؛ لعلَّه يَتُوب، ويُنِيبُ؛ فإنْ فَعَل، فهو علىٰ مكانتِهِ الأُولَىٰ عند أهل السُّنَّة.

وقوله حفظه الله: «ورُدُودنا عَلَىٰ الحِزْبيِّينَ، والتَّكْفيريِّينَ، ومَنْ لَفَّ لَفَّهم أكثر من أن تُذْكَر في هَذَا المَقَام مع اسْتِغْفارِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ».

وأقول: هَذَا هو الوَاجِبُ عَلَينا جميعًا، واللهُ تَعالىٰ يَقُول: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ

فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ [آل عمران: ١١٥].

فَمَا فَعَله الإِنْسانُ لله، فلَنْ يَضِيعَ عند الله؛ بَلْ هو مَحْفوظٌ لَدَيه، ومُدَّخرٌ عنده؛ قَالَ تعالىٰ: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

أَمَّا قولُهُ وَفَّقه الله: «أمَّا أنَّه قال الشَّيخ: ولكن نقلت عنهم... يعني: أنَّ السَّائل نقل لنا عنهم - عنَّا - أنَّنا نُؤيِّد أبا الحَسَن والمغراوي، ونُزكِّيهمْ؛ وهَذَا في الحَقِيقَةِ كلامٌ غَيْر صحيحٍ؛ نَحْن ننتقد أبا الحَسَن، ونَنْتقد المغراوي فِيمَا أَخْطؤوا فيه، ونَحْن بيَّنَّا ما عندهم من مُلَاحظاتٍ»:

وأَقُول: إنْ كانَ ما قُلْتم حقًّا أنَّكم أَنْكرتُمْ عليهم، ولَمْ يَقْبلوا؛ فَلِمَ لَمْ تُظْهروا خَطَأَهُمْ، وتُبيِّنُوه أمامَ النَّاس، وتَتبرَّؤوا منهم؟

ثانيًا: نَحْن ما زِلْنا نَسْمع أنَّ مَشَايخَ الأردن ما زَالُوا يَسْتقبلونَ المُبْتدعةَ؛ أبا الحسن المأربي، والمغراويَّ، وقَدْ سُئِلْنا كثيرًا عن ذَلِكَ؛ فقُلْنا: إنْ كانَ ما قِيلَ حقًّا أنَّ علي بن حسن الحلبي، وسليم بن عيد الهلالي ما زَالُوا يُؤيِّدونَ أبا الحَسَن المأربي، ومُحمَّد بن عبد الرَّحمن المغراويّ؛ فنَحْن لا نَسْتطيعُ أَنْ نأمرَ بالأَخْذ عنهم؛ لأنَّا نَقْرأ عن السَّلَف أنَّهم يَقُولونَ: «مَنْ أَيَّد المبتدعَ، ثُمَّ نُصِح ولَمْ يقبل؛ أُلْحِقَ به في الهَجْر له، وعَدَم الانْبِسَاطِ إِلَيْهِ، وعَدَم الأَخْذ عَنْه»؛ فنَحْن لَمْ نقل شيئًا من عِنْدِنَا؛ لقَدْ قالَ عَبْد الله بن مُحمَّد الضَّعيف: «قَعَدُ الخَوَارِجِ أَخْبَثُ الخَوَارِج»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص٢٧١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة «فتح الباري» (ص٤٣٢): «القَعديَّة: قومٌ من الخوارج كانوا يقولون بقولِهم، ولا يرون الخروج، بل يُزيِّنونه».

=

قَالَ ابْنُ بطة في الأثر تحت رقم (٤١٩): «رَوَىٰ بِسَنَده إِلَىٰ الأعمشِ كَانُوا لَا يَسْأَلونَ عن الرَّجُل بَعْد ثلاثٍ: مَمْشَاه، ومُدْخله، وإلْفه مِنَ النَّاس».

وقَالَ أيضًا تحت رقم (٤٢٠): «رَوَىٰ بسَنَده إلىٰ مُحمَّد بن سهم؛ قالَ: سمعتُ بَقيَّة قال: كانَ الأَوْزاعيُّ يقول: مَنْ سَتَر عنَّا بِدْعتَه، لَمْ تَخْفَ عَلَينا أُلفتُهُ».

وقَالَ أيضًا أثرًا برقم (٤٢١): «بِسَنَدِهِ إلىٰ يَحيىٰ بن سعيد القَطَّان يقُول: لمَّا قَدِمَ سُفْيانُ الثَّوريُّ البصرةَ، جَعَلَ يَنْظرُ إلىٰ أمْر الرَّبيع بن صبيح، وقَدْره عند النَّاس؛ سأل: أيُّ شيءٍ مَذْهبُه؟ قالوا: ما مَذهبُهُ إلَّا السُّنَّة؛ قال: مَنْ بِطَانتُه؟ قالوا: القَدَريَّة؛ قال: هو قدريٌّ.

قال الشَّيخ (يعني ابن بطة): رَحْمةُ الله علىٰ سُفْيان الثَّوريِّ؛ لقَدْ نَطَق بالحِكْمةِ فصَدَق، وقَالَ بعِلْمٍ فوَافَق الكتابَ والسُّنَّة، وما تُوجِبُه الحِكْمة، ويُدْركه العَيَان، ويَعْرفه أَهْلُ البَصيرَةِ والبَيَانِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾.

وقَالَ الإمامُ ابْنُ بَطَّة - أيضًا - تحت رقم (٤٢٢) بسَنَدِهِ: «حَدَّثنا الأَصْمعيُّ؛ قالَ: سمعتُ العَبَّاس بن الفرج الرياشي؛ قالَ: حَدَّثنا الأصمعيُّ؛ قالَ: سمعتُ بَعْض فُقَهاءِ المَدِينَةِ يَقُول: إِذَا تَلَاحمت بالقُلُوب النِّسبة؛ تَوَاصلَتْ بالأَبْدانِ الصُّحْبة.

قال الشَّيخ (يعني ابن بطة): وبِهَذَا جاءت السُّنَّة».

=

وَذكر فِي «الإصابة» (٥/ ٣٠٣) أن عِمران بن حِطَّان: «تابعيٌّ مشهور، وكَان من رؤوس الخوارج من القعدية - بفتحتين - وهم الذين يُحسِّنون لغيرهم الخروج عَلَىٰ المسلمين، ولا يُبَاشرون القتال، قَالَ المبرد، وقيل القَعَدية: لا يرون الحرب، وإن كانوا يُزينونه».

وقال في «التهذيب» (٤/ ٣٩٨) في ترجمة عمران: «والقَعَد: الخوارج كانوا لا يرون الحرب، بل يُنكرون عَلَىٰ أمراء الجَوْر حسب الطاقة، ويَدعون إلىٰ رأيهم، ويزينون مع ذَلِكَ الخروج ويُحسنونه».

ثمَّ رَوَىٰ حديثًا من طُرُقٍ برقم (٤٢٣ - ٤٢٦): «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»، وقَدْ ذَكَرَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» برقم (٢٧٦٨)، وقال الطبراني: (خ) عن عائشة، (حم) (م) (د) عن أبي هُرَيرة، (طب) عَن ابْنِ مَسْعودٍ. قَالَ الألباني: «صَحِيح».

وبالجُمْلة، فإنَّ الأدلَّة مِن الكِتَابِ والسُّنَّة، وعَمَل السَّلَف الصَّالح أنَّ مَنْ آوَىٰ أَهْل البِدَعِ، أو جَالَسهم، أو آكَلَهم وشَارَبهم، أو سَافر مَعَهم مختارًا؛ فإنَّه يُلْحقُ بهم؛ لا سِيَّما إذَا نُصِحَ، وأصرَّ عَلَىٰ ما هو عليه، حتَّىٰ ولَوْ زَعَمَ أنَّه إنَّما جالَسَهم ليُناصِحهم؛ لا سيَّما والمغراويّ نَزْعتُهُ خَارجيَّةٌ وَاضِحَةٌ في النَّشرة الَّتي أُرْسِلَتْ إلَينا.

ثالثًا: أنَّكم لَوْ أنْكَرتم عَلَيهم إنْكَارًا علنيًّا، ولَمْ تَسْتقبلوهم لذُكِرَ ذَلِكَ، ولما تَنَاقل النَّاسُ أنَّكم تُؤيِّدونَهم، وأنَّكم رَاضُونَ عَنْهم.

أمَّا قَوْل الشَّيخ وَفَّقه الله: «لكن لا يُمْكن أن نَرْضىٰ لأنْفُسِنَا أَنْ نكونَ نُسْخةً طبقَ الأَصْل عن أيِّ إنسانٍ كانَ، مَهْما كان وزنُهُ، ومَهْما عَلَا اسمُهُ؛ حتَّىٰ شيخنا الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ نكُنْ لنُقلِّده».

وأقولُ: مَنْ هُو الَّذِي كلَّفكم بِهَذَا؟

وثانيًا: مَنْ وَافَق شخْصًا لكونِهِ رأىٰ أنَّ الدَّليلَ معه، فإنَّه لا يُعَدُّ موافقًا للشَّخص، ولكنَّه يُعَدُّ موافقًا للدَّليل؛ وهَذَا هو التَّقليد المُبَاح.

واللهُ تَعَالىٰ أَخْبَرنا أنَّ المؤمنينَ سَبيلُهمْ واحدٌ، وأنَّه يَتبع بَعْضُهم بعضًا في الحقِّ، ويَسْتغفر آخرُهم لأوَّلهم؛ فقالَ تعَالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النِّساء: ١١٥]،

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فليسَ أحدٌ مِن المُؤمِنينَ أو من العُلماءِ مُسْتقلًّا بنفسِه، ولكن يَتَّبع بَعْضُهم بعضًا علَىٰ العَقِيدَةِ والأحْكام الشَّرعيَّة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النَّحل: ١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وبالجملة، فمَنِ اتَّبع شخصًا في قولٍ أو أقوالٍ، فإنَّه لا يُقَال: إنَّه صَارَ نُسْخةً طِبْقَ الأَصْل من فُلَانٍ.

أمَّا الشَّيخُ الألبانيُّ فهُوَ شَيْخُنا جميعًا، كلُّنا تَتَلْمذنا، ونَتتلْمَذ علىٰ كُتُبِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنْ كنَّا قَدْ نُخَالفه في بَعْض الآراء أحيانًا، ونُدَافع عنه إذَا ظُلِمَ، ولي رسالةٌ سَمَّيتها: «**ردُّ المَيْن والكَذِب والتَّهْويش الَّذي لَفَّقه علىٰ فضيلة الشَّيخ الألبانيِّ مُوسىٰ الدُّويش**»، طُبعت ضمن الجزء الثَّاني من «الفتاوىٰ الجليَّة عن المناهج الدَّعويَّة»، ورَدَدتُ علىٰ مَنْ زعَمُوا أو يَزْعمونَ أنَّ الألبانيَّ مرجئٌ، كَبُرتْ كلمةً قَالُوها؛ وكذبة اخْتلَقُوها، ولَمْ أَفْعَل ذلك تَزلُّفًا إلىٰ أحدٍ، ولا تَضامنًا مع أحدٍ، ولكن اتِّباعًا للحقِّ، وتأييدًا له، وإنِّي لأَحْمَد اللهَ، وأَشْكرُه علىٰ تَوْفيقِه وتَسديدِه، وأسألُه أَنْ يَرْزُقنِي أنا وإِخْوانِي السَّلفيِّينَ السَّائرين علىٰ العقيدةِ الصَّحيحة؛ عقيدة أَهْل السُّنَّة والجَمَاعة، والتَّمشِّي مع الدَّليل في كلِّ مسألةٍ من مسائل الدِّين؛ نَسأَلُ اللهَ أن يُثبِّتنا علىٰ الحقِّ حتَّىٰ نَلْقاه، ونَعُوذُ به من الفِتَنِ ما ظَهَر منها وما بطَن.

ثمَّ قالَ وَفَّقه الله: «وبخَاصَّةٍ أنَّ هُنَاك من كِبَارِ المَشَايخ في بِلَادِ الحرَمين

الشَّرِيفَينِ؛ مَنْ لا يَزَال يُؤيِّد أبا الحسَن، ويُؤيِّد المغراوي، ويُزكُّونهم؛ فهَلْ يَعْني يَسْتَطِيعُ السَّائِلُ أو المجيبُ - حَفِظَ الله الجميعَ - أن يُعمِّموا هذهِ الفَتْوَىٰ بأنَّ مَنْ عليه هذهِ المُلاحظة لا يُؤخَذ عنه العلمُ؟!حتَّىٰ لو كانَ من كبارِ المشائخ؟! ولا أُرِيدُ أَنْ أُسمِّي فِي هذا المقام؛ لكنْ مَعْروفٌ أَسْماء المشايخ الكِبَارِ الَّذين لا يَسْتطيع أحدٌ التَّشْكيكَ فيهم». اهـ.

وأَقُول أوَّلًا: ما كلُّ مَنْ فِي بِلَادِ الحرمَينِ علىٰ عقيدةٍ واحدةٍ؛ بَلْ مِنْهم الحِزْبِيُّ المُستَّر، ومِنْهم السُّنِيُّ الَّذي لا يريد أن يُجابهَ أحدًا، ومِنْهم السَّلفيُّ الَّذي أَخَذ نَفْسه بأَنْ يقولَ كلمةَ الحقِّ ما دَامَتِ المَصْلحةُ مَضمونةً في قَوْلها، ثمَّ سمِّ لَنا هؤُلاء المَشائخ حتَّىٰ نُناصحهم، وأَعتقدُ أنَّ مَن يُؤيِّدُهم ويُزكِّيهم - إِنْ كانوا سَلفيِّين - أَعْتقدُ أنَّهم لَمْ يَقرؤُوا، ولَمْ يَقِفُوا علىٰ ضلالاتِ هذَيْنِ الرَّجُلينِ، ولا يَجوز لكَ أَنْ تحتجَّ بِهِمْ، وقَدْ عَرفتَ ما عند هذَين الرَّجلينِ من الانْحرافِ؛ بَلْ يَجِبُ عليك مُناصحتُهم، والابْتعادُ عنْ طريقتِهم.

ثانيًا: ومَنْ أَثْنَىٰ علىٰ المغراوي بَعْد أَن عَلِمَ نزعته الخَارجيَّة يَجِبُ أن يلْحقَ به، ولا أَعْلَمُ أنَّ أحدًا مِن أهل السُّنَّة المَعْروفِينَ سيَتوقَّف عَنْ إلحاقِه به.

ثالثًا: أنَّ أَهْلَ السُّنَّة إنَّما نالُوا ما نالُوا مِن الشَّرَف، والتَّقدُّم بما هم عليه مِن الاستقامة علىٰ الحقِّ، والسَّيْر مع الدَّليل، وعلىٰ فَهْم السَّلَف الصَّالح؛ فلا أَتصوَّر أنَّ أحدًا منهم سيُجَامل أحدًا من النَّاس في دين الله.

ثمَّ إنَّ قولَ الشَّيخ وَفَّقه الله: «فهَلْ يَعْني يَسْتطيعُ السَّائِلُ أو المجيبُ - حَفِظَ الله الجميعَ - أن يُعمِّموا هَذِهِ الفَتْوَىٰ بأنَّ مَنْ عليه هذه المُلاحظة لا يُؤخَذ عنه العلمُ؟!حتَّىٰ لو كانَ من كِبارِ المشائخ؟!»:

وأقول: نَعَمْ، وأَنَا أُعْلِنُها صريحةً بأنَّ مَنْ يَقُول بقَوْل الخَوَارج لَا يَجُوز أَنْ يُؤخَذ عنه العِلْمُ كائنًا مَنْ كانَ، وهَلْ وَقَعنا فيما وَقَعنا فيه، ووجد فينا المُفجِّرون، والمُكفِّرون، والمُدمِّرون إلَّا بسَبَبِ تَتلْمُذهم عَلَىٰ مَنْ يَقُولُونَ بقَوْل الخَوَارج، وعَلَىٰ كتب مَنْ يَقُول بقَوْل الخَوَارج، وهَلْ هَذِهِ المُلَاحظة بسيطةٌ؛ أَلَمْ يَقُلِ النَّبيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ أَقْوَامٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ[(١)]، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ»، رَوَاه البخاريُّ[(٢)].

وَفِي رِوَايَةٍ له: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٣)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «قَتْلَ ثَمُود»، رَوَاهما البخاريُّ ومسلمٌ[(٤)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»[(٥)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ قَتَلُوهُ»، رَوَاهما أَهْلُ السُّنَنِ[(٦)].

وفي روايةٍ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ»، رَوَاها

---

(١) «حدثاء الأسنان» جمعُ حديث السِّنِّ، وهو الصَّغير. «سُفهاء الأحلام» أي: ضُعفاء العُقول، والسُّفهاء: جمعُ سَفيهٍ، وهو الطَّائشُ خفيفُ العقل.

(٢) أخرجه البخاريّ (٥٠٥٧) من حديث عليّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجها البخاريّ (٧٤٣٢) من حديث أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه، و«قَتل عادٍ»، أي: قتلًا عامًّا مُستأصلًا، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨].

(٤) أخرجها البخاريُّ (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، مِن حديث أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه.

(٥) أخرجها الترمذيُّ (٣٠٠٠) مِن حديثِ أبي أُمامة رضي الله عنه، وحَسَّنهُ الألبانيُّ في «المشكاة» (٣٥٥٤).

(٦) أخرجها الترمذيُّ (٣٠٠٠)، والبيهقيُّ في «الكُبرىٰ» (١٦٧٨٣) مِن حديثِ أبي أُمامةَ رضي الله عنه، وحَسَّنه الألبانيُّ في «المشكاة» (٣٥٥٤).

البُخَارِيُّ ومسلمٌ(١).

وفي روايةٍ: «كِلَابُ النَّار»، كَمَا رَوَهَا ابْنُ مَاجَه في المُقَدِّمة(٢).

أَبَعْدَ هذه الرِّواياتِ يُقال: إنَّ هذهِ المُلاحظةَ بسيطةٌ، وأنَّه لا يَنْبغي أنْ يُقالَ: إنَّه لا يُطْلَبُ العلمُ علىٰ صاحِبِها، أو أنَّ مَنْ قالَ بهذَا القول سيُجَامِلُه بَعْضُ النَّاس؟!

ثمَّ قالَ الشَّيخُ وَفَّقه اللهُ ورَزَقه إصابةَ الحَقِّ: «لكن قَدْ تكونُ نقطةُ الخلاف أَنَّنا مع مُلَاحَظاتنا علىٰ أبي الحَسَن، وعلىٰ المغراوي، وقَدْ وَاجَهْناهُمَا في بَعْض الأَمْر؛ أَنَّنا لا نُخْرِجُهمْ من السَّلفيَّة؛ فهَذِهِ قَضيَّةٌ ثانيةٌ»:

وأقول: هَذَا اعْتِرافٌ من الشَّيْخ عليٍّ الحلبي بتَسَاهُلِهِمْ مَعَ المأربي والمغراوي؛ بأنَّه لَمْ يَكُنْ مِنهم إِنْكارٌ جِدّيٌّ يُفْهَم ذَلِكَ من قولِه: «وَقَدْ وَاجَهْناهُمَا في بَعْض الأمر»، أنَّ المُوَاجهةَ لَمْ تكُنْ جِدِّيَّةً إِنْ كَانَتْ حَصَلتْ؛ وأنَا لا أُكذِّبُ الشَّيخ، ولكن لَعلَّها كانت بالهُوَيْنىٰ من غير جَرْحِ مَشَاعر، ولا إِثارةِ غَضَبٍ، والَّذي يَنْبغي هو أَنْ يَكُونَ غَضبُنَا لله قويًّا، وإِنْكَارُنا لِمَا يُغْضبه شديدًا.

وأمَّا قوله: «أنَّنا لا نُخْرِجُهمْ من السَّلفيَّة؛ فهَذِهِ قَضيَّةٌ ثانيةٌ»:

والصَّوابُ: أَنَّنا لَمْ نُخْرِجهم من السَّلفيَّة، وأقول: لِماذا لَمْ تُخْرِجوهم من السَّلفيَّة مع وُضُوح بِدْعَتِهِمْ، وغِلَظِهَا.

أمَّا المغراوي فَاقْرَؤوا النَّشرة الَّتي كتبت عليه من أشرطتِه بأَرْقَام الأَشْرطة، ويظهر واضحًا مِمَّا دُوِّن عليه أنَّه خارجيٌّ مُحْترقٌ، وأمَّا المأربيُّ فالمُلَاحظُ عليه

---

(١) أخرجها البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها ابن ماجه (١٧٣) من حديث ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن ابن ماجه» (١٤٣).

بدعٌ أُخرىٰ؛ وهو صاحبُ المغراوي وصديقُهُ؛ فهَلْ فِي أَمْرهما إِشْكالٌ بَعْد هذا حَتَّىٰ تَتوقَّفوا في إِخْراجِهِمْ مِن السَّلفيَّة.

ما هُوَ فِكْرُ الخَوَارج؟

أَلَيْسَ هُوَ تَكْفيرُ المُسْلمين؟

أَلَيْسَ هُوَ اسْتِبَاحةُ دِمَائِهِمْ، وأَمْوَالِهِمْ، وأَعْرَاضِهِمْ؟

أَلَمْ يَسْتحلُّوا دَمَ عُثْمان ذي النُّورَين، وثَالِثِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ؟

أَلَمْ يَسْتحلُّوا دمَ عليٍّ بن أبي طالبٍ رابعِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ؟

أَلَمْ يَسْتحلُّوا دمَ عبد الله بن خبَّاب، ويَبْقروا بطنَ سُرِّيَّتِه الحُبْلىٰ؟

أَلَمْ يُعيِّن المُهَلَّب بن أبي صُفْرة لِقِتَالِ الخَوَارج في عَهْد بَنِي أُميَّة؟

أَلَمْ يَتكرَّر خُرُوجُ الخوارج في عَهْد بني العَبَّاس؟

أَلَمْ يَسْتحلُّوا دماءَ خِيارِ المُؤمنينَ في كلِّ زمانٍ؟

والآن أَلَا تَرَوْنَ ما وَقَع منهم من الغُلوِّ، والتَّكْفير، والتَّفْجير.

اسْتَقْرؤوا كُتُبَ المناهج الَّتي دَوَّنتْ آثارَ السَّلَف؛ هَلْ تَجِدُونَ أحدًا من السَّلَف أَدْخَل الخوارجَ في المَنْهج السَّلفيِّ، وَعَدَّهم من أهلِه؟ أَمْ أَنَّهم ذَمُّوهم، وعَابُوهمْ، وجعَلوهم من شِرَارِ المُبْتدعةِ.

ثمَّ قَالَ وَفَّقه اللهُ وأَلْهمه الصَّواب: «نَحْن إِخْرَاجُنَا من السَّلفيَّة لزيدٍ أو عمروٍ لا يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا علىٰ التَّقليد، ولا يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا علىٰ الإِمَعِيَّة، وإِنَّما يَنْبغي أن يكونَ مَبْنيًّا عَلَىٰ العِلْمِ، وعَلَىٰ الدِّين، وعلىٰ الحُجَّة؛ فإذا ظَهَر لنا الدَّليلُ، وبَانَتْ لَنا الحُجَّة؛ فإِنْ شاء الله لن نُكابرَ، ولَنْ نَسْتكبرَ، ولَنْ نَظْلم أنفسنا بمُنَاقضة الحقِّ، ومُخَالفة أَهْل العِلْمِ». اهـ.

وأقولُ: يَعْلمُ اللهُ أنَّا لَمْ نَقُلْ ما قُلْنا تقليدًا لأحَدٍ، ولَا تَضامُنًا مع أحَدٍ، وإنَّما كانَ ذلكَ بِناءً علىٰ ما صحَّ عندَنا، وثَبتَ لَديْنا بالأدلَّة علىٰ ذلكَ، ولَسْنا -بحَمْدِ الله- مِمَّنْ يُقلِّد في مِثْلِ هذه الأُمور، أو مِمَّنْ يتضامَنُ مع الغَيْرِ بِلَا حُجَّةٍ، ولا نَتَّهِمُ أحدًا بذلكَ؛ فإنْ كُنْتَ إلىٰ الآنَ لَمْ يَتَّضحْ لكَ خارجيَّة المغراويّ؛ فاقْرأ النَّشرةَ الَّتي أرْسَلها الشَّبابُ السَّلفيُّ مِن المغرب.

ونَحْنُ لا نُطَالِبُ أحدًا بغَيْرِ الحقِّ، ولكنْ نُطالبُ المَشايخَ المحسُوبينَ علىٰ المَنْهجِ السَّلفيِّ أنْ تَجْتمعَ كَلِمتُهم علىٰ نُصْرةِ الحَقِّ، ونَبْذِ البَاطِلِ عُبوديَّةً لله وَحْده دُون سِواهُ.

ولَيْسَ المَقْصودُ أنْ نتكثَّر بالأشْخاصِ، نَعُوذ بالله مِن ذلكَ؛ فنحنُ نُؤمِنُ أنَّ الحقَّ مَنْصورٌ، ولَوْ لَمْ يكنْ عليه إلَّا واحدٌ، وأنَّ الباطلَ مَخْذولٌ، وإنْ أوْعَبَ عليه النَّاس[(١)]، ولَنا في أنْبياءِ الله عبرةٌ؛ فقَدْ نَصَر اللهُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجَمِيعُ قُوىٰ الأَرْض ضدّه؛ فقالَ للنَّار الَّتي كَانُوا قَدْ أعدُّوها لإحراقِهِ وَحْده، وتَعِبُوا عَلَيْها زمنًا طويلًا؛ فقَالَ اللهُ لَهَا: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فكَانَتْ كَذَلِكَ.

ونَحْن لا نَشُكُّ في قُدْرة الله عَلَىٰ الانْتِصَار لدينِه، وأَهْل دينِه، ولَكنَّا نَعْتقد أنَّ لله حِكَمًا لا نَعْلمُها، واللهُ تعالىٰ يقول: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمَّد: ٤].

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الحَقِّ: أَنْ يَنْصُروا الحقَّ، وأَنْ يَكُونوا في صفٍّ مَن يَقومُ به عُبوديَّةً لله تَعالىٰ، ولا يَجوزُ أَنْ نَقولَ لمَنْ نَصر الحقَّ: إنَّه إمَّعةٌ مَعَ مَنْ قَامَ به، بَلْ نَعْتقد أنَّه قامَ بالوَاجِبِ عَلَيه؛ امْتِثالًا لقولِه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ

---

(١) أي: دخلوا فيه كلهم، واجتمعوا علىٰ نصرته.

كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصَّف: ١٤].

ثمَّ قال: «فَإِذَا ضَاقَتِ الأُمُورُ، واخْتَلفنا في فُلانٍ؛ فلا يجوزُ البتَّة أَنْ نَجْعلَ اختلافَنا في غَيْرنا سببًا للاختلافِ بَيْننا، وإلَّا كانَ سبيلًا كبيرًا يَسْتفيدُ منه المُخالفونَ أكثَر ما يَستفيدونَ»:

وأَقُول: عَلَىٰ أيِّ شيءٍ يَجِبُ اجْتِماعُنَا؛ أَلَيْسَ علىٰ الحقِّ؟!

بَلَىٰ؛ فإِنْ خالَفَ الحقَّ أحدٌ، وَجَب علينا أوَّلًا أن نَنْصحَه، ونُبيِّنَ له؛ فإِنْ رَجَع، وإلَّا فإنَّه يجبُ عَلَينا أَنْ نَعْتبره شاذًّا، ونَرْفضه؛ فإِنْ أَيَّده أحدٌ، وأَعانَه علىٰ باطلِه أَنْكَرْنَا علىٰ المُؤيِّد؛ وهجرْناهُ.

وبالأخصِّ إذا كانتْ بدعتُه أو مخالفتُه واضحةً وضارَّةً؛ كبدعةِ الخوارج.

ولا يجوزُ أن نتركَ الإنكارَ علىٰ المُميِّع حرصًا علىٰ جَمْع الكلمةِ.

ولا شكَّ أنَّ بدعةَ الخَوارج بدعةٌ ضارَّةٌ بالدِّين؛ فإِنْ أَفْتينا بجَوَاز الأَخْذ للعِلْم عَمَّن يرىٰ رأيَ الخَوَارج؛ فقَدْ أعنَّا علىٰ هَدْم الدِّين، وشجَّعنا المفسدينَ.

وهلْ وجدَ فينَا التَّكفيرُ، والتَّفجيرُ، والتَّدميرُ إلَّا حينَ تتلمذَ مَجموعاتٌ من الشَّبابِ علىٰ هؤلاءِ، ومؤيِّديهم؟

ولا يَجوز أنْ نقولَ: هؤلاء يحفظونَ القرآنَ، وعِنْدَهُمْ عِلْمٌ؛ فالجهلُ خيرٌ مِن التَّتلمذِ علىٰ أَيديهم.

وفي قِصَّة عبد الرَّحمن بن مُلْجِم عِظَةٌ وعبرةٌ؛ حَيْثُ أَرْسلَه عمر بن الخَطَّاب في عهدِه إلىٰ مصر؛ ليُعلِّم النَّاسَ القرآن، ثمَّ بَعْد ذلك قتل عليَّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لسان الميزان» (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠ المعارف النظامية): «عبد الرَّحمن بن مُلجم المُراديّ: ذاك المُغترُّ الخَارجيُّ، ليس بأهلِ أنْ يُروىٰ عنهُ، وما أظنُّ له رواية، كان عابدًا قانتًا لله، لكنَّه =

ولَقَدْ ضَرَبَ عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه صَبِيغًا حين أُخْبِرَ عنه أنَّه يسأل عن المُتَشابِهِ، ضَرَبه مئةً، ثمَّ ضَرَبه مئةً بعد أنْ بَرَأ من الضَّرب الأوَّل، ثمَّ أتىٰ به لِيَضْربَه في المرَّة الثَّالثة؛ فقال صَبِيغٌ: يا أميرَ المؤمنين، إنْ كنتَ قاتِلي فاقْتُلْني؛ فسيَّره إلىٰ الكُوفَة، ونَهىٰ عن مُجالستِه؛ فكانَ إذَا جاءَ إلىٰ قومٍ جَالِسِينَ تفرَّقوا، وبَعْد زَمَنٍ جاءَ إلىٰ أَمِيرِ الكُوفَةِ، وحَلَفَ أنَّه قَدْ ذَهَب مِن رأسِه ما كان يجدُه فيه؛ فقال: مَا إخالُه إلَّا قَدْ صَدَق؛ فخلِّ بَيْنه وبَيْنَ النَّاس[(١)].

وأَيْنَ أنتَ من قَوْل بعض السَّلَف: «مَنْ وَقَّر صَاحِبَ بِدْعَةٍ، فقَدْ أَعَانَ عَلَىٰ هَدْم الإِسْلَام»[(٢)].

= خُتِم له بِشَرٍّ؛ فَقَتَل أمير المؤمنين عَليًّا رضي الله عنه، مُتَقَرِّبًا إلىٰ الله بدمِه بزعمِه، فَقُطِعَت أَرْبَعتُه ولِسانُه، وسُمِلَت عَيْناه، ثُمَّ أُحْرِقَ، نسألُ الله العفوَ والعافية. انتهىٰ.

قال أبو سعيد بن يونس في (تاريخ مصر): عبد الرَّحمن بن مُلْجِم المُرَادي أَحَدُ بني مُدْرِك، أي: حيٌّ مِن مُراد، شَهِد فَتْح مِصر، واختَطَّ بها، يقال: إنَّ عمرو بن العاص أَمَرَه بالنُّزول بالقرب منه؛ لأنَّه كان مِن قُرَّاء القرآن، وكان فَارِسَ قَوْمِه المَعْدود فيهم بمصر، وكان قرأ علىٰ مُعاذ بن جبل، وكان من العُبَّاد، ويقال: إنَّه كانَ أرْسَلَ صَبِيغ بن عِسْل إلىٰ عُمر يَسأل عن مُشْكل القرآن. وقيل: إن عُمر كتب إلىٰ عَمْرٍو: أنْ قَرِّب دار عبد الرحمن بن مُلجم من المسجد؛ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ القُرآن والفقه؛ فوسَّع له، فكان دارُه إلىٰ جنب دار ابن عديس، وهو الذي قتَل عَلِيَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان قَبْلَ ذلك من شِيعته».

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤١٣ سلامة).

(٢) أخرجه اللَّالكائيُّ في «أصول الاعتقاد» (١/ ١٥٧ طيبة) (٢٧٣) عن ابن ميسرة موقوفًا عليه.

وابن الأعرابي في «معجمه» (٣/ ٩٢٧ ابن الجوزي) (١٩٥٨) عن الحسن موقوفًا، وفيه داود بن المحبَّر وهو كذَّابٌ. «الضعيفة» (٤/ ٣٤٣).

والفريابي في «القدر» (ص٢٥١ أضواء السَّلف) (٣٨١)، ومِن طريقه الآجريُّ في «الشَّريعة» (٥/ ٢٥٤٤ الدّميجي) (٢٠٤٣) عن أبي إسحاق الهمداني من قوله.

وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣ السعادة) عن الفضيل بن عياض بلفظ: «مَنْ أَعَانَ...». =

ثمَّ أوجِّهُ إليكَ هذه الأسئلة، وأحبُّ أن تُجِيبَ عليها؛ فأقولُ: لمَّا ضَرَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الخليفةُ المُلْهم عُمَرُ بن الخَطَّاب صبيغًا مئةَ جلدةٍ، ثمَّ تركه حتَّىٰ برأ، ثمَّ أعاده، فجَلَده مئةً ثانيةً، ثمَّ تركه حتَّىٰ برَأ، ثمَّ أعاده، وأراد أن يَجْلده المئة الثَّالثة؛ لِمَ قالَ له: لو وجدتُ الَّذي فيه عَيْناك مَحْلوقًا لضربتُهُ بالسَّيف؛ أَلَيسَ ذلكَ لأنَّه اتَّهمَه برأي الخوارج؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**سِيمَاهُمُ التَّسْبيدُ**»، أو قال: «**التَّحْليقُ**»، رَوَاهُما البخاريُّ[1]، وهُمَا بمَعْنَىٰ واحدٍ.

ثانيًا: لِمَاذَا سَيَّره إلىٰ الكُوفَة، ونَهَىٰ عن مُجَالستِه؛ أَلَيْسَ لأنَّ عُمَر رضي الله عنه خافَ علىٰ المُسْلمينَ من العَدْوىٰ بِفِكْرِهِ؟ بَلَىٰ.

أَفيَلِيقُ بَعْد ذَلِكَ ونَحْن نَنْتمِي إِلَىٰ أَهْلِ الحَدِيثِ، وأَتْباع الأَثَر أَنْ نَغْضبَ علىٰ مَنْ قَالَ: لا يُؤخَذ العِلْمُ عَلَىٰ مَنْ يرىٰ رأيَ الخَوارج، ولا عَلَىٰ مَنْ يُدَافع عَمَّنْ يَرَىٰ رأيَ الخَوارج، ويَعْتذر له، ويُبرِّر مَسْلكه، أو يُؤْويه في بيتِه، ويَتَظاهر بصُحْبتِه، ويَحْتفظ به؛ فلا يُخْرجه من مَنْهج السَّلف بَعْدَ العِلْمِ بخَارجيَّتِه؟! بَلْ يَرَىٰ أنَّه إِنْ كانَ له ذنبٌ، فذنبُهُ صغيرٌ لا يَسْتحقُّ أن يخرجَ به من المَنْهج السَّلفيِّ؛ أَلَيْسَ النَّبيُّ ﷺ يَقُول: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا**»، رَوَاه مسلمٌ[2].

وأيُّ حَدَثٍ أَعْظم من حَدَث الخَوَارج الَّذينَ أَخْرَجوا المُسْلمينَ المُوحِّدينَ المُصلِّين الصَّائِمِينَ المُتصدِّقين التَّالين لكِتَابِ الله المُؤْمِنِينَ بِوَعْدِهِ ووَعِيدِهِ،

= وأخرجه البيهقيُّ في «شُعب الإيمان» (١٢/ ٥٧) عن إبراهيم بن ميسرة رحمه الله مرفوعًا وهو مرسلٌ. ورُوي مرفوعًا عن عائشةَ رضي الله عنها ولا يَصحُّ. انظر: «السِّلسلة الضَّعيفة» (١٨٦٢).

(١) أخرجها البخاريُّ (٧٥٦٢) مِن حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

أَخرَجوا المَوْصُوفِينَ بما ذُكِرَ من الإسْلام، وحَكَموا عَلَيهم بالكُفْر، وأباحُوا قَتْلَهم؛ أَبَاحوا سَفْكَ دِمائِهِمْ، وإِزْهَاق أَرْوَاحِهِمْ، وإِتْلَاف أَمْوالِهِمْ، وحَكَمُوا عليهِمْ بالخُلودِ فِي نَارِ الكُفَّار يومَ القِيامةِ، وَاعْتَقدوا حِرْمَانَهِمْ مِنَ الشَّفَاعةِ الَّتي مَنَحها اللهُ للمُوحِّدين؛ لإخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّار، وإِدْخالهم الجَنَّة؛ أيُّ ذَنْبٍ أَعْظم من هذا الذَّنْبِ، وأيُّ جُرْمٍ أَعْظَم مِنْ هذا الجُرْم؛ فهل يصحُّ أَنْ يُقالَ: إنَّه لا يَخْرجُ مِن السَّلفيَّة مَعَ ما وَرَد فِي الأحاديث المُخرَّجة في «الصَّحيحين»، أو أَحَدِهِمَا، أو مُخَرَّجَة فِي غَيْرهما بسَنَدٍ صحيحٍ؛ وإنِّي - واللهِ - أربأُ بِكَ يا شَيْخ علي وأنتَ من المَعْدودينَ من أَصْحابِ الحَدِيثِ أَنْ تَتوقَّفَ في إِخْراج مَنْ يَدِينُ بِهَذَا الفِكر الخارجيِّ من السَّلفيَّة.

قَالَ الشَّيخُ عليٌّ الحلبيُّ وَفَّقه الله، وأَلْهَمه الصَّواب: «وهذه المَسائلُ يَنبغي أَنْ يُطْوىٰ الآن»، ولعلَّه: «تُطْوىٰ».

ثُمَّ قَالَ: «بَعْدَ هذه السَّنَوات، لَا أَقُولُ يُطْوىٰ كتَحْقيق مَسَائل عِلْميَّةٍ مَنهجيَّةٍ عَقَائديَّة؛ فقَدْ حققت، والحمدُ لله، وظهَر الصَّوابُ فيها»:

وأقول: مَا هُو الصَّوابُ الَّذي ظهَر؟ هَلْ هُو بإِدَانَتِهِمْ بما ثَبتَ عليهم مِنْ فِكْرِهِم المُنْحرف؛ فيهجرون هُمْ ومَنْ أَقرَّهُمْ علىٰ هذا الفِكْر أو ناصَرهُمْ، وأَيَّدهُمْ عليه، ويَحْكم عليهم بأنَّهم قَدْ خرَجوا من المَنْهج السَّلفيِّ، أو ثَبَتَتْ بَرَاءتُهمْ، فيحكم لَهُمْ بأنَّهم ما زَالُوا علىٰ المَنْهج السَّلفيِّ؛ فإِنْ كان الاحْتِمَال الأَوَّل؛ فلِمَ تَحْكم لَهُمْ بالبقاءِ علىٰ المَنْهج السَّلفيِّ؟ وإِنْ كانَ الثَّاني فمِنْ أَيْنَ تثبت بَرَاءتهم؟ والأَشْياء المُلاحظة عَلَيهم مَوْجودةٌ بَيْنَ أَيْدي النَّاس، ولَمْ يرَ منهم رُجُوعٌ عن الخَطَإ، ولا اعْتِرَاف به، وطَلَب للتَّوبة مِن الله.

ومِن نَاحِيَةٍ أُخْرىٰ: كيفَ يُطوىٰ شيءٌ قادحٌ في الدِّين، ويُسْكتُ عَلَيه مع عِظَمِهِ وبَشَاعتِهِ؟ فكَمَا أنَّ الدِّينَ عزيزٌ عَلَينا؛ فإنَّ ما يَقْدحُ فيه فَظِيعٌ عِنْدَنا، وبَشِعٌ فِي نُفُوسِنا؛ أَلَا تَرَىٰ أنَّ السَّلَفَ ما زَالُوا يَتَناقلُونَ كلَّ ما حَصَل مِن أمرِ الدِّين، تَنَاقلوا كلَّ شيءٍ يَتعلَّق بأَمْر الدِّين؛ فمَا كَانَ لإِعْزَازِهِ تَنَاقَلُوه؛ لِيُقْتفَىٰ ويُتَّبعَ، وما كانَ مِمَّا يقدح في الدِّين، ويُؤثِّر فيه نَقْصًا تَناقَلوه؛ ليُعْرفَ، ويُحْذرَ؛ فَاقْرَأ ما شئت في الكُتُب الآتِيَةِ:

١ - «الاعتصام» للشَّاطبي.

٢ - «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطّة.

٣ - «شرح أُصُول اعتقاد أهل السُّنَّة» للَّالكائيِّ.

٤ - «الشَّريعة» للآجرّي، وغيرها مِن الكتُب.

والمهمُّ، أنَّ ما يتعلَّق بالدِّين، يحتفظ به، ويُعْتنىٰ به؛ ليُعْرفَ به الدِّينُ، وتُعْرف مَوَاقفُ النَّاس منه؛ ليعرف بذَلِكَ مَنْ نَصَر الدِّين؛ فيُدْعىٰ له بالثَّبات إِنْ كان حيًّا، ويُترحَّم عليه إِنْ كان ميتًا، ويُحَبُّ؛ سواءٌ كان حيًّا أو ميتًا، ويبغض مُخَالف الدِّين؛ سواءٌ كان حيًّا أو ميتًا.

والمهمُّ، أنَّ كلمة «يُطوىٰ» لا يَنْبغي أن تُقَال في هذا المقام؛ نسألُ اللهَ أن يَعْفوَ عنَّا وعنكم، ويَغْفرَ لنا ولكم، وإِنَّما يُطوىٰ ما لو حَصَل من الإِنْسَانِ مُخالفةٌ للشَّرع؛ فتابَ مِنْها وأنابَ، فإِنَّها تُطْوىٰ بمَعْنىٰ يُسْدل السِّتارُ عليها، فلا تُذْكَر.

ثمَّ قالَ وَفَّقه اللهُ: «لكن لا يَنْبغي أن يَسْتمرَّ الأَمْرُ في الامْتحانِ للأَشْخَاص، وامتحان النَّاس، وبثّ الفُرْقةِ بَيْنهم علىٰ هذا وذَاكَ؛ فمِثْلُ هذا الامْتِحَانِ لا يَكُونُ علىٰ مَنِ اتَّفقَتْ كَلِمَة أَهْل السُّنَّة وعُلَمائهم عليهم؛ نقدًا وطعنًا، أو ثناءً، أو مدحًا،

ولا أظنُّ أنَّ الأمرَ كذلكَ في هذيْنِ، أو مَن لفَّ لَفَّهما، وأُكرِّر أنَّ هذا القولَ مِنِّي لا يَعْني التَّهاونَ في تَحْقيقِ الحقِّ في المسائلِ الَّتي انْتقدوا فيها؛ بَلْ نَحْن نُبيِّنُها، ونُنكرها، ونَرُدُّها، ونُبْطلُها، ولكن يَنْبغي أَنْ يكونَ ذلكَ كلُّه في بابِ الحِرْصِ، والشَّفَقة عليهم؛ حتَّىٰ يَرْجعوا إلىٰ الحقِّ فِيمَا خالَفونا فيه، وخَالَفوا مَشَايخنا». اهـ.

وأقول: يا شيخ، غَفَرَ الله لكَ، أَلَسْتَ تَعْرف أنَّ النَّبيَّ ﷺ امْتحَنَ الجاريةَ، فقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: في السَّماء. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، رَواه الدَّارميُّ وأَحْمَدُ[(١)].

أَلَيْسَ هَذَا امْتِحَانًا يا شَيْخ؟! أَلَمْ يُنْقل عن أَحْمد بن حنبل أَنَّه قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَغْمز حَمَّاد بن سَلَمة، فَاتَّهمه علىٰ الإِسْلامِ، فإِنَّه كانَ شديدًا علىٰ المُبْتَدعةِ»[(٢)].

وقال أبو زُرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الكُوفيَّ يَطْعنُ عَلَىٰ سُفْيانَ الثَّوريِّ وزائدة، فلا تشكَّ أنَّه رافضيٌّ، وإِذَا رَأَيْتَ الشَّاميَّ يَطْعن عَلَىٰ مَكْحولٍ والأَوْزاعيِّ، فَلَا تُشكَّ أَنَّه مرجئٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الطَّوائف كُلَّها مُجْمعةٌ علىٰ بُغْض أَحْمد بن حنبل؛ لأَنَّه ما من أَحَدٍ إِلَّا وفي قلبِهِ منه سهمٌ لا برء له منه»، كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٩ - ٢٠٠).

وقال نُعَيم بن حَمَّاد: «إِذَا رَأَيْتَ العراقيَّ يَتكلَّمُ في أَحمدَ بن حنبل فَاتَّهِمْهُ في دينِهِ، وإِذَا رَأَيْتَ الخُراسانيَّ يَتكلَّمُ في إِسحاق بن راهويه فَاتَّهِمْهُ في دينِهِ»، كما في

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٢) (١٧٩٧٤)، والدارمي في «سننه» (٢٣٤٨) من حديث معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (٧/ ٤٥٠ الرسالة).

«تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٨)، و«تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٢).

أَلَيْسَ هَذَا دليلًا علىٰ أنَّ مَنْ شكَّ فيه يُسْأل عنه، ويُؤخذ مقالُهُ دليلًا علىٰ حالِه.

أمَّا قَوْلكم وَفَّقكم الله: «فمِثْلُ هَذَا الامْتِحَانِ لا يَكُونُ عَلَىٰ مَنِ اتَّفقَتْ كلمةُ أَهْلِ السُّنَّة وعُلَمائهم عَلَيهم؛ نقدًا وطعنًا، أو ثناءً، أو مدحًا، ولا أظنُّ أنَّ الأمرَ كذَلِكَ فِي هَذَيْنِ، أو مَنْ لفَّ لَفَّهما»:

وأقول: إنَّ أَبَا الحَسَن والمغراوي لَيْسُوا من أَهْل السُّنَّة الثَّابتين عليها؛ الَّذين اتَّفقَتْ كَلِمَةُ عُلَماء السُّنَّة علىٰ عَدَم الطَّعْن فيهم؛ لاقْتِفَائِهِمْ للسُّنَنِ، وسَيْرهم عَلَيها، وَعِنَايَتِهِمْ بِهَا؛ فكِتَاباتُهمْ وتَصرُّفاتُهمْ شواهدُ بأنَّهم بَعِيدُونَ عن السُّنَّة غيرُ ثابتين عليها، ولا أَدْري كَيْفَ تصوّر هَذَا عِنْدَكَ، وَفِي ذِهْنِكَ.

أَلَمْ تَرَ ما حَصَلَ من أبي الحَسَن من رَدِّ خَبَر الآحَادِ، ومَا جَرَىٰ من الرُّدُودِ الَّتي كَتَبَها عَلَيه الشَّيخُ الفاضلُ، والعالمُ الجليلُ؛ ربيع بن هادي المدخليّ، والَّتي سَمَّاها بـ«مجموع الرُّدُود علىٰ أبي الحسن»؟

أَلَمْ تَرَ تَأْصيلَه للدِّفَاعِ عَنْ أَهْل البِدَعِ؟

أَلَمْ تَرَ أنَّه أَلَّفَ كتابًا في مُجلَّدين للدِّفاع عن أَهْل البِدَعِ وأَئمَّتهم، سَمَّاه: «الدِّفاع عن أَهْل الاتِّباع؟».

أَلَمْ تَعلم أنَّه أَعْلن بَراءَته من أَهْل السُّنَّة في اليمن، ويَرْميهم بالفَوَاقِر[1]؟

أَلَمْ تَعْلم أنَّه صرَّح بنَقْض مَنْهج الشَّيخ ربيع المدخلي الَّذي هو مَنْهج السَّلَف الصَّالح، وَأقرَّه عَلَيه العلماءُ الكبارُ المُعَاصِرونَ، ومنهم الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حَيْثُ وُجِّه لأبي الحَسَن سؤالٌ مِن أَحَد أنصارِه، ونصُّه:

---

(١) **الفواقر**: جمع الفاقرة، وهي الدَّاهية.

«لِمَاذا لَمْ تَتكلَّمْ من قَبْل أنْ تَحْصل هَذِهِ الفتنة، وتُبيِّنَ الأُصُول الفَاسِدَةَ عِنْدَ الشَّيخ ربيع، وعند هَؤُلَاءِ؟».

فَأَجابَ أَبُو الحَسَن علىٰ هَذَا السُّؤال الفَاجِر بقولِهِ بَعْد الثَّناءِ مكرًا مِنه علىٰ مَنْ سَمَّاهُم إِخْوانَه: «أمَّا الشَّيخ ربيع فأصولُه هذه مَنْقوضةٌ في (السِّراج) من عام ١٤١٨ هـ».

لقَدْ شَغَل أَبُو الحَسَن النَّاسَ بأُصُولِهِ الفَاسِدَةِ:

١- أَخْبَار الآحَاد، وأَنَّها لا تُفِيدُ الظَّنَّ، وتَلوُّنه فِيهَا.

٢- حَمْل المُجْمل عَلَىٰ المُفصَّل، وتَلوُّنه فِيهِ.

٣- نُصحِّح، ولا نَهْدم، وتَلاعبُهُ فيه.

٤- نُرِيدُ مَنْهجًا واسعًا أَفْيح يَسَعُ أَهْل السُّنَّة والأُمَّة، وتَلوُّنه فيه.

٥- لا نُقلِّد، وتَلوُّنه فيه.

٦- نَحْن أَصْحابُ الدَّليل، وتَلوُّنه فيه.

٧- لَيْس لأَحَدٍ علىٰ الدَّعوة وصايةٌ، ولَيْسَ في الدَّعوة بَابَوَات، ولا ملالي.

والقَصْدُ بذَلِكَ الثَّورةُ علىٰ المَنْهج السَّلفيِّ، وإِسْقَاطُ عُلَمائِهِ، وقَدْ أَسْقَطه الله، وخَيَّبَ آمالَه، كَيْفَ يرْفضُ نَقْد العُلَماءِ لَه القائم علىٰ الحُجَج والبَراهِين بدَعْوىٰ أَنَّهم مُقلِّدونَ للشَّيخ ربيع، وهُمْ أَبْعدُ عن التَّقليدِ:

أ- كطعنِهِ في الصَّحابة بمِثْلِ الغُثائيَّة.

ب- ووصف بَعْض الأَنْبياءِ بالعَجَلة المَذْمومةِ.

ج- والطَّعن في الصَّحابة وتَرْبيتهم بأنَّ فيهم خللًا في التَّربية.

د- وبَيَان حال أُصُولِهِ الفاسدة، وشُبُهاتِهِ الباطلة بأنَّه تَحْميلٌ للكَلَام ما لا

يَحتمل، وأنه تَهَاويل، وأنَّه تَجْريحٌ بدون سَبَبٍ.

وَانْظُرْ إِلَيه، وقَدْ هيَّج الأحداثَ السُّفَهاءَ علىٰ العُلماءِ، وعَلَىٰ رَفْض أَحْكامِهِمْ، والحُكْم عَلَيها ظلمًا بأنَّها من أَجْل أغراضٍ غامضةٍ وجليَّةٍ بعد أن زَرَع هو حَنْظل الفُرْقة... إلخ.

وَانْظُرْ إِلَيه كَيْفَ ينسب هَذِهِ المَسَاوئ إلىٰ غَيْره بكلِّ جراءَةٍ، وَانْظُر إِلَيه كَيْف يَرْمي النَّاسَ بكلِّ أَدْوائِه، ثمَّ يَنْسلُّ مِنْها، فهَلْ رَأتْ عَيْناكَ، أَوْ سَمِعَتْ أُذُناكَ مثل هَذَا الرَّجل، وأَلَاعيبه، وبَرَاعته في تَقْليب الأُمُور؛ أَلَيْسَ ما ذكرتُهُ هنا بعض شَنَائع أبي الحسن؟

أَمَا عَلمتُمْ - أَيُّها القُرَّاء - أنَّ أبا الحَسَن نَادَىٰ بالفُرْقة مرَّاتٍ، ومَدَحها؟ وكَمْ سَعَىٰ النَّاصحونَ في اليَمَن والحِجَازِ لرَأْب الصَّدْع، وإِنْهَاءِ أَسْباب الفُرْقةِ، ولكن لطُمُوحاتِ أَبِي الحَسَن الشِّرِّيرة، وأسبابٍ خَفيَّةٍ وجليَّةٍ، أَبَىٰ إلَّا المُضيَّ في طريقِ الشِّقاقِ، والفِرَاقِ، والحَرْبِ، والفِتَنِ.

هَلْ تَدْري أَيُّها القارئُ أنَّ أشرطةَ حَرْبِهِ وفتنتِهِ قَدْ بَلَغَتْ أكثر من ثَمَانِينَ شريطًا؛ هَذَا عَدَا تَهْريجِهِ، وتَهْريجِ أتباعِهِ، وعَدَا كِتَاباتِهِ، وكِتَابَاتهم في شَبكَات الإنترنت بِمَا يُزْكمُ الأُنُوفَ شرُّه وخبثُهُ.

انظر: «التنكيل بما جَاءَ في لجاج أبي الحسن من الأباطيل» (ص٥، ٧، ١٧ ط مجالس الهدىٰ).

أَلَمْ تَقْرأ ما نقل عن المغراوي من تَكْفيرِهِ للمُسْلمينَ في أشرطتِهِ الَّتي نقلت عنه، وذَلِكَ مُدوَّنٌ عَلَيه في الأَوْراقِ المُرْسلةِ من أَهْل السُّنَّة السَّلفيِّين في المغرب.

أَمَّا قولكم: «وَلَكِنْ يَنْبَغي أَنْ يكونَ ذَلِكَ كلُّه في بَابِ الحِرْصِ، والشَّفَقة

عَلَيهم؛ حتَّىٰ يَرْجعوا إِلَىٰ الحقِّ فِيمَا خَالَفونا فِيهِ، وخَالَفوا مَشَايخنا»:

فأقول: نَحْنُ لَا نَقُول ذَلِكَ، ولَا نَتعَانىٰ بِهِ إلَّا مِنْ بَابِ الحِرْصِ، والشَّفقة عَلَيهم وعَلَىٰ غَيْرهم مِمَّنْ يَنْخدع بأقْوالِهِمْ، وإِذَا كانوا هُمْ قَدْ مَرَدوا عَلَىٰ البَاطِلِ، وقَدْ صَاحَ بِهِمْ من أَهْل السُّنَّة مَنْ نَصَحهم سرًّا أَوْ جهرًا حَتَّىٰ ولَوْ كانَ مِمَّنْ يُعدُّون من طُلَّابهم؛ فإذَا كانوا قَدْ مَرَدُوا علىٰ هَذِهِ المَعْصية، وأَبَوْا أن يَقْبلوا النُّصحَ؛ فإنَّ الواجبَ علىٰ أَهْل السُّنَّة أن يُبيِّنوا شَطَحاتِهِمْ، ويُظْهروا أَمْرَهم حتَّىٰ لَا يَنْخدعَ بِهِمْ مَنْ يَنْخدع، ولَا يَجُوز لأحدٍ مِنْ أَهْل السُّنَّة أن يسكتَ عَنْ بَاطِلِهِمْ مِنْ بَابِ المُحَاباةِ، أو المُجَامَلةِ لَهُمْ، ولغَيْرهم.

وأَخِيرًا، أُوصِيكَ ونَفْسي بتَقْوىٰ الله، واتِّباع السُّنَّة، وأَسْأَلُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يُثبِّتنا عَلَىٰ ذَلِكَ حتَّىٰ نَلْقاه، وأَنْ يَجْعلَنا مِمَّنْ لا تَأْخُذُهم في الحقِّ لومةُ لَائمٍ، وصَلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ الشَّافع المُشفَّع، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، ومَنِ اتَّبعَ سُنَّته، واهْتَدىٰ بهَدْيِهِ إلىٰ يَوْم الدِّينِ.

كتبه

أحمد بن يحيى النَّجمي

ردٌّ على صُوفيٍّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ لله، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِه وصحبِهِ، وبعدُ:

فقَدِ اطَّلعتُ علىٰ كِتَابٍ سَمَّاه صاحبُهُ: «التَّعلُّق الصُّوري والتَّعلُّق المعنويُّ بالجَنَابِ النَّبويِّ المُحمَّدي ﷺ»، اسمُ مُؤَلِّف الكِتاب الأستاذُ الدُّكتورُ/ عاطف بن قاسم أمين المليجي.

في آخر الكتاب عباراتٌ سَيِّئةٌ يَظْهر أنَّها مُقْتبسَةٌ من عِباراتِ الغَارقِينَ في التَّصوُّف مِن أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ الَّذين يَزْعمونَ أنَّ النَّبيَّ مُحمَّدًا ﷺ هو أَصْلُ الوُجُودِ، بَلْ ويَجْعلُونَ له صفاتِ الخَالِقِ.

وقَدْ كَتَب صاحبُ «الكشف عن حقيقة الصُّوفيَّة لأَوَّل مَرَّةٍ في التَّاريخ» تأليف محمود عبد الرُّؤوف القاسم؛ كَتَب تِسْعَ عَشْرَة صَفْحةً تحت عنوان: «الحقيقة المُحمَّديَّة»، كتب فيها عِدَّة صَلَواتٍ عن الصُّوفيَّة يَصِفُونَ فيها النَّبيَّ الكريم ﷺ بأَوْصافِ الأُلُوهيَّةِ؛ كقول الحلَّاج في (ص٢٦٣ - ٢٦٤):

«هُوَ الأَوَّلُ في الوصلة، وهُوَ الآخِرُ في النُّبوَّة، والبَاطِنُ بالحَقِيقَة، والظَّاهرُ بالمَعْرفةِ... الحقُّ ما أَسْلَمه إلىٰ خَلْقِهِ؛ لأنَّه هو، وإنِّي هو، وهو هو»، انتهىٰ.

وَانْظر أَيْضًا المُلاحظَاتِ من كِتَابِ «الكشف عن حقيقة الصُّوفيَّة» في (ص ٢٦٤) رقم (٢) حيث يَجْعلون مُحمَّدًا هو الله، وله جَمِيعُ صفاتِهِ الحُسْنىٰ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبرأ إِلَيكَ من هَذا البَاطِلِ المُوغِل في البُطْلانِ؛ الَّذي تردُّه السُّنَّةُ والقرآنُ، فاللهُ تَعالَىٰ يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، والنَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّما أَنا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، رواه البخاريُّ(١).

واسْمَعْ أَيْضًا لما يَقُولُه أحمدُ التِّيجانيُّ في (الصَّلاة الغَيْبيَّة في الحقيقة الأَحْمديَّة) (ص٢٧٥) فإِنَّها بَرزَتْ من الغَيْب من غَيْر إِنْشاء أَحَدٍ: «اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عَيْن ذَاتِكَ العَليَّة، بأَنْواعِ كَمَالَاتِك البَهيَّة، في حَضْرة ذَاتِكَ الأَبديَّة، علىٰ عَبْدك القائم بِكَ مِنْك، لَكَ إِليك، بأَتمِّ الصَّلوات الزَّكيَّة، المُصلِّي في مِحْراب عَيْن هَاءِ الهُويَّة، التَّالي السَّبْعَ المَثَاني بِصِفَاتِك النَّفسيَّة، الدَّاعي بك لك بِإِذْنِكَ لكَافَّة شؤونك العلميَّة، المُفِيض علىٰ كَافَّة مَنْ أَوْجدته بقيُّومة سِرِّكَ، المَدَد السَّاري في كُليَّة أَجْزاء موهبة فَضْلك، المُتجلِّي عليه في مِحْرابِ قُدْسِكَ وأُنسك، بكَمَال أُلوهِيَّتك في عَوَالِمك في برِّك وبَحْرك». اهـ.

ومن صَلَواتِ أحمد بن إدريس الإدريسي: «اللَّهمَّ صلِّ علىٰ الذَّات الكُنْه، قِبْلة وُجُوه تَجليات الكُنْه؛ عَيْن الكُنْه في الكُنْه؛ الجامع لحَقَائِق كمال كُنْه الكُنْه».

وقالَ أَيْضًا: «الصَّلاة السَّادسة: اللَّهمَّ صلِّ علىٰ أُمِّ الكتاب، كَمالات كُنْه الذَّات، عَيْن الوُجُود المُطْلق الجامع لسَائِر التَّقْييداتِ، صُورة ناسوت الخَلْق، معاني لاهوت الحقِّ.. »، إِلَىٰ آخر المَصْدر نفسِهِ (ص ٢٧٥، ٢٧٦).

---

(١) أخرجه البخاريّ (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقوله ﷺ: «لا تُطْرُوني» من الإطراء، وهو الإفراط في المَدِيح، ومجاوزة الحدِّ فيه. وقوله ﷺ: «كَما أَطْرَتِ النَّصارَىٰ ابْنَ مَرْيَم»، أي: بِدَعْواهم فيه الأُلوهيَّة، وغير ذلك.

إنَّني - والحمْدُ للهِ - لَمْ أَكْتُبْ هذه العِبَاراتِ الكُفريَّة السَّيِّئة الَّتي لا يَصِحُّ أَنْ تُوصَف إلَّا بأنَّها هَلْوسةٌ وجُنُونٌ مِمَّنْ يدَّعون بأنَّهم وَصَلوا إلىٰ ما لم يَصِلْ إليه غَيْرُهم، وما وَصَلوا إلَّا إلىٰ الكُفر الأَفْظع حيثُ وَصَفوا المَخْلوقَ البشريَّ بصفاتِ الرَّبِّ الجَليلِ والإلهِ العظِيمِ الَّذي وَصَف نَفْسه بقولِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمر: ٦٧].

وقَالَ جلَّ من قائل: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال عن جميع خَلْقِه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وأَخبَر عن الرُّسُلِ أنَّهم قَالُوا لأُمَمِهِمْ: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقَالَ عن عَبْدِهِ ورَسُولِه مُحمَّدٍ ﷺ مُعلِّمًا له، ومُوجِّهًا له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فُصِّلت: ٦].

وقَالَ عَنْه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَقَالَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

إنَّ مَنْ يَعْتقدُ عَقِيدَةَ الصُّوفيَّة المَارِقَة أَصْحاب وحدة الوُجُود الَّذين يَجْعلُونَ للمَخْلوقِ صِفَاتِ الخَالِقِ؛ فإنَّه يُعْتبر قَدْ أَشْرَكَ بالله شِرْكًا أَكْبر، وخَرَج من الإِسْلامِ بإِعْطائِهِ للمَخْلوقِ صِفاتِ الخَالِقِ، جلَّ شأنُهُ، وعزَّ سلطانُه، وتَعالَتْ صفاتُه.

وَاسْمَعْ إِلَىٰ مُؤلِّف كتاب: «التَّعلُّق الصُّوري والتَّعلُّق المَعْنوي بالجَنَاب النَّبويِّ المُحمَّديِّ ﷺ» في الفَصْل الرَّابع (ص٣٩): «يَقُولُ العارفُ بالله الإمامُ عبد الكريم الجِيلي: «اعلم - وَفَّقنا اللهُ وإِيَّاك للوُقُوفِ ببابِهِ، والعُكُوف بجَنابِهِ- أنَّ الله تَعالىٰ لمَّا أحبَّ نبيَّه الخاتم ﷺ جعَله شَفِيعًا لخلقِهِ إليه يَوْمَ القِيامةِ، ولَيْسَ لأَحَدٍ من الخَلْقِ عُموم الشَّفاعة سِوَاهُ»».

وأقولُ: نَعَمْ، هذه الشَّفَاعة في فَصْل القَضَاء الَّتي يَعْتذر عنها آدم، فمَنْ دُونَه من الرُّسُل أُولِي العزم، فإِذَا وَصلَتْ إليه كما في البخاريِّ ومسلمٍ قال: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْش، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ»[1]، فيأمر اللهُ بفَصْل القَضَاء، وتكونُ أُمَّتُه أَوَّلَ أُمَّةٍ يُقْضىٰ بَيْنها؛ لهذا يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ»، رَواه مسلمٌ[2].

لِهَذَا يَقُول الجِيلِيُّ: «وسرُّ ذَلِكَ: أَنَّ الأنبياءَ لَمْ يُبْعثوا إلىٰ كافَّة الخَلْق، وإنَّما بُعِثَ إلىٰ كَافَّةِ الخَلْق مُحمَّدٌ ﷺ، فهُوَ مُقدَّمهم ورَاعِيهم، وكلُّ راعٍ مَسْؤولٌ عَنْ

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رَعيَّته، فأَوْجَبَ اللهُ تَعَالىٰ عليه الشَّفاعَةَ لَهُمْ، والقِيَامَ بمَصالِحِهِمْ دُنْيا وأُخرىٰ».

وأقولُ: لقَدْ أَخْطَأَ في هَذَا المَقْطع ثَلاثَةَ أَخْطاءٍ، وذَلِكَ بسَبَب المُبَالغة والغُلوِّ المَمْقوت، فقولُهُ: «فهُوَ مُقدَّمُهُمْ ورَاعِيهمْ»: أمَّا كونُهُ مُقدَّمَهُمْ فلَا شكَّ في ذَلِكَ، فإنَّ له لواءً تُحْشَر تحته جَمِيعُ الرُّسُلِ، صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أَجْمعين، وَهُوَ أَفْضَل الرُّسُلِ وأَعْلاهُمْ عند الله مَنْزلةً، وأَكْرمهم عِنْدَهُ مَقامًا، وأَفْضلهم عِنْدَهُ جاهًا.

وأمَّا كونُهُ: «رَاعِيهم وكلُّ رَاعٍ مَسْؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، فأَوْجَبَ اللهُ تَعالىٰ عليه الشَّفاعةَ لَهُمْ والقيام بِمصالِحِهِمْ دُنْيا وأُخرىٰ».

فأقول: إنَّ الشَّفاعةَ لَمْ تكُنْ وَاجِبةً عليه، وإنَّما مَحبَّته لنَفْع الآخَرِينَ ومَا رَآهُ من حَاجَةِ النَّاس إلَىٰ ذَلِكَ هُوَ الَّذي دَفَعه إلىٰ فِعْلِ الشَّفَاعةِ، مَعَ ما أَعْطاه اللهُ مِن الفَضْلِ الَّذي جَعَلَه يَكونُ أَهْلًا لذلكَ.

ثانيًا: أمَّا كونُه مَسْؤولًا عَنْ رَعيَّته، فهَذا قولٌ غيْر صَحيحٍ؛ فاللهُ تعالىٰ قالَ لِنبيِّه: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشُّورىٰ: ٤٨].

ثالثًا: في قولِهِ: «والقيام بِمَصالِحِهمْ دُنْيا وأُخْرىٰ»، هَذَا أَيْضًا بَاطلٌ، فلَمْ يُوجِبِ اللهُ عليه القِيَامَ بمَصالِحِهم الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، ولكن بيَّن لهم، وعَلَّمهم ما يَجِبُ لله عَلَيهم، وما يَجِبُ لبَعْضهم علىٰ بَعْضٍ مِن الأَحْكامِ والشَّرائع.

أَمَّا أُمُور الدُّنيا، فكلُّ وَاحِدٍ مُكلَّفٌ أنْ يَنْظرَ في مَصْلحةِ نفسِه، وأَهْلِ بَيْتِه، ويَعْملَ الأَسْبابَ المُؤدِّيةَ إلىٰ ذلكَ، وقَدْ وَرَدَ: أنَّ رَجُلًا مِن الأَنْصارِ أَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ يَسْأله، فقالَ: «**أَمَا في بَيْتِكَ شَيءٌ؟**» قَالَ: بَلَىٰ، حِلْسٌ نَلْبَس بَعْضَهُ، ونَبْسُطُ بَعْضَهُ، وقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ المَاءِ[1]. قالَ: «**ائْتِنِي بِهِمَا**».

(١) **الحِلس**: كِساء رقيق يكون تحت البردعة. **والقعب**: قدح من خشب مُقعر.

فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَىٰ دِرْهَمٍ؟»، مرَّتَينِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَينِ، فَأَعْطَاهما إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَينِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَىٰ أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ».

فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فيه رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا».

فذهبَ الرَّجلُ يَحْتطبُ ويَبِيعُ، فَجَاءَ وقَدْ أَصابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَىٰ بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ المَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يومَ القِيَامَةِ؛ إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ[1]، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ[2]، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ[3]»، رَوَاه ابْنُ ماجه، وأبو داود في «سُننه»، واللَّفظ لَهُ[4].

وهَكَذا كَانَ ﷺ يُوجِّهُ الَّذي لا يُحْسِنُ أن يَتَصرَّف.

أمَّا كونُهُ ﷺ يَكُونُ كما قَالَ الجيليّ: «فأَوْجَبَ اللهُ تَعَالىٰ عليه الشَّفاعةَ لَهُمْ والقِيَامَ بمَصَالِحِهِمْ دُنْيا وأُخرىٰ» فهَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِن أَهْلِ العِلْمِ المُعْتَبَرِينَ.

---

(١) الفقر المدقع: هو الفقر الشَّديد، وأصلُهُ مِن الدّقعاء، وهي التُّراب، ومعناه: الفقر الَّذي يُفْضي به إلىٰ التُّراب، فلا يكون عنده ما يقيه منه.

(٢) الغُرْمُ: هو الدَّينُ، والمفظع: هو الأمر الفظيع، أي: الشَّديد الشَّنيع الَّذي جَاوَزَ المقدار.

(٣) الدَّم الموجع: هو أنْ يتحمَّل حمالةً في حقن الدِّماء، وإصلاح ذات البين - حتَّىٰ يؤدِّيَها، فإنْ لم يُؤدِّها قُتِل فيوجعه قتله.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢١٩٨)، وأبو داود (١٦٤١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف أبي داود» (٣٦٠)، وصحَّح الألباني جملة: «إن المسألة ...» في «صحيح الترغيب» (٨٣٤).

ثمَّ قالَ عَبْدُ الكريم الجيليّ: «فلمَّا كانَ وَاسِطة الجَمِيع في البِدَايَة لأَجْل الظُّهُور، كانَ وَاسِطتهم في النِّهاية لأَجْل النَّعِيمِ المُقِيم، فلَيْسَ في الأَزَل والأَبَد وَسِيلةٌ وَلَا وَاسِطةٌ، وَلَا عِلَّةٌ لِوُجُودِكَ وَوُجُودِ كلِّ خَيْرٍ لَكَ، ولكلِّ مَوْجودٍ أحدٌ سِوَاهُ».

وأقول: هَذَا تَعْبيرٌ من تَعْبيراتِ أَصْحابِ وحدة الوُجُودِ، عَلَيهم مِنَ الله ما يَسْتحقُّون، كَيْفَ كانَ النَّبيُّ ﷺ أَصْل الخَلِيقةِ، وعِلَّتها، وسبب وُجُودِها؛ وهُوَ مَوْلودٌ بَيْن أَبويْنِ من قُرَيش في وَقْتٍ مُحدَّدٍ، ومكانٍ مُحدَّدٍ، وبِيئَةٍ مُحدَّدةٍ.

أَرْسَله الله - جلَّ شأنُهُ - إلىٰ العباد ليدُلَّهم علىٰ تَوْحيد الله، ويأْمُرهم بأَنْ يُفرِدُوا ربَّهم بالعبادةِ، ويُبيِّن لهم كيفيَّة العبادةِ الَّتي أَوْجبها عَلَيهم، أَنْزل عليه القُرآنَ كِتابًا مُهَيْمنًا عَلَىٰ الكُتُبِ كُلِّها، وأَوْحىٰ إليه السُّنَّةَ، فجَرَّها علىٰ لسانِهِ، وَبيَّنها بعملِهِ؛ فقالَ جلَّ من قائلٍ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وقالَ سُبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وقالَ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ [الأنعام: ١٤].

وقالَ سُبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٩].

وَأَخِيرًا يا عَبْدَ الله: سَمِعْتَ آياتِ الله، فَافْتَحِ المُصْحفَ، واقْرأ وَدَعْ هَلْوسَةَ المَجَانين، وإِنْ شِئْتَ فَدَعْ هُرَاءَ الكَفَرةِ المهوسين الَّذين يُريدُونَ أَنْ يَردُّوا النَّاس

إلى الكُفر، ويُدْخِلوهُمْ في العقائِدِ المُنْحرفةِ الضَّالَّةِ.

إنَّ الصُّوفيَّةَ انتكاسٌ وارْتكاسٌ في الكُفْر الأكبر، والشِّرْكِ الأفْظعِ، واسْمَعْ إلى ربِّك وهُوَ يقُول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

إيَّاك - يا أخي - أن تَسْمعَ لِكَلَامِ الصُّوفيَّةِ الفُجَّارِ، وخَلْطهم، ومَرْجهم، وكَذِبهم، وإلَّا فإنَّهم سَيُلقُون بِكَ في نَارِ جَهنَّمَ.

ثمَّ قالَ الجيلي في (ص٣٩): «فَمِنَ الأَوْلىٰ أن تتعلَّقَ بجَنابِهِ، وتَعْتكفَ على بابِهِ؛ ليَحْصلَ المَيْلُ مِن الجِهتَينِ، فيسرع الوُصُول إِلَىٰ المَقْصودِ». اهـ.

وأقول: إنَّ الله لم يَأْمُرْ عِبادَه بالاعتكافِ علىٰ باب النَّبيِّ ﷺ، ولا السُّجود لَهُ، وإنَّما أَمَرهُمْ باتِّباعِه، والاهتداءِ بِهَدْيِهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشُّورىٰ: ٥٢ - ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

إنَّ العُكُوفَ علَىٰ باب النَّبيِّ ﷺ هُوَ العُكوفُ الحِسِّيُّ الَّذي يُراد به العبادة، فهُوَ شَيءٌ مُحرَّمٌ؛ ولا يجوزُ لأحَدٍ أَنْ يَسْجدَ لبَشرٍ؛ سواء كانَ النَّبيَّ ﷺ أو غيره.

ولمَّا جاء مُعاذ بن جبل فقَالَ: يا رَسُولَ الله، قَدِمْتُ الشَّامَ، فرأَيْتُهمْ يَسْجُدونَ لبَطارِقَتِهِمْ وأَساقِفَتِهِمْ، فأَرَدْتُ أَنْ أَفعلَ ذلِكَ بِكَ. قالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، فإنِّي لَوْ أَمَرْتُ شَيْئًا أَنْ يَسْجُدَ لِشَيءٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها، وَالَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا تُؤَدِّي المَرْأَةُ حَقَّ رَبِّها حَتَّىٰ تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِها، حَتَّىٰ لَوْ سَأَلَها نَفْسَها وَهِيَ عَلَىٰ

قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ[١]»، رواهُ ابنُ حبَّان في «صحيحه»[٢].

وَاسْمَعْ إِلَىٰ هَذَا المَفْتونِ وَهُوَ الأستاذ الدُّكتور/ عاطف قاسم المليجي في كتابِهِ: «التَّعلُّق الصُّوريُّ والتَّعلُّق المعنويُّ بالجَنَاب النَّبوي المُحمَّديّ» في (ص ٤٠) والَّذي يَقُول فِيهِ: «ولِهَذَا كَانَ دَأَبُ الكُمَّل من الأَوْلياءِ - رضوان الله عليهم - أَنْ يَتعلَّقوا بِجَنابِهِ، ويَحُطُّوا جِباهَهُمْ علىٰ بابِهِ ﷺ، ولَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دأبهم ودأب كلِّ مَنْ أرادَ اللهُ تكْميلَه».

وأَقُولُ: أَلَا تَرَىٰ أنَّه يَقُول: «ويَحطُّوا جِباهَهُمْ علىٰ بابِهِ ﷺ»، فهل طَلَب اللهُ منَّا السُّجُودَ لنبيِّه، أو طَلَبَ اللهُ منَّا مُتابعتَه؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

إنَّ المطلوبَ مِنَّا الاستقامةُ علىٰ ما شرَعه اللهُ لنا في كتابِه، وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ؛ أمَّا السُّجودُ له أو لغيرِه، ووَضْع الجِباه علىٰ بابِه أو باب غيره، فقدْ حاربَ الرَّسولُ ﷺ هذا العملَ مُحاربةً شديدةً، وأنكر علىٰ مَن أَعطاه ما هو دُونَ ذلكَ لمَّا قيل له ﷺ: يا خَيْرَنا، وابْنَ خَيْرِنا، وسَيِّدنا، وابْنَ سَيِّدنا، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، مَا

---

(١) القتب: هو الرَّحْلُ الذي يُوضَع حول سنام البعير تحت الرَّاكب.

(٢) أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (٤١٧١) مِن حديثِ ابنِ أبي أوفى رضي الله عنه. وانظر: «الإرواء» (١٩٩٨).

أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ»، رَواه النَّسائيُّ بسَنَدٍ جيِّدٍ[(١)].

وفي حديثٍ ذكَره الشَّيخُ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (التَّوْحيدِ)، عَنِ الطَّبَرانيِّ بإسْنادٍ فيه ضَعْفٌ: «أنَّه كَانَ في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ مُنافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «قُومُوا بنَا نَسْتَغِيثُ برَسُولِ الله ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

فقَوْل المُؤلِّف: «ولهَذَا كانَ دأبُ الكُمَّل من الأَوْلياءِ - رضوان الله عليهم - أَنْ يَتعلَّقوا بجَنَابِهِ، ويَحُطُّوا جِباهَهُمْ علىٰ بابِهِ ﷺ، ولَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دأبهم ودأب كلِّ مَنْ أَرَادَ اللهُ تكْميلَه».

أَقُول أيضًا: إنَّ مَشَائخَ الصُّوفيَّة لَيْسوا بكُمَّلٍ، وإنَّما هُمْ مُتخبِّطون وضُلَّال، وقادة شرٍّ، ودُعَاةٌ علىٰ أَبْواب النَّار، مَنْ أَجَابهم إِلَيها قَذَفوا به فِيهَا، وإنَّ مَنْ يَعْتقد أنَّ هؤلاء كُمَّل، وأنَّهم أَوْلياء، بل ويَترَضَّىٰ عَنْهم، فَهُوَ ضالٌّ مِثْلُهم، ومَنْ رَضِيَ بالكُفْر فهُوَ كَافرٌ.

أَتَرْضَىٰ يا عبدَ الله: يا مَنْ تَتْلُو كتابَ الله، أَتَرْضَىٰ طريقةَ الصُّوفيَّة أصحاب

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «الكبرىٰ» (٩/ ١٠٣) (١٠٠٠٧) مِن حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في تخريج أحاديث «إصلاح المساجد» (ص١٢٦).

(٢) قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (١٠/ ١٥٩ القدسي): «رواه الطَّبرانيُّ، ورجاله رجال الصَّحيح غير ابن لهيعة، وهو حسنُ الحديث».

وأخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٧٠٦) عن عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا المنافِقِ! فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يُقَامُ لي؛ إنَّما يُقَامُ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ». قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٨/ ٤٠): «رواه أحمد، وفيه راوٍ لم يسمَّ، وابنُ لهيعة».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستغاثة» (ص١١٨المنهاج) بأنَّه صالح للاعتضادِ، ودلَّ علىٰ معناه الكتابُ والسُّنَّة.

وحدة الوُجُودِ الَّذين يَجْعلون العبدَ ربًّا، والرَّبَّ عبدًا.

ارْجِعْ إلىٰ الكُتُبِ الَّتي تَنْتقد أَصْحابَ هَذَا المَنْهجِ، وأَصْحابَ هذا الفِكْرِ الضَّالِّ.

اقْرَأ: «مصرع التَّصوُّف» لبرهان الدِّين البِقَاعي.

وَاقْرَأْ: «هذِهِ هي الصُّوفيَّة» لعبد الرَّحمن الوكيل.

وَاقْرَأ كتابَ: «الكشف عن حقيقة الصُّوفيَّة لأوَّل مَرَّةٍ في التاريخ» لمحمود عبد الرَّؤوف القاسم.

اقْرَأْ هَذِهِ الكُتُبَ ليتبيَّنَ لَكَ أنَّ كُتُبَ الصُّوفيَّة مَلِيئةٌ بالكُفْر والشِّرْكِ والضَّلَال والزَّندقةِ، وَاقْرَأ عِبَارَاتِهم الَّتي فيها الشَّطْحُ عن الحقِّ.

إنَّ مَنْ يُزكِّي الصُّوفيَّة المارقة فهُوَ ضَالٌّ أو جَاهِلٌ، لا يَعْرف التَّمْييزَ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ.

وإنَّ هذا الكاتِبَ وهو عاطف المليجي نجد من كلامِهِ ما يَدْعو فيه إلىٰ الاستقامة، واتِّباع النَّبيِّ ﷺ، ولكنَّه يَخْلط بَيْنَ الحقِّ والباطل، وَاسْمَعْ إليه وهو يقولُ في النَّوعِ الثَّاني، وهو التَّعلُّقُ المعنويُّ بالجَنابِ المُحمَّديِّ (ص ٤٣): «القِسْم الأوَّل: وهُوَ دَوَامُ اسْتِحْضارِ صُورتِهِ ﷺ؛ الَّتي سَبَق حِليتها في الذِّهْنِ... ».

إلىٰ أَنْ قَالَ: «وكُنْ في حَالِ ذِكْرِكَ له كأنَّك بَيْنَ يَدَيْه في حياتِهِ، مُتأدِّبًا بالإِجْلالِ والتَّعْظيمِ، والهَيْبةِ والحَيَاءِ؛ فإنَّه يَراكَ ويَسْمعك كلَّما ذكرته؛ لأنَّه مُتَّصفٌ بِصِفَاتِ الله تَعالىٰ، واللهُ جليسُ مَنْ ذَكَره، فللنَّبيِّ ﷺ نَصِيبٌ وَافرٌ من هذِهِ الصِّفةِ». اهـ.

وأَقُولُ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ يا هذا، تقول: «لأنَّه مُتَّصفٌ بِصِفَاتِ الله تَعالىٰ»: هذا دجَلٌ وكُفرٌ وضلالٌ؛ أَيَصحُّ أنْ يَتَّصفَ النَّبيُّ ﷺ بصفات الله؟! أَتَدْعُو إلىٰ الكُفْر

مع أنَّك تُسمِّي نفسك دُكتورًا، إنَّ مِن حقِّ مَن يَصِفُ النَّبيَّ ﷺ بصِفَاتِ الله أنْ يُوقفَ، ويُستَتابَ، فإنْ تابَ وإلَّا ضُرِبَتْ عُنقُه كافرًا مُرتدًّا.

وَاسْمَعْ إِلَيْهِ وَهُو يقول في (ص٤٤): «القِسْمُ الثَّاني من التَّعلُّق المعنويِّ: هو استِحْضارُ حقيقتِه الكَامِلَة المَوْصُوفةِ بأَوْصاف الكَمَالِ، الجَامِعَة بيْنَ الجَلَالِ والجَمَالِ، والمُتحلِّية بأَوْصَافِ الله الكبير المُتَعال، المُشرَّفة بنُورِ الذَّاتِ الإلهيَّة في الآبادِ والآزالِ، المحيطة بكلِّ كَمَالٍ حقيٍّ وخلقيٍّ، المُسْتوعِبة لكلِّ فَضِيلةٍ في الوُجُودِ؛ صُورةً ومعنًى، حُكْمًا وعَيْنًا وغَيْبًا، وشَهَادةً، ظاهرًا وباطنًا.

ولَنْ نَسْتطيعَ أَنْ نَستحضِرَ كلَّ ذَلِكَ لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أنَّه ﷺ هُوَ البَرْزخُ الكُلِّيُّ القائمُ بطرفَي حَقَائق الوُجُودِ القَدِيم والحديث، فهُوَ حقيقة كلٍّ مِنَ الجِهَتَينِ؛ ذاتًا وصِفَاتًا؛ لأنَّه مَخلوقٌ من نُورِ الذَّاتِ، والذَّاتُ جَامِعةٌ لأَوْصَافِها وأَفْعالِها وآثَارِها ومُؤثِّراتِها؛ حُكْمًا وعَيْنًا.

إشارةٌ:

أُوصيكَ - يا أخي - بدوامِ ملاحظة صُورتِه ومَعْناه ﷺ، ولَوْ كنت مُتكلِّفًا مُستحضرًا، فعَنْ قريبٍ تَتآلَفُ رُوحُك بِهِ، فيَحْضر لَكَ ﷺ عيانًا تَجدُهُ، وتُحدِّثه، وتُخاطبُهُ، فيُجِيبُكَ، ويُخاطِبُكَ، فتَفُوزُ بدَرجة الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتَلْحق بهم - إن شاء الله - في ثمرة مُلَازمةِ تِلْكَ الحَضْرة الشَّريفة، والدَّوَام عَلَىٰ مُشَاهدةِ تِلْكَ الصُّورة اللَّطيفة، بمَعَانيها العَزيزة المنيفَة، ومُلَاحظة ذَلِكَ ولَوْ بِالتَّصوُّرِ والتَّخيُّلِ وَالتَّفكُّرِ». اهـ.

أقولُ: هذِهِ العِبَاراتُ هِيَ عِبَاراتُ أَصْحابِ وحدة الوُجُود، وهَذَا الزَّعم زَعْمٌ باطلٌ، وهو القَوْلُ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ مَخلُوقٌ مِن نُور الذَّات الإلهيَّة، إنَّ هذِهِ الافتراءاتِ لَمْ يَقُلْها أَحَدٌ غيرُ أَصْحابِ الحُلُولِ والاتِّحادِ؛ أَهْل وحدة الوُجُودِ، أَصْحاب الكُفْر

الْقَطِيع، والزَّنْدقةِ، والمُرُوق من الدِّين، بَلْ هَذِهِ افتراءاتٌ لَيْس لها مُسْتندٌ؛ لا مِن الشَّرائِعِ السَّماويَّة، ولا مِن العُقُولِ الصَّحيحة.

وأقول يا معشر المُوحِّدين:

إنَّ دِينكم يُغْزَىٰ، وإنَّ التَّوحيدَ سَيُهْدمُ، إِذَا تُرِكَ الحبلُ علىٰ الغاربِ لِهَؤُلاءِ المَارِقِينَ سَيُحوِّلون مَنْ قَدَروا عَلَيه من العقيدةِ السَّلفيةِ (عقيدة أَهْلِ السُّنَّة والجماعةِ) إِلَىٰ تَخريفِ الصُّوفيَّةِ، وهَلْوسَتهم وضَلَالهم.

فهَلْ من غَضْبةٍ لله عَزَّوَجَلَّ تَمْنعُونَ بِهَا إِدْخالَ هذِهِ الكُتُبِ المُضلَّة إلىٰ بِلَادِنا، وتُقيمونَ بِهَا نِصَابَ الحقِّ عُبُوديَّةً لله، ودِفَاعًا عن كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ودِفَاعًا عن الشَّريعةِ الغرَّاء الَّتي كلَّفَ اللهُ بها عِبَادَه بَعِيدًا عن ضَلَالِ المُضلِّين، وهَوَس المهوسين؛ هَذَا مَا أَرْجُوهُ من دَوْلتِنا والقَائِمِينَ عَلَيْها، ومِنْ عُلَمائنا الأَبْرار، وصَلَّىٰ الله وَسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِه وصحبِه.

كتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

٢٠/ ٥/ ١٤٢٧هـ

صامطة، ص ب ٩٢، هاتف: ٣٣١٢٥٥٠، ٣٣١٢٥٥١
فاكس المكتب التَّعاونيُّ للدَّعوة والإرشاد
وتوعية الجاليات بمحافظة صامطة، ٣٣٢٤٦٣٥



ردٌ على مُفتي مصر (علي جُمعة)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرفِ الأَنْبياءِ والمُرْسلين، نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ، وصحبِه، وبعدُ:

لَقدْ بعَث اللهُ نبيَّه ورَسُولَه مُحمَّدًا ﷺ علىٰ حين فَتْرةٍ من الرُّسُل، وَانْطِماسٍ من السُّبُل، فأَنْزلَ عليه القُرآنَ، وعلَّمه السُّنَّةَ الَّتي هي بَيَانٌ لمُجْملاتِ القرآنِ، وتَقْييدٌ لمُطْلقاتِهِ، وتَوْضيحٌ لعُموماتِه، فكانت مِنْهما الشَّريعة السَّمْحة، الَّتي ترك النَّبيُّ ﷺ أُمَّته عليها، والَّتي أَمَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عباده باتِّباعها في آياتٍ كَثِيرةٍ:

مِنْها قولُه تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومِنْها قولُه تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣].

وَمِنْهَا قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

وَمِنْها قولُهُ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

وَمِنْها قولُهُ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

وَمِنْهَا قولُهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تمسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي»، أَخْرَجه في «المُوطَّأ»، وأَخْرجه الحاكمُ[1].

وروىٰ ابْنُ ماجه في (المُقدِّمة) عن يَحْيىٰ بن أبي المطاع قالَ: سمعتُ العِرْبَاضَ بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقُول: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَظْتَنا مَوْعِظَةَ مُودِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ[2]، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ المُحْدَثَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[3]. قال الإمامُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: صحيح، انظر «صحيح ابن ماجه» برقم (٤٠)، و«الإرواء» (٢٤٥٥)، و«المشكاة» (١٦٥)، و«الظِّلال» (٢٦ - ٣٤) (يَعْني: «ظلال الجنَّة»).

ورَوَاه ابْنُ ماجه برقم (٤١) مِن طريق عبد الرَّحمن بن عمرو السُّلميّ أنَّه

(١) أخرجه مالك في «موطئه» (٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧١) (٣١٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٤٠).

(٢) أي: تَمَسَّكوا بها، كما يَتَمَسَّك العاضّ بجميع أضراسِهِ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢).

سَمِعَ العرباضَ بن ساريةَ يَقُولُ: **وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعظةً ذَرَفَتْ مِنها العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنها القُلُوبُ، فَقُلْنَا**: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، **فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا**؟ فَقَالَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُم بمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا المُؤْمِنُ كَالجَمَلِ الأَنِفِ**[1] **حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ**». قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صحيحٌ، انظر: «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» برقم (٩٣٧).

ومِمَّا سَبَقَ من الأدلَّة يعرف أنَّ الحقَّ الَّذي يَجِبُ المصيرُ إليه، والعَمَل به، وأنَّ النَّجاةَ مُرْتبطةٌ باعتقادِهِ، والسَّير علىٰ ضوئِهِ، وأنَّ الهلاكَ والخُسْرانَ في تَرْكه، واتِّباع أَقْوال مَنْ لَيْسَ قولُهُ بِحُجَّةٍ، والحُجَّةُ هي في اتِّباع كتاب الله، وصحيح سُنَّة رسولِهِ ﷺ علىٰ فَهْم السَّلفِ أَصْحاب رَسُولِ الله ﷺ، فَمَنْ بَعْدهم من أَهْل الحديثِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ولقَدْ أَرْسَلَ إليَّ أخٌ في الله كِتابةً وأشرطةً تُنبئ عن حَالِ شَخْصٍ يَزْعم أنَّه من أَهْل السُّنَّةِ، وأَتْباع الحقِّ والدَّليل، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُزَكِّي مَنْ يَزْعم: «أَنَّ مَنْ يَقُولون: إنَّ الأَضْرحةَ حَرَامٌ ومن الشِّرْك - عِنْدَهُم هَوَسٌ، ويَزْعم أَنَّ دَعْوةَ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب دَعْوةٌ خارجيَّةٌ خَرجَتْ علىٰ الدَّولة العُثْمانيَّة، ويَزْعم أَنَّ الصَّحابة كَانُوا أَشَاعرةً، ويَقُول عن نفسِهِ هو صُوفيٌّ، وأَنَّه يرىٰ رَسُولَ الله ﷺ في اليَقَظة، ثمَّ يقول الَّذي يَزْعم أنَّه من أَهْل السُّنَّةِ: لا يَجُوز أن يطْعَنَ في الشَّيخ (علي جُمعة) مفتي الدِّيار المصريَّة، لكونِهِ عنده شيءٌ من التَّصوُّف، وعنده شيءٌ من

---

(١) الأَنِف: الَّذِي قد عقره الخطام؛ فَلَا يمتنع علىٰ قائده فِي شَيْء للوجع الَّذِي بِهِ، وَقيل: الجمل الأنف: الذَّلُول.

التَّمَشْعُر، هذا خطأٌ، هذا مَنصبٌ لا بُدَّ أَنْ يُحترَمَ، هذا مَنصبٌ لا بدَّ أن يُعظَّمَ، هذا المَنْصب يُعْتبر ولايةً شَرْعيَّةً لا بدَّ من تَعْظيمها، وتَفْخيمها، ولا يَجُوز الطَّعنُ فيمن تولَّىٰ هَذَا المَنْصبَ».

وَأَقُولُ: إنَّ مَنْ يَعْتقد أنَّ عبادةَ الأَضْرحة، والتَّأليه لأَصْحابِ القُبُور بدَعْوتهم من دون الله، وسُؤالهم ما لَا يُطْلب إلَّا مِن الله، مَنْ يَعْتقدُ أنَّ ذَلِكَ لَيْس بحَرامٍ فهُوَ جائزٌ عنده، بَلْ يَرَىٰ أنَّ مَنْ يَقُولُ: ذلك حَرَامٌ وشِرْكٌ - عنده هوسٌ، أي: عنده جنونٌ.

أقولُ: مَنْ قال ذَلِكَ فهُوَ مِثْل المُشْركينَ الَّذين بُعِثَتْ إليهم الرُّسُلُ، فقَالُوا هذِهِ المَقَالة.

قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ أَصْدقُ القَائِلِينَ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥٣].

وممَّا سُقْناه في هذِهِ الآيات يَتبيَّن أنَّ ما قَالَه مُفْتي مِصْر (علي جمعة) إنَّما هو تَرْديدٌ لمَقَالات المُشْركين أَعْداء الرُّسُل، ففي أيِّ مِلَّةٍ أُحِلَّت دَعوةُ غير الله عَزَّوَجَلَّ! وفي أيِّ كتابٍ نَزَل إباحةُ ذَلِكَ! وعلىٰ لِسَانِ أيِّ رَسُولٍ؛ واللهُ تَعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ويَقُولُ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النَّحل: ٣٦].

وكَيْفَ لا يَكُونُ ذَلِكَ شِرْكًا؛ واللهُ تَعَالىٰ يَقُول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن

دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٤ - ١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالىٰ في سورة (الزُّمَر) من آية (٦٤ - ٦٦): ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمر: ٦٤ - ٦٦].

وأقولُ: يا مُفْتي مصر، هَلْ ما يعملُهُ النَّاسُ عند ضريح البَدَوي، وضَرِيح الحُسَيْن المَكْذوب، وضريح السَّيِّدة زَيْنَب، وغَيْرها من الأَضْرحة في مِصْر حَلالٌ أَمْ حَرامٌ، وهَلْ هو من الشِّرْكِ الَّذي نَهَىٰ اللهُ عنه في هذِهِ الآياتِ الَّتي سَبَرْناها أم لا؟

يا حَضْرَةَ المُفتي؛ تذكَّر أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وأنَّه قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٥].

وقَدْ رَوَىٰ مسلمٌ في «صحيحه» عن ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بُنِيَ

الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسَةٍ؛ عَلَىٰ أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، والْحَجِّ»، فقَالَ رجلٌ: الحَجُّ، وَصِيَام رمضان؟ قال: لا، صِيَام رَمضان، والحَجّ، هَكَذا سمعتُهُ من رَسُولِ الله ﷺ.

وفي الحَدِيثِ الَّذي بَعْده عن ابْنِ عُمَر عن النَّبيِّ ﷺ قال: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: عَلَىٰ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».. الحديث، رَوَاهُما مُسلمٌ في بَيَان أَرْكان الإِسْلامِ ودَعَائِمِهِ العِظَام، من «صحيحه»[1].

وقَدْ يَقُولُ قائلٌ: إنَّ الدُّكتورَ (علي جُمعة) يَحْفظ الآياتِ الَّتي سَبَرتموها، ويَعْرف الأَحَاديثَ الَّتي كَتبتُمُوها، ولكن لَعلَّه يرىٰ «أنَّ ما يَعْمله النَّاس عند تِلْكَ الأَضْرحة لَيْسَ هو الشِّرْك الَّذي عَنَاه اللهُ».

وإذا كانَ الأَمْر كَذَلِكَ، فليأتِ مَنْ يَقُول: «إنَّ ما يَعْمله النَّاسُ عند تِلْكَ الأَضْرحةِ لَيْسَ هو الشِّرْك الَّذي عَنَاه الله»، فليأتِ بالشِّرْك الَّذي عَنَاه اللهُ في هذِهِ الآياتِ، ليأتِ لنا بِبَيَانِ ذَلِكَ مِن طريق الصَّحابةِ الَّذين عرَفُوا الشِّرْك الَّذي عَنَاه الله، وحَارَب الرَّسولُ ﷺ أهلَه، فسَفَك دِمَاءَهم، وأَزْهَق أَرْواحَهم، وسَبَىٰ نِسَاءَهم، وغَنِمَ أَموالَهم.

أَلَيْسَ هو التَّعبُّد لغَيْر الله عَزَّوَجَلَّ بصَرْف العبادة له كائنًا ما كَانَ، سواءٌ أكان مَلكًا مُقرَّبًا، أَوْ نَبيًّا مُرْسلًا، أو جِنيًّا، أَوْ حَجرًا، أَوْ وَثنًا، أو غير ذلك.

فكلُّ مَنْ صُرِفَتْ له العِبادةُ دون الله عَزَّوَجَلَّ مِن دُعَاءٍ ورَجَاءٍ، وخَوفٍ، وخشيةٍ، وَاسْتعاذةٍ، واستغاثةٍ، وتَوكُّلٍ، وغَيْر ذلك، فقَدِ اتَّخَذَ مَنْ صَرَفَ العبادة

---

(١) أخرجهما مسلم (١٦).

له إِلَهًا مَعْبودًا، وهذِه كلُّها تُصرَف مِن كَثِيرٍ مِن النَّاس إلىٰ غَيْر الله، فاتَّخذوهم آلهةً يَدْعونهم لكَشْفِ الضُّرِّ، وجَلْب النَّفْع، فما هو الشِّرْك إلَّا هذا.

ولمَّا قال رَجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عِدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، رَواه الإمامُ أَحْمد في «المسنَدِ» في (١/ ٢١٤) برقم الحديث (١٨٣٩)[1].

فمَنِ اعْتَقد أنَّ الشِّرْكَ الَّذي يصنع الآن عند القُبُور في مصر وغيرها من دِمَاءٍ تُسفَك تقرُّبًا إلىٰ المَقْبورينَ، ونُذُورٍ تُقدَّم إلىٰ سَدَنتها، ودُعَاءٍ لأَصْحابها، وتَمرُّغٍ عَلَىٰ تُرَابها، وَاسْتِغَاثةٍ بأَصْحابها، مَنِ اعْتَقَدَ أنَّ ذلك لَيْس بشِرْكٍ فهو إمَّا مُغَالطٌ، أو جاهلٌ يجب أن يَرْمي شهادة الدُّكتوراه الَّتي مَعَه في البحر، ويتعلَّم مِن جديدٍ.

وأمَّا قوله: «إنَّ دَعْوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب دَعْوةٌ خارجيَّةٌ خَرجَتْ علىٰ الدَّولة العُثمانيَّة».

❑ **فأوَّلًا**: نَقُولُ للمُفتي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صَادقًا؛ فاللهُ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوبة: ١١٩].

إنَّ الدَّولةَ العثمانيَّة لَمْ تَسْتولِ علىٰ نجدٍ، ولَمْ تدخلها إلَّا عند حَمْلةِ إبراهيم باشا بَعْد وفاة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب بسَنَواتٍ عِدَّةٍ.

❑ **ثانيًا**: هذِهِ من المفتي مُغَالطةٌ يُبرِّر بها عَمَلَ الإرهابيِّين، وهَذَا كذبٌ، عَامَله اللهُ فيه بما يَستحقُّ، جَارَىٰ فيه جماعة الإخوانِ المُفْسدينَ الَّذين زَعَموا أنَّ الخوارجَ الإرهابيِّين إنَّما تَعلَّموا التَّكْفيرَ للمُسْلمين والخُرُوجَ علىٰ الوُلَاة من

---

(١) وأخرجه النَّسائيُّ في «الكُبرىٰ» (٩/ ٣٦٢) (١٠٧٥٨) مِن حديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحةِ» (١٣٩).

الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومِن «الدُّرر السَّنيَّة»[١].

وهذا كلُّه غيرُ صحيحٍ، فالشَّيْخُ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمْ يُكفِّر إلَّا مَنْ كفَّره اللهُ مِن المُشْركينَ الشِّرْكَ الأكبرَ.

وأيضًا أنَّه لم يكفِّر أحدًا منهم إلَّا بَعْد البيان، وإِقَامة الحُجَّة، ولكنْ هَؤُلَاءِ الظَّلَمة الخَوَنة الإخوان المُفْسدونَ يُريدُونَ أَنْ يُلصقوا هذِهِ العقيدة الفاسدة، وهَذَا المُرُوق الجائر بالشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودعوتِه الحَقَّة مع أنَّ بَصَماتِ البنَّائين، والسُّروريِّين، والقُطْبيِّين[٢] عَلَيها واضحةٌ، وقَدْ أَوْضحتُ ذلك في كتابي: «الرَّدّ المُحَبَّر علىٰ افتراءات وتلبيسات صاحب المجهر»، فقَدْ أَلحقتُ في مُؤَخَّره دِراساتٍ عن جماعة (الإخوان المُسْلمينَ) وكَيْدهم للمُسْلمين في الجزيرة العربيَّة ودول الخليج، ودراسة عَنْهم استخرجتُها من كتاب: «قافلة الإخوان المسلمين» للسيسي.

ولبيان افتراءِ الإخوانِ البنَّائين والسُّروريِّين والقُطبيِّين أَنْقُل كَلامًا لشيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن «الدُّرر السَّنيَّة» في (١/ ٢٣٠) ذكر في كَلَامٍ طَويلٍ ما افْتراه عليه أَعْداء دَعْوة التَّوحيد حَيْث قال: «ومَنْ شاهدَ حَالَنا، وحضَر مجالسنا، وتَحقَّق ما عندنا، عَلِمَ قطْعًا: أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ وَضعَه وَافْتراه علينا أعداءُ الدِّين، وإخوان الشَّياطين؛ تَنْفيرًا للنَّاس عن الإِذْعانِ بإخلاص التَّوحيد لله تَعَالىٰ بالعبادة، وتَرْكِ أَنْواع الشِّرْك الَّذي نصَّ اللهُ عليه بأنَّ اللهَ لا

(١) يقصدون كتاب: «الدُّرَر السَّنيَّة في الأجوبة النجدية» تأليف: علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب إلىٰ عصرنا هذا، دراسة وتحقيق: عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبنَّائين: أتباع حسن البنَّا، وبالسُّروريين: أتباع محمَّد سرور زين العابدين، وبالقطبيِّين: أتباع سيِّد قطب.

يَغْفِرُهُ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فإنَّا نَعْتقدُ: أنَّ مَنْ فَعَل أنواعًا من الكَبَائر؛ كَقَتْل المُسْلم بغَيْر حقٍّ، والزِّنا، والرِّبا، وشُرْب الخَمْر، وتكرَّر منه ذلك: أنَّه لا يَخْرج بفعلِه ذَلِكَ عن دائرة الإسلام، ولا يَخْلد به في دَارِ الانْتِقَامِ، إذَا مَاتَ مُوحِّدًا بجميعِ أنْواع العبادة». اهـ. ما أردتُ نقلَه.

وقال في (١/ ٢٠٢) سطر (٩): «ولا يُخْرجه عن مَرْتبةِ الإسْلام إلَّا الكُفْر بالله، والشِّرْك المُخْرج من المِلَّةِ، وأمَّا المعاصي والكبائر؛ كالزِّنا، والسَّرقة، وشُرْبِ الخمر، وأشْباه ذلك؛ فلا يُخْرجُه عن دائرة الإسلام عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، خلافًا للخوارج والمُعْتزلةِ الَّذين يُكفِّرون بالذُّنوب، ويحكمون بتخليدِه في النَّار». اهـ.

وقال في (ص ٣٠٧) من رسالةٍ للمَلِكِ سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود: «نَحْن - بحَمْد الله - لا نُكفِّر أحدًا مِن أَهْل القِبْلة بذَنْبٍ، وإنَّما نُكفِّر لهم بما نصَّ الله ورسولُهُ، وأَجْمع عليه علماءُ الأُمَّةِ المُحمَّديَّة، الَّذين هُمْ لسانُ صِدْقٍ في الأُمَّة أنَّه كفرٌ؛ كالشِّرْك في عبادَةِ اللهِ غَيْره؛ مِن دُعَاءٍ، ونَذْرٍ، وذَبْحٍ، وكبُغْض الدِّين وأهلِهِ، والاسْتِهْزاء به.

وأمَّا الذُّنُوبُ؛ كالزِّنا، والسَّرقة، وقتْل النَّفس، وشُرْب الخمر، والظُّلم، ونَحْو ذلك، فلا نُكفِّر مَنْ فَعَله إذا كانَ مُؤْمنًا باللهِ ورسولِهِ إلَّا إنْ فَعَلَه مُسْتَحِلًّا له». اهـ.

ولو تَتبَّع أَحَدٌ أَقْوالَ شَيْخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وأَنْجَاله وتَلامذتِهِ، ومَنْ تخرَّج من مَدْرستِهِ في نَفْي عقيدة الخَوَارج، وذَمِّهم لَهَا، وردِّهم علىٰ أَصْحابِها لَجَمَع شيئًا كثيرًا من (الدُّرر السَّنيَّة) وغيرها.

وإنَّه لأَمْرٌ غريبٌ وحَدَثٌ عجيبٌ أن يَتعمَّد مُفْتِي دولةٍ إسلاميَّةٍ فِرْيةً كهذِه

لِيَطْعنَ بها في دَاعية حقٍّ، ومُجدِّد دينٍ، أَحْيا اللهُ بدعوتِه أُممًا لا يُحْصَون، فدَخلوا بدعوتِهِ في الدِّين الصَّحيح، وتَحرَّروا من الخُرَافة الَّتي كان يَعِيشُها أَقْوامُهم، وتَركوا البِدعَ، فَوحَّدوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، وتَابَعوا السُّننَ، وعرَفوا اللهَ مَعْرفةَ حقٍّ، فأَفْرِدُوه بالعبادةِ دون سواه، ثمَّ يأتي أقوامٌ مِمَّن ابْتُلُوا بتَرْويج الخُرَافات والبِدَعِ، فيَقُولونَ: «إنَّ دَعْوةَ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب دَعْوةٌ خارجيَّةٌ خَرجَتْ علىٰ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ».

وممَّن رَاجَ عِنْدهُمْ هَذَا البهْت، فَرَمَوْا به هذا الإمامَ العظيمَ، مُفْتي مصر حاليًا، المدعو بـ(علي جُمعة)، حيثُ قالَ: «إنَّ دَعْوةَ الإمام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب دَعْوةٌ خَارجيَّةٌ خَرجَتْ علىٰ الدَّولةِ العثمانيَّةِ باسْمِ إِقَامةِ التَّوحيدِ».

وأقولُ: إنَّ دعوةَ الشَّيخ مُحمَّد بن الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعوةُ حقٍّ، فهي تَجْديدٌ لدَعْوة النَّبيِّ ﷺ، وتَصْفيةٌ لَهَا مِن الشَّوائبِ الَّتي أُدخلت فِيهَا مِن قِبَلِ الَّذين تَعمَّدوا إِفْسادَها، وخَلْطها بالباطل، والنَّاسُ الَّذين عَايَشوها إبَّان نَشْأتها يَنْقسمُونَ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

١- علماء سُنَّة، وهم قليلٌ.

٢- أَصْحاب خُرَافة دَاعِين إليها، أو مُحبِّذين لها، أو مَخْدوعين بأَصْحابِها، أو مُنْتفِعِينَ من ورائها، ويَدْخل فيهم علماءُ السُّوءِ الَّذين يَخافون علىٰ زَعامتِهم أن تبورَ.

٣- العامَّة الَّذين يكونون أتباعَ مَنْ قادَهم.

وعلىٰ هذا، فإنَّ أَصْحابَ الخُرافة ومَنْ والَاهم مِن عُلماء السُّوءِ، الَّذين يَحْرصون علىٰ النَّفْعِ الدُّنيويِّ، فإنَّهم لا بدَّ أنْ يَطْعنُوا في دَعوتِه، بُغْضًا لها،

وَاسْتِرْضاءً لعوامِّ النَّاس، المُعَادين لِمَا لَمْ يَأْلفُوا، وهؤلاء أُثر عنهم الذَّمُّ لها، أمَّا عُلماء السُّنَّةِ، أهلُ الحقِّ، فقَدْ أَثْنَوا عليها، ونَسجُوا الأشعارَ البليغةَ في الثَّناءِ عليها، وعلىٰ مَنْ قامَ بها، فَاسْمَعْ إلىٰ الشَّيخ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني صاحب «سُبُل السَّلام شرح بُلوغ المَرَام» حيثُ يقولُ:

قِفِي وَاسْأَلِي عَنْ عَالَمٍ حَلَّ سُوحَهَا ... بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدٌ الهَادِي لِسُنَّةِ أَحْمَدَ ... فَيَا حَبَّذَا الهَادِي وَيَا حَبَّذَا الْمَهْدِي
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِي الْحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُولِ مُقَابَلٍ ... وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الرَّدِّ والطَّرْدِ
سِوَىٰ مَا أَتَىٰ عَنْ رَبِّنَا وَرَسُولِهِ ... فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلَّ يَا ذَا عَنِ الرَّدِّ
وَأَمَّا أَقَاوِيلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدُورُ عَلَىٰ قَدْرِ الأَدِلَّةِ فِي النَّقْدِ
وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ ... يُعِيدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي
وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَوَىٰ كُلُّ جَاهِلٍ ... وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ، فَوَافَقَ مَا عِنْدِي
وَيَعْمُرُ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ هَادِمًا ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيهَا عَنِ الرُّشْدِ
أَعَادُوا بِهَا مَعْنَىٰ سُوَاعَ وَمِثْلِهِ ... يَغُوثَ وَوَدٍّ، بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وُدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيْرِ اللهِ جَهْرًا عَلَىٰ عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ القُبُورِ مُقَبِّلٍ ... وَمُسْتَلِمِ الأَرْكَانِ مِنْهُنَّ بِالْيَدِ

وقَالَ الشَّيخُ الإمامُ عالمُ الأحساء أبو بكرٍ حُسين بن غنَّام رَحِمَهُٱللَّهُ في أبياتٍ له:

لَقَدْ رَفَعَ الْمَوْلَىٰ بِهِ رُتْبَةَ الهُدَىٰ بِوَقْتٍ بِهِ يُعْلَىٰ الضَّلَالُ وَيُرْفَعُ
سَقَاهُ نَمِيرِ الفَهْمِ(١) مَوْلَاهُ فَارْتَوَىٰ وَعَادَ بِتَيَّارِ المَعَارِفِ يَقْطَعُ
فَأَحْيَا بِهِ التَّوْحِيدَ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ وَأَوْهَىٰ بِهِ مِنْ مَطْلَعِ الشِّرْكِ مَهْيَعُ(٢)
سَمَا ذِرْوَةَ المَجْدِ الَّتِي مَا ارْتَقَىٰ لَهَا سِوَاهُ وَلَا حَاذَىٰ فِنَاهَا سَمَيْدَعُ(٣)
وشَمَّرَ فِي مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ يُشِيدُ وَيُحْيِي مَا تَعَفَّىٰ وَيَرْفَعُ
يُنَاظِرُ بِالآيَاتِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي أُمِرْنَا إِلَيْهَا فِي التَّنَازُعِ نَرْجِعُ
فَأَضْحَتْ به السَّمحاءُ(٤) يَبْسُم ثَغْرُها وَأَمْسَىٰ مُحَيَّاهَا يُضِيءُ وَيَلْمَعُ
وَعَادَ بِهِ نَهْجُ الْغِوَايَةِ طَامِسًا وَقَدْ كَانَ مَسْلُوكًا بِهِ النَّاسُ تَرْتَعُ
وَجَرَّتْ بِهِ نَجْدٌ ذُيُولَ افْتِخَارِهَا وَحُقَّ لَهَا بِالأَلْمَعِيِّ تَرَفَّعُ
فَآثَارُهُ فِيهَا سَوَامٌ سَوَافِرٌ وَأَنْوَارُهُ فِيهَا تُضِيءُ وَتَسْطَعُ

قال الشَّيخ سُلَيْمان بن سَحْمَان: «وبهَذَا يَظْهر لكلِّ ذي عَقْلٍ سليمٍ، ودينٍ مُسْتقيمٍ، أنَّه لَمْ يكُن يَدْعُو إلىٰ دينٍ جديدٍ كما يَزْعمه هؤلاء المَارقُونَ عَنْ دين الإسلام». انظر: «الضِّياء الشَّارق في الرَّدِّ علىٰ شبهات المَاذِق المَارِق»، لفضيلة الشَّيخ سليمان بن سحمان من (ص٨٣ - ٨٦).

قلتُ: ولَمْ تكُنْ دعوتُه خارجيَّةً كما افْتَرىٰ ذلكَ عليه أقوامٌ، وكان مِمَّنَ روَّجَ لهذا البهْت المأفُون الدُّكتور علي جُمعة مُفتي مصر، ولقَدْ أُشِيعَتْ في زَمَن الإمام

(١) النَّمير: العذْب.

(٢) المهيع: الواضح البيِّن.

(٣) السَّميدع: الرَّجل السَّريع في حوائجه، والسَّيِّد الموطَّأ الأكناف.

(٤) يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسَّمحاء: الشَّريعة والمِلَّة.

مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشاعاتٌ ضدّه، وهي كثيرةٌ.

وقَدْ أجابَ عن هذِهِ الأكاذيبِ والمُفْتريات الشَّيخُ عبد الله بن مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، فقالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأمَّا ما يكذبُ عَلَيْنا سترًا للحقِّ، وتَلْبيسًا على الخَلْق؛ بأَنَّا نُفسِّرُ القُرآنَ برأْينا، ونأْخذُ مِن الحديثِ ما وَافَق فَهْمَنا مِن دون مُراجعة شَرْحٍ، ولا نُعوِّل على شيخٍ.

وأنَّا نَضَعُ مِن رُتبة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ بقولِنا: النَّبيُّ رِمَّةٌ في قَبْرِهِ، وعصا أحدنا أنفعُ منه، وأنَّه لَيْس له شَفَاعةٌ، وأنَّ زيارتَه غيرُ مَنْدوبةٍ، وأنَّه كانَ لا يعرف مَعْنىٰ (لا إله إلَّا الله) حتَّىٰ نزَل عليه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمَّد: ١٩] مَعَ كَوْن الآيةِ مَدنيَّةً، وأنَّا لا نَعْتمد أقوالَه، ونتلف مُؤلَّفات أَهْل المَذَاهب لكون فيها الحقّ والباطل.

وأنَّا مُجسِّمة، وأنَّا نكفِّر النَّاسَ علىٰ الإطلاق من بعد السِّتِّ مئة إلَّا مَنْ هو علىٰ ما نَحْن عليه.

ومن فُرُوع ذَلِكَ: أنَّا لا نَقْبل بيعةَ أحدٍ حتَّىٰ نُقرِّر عليه أنَّه كان مُشركًا، وأنَّ أَبَويه مَاتَا علىٰ الإشْراكِ بالله، وأنَّا نَنْهىٰ عن الصَّلاةِ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، ونُحرِّم زِيَارةَ القُبُورِ المَشْروعة مُطْلقًا، وأنَّا لا نرَىٰ حقًّا لأَهْلِ البيْتِ،.. إلىٰ غَيْر ذَلِكَ.

فجَمِيعُ هذِهِ الخُرافاتِ وأَشْباهها لمَّا اسْتَفْهَمنا عَنْها مَنْ ذَكَرها لنا، كان جوابُنا عليه في كلِّ مسألةٍ: سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ، فمَنْ روىٰ عنَّا شيئًا مِن ذلك، ونَسَبه إلَيْنا فقدْ كَذَب عَلَينا وَافترىٰ، ومَنْ شاهدَ حَالَنا، وحَضَر مَجْلسنَا، وتَحقَّق ما عِنْدَنا، عَلِمَ قطعًا أنَّ جميعَ ذَلِكَ، وَضَعَه عَلَينا، وَافْتَراه أَعْداءُ الدِّين، وإخوان الشَّياطين، تَنْفيرًا للنَّاس عن الإذْعانِ لإخْلاصِ التَّوْحيدِ لله تَعالىٰ بالعبادة، وتَرْك أنْواع الشِّرْك، الَّذي نصَّ اللهُ عليه عَلَىٰ أنَّه لا يَغْفره، ويَغْفر ما دون

ذلك لِمَنْ يَشَاء». انتهىٰ من «الضِّياء الشَّارق» (ص ٨٧ – ٨٨).

وقال الدُّكتور صالح بن عبد الله العبود في كتابه: «عقيدة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلفيَّة وأثرُها في العالم الإسلاميِّ»، قال تحت عُنوان: مَنْهج الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ومَنْهج الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مَنهجُ السَّلفِ الصَّالح - رحمهم الله -...، يرىٰ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَصبَ الأدلَّةَ، وبيَّنَ الآياتِ الدَّالَّةَ عليه، وأَعْطىٰ الفِطَرَ، ثمَّ العُقُولَ، ثمَّ بَعَث الرُّسُلَ، وأَنْزل الكُتُبَ كلَّها، دالَّةً عليه، ومُعرِّفةً به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن آياتِه القرآنُ الكريمُ الَّذي تَحدَّىٰ اللهُ بسُورةٍ من مثلِه، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤]...».

إلىٰ أن قال: «لا خَيرَ إلَّا دلَّ عليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّر منهُ إلىٰ قِيامِ السَّاعةِ، والخيرُ الَّذي دلَّ عليه هو التَّوحيدُ، وجميعُ ما يحبُّه اللهُ ويَرْضاهُ، والشَّرُّ الَّذي حذَّر منه هو الشِّرْكُ، وجَمِيعُ ما يَكْرهُهُ اللهُ ويَأْباهُ». انتهىٰ من كَلامٍ طويلٍ في (ص١٧١) وما بعدها، فمَنْ شاءَ فَلْيعُد إليه.

وقال في (ص٦٣٣): «وقَدْ سُئِلَ أَبْناءُ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رحمهم الله تَعالىٰ: مَنْ لَمْ تَشْمله دائرةُ إمامتكم، وَيتَّسم بِسِمَةِ دَوْلتكم، هَلْ دارُهُ دارُ كُفْرٍ وحربٍ عَلَىٰ العُمُوم؟ فأَجابوا – رحمهم الله –: الَّذي نَعْتقدُهُ، وندينُ اللهَ به أنَّ مَنْ دانَ بالإسلام، وأطاعَ ربَّه فيما أَمَر، وانْتَهىٰ عمَّا نَهىٰ عنه وزَجَر، فهُوَ المُسْلمُ، حرامُ المالِ والدَّمِ، كما دلَّ علىٰ ذَلِكَ الكتابُ والسُّنَّةُ، وإجماعُ الأمَّة، ولَمْ نُكفِّر أحدًا دانَ بدِينِ الإِسْلام، لكونِهِ لَمْ يدخل في دائِرتِنا،

ولَمْ يَتَّسم بِسِمةِ دَوْلتنا.

بَلْ لا نُكفِّر إلَّا مَنْ كفَّره اللهُ ورسولُهُ، ومَنْ زَعَم أنَّا نُكفِّر النَّاسَ بالعُمُوم، أو نُوجِبُ الهِجْرةَ إِلَيْنا عَلَىٰ مَنْ قَدر علىٰ إِظْهارِ دينِهِ ببلدِهِ، فقَدْ كَذَبَ وافْترىٰ، وإذا كانت عقيدةُ الشَّيخ السَّلفيَّة هَكَذا إنَّما هي تَمسُّكٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، ودَعْوةٌ إلىٰ اللهِ وَحْده بهَذَا التَّمسُّكِ الرَّاشد، فكَذَلِكَ هِيَ لَيْسَتْ مَصْدر تَزمُّتٍ، وتَرْكٍ للدُّنيا، ورَفْضٍ للمَصَالح فيها، وإنَّما هي عَقِيدَةُ الصَّلاح والأَصْلح في الدُّنيا والآخرة، كَيْفَ لا وهي مَبنيَّةٌ علىٰ أنَّ صريحَ العَقْلِ يُوافِقُ صحيحَ النَّقْلِ». اهـ.

وأخيرًا: - يا سماحةَ المُفتي - أَنْصحُك أنْ تقرأَ مُؤلَّفاتِ هذا الإِمَام؛ اقرأْ كتابَ «التَّوْحيدِ»، وقَدِ احْتَوىٰ علىٰ سِتَّةٍ وسِتِّينَ بابًا، كلُّ بابٍ مُصدَّرٌ بآيةٍ أو آياتٍ قرآنيَّةٍ، وحديثٍ أو أحاديث نَبويَّةٍ، أَنْصحك أن تقرأَ «كشف الشُّبُهات»، و«الأُصُول الثَّلاثة»، و«القواعد الأربع»، و«نواقض الإسلام»، أَنْصَحك أن تقرأَ رسائلَ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكَمْ فيها من عِلْمٍ أنتَ وأَمْثالُك بحَاجةٍ إليه، اقرأ عن الشَّيْخ ودعوتِهِ في الكُتُبِ التَّالية:

١- «عنوان المجد في تراجم عُلماء نجد» لابن غنَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- «الضِّياء الشَّارق» للشَّيخ سُليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- «عقيدة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب السَّلفيَّة» للدُّكتور صالح بن عبد الله العبود حفظه الله.

٤- اقْرَأْ عنه وعن أبنائِهِ، وأحفادِهِ، وتلامذتِهِ في كتاب: «الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبةِ النَّجديَّة».

٥- اقْرَأْ عن أثر دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب في الفكر والأدب بجنوب

الجزيرة للدُّكتور عبد الله بن محمد حسين أبو داهش حفظه الله.

وهناك مَصَادرُ أُخرىٰ لا أُطِيلُ بذِكْرِهَا.

قال المفتي (علي جمعة) في كَلَامٍ طويلٍ أُرْسِلَ إليَّ عليه صورتُهُ:

«٢ - وهُنَاك فارقٌ بَيْن القطعيِّ والظَّنِّي، فحُرْمةُ الخَمْر قَطعيَّةٌ، وحُرْمة التَّدخين ظَنِّيَّةٌ، ومَحَلُّ اختلافٍ، وقَدْ يَقْوىٰ الخلافُ بَيْنَ الأئمَّةِ المُجْتهدينَ العِظَام.... ».

إلىٰ أَنْ قال:

«٤ - ولَيْسَ معنىٰ أنَّ الخَمْرَ حرامٌ: هَدْم الخمَّارات، ولَيْسَ مَعْنىٰ حُرْمة القمار والدَّعارة: قَتْل المُشْتغلينَ بها، ولَيْس مَعْنىٰ حُرْمة عبادة البقر: قتل البقر أو حتَّىٰ قَتْل العَابدِينَ لها، فهَذَا الإلزامُ إنْ دلَّ علىٰ شَيءٍ، فإنَّما يدلُّ علىٰ ضَعْف الرَّبْطِ بَيْنَ المُقدِّماتِ والنَّتائج، ويدلُّ علىٰ سَطْحيَّة الرَّبْط بَيْنَ الأسبابِ والمسبَّباتِ». اهـ.

وأقولُ: في هذا الكلام خَلْطٌ بينَ الأُمور، واللهُ يُحاسبُ قائلَه عمَّا أرادَ، فقولُه: «فحُرْمة الخَمْر قَطعيَّةٌ، وحُرْمة التَّدخين ظَنِّيَّةٌ... ».

❑ **أقول**: **أوَّلا**: هذِهِ نَزْعةٌ اعْتِزَاليَّةٌ، فالمُعْتزلةُ هُمُ الَّذين يَقُولون: إنَّهم لا يَقْبلون إلَّا القُرآنَ، ومُتَواترَ السُّنَّةِ، أمَّا أحاديثُ الآحادِ فلا يَقْبلونها، وقَدْ أشارَ إلىٰ أَصْحابِ هذا الفِكْرِ الرَّسُولُ ﷺ في قولِهِ: **«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ**

قِراهُ». رواه الإمامُ أبو داود في كتاب (السُّنَّة)، باب لُزُوم السُّنَّة، وقالَ عنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيحٌ»، وصَحَّحه أيضًا في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (١٢) من حديث المِقْدامِ بن مَعْدِي كَرِب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

❑ ثانيًا: حُرْمَةُ الخَمْرِ قَطْعيَّةٌ، ولا شكَّ في ذَلِكَ؛ قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

❑ ثالثًا: حُرْمَةُ الدُّخانِ قَطْعيةٌ أيضًا، ولكن بالوَصْف، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَمَفادُ هذِهِ الآية أنَّ كلَّ طَيِّبٍ حلالٌ، وكلَّ خَبيثٍ مُحرَّمٌ، وخبثُ الدُّخان لا يَتَمارىٰ فيه عاقِلانِ، فلذَلِكَ فهُوَ مُحرَّمٌ قَطْعًا؛ لِشُمُول وَصْفِ الخبثِ له، فنحنُ نقولُ: كلُّ خبيثٍ مُحرَّمٌ، والدُّخانُ خبيثٌ، فهو مُحرَّمٌ.

ومِن ناحيةٍ أُخرىٰ؛ فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حضَّ عباده علىٰ حِفْظِ المال، ونَهىٰ عن إعطائِهِ للسُّفهاءِ، فقال: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: ٥].

وَنَهىٰ الرَّسُولُ الكريمُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إِضَاعةِ المَالِ، وإِحْراقُ المالِ مَنْهيٌّ عنه قَطْعًا، فهو أَشدُّ مِن الإِتْلافِ بغير التَّحريقِ، ولَوْ أنَّ إنسانًا اشْتغَلَ حتَّىٰ كسَب مالًا، ثمَّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤).

أَحْرَقه خارجَ جِسْمِهِ، لكانَ مُتَّهمًا في عقلِهِ، وإحراقُهُ داخلَ الجِسْمِ جمعٌ بَيْنَ مُصِيبتَين (إتلاف المال، وإتلاف الجسم).

يَنضافُ إلىٰ ذَلِكَ: مَعْصيةُ الله ورسولِه؛ لأنَّه مُخدِّرٌ، ومُفتِّرٌ، وكلُّ مُخدِّرٍ ومُفتِّرٍ حَرَامٌ، فمَا اجْتمعَتْ فِيهِ هذِهِ الأُمُور كيف يُقَال: إنَّ حُرْمته ظَنِّيةٌ!

أَقُولُ للمُفْتي، هَدَاه الله: كَلامُكَ هَذَا يدلُّ علىٰ أنَّك تقرُّ إبقاءَ الخمَّاراتِ، ومَوَاطن المَيْسر، ومَوَاقع الدَّعارةِ، فكأنَّك تَقُولُ: لا يَتعرَّض أحدٌ لهذِهِ المَنَاكر، بَل اترُكُوهَا وأَهْلَها، ولا تَتعرَّضوا لهُمْ بِسُوءٍ، وهَذَا خطأٌ فاحشٌ، ومَنْعٌ لإنكار المُنْكر، فإِنْ كان المُفْتي يَقْصد الرَّدَّ علىٰ الإرْهابيِّين بأنَّه لا يَجُوز لهم أن يُتْلفوا مَحِلَّات المَنَاكِرِ بأَنْفسِهم، بَلْ إنَّ الواجبَ عَلَيهم أن يَرْفعوا ذَلِكَ إِلَىٰ الحُكُوماتِ، ويَطْلبوا مِن الحُكُومةِ إِزَالتَها ومَنْعها، فهَذَا له وجهٌ مِن الصِّحَّةِ إلَّا أنَّه أَخطأ في هذا التَّعْبير المُعمَّم.

إنَّ واجبَ الأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنكر حُكْمٌ مُجْمعٌ عليه؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعلَ الأَمْر بالمَعْروفِ والنَّهي عن المُنْكر ثُلُثي الدِّين؛ فقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أمَّا إِنْ كانَ المُفْتي يَزْعمُ أنَّا نَقُول: الخَمْرُ حَرَامٌ، وحُرْمتُهُ قَطْعيَّةٌ، لكن لا يَجُوز أن نُنْكره، والمَيْسرُ حرامٌ، وحُرمتُهُ قَطْعيَّةٌ، ولا يَجُوزُ أنْ ننكرَ علىٰ أصحابِهِ، والدَّعَارة وَهِيَ بُيُوت الزِّنا مُحرَّمةٌ حُرْمةً قَطعيَّةً، ولا يَجُوز أن نُنْكرَها، فهَذَا أمرٌ غريبٌ، وشيءٌ عجيبٌ أَتَىٰ به هَذَا المُفْتي.

إنَّ واجبَ الأَمْر بالمَعْروفِ وإنكار المُنْكر يَفرض علينا أَنْ ننكرَ هذِهِ

المُحرَّمات إنكارًا عَلَنيًا بألسِنتنا، ونُطالبُ الدَّولةَ مطالبةً جَديَّةً بإغْلاقِ دُور البِغَاءِ، ومَوَاخير الخَمْر، ودُور المَيْسر؛ لأنَّ الإسلامَ يَفْرض ذلك ويُوجِبُهُ، فإنْ أبَوْا أنْ يَفعلُوا، بَرِئَتْ ذِممُنَا، ولا يَجُوز لنا أن نَهْدمَ دُورَ البغاءِ، ومَحلَّات المَوَاخير بأَنْفسنا؛ لأنَّ الأمرَ بالمَعْروفِ، والنَّهي عن المُنْكر باليد لَيْسَ للأفراد، بَلْ هو للدُّول، وللأفراد فيما لهم نُفُوذٌ عليه؛ كَبُيُوتهم.

ونقول للدَّولة: إذا قَرَّرتم إِبَاحةَ بَيْع الخَمْر عَلَنًا، وأَبَحْتُم البغاءَ عَلنًا في دَوْلتكم فَقَدْ أَسْهمتُمْ فِي هَدْمِ الإِسْلامِ وتَقْويضِهِ من أَرْكانِهِ.

وفِي الحَدِيثِ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»، انظر: «صحيح الجامع» برقم (٤٤٢٦)[(١)].

وفِي الحَدِيثِ أيضًا: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّ عَلَىٰ اللهِ عَهْدًا لمنْ شَرِبَ المُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**»، أَوْ «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»، انظر: «صحيح الجامع» برقم (٤٤٢٧)[(٢)].

وفِي حديثٍ آخر: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ مِنْهُ الفَرَقُ، فَمِلْءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ**». انظُر: «صحيح الجامع» برقم (٤٤٢٨)[(٣)].

وفِي الحديثِ الآخر: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ - لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ**». انظُر: «صحيح الجامع» برقم (٤٤٢٩)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣) من حديث أَبِي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨٧)، والترمذي (١٨٦٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) مِن حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

أمَّا البِغَاءُ؛ فحُرْمتُهُ مُتَّفقٌ عليها في شِرْعةِ الإسْلامِ، وجَمِيع الشَّرائع، لا يَشُكُّ في ذَلِكَ أحدٌ، واللهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَىٰ يقُول إخبارًا عن قِصَّةِ مَرْيم حين وَلَدتْ بعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءتْ به: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: ٢٨]، فهَذَا يَدُلُّ علىٰ تَحْريم الزِّنا في جَمِيعِ الشَّرائع.

والمهمُّ: أَيُسْكتُ عن هذِهِ المناكِر علىٰ ما فِيهَا من الوعيدَاتِ، بل وتُقَرُّ إقرارَ الشَّيءِ المُباح، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

وفي الحديثِ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**مُرُوا بالمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَن الْمُنْكَر قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»، رَواه الإمامُ ابن ماجه في كتاب (الفتن)، بابُ (الأَمْر بالمَعْروفِ، والنَّهْي عن المُنْكر)، وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم (٤٠٠٤).

تنبيهٌ: لقَدْ وَجدتُ لمُفْتي مصر الدُّكتور (علي جُمعة) في نَفْس المقال كلامًا يَدلُّ علىٰ أنَّه يقول: «لا بدَّ من الأَمْرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْي عن المُنْكر»، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه إنَّما قصَد تَصرُّفات الإرهابيِّينَ، وهذا وجيهٌ.

قَالَ المُفْتي بَعْد كَلامٍ كثيرٍ: «وبهذِه القواعدِ نَشَأتْ قَاعدةُ التَّعايشِ حتَّىٰ أنَّه لو اعْتقَد أَحدُنا أنَّ شيئًا ما حَرامٌ حتَّىٰ لو كان مُتَّفقًا عليه؛ كالعُريِّ والخَمْر، فإنَّه يَأْمر بالمَعْروف، ويَنْهىٰ عن المُنْكر، وَلَا يُدمِّرُ، وَلَا يُفجِّرُ، فما بالك بالمُخْتلفِ فيه». اهـ.

وأقولُ: ما ذَكَره المُفْتي هنا كلامٌ جيِّدٌ، أسألُ اللهَ أنْ يُوفِّقنا وإيَّاه، وأن يُلْهمنَا رُشدنَا، ويُعيذَنا مِن شرِّ أنفُسِنا إلَّا أنَّ تَرْكَ التَّدميرِ والتَّفجيرِ لَيْس مِن أجْل التَّعايُش فحَسْب، ولكن من أجْلِ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يُكلِّفنا بذَلِكَ؛ لأُمُورٍ:

١ - أنَّ الإتْلافَ لأَمْوالِ المُسْلمينَ، والإزْهاقَ لأَرْواحِهم أو الإضْرار بهم، كلُّ ذلك مُحرَّمٌ، لا يَجُوز فِعْلُ شيءٍ منه؛ لقولِهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، رَواهُ البخاريُّ ومسلمٌ[(١)].

٢ - أنَّ الأَمْرَ بالمَعْروفِ يُشْتَرَطُ فيه أَنْ يكونَ بمَعْروفٍ؛ فإنْ حصل فيه تَدْميرٌ أو تَفْجيرٌ أَوْ تَقْتيلٌ كان نُكْرَةً أَعْظَم من المُنْكر الَّذي يُرَاد تَغْييرُهُ، وقَدْ قِيلَ:

وَمَـنْ أزالَ مُنْكَـرًا بِـأَنْكَرَا كَغَاسِـلِ الحَـيْضِ ببَـوْلٍ أَغْبَـرَا

٣ - أنَّ الإنكارَ بِاليَدِ كثيرًا ما يُؤدِّي إِلَىٰ فِتَنٍ بَيْنَ النَّاسِ بحَيْث يَتعصَّب لهَذَا أَشْخاصٌ، فيُحَاولُونَ ضَرْبَ المُنْكر، أو الانْتِقَام مِنْهُ، فالأَوْلَىٰ تَرْكُهُ، وليكن إِنْكَارُ المُنْكر باللِّسانِ دُونَ اليَدِ، أو تَسْتعدِي الدَّولة علَىٰ صَاحِبِ المُنْكر، فإنِ اسْتَجابَتِ الدَّولةُ، ونَصرتِ الحقَّ، وإلَّا فَقَدْ بَرِئَتِ الذِّمَّةُ، ولَقَدْ بَقِيَ النَّبيُّ ﷺ في مَكَّةَ ثَلَاث عَشْرة سنةً يُنْكِر عَلَيهم عبادةَ الأَصْنامِ، ويذمُّ طريقتهم، ولَمْ يُكسِّر شيئًا من أَصْنامِهِمْ، فلمَّا دَخلها فاتحًا جعَل يَطْعنها بقَوْسِهِ ويُسْقطُها، ويَقُولُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١﴾ [الإسراء: ٨١].

٤ - أنَّ التَّدْميرَ والتَّفْجيرَ يُتْرَكُ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَأْذَنْ فيه؛ لأنَّ فيه إِضْرارًا بالمُجْتمع المُسْلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أَبِي بَكْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- أنَّ المجتمعَ الَّذي يعيشُ فيه هَؤُلَاء المُدمِّرونَ والمُفجِّرون تتَحوَّل حَياتُهُمْ إلىٰ جَحِيمٍ، فيَسُودُ فِيهمُ الخوفُ، وَقِلَّةُ الأَمْنِ، وَلَا واللهِ ما أرادَ اللهُ من المُجْتمعِ المُسْلمِ أَنْ يكونَ هكذا، بَلْ أرادَ أَنْ يَشِيعَ في المُجْتمعِ المُسْلمِ الأَمْنُ والطَّمأنِينةُ والوَداعةُ حتَّىٰ يَعبدَ النَّاسُ ربَّهم، وهُمْ آمِنُونَ.

٦- وأخيرًا؛ الَّذي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَه مُوضِّحًا للمُفْتي، ومُبيِّنًا له: أنَّ قاعدةَ التَّعايشِ لَا يَجُوز أَنْ نُخْضِعَ لها دِينَنا، فنَتْرك تَعالِيمَه أو بَعْضَها لنُعَايشَ غَيْرنا، فهذا لا يَجُوز، بل الواجبُ علينا أن نُخْضعَ جَمِيعَ مَصَالح الدُّنيا للدِّينِ.

وأمَّا قولُهُ: «إنَّ الصَّحابةَ كَانُوا أَشَاعرةً»، فهَذا قولٌ باطلٌ، لَيْسَ له حَظٌّ مِن الصِّحَّةِ، فأَبُو الحَسَن الأَشْعريُّ، وُلِدَ بعد أَنْ مَضَتْ مئتا سنةٍ مِن الهجرة، أي: وُلِدَ في القَرْن الثَّالثِ، ومَضَىٰ مُعْظم عُمْره في الاعْتِزَالِ، ثمَّ تَراجَع عن مَذْهبِ المُعْتزلةِ، وأَعْلن مَذْهبَه الأشعريَّ، ثمَّ رَجَعَ عَنْه، وأَعْلن تَوْبتَه منه، وعادَ إلىٰ مَذْهبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ أَهْلِ الحديثِ.

فأَيْنَ الصَّحابةُ، وأَيْنَ مَذْهبُ أبي الحسن الأشعريِّ؟ وما تِلْكَ إلَّا فِرْيةٌ افْترَاها هذا المُفتي إِن صحَّ ذلك عنه.

فلو قُدِّر أنَّ الأشعريَّ وُجِد في عَصْر الصَّحابة بَعْد مَوْتِ نَبيِّهم، ومَوْت الخُلفاءِ الرَّاشدين، فهل يُمْكنُ أنْ يَترُكَ الصَّحابةُ ما جاءَ به نَبيُّهم، ويُتَابعونَ الأَشْعريَّ في آرائِهِ؟ الجواب: لا، وألفُ لا.

وَإِنْ قَالَ: إنَّ مَذْهبَ الصَّحابة وعقيدتَهم وَافَقها الأشعريُّ، فهَلْ سَيَسْتطيعُ أَنْ يُثْبتَ أنَّ الصَّحابةَ كانوا يَقولُونَ في «استوىٰ»: استولىٰ، ويَقولونَ في الحديث المُتَّفق عليه: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا - تبارَكَ وَتَعالَىٰ - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ**

ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(١).

والأشعريَّة يقولون: يَنْزِلُ أمرُهُ.

وهَلْ يُمْكِن أنَّ الصَّحابةَ أَوَّلُوا اليَدَين في قولِهِ تَعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] بالنِّعمَتَينِ، إلىٰ غير ذَلِكَ؟

والجوابُ: إنَّ هَذَا ما هو إلَّا قولٌ باطلٌ انْتحلَه هَذَا الرَّجلُ، هَدَانا اللهُ وإيَّاه.

وأمَّا اعترافُهُ علىٰ نفسِهِ: «أنَّه صُوفيٌّ»، «وأنَّه رَأَىٰ رَسُولَ الله ﷺ يَقَظةً»:

وأقولُ: هَذَا الادِّعاءُ يَكْفِي في إِسْقاطِ هَذَا الرَّجُلِ، وأنَّه لَيْسَ من العُلَماءِ، وإنَّما هو صُوفيٌّ خُرافيٌّ يُصدِّق التُّرَّهاتِ الكاذبةَ، ويُكذِّبُ بالقُرآنِ؛ فاللهُ تعالىٰ يَقُولُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤ - ٩٦].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٣٢٦ الكتُب العلميَّة): «يَقُولُ تَعالىٰ: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: وَجَبَ، يَعْنِي قُدِّر أنَّ أَهلَ كلِّ قريةٍ أهلكوا أنَّهم لا يَرْجعون إلىٰ الدُّنيا قبْل يَوْم القِيامةِ، هَكَذا صرَّحَ به ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبو جعفر الباقر، وقتادةُ، وغيرُ واحِدٍ، وفي رِوايةٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي: لا يَتُوبُونَ، والقولُ الأَوَّلُ أَظْهَرُ، واللهُ أَعْلَمُ».

قلتُ: ولَعَلَّ الآيَةَ عامَّةٌ في القَوْلين، وأنَّ اللهَ كتبَ وقَدَّر أنَّ مَنْ ماتَ لا يَعُودُ إلىٰ الدُّنيا قَبْلَ يَوْمِ القِيامةِ، وأنَّ مَنْ كُتِبَتْ عَلَيه الشَّقاوةُ لا يَتُوبُ، ولا يَرْجع عن

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كُفْرِهِ، وَهَذَا هو الأَمْرُ المُشَاهدُ الَّذي لا يُماري فيه أحدٌ، ولهذا يَقُول الكفَّار للمُؤْمنين إِذَا أَخْبروهم بأَنَّ الله يَبْعثُ النَّاسَ يَوْمَ القيامة، ويُحَاسبهم، ويُجَازيهم، فيَقُولُون كما جاء في قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية: ٢٥]، أي: أَنَّهم مُسْتَبْعِدُون لِذَلِك، غَيْر مُصدِّقينَ أنَّ اللهَ يَبْعَثُ الأَمْواتَ.

والحقيقةُ: أَنَّ اللهَ لا يُعِيدُ أحدًا إلىٰ الدُّنيا بَعْد الموتِ إلَّا ما جعَلَه الله آيةً كما في قولِه تعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وكَأَصْحاب الكَهْفِ، وما أَشْبَه ذلكَ ممَّا جعَله اللهُ آيةً ودلالةً علىٰ قُدرةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وكذلكَ قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المُؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ في تَفْسير هذِهِ الآية بَعْد أَنْ ذكر آياتٍ كثيرةً في سُؤال الكافرين والمُفرِّطينَ الرَّجْعةَ عند المَوْت، فلا يُجَابُونَ، فقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - (٥/ ٤٢٩) -: «فذَكَر - تَعَالىٰ - أَنَّهم يَسْألونَ الرَّجعةَ فلا يُجَابُونَ عِنْدَ الاحْتِضَارِ، ويَوْمَ النُّشور، ووَقْتَ العَرْض عَلَىٰ الجبَّارِ، وَحِينَ يُعْرضونَ عَلَىٰ النَّار، وهُمْ في غَمَراتِ عَذَابِ الجَحِيمِ». اهـ.

قلتُ: وَقَدْ ثَبتَ أَنَّ الشُّهداءَ يَسْألونَ الرَّجعةَ بَعْد الموت ليُقَاتلوا في سبيل الله، فيُقْتَلوا مَرَّةً أُخرىٰ، وهَذَا ثابتٌ في السُّنَّةِ بما لا مَجَال للشَّكِّ فيه.

ومِمَّا سَبَرناه يُعْلم أَنَّ مَنْ ماتَ لا يَعُود إلىٰ الدُّنيا، وأَنَّ ما يَقُولُه ويَعْتقدُهُ

أصحابُ النِّحلة الصُّوفيَّة ما هو إلَّا كذبٌ وافتراءٌ، فإنْ رأىٰ أحدٌ منهم شيئًا، فهو الشَّيطانُ يتلاعبُ بهِم.

فإنْ قيل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**وَمَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي؛ فَإنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**» مُتَّفقٌ عليه[(١)].

فنقولُ: هَذَا صحيحٌ أنَّ الشَّيطانَ لا يَتمثَّل بصورتِهِ ﷺ، ولكن لَا يَمْتنعُ أنَّه يَتمثَّل في صُورةٍ غير صُورتِه، ويقولُ: هُو رَسولُ الله، وقَدْ تَمثَّل في صُورة مَلكٍ له عَرْشٌ، وعليه تاجٌ، وَقَالَ: «إنَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ»، كما نقل ذلكَ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «التَّوسُّل والوسيلة»[(٢)].

فإِذَا كانَ الشَّيطانُ قَدْ لعِبَ علىٰ (علي جُمعة)، وتَصوَّر له في صُورةٍ غير صورةِ النَّبيِّ ﷺ، وَقَالَ له: «إنَّه رَسُولُ الله»، وخَدَعه كما خَدَع غيرَه، فلا نَسْتبعِدُ ذلك؛ والله تعالىٰ يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦) من حديث أبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التَّوسُّل والوسيلة» (ص ٨٧ - ٨٨): «وهذا كما كان كثيرٌ من العُبَّاد يَرَىٰ الكعبةَ تَطوفُ به، ويَرَىٰ عَرْشًا عَظيمًا، وعليه صُورةٌ عَظيمةٌ، ويَرَىٰ أشخاصًا تَصعَدُ وتَنزِل؛ فَيَظنُّها الملائكة، ويَظنّ أنَّ تلك الصُّورة هي الله تعالىٰ وتَقدَّس، ويكون ذلك شيطانًا.

وَقَدْ جَرَت هذه القصَّةُ لغير واحدٍ مِن النَّاس؛ فمنهم مَنْ عَصمَه اللهُ وعرَفَ أنَّه الشَّيطانُ، كالشَّيخ عبد القادر في حكايتِه المشهورةِ حيثُ قال: كنتُ مرَّةً في العِبَادة، فرأيتُ عَرْشًا عَظيمًا، وعليه نُور، فقال لي: يا عبدَ القادر، أنَا رَبُّك، وقد حَلَّلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ علىٰ غيرِك. قال: فقلتُ له: أنتَ الله الَّذي لا إله إلَّا هو؟! اخْسَأْ يَا عَدُوَّ الله. قال: فَتَمزَّق ذلكَ النُّورُ، وصار ظُلمةً، وقال: يا عبد القادر، نَجوتَ منِّي بِفقهك في دينك وعِلمك، وبِمُنَازَلاتك في أحوالك. لقد فَتَنْتُ بهذه القصَّة سَبعين رجلًا. فقيل له: كيف علمتَ أنَّه الشَّيطانُ؟ قال: بقولِهِ لي: «حلَّلْتُ لك ما حَرَّمتُ علىٰ غيرك»، وقد علمتُ أنَّ شريعةَ محمَّدٍ ﷺ لا تُنْسَخُ، ولا تُبَدَّل، ولأنَّه قال: أنا رَبُّك، ولم يَقْدِر أن يقول: أنا اللهُ الَّذي لا إله إلَّا أنا».

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٠ - ٦٤].

إنَّ النَّجاةَ مِن الشَّيْطانِ هُوَ في التَّمسُّكِ بالوَحْيين (كتاب الله وسنَّة رَسُولِهِ) عَلَىٰ فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالحِ.

وقال مفتي مصر في (ص ٦) من النشرة **الَّتي وَصَلَتْ إليَّ**: «وحُرْمةُ التَّماثيل عند الجُمْهور هي للتِّمْثالِ الكامل، ولَيْسَ للصُّورة الفُوتُوغرافيَّة، ولَيْسَ أيضًا للتِّمثالِ النَّاقصِ، ولَيْسَتِ للعب الأَطْفالِ، ولَيْسَ لِمَا لا ظلَّ له، ولَيْسَ لِمَا يُسْتَعمل للإفَادةِ أو للعِلْمِ أو للتَّذكير».

ثمَّ قالَ: «وهَذَا مُحرَّرٌ في الفَتاوىٰ عَبْر خَمْسينَ عامًا». اهـ.

وأقولُ: مَفَاد هَذَا المَقْطع أنَّه لا يَحْرمُ مِن التَّصْويرِ إلَّا ما كانَ صنمًا، يَعْني هَيْكلًا كَاملًا، وهَذَا عليه فيه مُؤاخَذاتٌ:

فهُوَ أباحَ الصُّورة الفُوتُوغرافيَّة، وأباحَ التِّمثالَ النَّاقصَ، وأَباحَ لُعَبَ الأَطْفالِ، وأَبَاحَ ما لا ظِلَّ لَهُ، وأباحَ ما يُسْتعمل للإفَادةِ أو للعِلْمِ أو للتَّذكيرِ، وأَحَال علىٰ الفَتَاوىٰ الصَّادرة خِلَالَ خَمْسينَ عامًا، عِلْمًا أنَّ الأدلَّةَ تَدُلُّ علىٰ تَحْريم التَّصْوير بجَميعِ أَشْكالِهِ وأَلْوانِهِ.

قالَ البُخاريُّ في كتاب (اللِّباس)، باب (عذاب المُصوِّرين يَوْمَ القِيامَةِ)، برقم الحديث (٥٩٥٠): حَدَّثنا الحُميديُّ، حَدَّثنا سفيانُ، حَدَّثنا الأَعْمَشُ عن مُسْلِمٍ، قال: كنَّا مع مَسْروق في دارِ يَسَارِ بن نُمَيرٍ، فرَأَىٰ في صُفَّته تَماثيلَ، فقالَ: سمعتُ عبدَ الله قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**إنَّ أَشَدَّ النَّاس عَذابًا عِنْدَ الله يَوْمَ القِيامةِ المُصوِّرونَ**».

ثُمَّ أَخْرجَ البخاريُّ بَعْده حديثًا برقم (٥٩٥١) قال: حَدَّثنا إبراهيمُ بن المُنْذِر، حَدَّثنا أَنَس بن عِيَاضٍ، عن عُبَيد الله، عَنْ نافعٍ، أَنَّ عبدَ الله بنَ عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَره أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

وللحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ في «فتح الباري» في شَرْح هَذَيْنِ الحَدِيثينِ كَلَامٌ طَوِيلٌ، قَالَ فِيهِ: «قَالَ النَّوويُّ: قَالَ العُلَماءُ: تَصْويرُ صُورَةِ الحَيَوانِ حَرَامٌ شديدُ التَّحْريم، وَهُو من الكَبَائِرِ؛ لأنَّه مُتوعَّدٌ عَلَيه بهَذَا الوَعِيدِ الشَّديدِ، وسواء كان في ثَوْبٍ، أو بِسَاطٍ، أو دِرْهمٍ، أو دينارٍ، أو فَلْسٍ، أو إناءٍ، أو حائطٍ، أَوْ غَيْرِها، فأمَّا تَصْويرُ ما لَيْس فيه صورةُ حيوانٍ، فلَيْس بحَرَامٍ.

قلتُ: (القائل هو الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ويُؤيِّد التَّعْميم فِيمَا له ظِلٌّ وما لا ظِلَّ لَهُ، ما أَخْرجه أحمد من حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَيُّكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى المَدِينَةِ، فَلَا يَدَعُ بِهَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَّخَهَا**»[١]، أي: طَمَسَها». اهـ[٢].

قلتُ: وهَذَا الَّذي تُؤيِّده الأدلَّةُ؛ إِلَّا أَنَّ تَصْوير الجبال والشَّجر أَفْتَىٰ بجَوَازِهِ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٣]، ويَجُوزُ من الصُّور ما أُلْجِئَ إليه الإنسانُ؛ كالصُّورةِ في

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٧) (٦٥٧) من حديث عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألبانيُّ في «غاية المرام» (١٤٤).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٣٨٤ المعرفة).

(٣) أخرج البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠) واللفظ له عن سعيد بنِ أبي الحَسَنِ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ، فَأَفْتِنِي فِيهَا! فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّىٰ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**»، وَقَالَ: «**إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ**».

الجِنْسِيَّة[١]، والجَوَاز، والإقامة، ورُخْصة قيادة السَّيَّارة، وما أَشْبه ذلك؛ لقولِه تَعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وممَّا يؤيِّد أنَّ التَّحريمَ شاملٌ لِمَا له ظِلٌّ، وما لا ظِلَّ له: إنكارُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ القِرَام، وَهُوَ ثَوْبٌ فيه تَصاويرُ، نَشَرته علىٰ سَهْوَتِها[٢] عِنْدَ قُدُومِهِ ﷺ من تَبُوكَ فهَتَكَهُ، وقالَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ الله»، رَوَاه أحمد وغيرُهُ، وأصلُهُ في «صحيح مسلم»، بَابُ (لا تَدْخُلُ الملائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ)[٣].

وأَكْتَفِي بهَذَا القَدْرِ مِن الرَّدِّ علىٰ الدُّكتور فيما زَعَمه أنَّه لا يَحْرم إلَّا التِّمثالُ الكاملُ، والأدلَّةُ عامَّةٌ في التَّحْريم، وشَامِلَةٌ ما له ظِلٌّ وما لا ظِلَّ له، كما ذكر ذلك الحافظُ ابنُ حَجَرٍ، والنَّوويُّ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالىٰ.

أمَّا لَعِبُ الأَطْفالِ فَإِنَّما يُبَاح مِنْهَا ما كان مِن القصَب، أمَّا ما كانَ من البلاستيك المَنْفوخ (الدُّمىٰ) فهُوَ محرَّمٌ، ومَنْ يَقُولُ بحِلِّهِ، ويَسْتدلُّ عليه بما رَوَتْهُ عائشةُ مِن لعبِ القَصَب[٤]، فقَدْ أَخْطَأَ؛ إذ إنَّ اللُّعبَ الَّتي مِن القَصَب، واللُّعب الَّتي من البَلاستيك بَيْنها فَرْقٌ كبيرٌ، ثمَّ إنَّ لُعَبَ البناتِ من القَصَب كان في زَمَن الصِّغر بعد زَوَاج النَّبيِّ ﷺ، ودُخُوله بأُمِّ المُؤْمِنِينَ عائشة رضي الله عنها[٥]،

---

(١) أي: الهُوِيَّة والبطاقة الشَّخصيَّة.

(٢) السَّهْوَة: شبيهة بالرَّفِّ، أو الطَّاق يُوضع عليه الشيء.

(٣) أخرجه أحمد (٤١/ ١١١) (٢٤٥٦٣)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) القصب: ثياب كتان رقاق.

(٥) أخرج ابن حبَّان في «صحيحه» (١٣/ ١٧٤) (٥٨٦٤) عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ بِاللُّعَبِ، فَرَفَعَ السِّتْرَ، وَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟»، فَقُلْتُ: لُعَبٌ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ

وتَحْرِيم الصُّور والتَّصْوير وَقَعَ مُتأخِّرًا، فهتْكُ النَّبيِّ ﷺ لِقرام عائشة كان في السَّنَة التَّاسعة حينَ قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ مِن تبوك، فالإذنُ فيها (أي: لعب الأطفال) علىٰ القَوْلِ الأَصحِّ، فيما إذا كانت من القَصَب، أو أنَّه مَنْسوخٌ بقِصَّةِ القِرَامِ، واللهُ أَعْلَمُ.

أمَّا قولُهُ: «وهَذَا مُحرَّرٌ في الفَتَاوىٰ عَبْر خَمْسين عامًا».

فهَذَا إِحالةٌ علىٰ مَجْهولٍ، عِلْمًا بأنَّ الفَتَاوىٰ الَّتي حَصلَتْ إذا كانتْ مُخَالفةً للنُّصوصِ الشَّرعيَّة، فإنَّها لا عِبْرةَ بِهَا، وإنَّما الاعتبارُ بالفَتَاوىٰ الَّتي تُؤيِّدها الأدلَّةُ، أمَّا ما لَيْس كذَلِكَ، فلا عِبْرَةَ به كما قُلْنا، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ عن بني إسرائيلَ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤]، ومَعْنىٰ ذَلِكَ أنَّ اليهودَ رَكَنوا إلىٰ قَوْلِ مَنْ قالَ مِنْهُمْ كما في «صحيح البخاريِّ»: «نكُونُ فِيهَا يَسِيرًا»، أي: النَّار، «ثمَّ تَخلفُونَا فيها»، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»(١)، فالاعْتِمادُ إنَّما يَكُونُ علىٰ ما جَاءَ بِدَليلٍ وَاضحٍ، ولَيْس علىٰ قَوْلِ مَنْ لا يُعْتبَر قولُهُ حُجَّةً، وباللهِ التَّوْفيقُ.

أمَّا دِفَاعُ (أُسامةَ القوصي) عن (عليِّ جُمعة)، وزَعْمه: «أنَّه لا يَجُوز أن يطعنَ في الشَّيخ (علي جُمعة) مفتي الدِّيار المصريَّة، لكونِهِ عنده شيءٌ من التَّصوُّف، وعنده شيءٌ من التَّمشعر، هذا خطأٌ، هَذَا مَنْصبٌ لا بدَّ أن يُحْترَمَ، هَذَا مَنْصبٌ لا بدَّ أن يُعظَّمَ، هَذَا المَنْصب يُعتَبر ولايةً شرعيَّةً، لا بُدَّ من تَعْظِيمِها وتَفْخِيمها، ولا يَجُوزُ الطَّعْنُ فيمَنْ تولَّىٰ هَذَا المَنْصبَ». اهـ.

بَيْنَهُنَّ؟». قُلْتُ: فَرَسٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَرَسٌ مِنْ رِقَاعٍ لَهُ جَنَاحٌ؟». قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَمْ يَكُنْ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ خَيْلٌ لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، وصَحَّحه الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسان» (٥٨٣٤).

(١) أخرجه البخاريُّ (٣١٦٩) من حديث أَبِي هريرة رضي الله عنه.

❑ ومَعْنىٰ ذَلِكَ أنَّ مُفْتي الدَّولة لا يَجُوز الكَلَامُ فيه، كما لَا يَجُوزُ الكَلَامُ في رئيس الدَّولة، ونَحْن نُطَالبُك أوَّلًا بالدَّليل الَّذي يَجْعلُ لمُفْتي الدَّولة حُكْمَ رئيس الدَّولة في عَدَم ذِكْر أخطائِهِ عَلَانيةً، ومُنَاقشته فيها.

❑ **ثانيًا**: مَنْ هو الَّذي سَبَقك إلىٰ هَذَا من العُلَماءِ.

❑ **ثالثًا**: إذا لَمْ تَأْتِ بدليلٍ صحيحٍ صريحٍ علىٰ صِحَّةِ مُدَّعاك، فأنتَ مُجَاملٌ للمُفْتي، تُريدُ أن تُضيِّعَ الحقَّ مِن أَجْل مُجَاملتِهِ، فتبُوءَ بمِثْلِ إثمِهِ، فأَخْشىٰ أن ينطبقَ عَلَيك قولُهُ ﷺ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بسَخَطِ النَّاس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاس بسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»، رَوَاه ابْنُ حِبَّانَ في «صحيحه»[1].

❑ **رَابعًا**: هَلْ يَجُوزُ السُّكوتُ عمَّن يُفْتي بِحِلِّ الشِّرْك الأكبر، والتَّطوُّف بالأَضْرحة.

❑ **خامسًا**: وإذا كانَ الأَمْرُ كذلكَ، فمَا مَعْنىٰ قولِه ﷺ في حديث عُبَادة بن الصَّامت رضي الله عنه: «**وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، مُتَّفقٌ عليه[2]، فهَلِ المُنَازعةُ لِرَئيسِ الدَّوْلةِ، أو لِكُلِّ مَنِ اتَّخذَ مَنْصبًا فيها؟

❑ **سادسًا**: ونَحْنُ نُوجِدكَ دليلًا يدلُّ علىٰ خِلافِ زَعْمِك، وهو «أنَّ أهلَ الكُوفَة شَكَوا سَعْد بن أبي وقاص إلىٰ عُمرَ بن الخطَّاب (وسعدٌ أحدُ العَشرة المَشْهود لهم بالجنَّة، وهُوَ الَّذي فَتَح العراقَ)، فعَزَله، واسْتَعْملَ عَلَيهم عَمَّارًا،

---

(١) أخرجه ابنُ حبَّان في «صحيحه» (١/ ٥١٠) (٢٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصَحَّحهُ الألبانيُّ في «التَّعليقات الحسان» (٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

فقالوا عن سَعْدٍ: إنَّه لا يُحْسن يُصلِّي، فأَرْسَل إليه.

فقال: يا أبا إسحاق، إنَّ هَؤُلاء يَزْعمون أنَّك لا تُحْسِنُ تُصلِّي؟ قال أبو إسحاق: أمَّا أنا - واللهِ - فإنِّي كُنْتُ أُصلِّي بهم صلاةَ رَسُولِ الله ﷺ، ما أَخْرِمُ عَنْها؛ أُصَلِّي صلاةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ في الأُولَيين[(١)]، وأُخِفُّ في الأُخريين. قال: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق.

فأَرْسل مَعَه رَجُلًا - أو رِجَالًا - إلىٰ الكُوفَة، فسأل عَنْه أَهْلَ الكُوفَة، ولَمْ يَدَعْ مَسْجدًا إلَّا سأَلَ عنه، ويُثْنون مَعْروفًا، حتَّىٰ دَخَل مَسْجدًا لبني عَبْسٍ، فقامَ رجلٌ مِنْهم يُقَال له: أُسَامة بن قَتَادة، يُكْنىٰ أَبا سَعْدَة، قال: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنا، فَإنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا - وَاللهِ - لَأَدْعُوَنَّ بثَلَاثٍ: اللَّهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَه، وَأَطِلْ فَقْرَه، وَعَرِّضْهُ بالفِتَنِ!

وَكَانَ بَعْدُ إذا سُئِلَ يقولُ: شَيخٌ كَبيرٌ مَفْتونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوةُ سَعْدٍ.

قال عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رأيتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاه علىٰ عَيْنيه مِن الكِبَرِ، وإنَّهُ لَيَتعَرَّضُ للجَوَاري في الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ»، رَوَاهُ البخاريُّ[(٢)].

❑ سَابِعًا: ونَقُولُ لَكَ: مَنِ الأَوْلىٰ بأَنْ يُحْترم: سعد بن أبي وقَّاص - الَّذي قال عنه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في «صحيح البخاري» وغيره: «فمَنْ أصابَ الخلافةَ مِنكم (يقصد عُثمان وعليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) فَلْيَسْتعِنْ بسَعْدٍ، فإنِّي لَمْ أَعْزلْهُ عَن عَجْزٍ، ولا خِيَانةٍ»[(٣)]

(١) «أَرْكُدُ» أي: أسكن وأمكث، ومعناه: أُطَوِّل.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٥٥).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٧٠٠) مِن حديث عَمرِو بْنِ مَيْمُونٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

- أو عليّ جمعة، الَّذي يُفْتي بجَوَاز بِنَاءِ الأَضْرحةِ علىٰ القُبُورِ، مُرَاغمةً للأحاديثِ الصَّحيحةِ الصَّريحةِ الَّتي تَنْهىٰ عن البِنَاءِ عليْها، ويتَّهم مَنْ يُفْتي بتَحْريمِ ذَلِكَ تبعًا للأدلَّةِ، وأنَّه ذَرِيعةٌ من ذَرَائِعِ الشِّركِ الأكْبرِ يَتَّهمه بالهَوَسِ، وهو الجُنُونُ.

❑ **ثامنًا**: جَاءَ في «الصَّحيحين»، واللَّفظ لمُسْلِمٍ: عن عُرْوةَ عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعديِّ رضي الله عنه قالَ: اسْتَعْملَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا من الأَسْد، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتبيَّة (قال عمرو: وابن أبي عمر) علىٰ الصَّدَقةِ، فلمَّا قَدِمَ قالَ: هَذَا لَكُمْ، وهَذَا لي، أُهديَ لي.

قال: **فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ علىٰ المِنْبرِ، فحَمِدَ اللهَ، وأَثْنىٰ عَلَيه**، وقالَ: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لي! أَفَلا قَعَدَ في بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ في بَيْتِ أُمِّه، حَتَّىٰ يَنْظُرَ أَيُهْدَىٰ إِلَيْهِ أَمْ لا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ[(١)]، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ[(٢)]، أو شَاةٌ تَيْعِرُ[(٣)]**»، **ثمَّ رَفَعَ يَدَيه حتَّىٰ رَأَيْنا عُفْرَتَيْ إِبْطَيهِ[(٤)]**، ثمَّ قالَ: «**اللَّهمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» مرَّتين»[(٥)].

وجه الدَّلالة من هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَنْكَر علىٰ هَذَا العَامِلِ إنكارًا عَلَنيًّا، وهُوَ يَدلُّ علىٰ خِلافِ ما زَعَمه (أسامةُ القوصي) مِن أنَّه لا يَجُوز الكلامُ في (عليّ جُمعة)، ولا نَشْر أخطائِهِ احْترامًا لمَنْصبِهِ، وكَوْنه مُفْتي دَوْلةٍ.

(١) «**رغَاء**»: صوت ذوات الخُفِّ.

(٢) «**خُوَار**»: صوت البقر.

(٣) «**تيعِر**» أي: تصيح، واليعار: صوت الشاة.

(٤) «**عفرة الإبط**»: بياض ما تحت الإبط، وسُمِّي عفرةً؛ لأنَّه بياضٌ غيرُ ناصع، كأنَّه مُعفَّر بالتُّراب.

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٧٩)، ومسلم (١٨٣٢)، واللفظ له.

☐ تاسعًا: الحقُّ يُقال، والمُنكَر يُنكَر؛ حِمايةً لِدِينِنا، ونُصْرةً لعَقِيدَتِنا، وطاعةً لربِّنا، وَاتِّباعًا لسُنَّةِ نبيِّنا، ونُصْحًا لأُمَّتنا، وإنْ كَرِهَ ذَلِكَ مَنْ كَرِهَ، وعَارَضَ مَنْ عَارَضَ، واللهُ تَعالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

فأَخْبَر اللهُ أنَّ الَّذين كتَب لهم النَّجاة هُم الَّذين يَنْهون عن الفَسَادِ في الأَرْضِ، أي: يُظْهِرُونَ الإنْكارَ للفَسَادِ والإفْسادِ، يَعْني للفسادِ وأَهْلِه، ولَيْسَ بِبَعِيدٍ عن أَذْهانِنا قِصَّةُ أَصْحابِ القَرْيةِ الَّذين اعْتَدَوا في السَّبت، وأنَّهم انْقَسَموا إلىٰ ثَلاثةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ قَارَفوا المَعْصيةَ، وقِسْمٌ أَنْكَروا، وقِسْمٌ سَكَتوا، فأَهْلَكَ اللهُ المُعْتَدينَ، والسَّاكتين، وأَنْجىٰ المُنْكِرين.

☐ عاشرًا: أترىٰ يا (أسامةُ القوصي) أنَّه يَجوزُ لَكَ أن تُدافعَ عمَّن يُبِيحُ رَفْعَ الأَضْرحة، مُراغمةً للأَحاديثِ الَّتي تَمْنعُ ذلكَ، وتُحرِّمُ التَّطوُّفَ بالقُبورِ ودُعاءِ أَصْحابِها، وسَفْكَ الدِّماءِ علىٰ أَعْتابِها، ويرىٰ مَنْ يُفْتي بتَحْريم ذلكَ أنَّ به هوسًا، يعني: جنونًا، وكأنَّه لم يَقْرأ الآياتِ الواردةَ في الشِّرْكِ وتَحْريمه؟!

فهَلْ يَجُوز لك - يا أسامةُ القوصي - أن تُدافعَ عن هذا، وتُقرِّرَ عدَمَ الرَّدِّ عليه فيما يُبيحُه مِن المُحرَّماتِ؛ من شِرْكٍ، فما دُونَه؟!

إنَّك إذا لَمْ تَتُبْ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من هذا الَّذي فعلْتَه، فستَقِف بينَ يدَيه مَوْقفًا صَعْبًا، فلقَدْ توعَّد اللهُ نبيَّه إنْ هُوَ أَشْرك ليَحْبطَنَّ عملُه، ولَيكونَنَّ من الخاسِرينَ؛ حيثُ يقولُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥ - ٦٦].

أَفتأْمَنُ - يَا أسامةُ - من أَنْ يُحْبطَ اللهُ عَملَك بدِفَاعِك عن المُشْركينَ، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ونَحْنُ لَمْ نَقُلْ أَنَّك دعوتَ غَيْرَ الله، ولكنَّك أَقْررتَ إِبَاحةَ الدُّعاءِ بتَبْريرِكَ لِمَنْ أَفْتىٰ بذَلِكَ، فتُبْ إِلىٰ الله، وَانْزِعْ عمَّا أَنْتَ فيه، هذِهِ نَصِيحتِي لك ولأَمثالِكَ.

وصلَّى اللهُ عَلَى نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبهِ.

كتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

١٤٢٧/٩/٢٣ هـ



دحض بعض شبهات البدري المفتري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رَسُولِ الله، وعلىٰ آلِه وصحبِه.

وبعدُ:

فقَدْ وَرَدتْ إليَّ أَوْراقٌ مِن بَعْض إِخْوانِنا السَّلفيِّينَ بتاريخ ١٩/ جمادىٰ الأولىٰ عام ١٤٢٨ هـ عَنْ بعض أَخطاءِ مُخْتار إبراهيم البدري السُّوداني، والَّتي استُخلصتْ من بَعْض أشرطتِه، ونُونيَّته المَشْؤومة، فاستعنتُ بالله تعالىٰ للرَّدِّ علىٰ أَهَمِّها؛ بيانًا للحقِّ، ودَحْضًا للباطل، واللهُ مِن ورَاء القَصْد، وإليك هذه الشَّطحات، وهذه الافتراءات، والرَّدّ عليها، وهي علىٰ النَّحْو التَّالي:

١- مِنْها: زَعمُه أنَّ آل سعود جعَلوا العُلماءَ مناديلَ يَتمسَّحون بهم، بمعنىٰ أنَّهم يَعْملونَ الأعمالَ المُحرَّمةَ، ويدَّعون أنَّ العُلماءَ أجازُوا لهم ذلكَ حيثُ قال في شرح «نونيَّته» (ص٨):

كَيْفَ السُّكُوتُ عَنِ الَّذِينَ تَمَنْدَلُوا ... بِالصَّالِحِينَ وَجُمْلَةِ الأَعْيَانِ

جَعَلُوا عِبَادَ اللهِ خَولًا عِنْدَهُمْ ... بَاعُوهُمُو كَالآبِقِ العِبْدَانِ

يَقُولُ البدريُّ: «العُلَماءُ عَبِيدٌ ومَناديل لآل سعود، يُخَادِعُونَهمْ، ويَغُشُّونَهُمْ، بَلْ وَيَبِيعُونَهمْ، ويَشْتَرُونَهُمْ». اهـ.

٢- منها: زَعمُه أنَّ آل سُعودٍ خَدَعوا أَهْلَ العِلْمِ والتُّقى؛ كشَيْخ العِلْمِ ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حيثُ قالَ في شرحه «لنونيّته» (ص٦):

الخَـادِعُون بِـزُورِهِم أَهْـلَ التُّقَـىٰ ... ذَاكَ الإِمَـامَ العَـالِمَ الرَّبَّـانِي

بَعْد أَنْ قالَ في شرح «نونيّته» (ص١٦): «ثمَّ اعلمْ بهذا النَّقل الإنجليزيّ الجديد إنَّهم (أي: آل سعود) خَدَعوا الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (أي: آل الشَّيخ) إلىٰ أنْ ماتَ، وواصلوا مع مَن خَلفه إلىٰ يَوْمنا هذا». اهـ.

٣- زَعْمُهُ أنَّ العُلَماءَ في السّعوديَّة ضَعيفُو المنهجِ، وذلكَ عند قولِه في شَرْح «نُونيَّته» (ص١٢):

«فمُؤتمر الكويتِ هذا يَجْعلُ (إِخْوَان) نجد الَّذين قامَتْ علىٰ دِمائِهِمْ هٰذِه الدَّولة السّعوديَّة الثَّالثة مُجْرمي حربٍ بَعْد أَنْ كانوا مُجَاهِدِينَ، ولكن هَذَا لا يُسْتغرَبُ في ظلِّ ضَعْفِ المَنْهج السَّلفيِّ عند النَّجْديِّين».

وَقَالَ في (ص١٢) في شرح «نُونيَّته»: «السّعوديُّون عِنْدهم تَلْبيسٌ في المَنْهجِ».

وقال في (ص٢٥) في شرح «نونيَّته»: «إليك مَزِيدًا من ضَيَاع المَنْهج بالسّعوديَّة». اهـ.

وأقولُ: أَخزَىٰ الله الكَذَّاب.

٤- ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ مَنْهجِهِ التَّكفيريِّ في السُّودان حيثُ قالَ (ص٣) في شَرْح «النُّونيَّة»:

«صِرْنَا لا نَشُكُّ بَعْد أَنْ عَلِمْنا خَبَرَ غَيْرنا أَنَّ وُضُوحَ المَنْهج في السُّودان لَيْس له مَثِيلٌ في أيِّ مَكَانٍ». اهـ.

٥- طَعْنُه في الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ومُؤلَّفاته، وجَحْده لجُهُودِهِ، فقَالَ (ص٤) من النّشرة الَّتي وَصَلتْني: «أنا عِنْدِي الشَّيخ ابن باز ضَيَّع عِلْمَه بمُتَابعةِ الأُمَراءِ، حَرَمَ الأُمَّةَ»، يَعْني حَرَم الأُمَّة من عِلْمِهِ.

وَقَالَ: «مُؤَلَّفاتُهُ ضَعِيفَةٌ جدًّا وبَسِيطةٌ، أيُّ طَالِبِ عِلْمٍ مُمْكن يُؤَلِّفها؛ لأنَّ الشَّيخ فَاضٍ»، ثمَّ سأَلَ اللهَ - عَلَيه مِنَ الله ما يَسْتحقُّ -: «أن يُبْعِدَ الشَّيخَ عَنْ تولِّي رئاسة البُحُوث العِلْميَّة والإفتاء». اهـ.

وَقَالَ فِي «نُونيَّته» الرَّديَّة (ص٦):

نَرْجُو لَهُ أَمْرًا عَظِيمًا جَامِعًا بُعْدًا عَنِ العُرَفَاءِ والسُّلْطَانِ

ثُمَّ علَّق عَلَيها بقولِهِ: «ابنُ بَازٍ ما له جُهُودٌ عِلْميَّةٌ في الدَّعوةِ السَّلفيَّةِ، وشِويَّة الرَّسائل دي أنَا لو قفَلت نَفْسي في غُرْفةٍ ممكن أُؤَلِّفها[1]». اهـ.

٦- **مُختار بدري يَعِيب علىٰ شَيْخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ويَطْعن في «الأُصُول الثَّلاثَة»، وأنَّه قصَّر في الدَّعْوةِ، وأنَّه أمَّر إمَامًا غيرَ قُرَشِيٍّ، فقَالَ في** شرح «النُّونيَّة» (ص١٧): «فنَحْن عِبْنا علىٰ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ الآتي:

وعده لمُحمَّد بن سعود بما لا يَمْلك شَرْعًا، وَهُوَ تَوْريثُ المُلك كما في كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر في (ص٤١ - ٤٣): «فأَرْجو أَنْ تكونَ إمامًا يَجْتمع عَلَيك المُسْلمونَ وذُرِّيَّتك من بَعْدك»، فإِنْ كَانَتِ الألفُ واللَّامُ في كلمة «المسلمون» للاستغراق، فهَذَا مُصَادمٌ لقولِهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ في قُرَيش مَا بَقِيَ في النَّاس اثْنَانِ**»، مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[2].

---

(١) أورد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كلامه في هذه الرِّسالة كما قاله بلهجته العاميَّة.

ومعنىٰ قوله: «وشِويَّة الرَّسائل دي»، أي: وهذه الرَّسائل القليلة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠١) من حديث ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ**»، ومُسلم (١٨٢٠) باللَّفظ الَّذي ذكَره مِن حديث عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَآلُ سعود من أَعْراب نَجْدٍ، بَلْ هُمْ لَيْسُوا من مُضَرَ أَصْلًا، فكَيْفَ يَجْتمع المُسْلمونَ (أي: عَلَيهم)».

وقَالَ أَيْضًا في (ص١٧): «ثمَّ عِبْنَا عَلَىٰ الشَّيْخ أيضًا قَبُوله لشَرْط مُحمَّد بن سُعود الفاسد الباطل بأَخْذ الضَّرَائبِ من أَهْلِ الدَّرعية».

وقال في (ص٣٦) مِن شَرْحه للنُّونيَّة: «قول الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب: الأَصْل الثَّالث: مَعْرفة نَبيِّكُمْ مُحمَّدٍ ﷺ: وَهُوَ مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم، وهَاشمٌ من قُرَيش، وقُرَيْشٌ من العَرَب، والعربُ من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه وعَلَىٰ نَبيِّنَا أَفْضل الصَّلاةُ والسَّلامُ - ولَهُ من العُمُرِ ثَلاثٌ وسِتُّونَ سَنةً، ثمَّ ذَكَر أَنْواعًا من المَعَارف ما أَوْجبَها اللهُ ولا رسولُهُ ﷺ علىٰ أَحَدٍ من البَشَر، فأَيْنَ الدَّليلُ، فإِيجَابُ هذِهِ التَّفاصيل باطلٌ لا رَيْبَ». اهـ.

٧- طَعَنَ في «كشف الشُّبُهات»، و«فتح المجيد»، فقال في رسالتِهِ الَّتي كَتبَها إلىٰ الجَمْعِيَّة في فقرة رقم (٤) بعنوان: (من رسالة الشَّيخ صلاح الأمين) (ص٢): «مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب لَمَّا دَعَا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في زمنِهِ، وهَذَا من الأَشْياءِ الَّتي أَعِيبُها علىٰ السّعوديَّة، أي: عُلَماء السّعوديَّة.

اقرأ الكتابَ الفُلَاني كتاب «كشف الشُّبُهات»، «التَّوحيد» فقط وقف، في هَذَا الأَمْر لو مَشَىٰ قُدَّام لـ«فتح المجيد» انْتهَىٰ المَوْضوع، أبدًا هذِهِ ما طريقةُ السَّلَفِ، مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب أَصْلًا كتبهُ، هذِهِ الكُتُبُ للرَّدِّ علىٰ شُبُهاتِ الَّذين يعني يَقُولُونَ: إنَّ هَذَا لَيْسَ بِشِرْكٍ». اهـ.

٨- يَزْعُمُ البدريُّ أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب مُبْتدعٌ، كما في شريط «قَضَايا مَنْهجيَّة» رقم (٤) بعد أَنْ نَقَل كَلامَ الشَّيخ مُقْبل في بيان بِدْعَةِ التَّعصُّبِ

المَذْهبيِّ، عَقَّبَ عليه بقولِه: «يَبْقىٰ معناها نحن ممكن نقول: الشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب أتَىٰ بِبِدْعَةٍ، ما يُجِيبُنا وَاحِدٌ يَقُول: كيف تَقُولُونَ الكلامَ ده؟! أي: نقول الكلام، لو داير دليل نُدِّيك، لو داير كلام أَهْل العِلْمِ نديك[1]». اهـ.

٩- **يَزْعَمُ أنَّ الدَّولة السّعوديَّة عَلْمانيَّة**، وهَذَا تكفيرٌ - والعياذ بالله - كما في شريط: «قَضَايا مَنْهجيَّة» رقم (٤): «نحن عارفين العُلماء دُول يُحَرِّمُوا الرِّبَا، وَفَهْد شَغَّال بالرِّبا... ابن اباز ما دايرين يمشوا عَشَّان ما يتركوا المجال للعلمانيّين، إذًا معناها: فَهْد علمانيّ، وفعلًا علمانيّ، وهو اللّي جايب العلمانيّين». اهـ.

١٠- **طَعْنه في شَيْخ الإِسْلامِ ابن تَيْميَة وابن القيِّم**، رحمهما الله تعالىٰ، كما في (ص٧) من النشرة الَّتي أُرْسِلَتْ إليَّ، والَّتي قَالَ فيها مُخْتار البدريّ نَقْلًا عن جلسة مدني (ص٢٣):

«كلام ابن تيمية وابن القيِّم في تَقْرير مَسَائِل الإيمانِ، وبَيَان ابن القَيِّم لأَقْسَامِ الكُفْر إلىٰ خَمْسةِ أَقْسَامٍ لَيْسَ هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ»، وقالَ: «كلامُ ابْنِ القَيِّم ده بَاطِلٌ، ما قاله السَّلَفُ». اهـ.

١١- **مختار البدري يَطْعَن أيضًا في الصَّحَابة ومَنْ بَعْدهم مِنَ الأئمَّة** كَمَا قال في جلسة مدني وفي (ص٧) من النشرة: «مَا فِي مُجْتهد مُطْلق إلَّا الرَّسُول ﷺ، وأبو بكرٍ ذاتُه ما مُجْتهد مُطْلق».

١٢- **مختار يَطْعن في الإمام ابن جرير الطَّبَري السَّلفي**، قَالَ في جلسة مدني (ص٧) من النّشرة: «الإمام الطَّبريّ ما مِنَ السَّلَفِ». اهـ.

١٣- **والمختار يَزْعُمُ أنَّ كَلامَ الشَّيخ الفوزان يُؤَيِّد التَّكفيريِّين** في جلسة

---

(١) يقصد: لو تريد دليلًا نقوله لك، ولو تريد كلام أهل العلم كدليل علىٰ هذا الكلام نقوله لك.

مدني، وفي (ص٧) من النّشرة: «كلام الفوزان ده جابوه لينا التَّكفيريين قَبْل سَبعَةَ عشر سنةً». اهـ.

١٤ - **مَزَاعم مُخْتار**: يَقُول عن الشَّيخ ربيع في جلسة مدني وَفِي أَوَّل (ص٨) من النّشرة: «الشَّيخ ربيع ما عنده مَنْهجٌ واضحٌ في الحُكْم بغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ». اهـ.

١٥ - **وزَعْمُهُ** أنَّ آل سعود سَالِكُونَ مَسْلَكَ الكُفَّار، تَارِكُونَ لشَرَائِع الإِيمَانِ، لَابِسُونَ مَلَابِسَ النِّفَاقِ كما في شَرْحه لنُونيَّته (ص٦):

يَـا صَـالِحَ التّـوم المُعَلّـقُ قَلْبـهُ ... بالظَّـالِمينَ ولَابِسـي الصُّـلبَانِ
السَّـالِكِينَ لغَيْـر نَهْـجِ مُحمَّـدٍ ... والتَّـاركِينَ شَـرَائعَ الإِيمَـانِ
واللَّابِسِـينَ لِكُـلِّ أَمْـرٍ ثَوْبَـه ... ثَـوْبَ النِّفَـاقِ الوَاسِـعَ المِعْيَـانِ

ثمَّ شَرَحَ قَوْلَه: «السَّالِكِينَ لغَيْرِ نَهجِ مُحمَّدٍ» في (ص٩) بقولِهِ: «السَّالِكِينَ لطريق الأُمَم المُتَّحدة». اهـ.

١٦ - **زَعْمه** أنَّ آل سعود طَرِيقتُهُمْ طَاغُوتيَّة، وأنَّهم يُخَادِعُونَ العُلَماءَ، حَيْثُ قَالَ ذَلِكَ في (ص١٢) من شَرْحه لنُونيَّتِهِ:

«وحَاوَلوا - أي آل سعود - مع الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم حِيلَةً أُخرىٰ، وَهِيَ تَخْييرُ الحَاكمين أَنْ يَذْهبوا إِلَىٰ طريقة آل الشَّيخ الشَّرعيَّة، أو طريقة آل سعود الطَّاغُوتيَّة». اهـ.

وقال (ص١٤) من شرح «النُّونيَّة» عن آل سعود: «وهَلْ حُكْمُهُمْ - أي آل سعود - كلُّه من عند الله؟

الجواب: نَتْرُكُهُ للَّذِينَ تُفرِّغُهُمْ هذِهِ الدَّولةُ - أي: السّعوديَّة - بِريَالِهَا المَشْؤُومِ وَدِينِهَا المَزْعُومِ». اهـ.

١٧- يَزْعم مختار: أنَّ الحداثيِّين في السّعوديَّة يَتمَتَّعون بحِمَايَةِ الملك، حَيْث قال في شريط رقم (٤) «قضايا منهجيَّة»: «الحَدَاثِيُّون حَرَكةٌ مَعْروفةٌ في السّعوديَّة تحت حماية الملك، المَطْلوب منها سَحْبُ البِساطِ من تَحْت أَقْدام المُلْتزِمينَ إلىٰ أنْ تَقُومَ الدَّولةُ العلْمانيَّةُ في يَوْمٍ من الأَيَّامِ». اهـ.

١٨- مُخْتار البدري يُبدِّعُ الجَامِعةَ الإِسْلاميَّةَ بالمَدِينَةِ المُنوَّرةِ، بَلْ يَزْعم أنَّ نَظِامَها كُفْريٌّ، حَيْث قالَ في شريط «قَضَايا مَنْهجيَّة» رقم (٣): «الجامعةُ الإِسْلاميَّة بالمَدِينَةِ النَّبويَّة جَامِعةٌ مُبْتدعةٌ، ومُبْتدعةٌ، وعِنْدي الأَدلَّة علَىٰ كده، والجَامِعةُ الإِسْلاميَّةُ نِظَامُها كُفْريٌّ، اللي هو البكالوريوس... إذًا الجامعةُ الإسلاميَّةُ في نِظَامِها تَشبُّهٌ بالكُفَّار». اهـ.

ويَقُول الشَّيخ صلاح الأمين في رسالةٍ له كما في النشرة (ص٩) عن البدري قوله: «إنَّ المَعَاهدَ الشَّرعيَّة بِدْعةٌ». اهـ.

ويُوَاصِلُ مُخْتار هَجْمتَه الشَّرِسَةَ علىٰ الدَّولةِ السّعوديَّة، وأنَّها تُحَارِبُ التَّوحِيدَ، وأنَّ تَبنِّيها لدَعْوةِ التَّوحيدِ إنَّما هو مَسْرحيَّةٌ وخِدَاعٌ للشُّعوبِ، والمُلْحق الدِّيني السّعوديّ في السُّودان يُحَاربُ الإِسْلامَ والتَّوْحيدَ كما في «قَضَايا مَنْهجيَّة» شريط رقم (١)، وفي (ص١٠) مِن النّشرة الَّتي أُرْسِلَتْ إليَّ، ومِن ذَلِكَ قولُهُ في شرح قَصِيدتِهِ «النُّونيَّة» (ص٨):

مَلَـؤُوا جَزِيرَتَنـا بكُـلِّ ضَـلَالَةٍ ... فَعَبِيـدُ أَوْثـانٍ وأَمْريكَـانِ
ولَقَـدْ أَدَرْتُ الصَّـفحَ دَهْـرًا كَـامِلًا ... حتَّـىٰ أَذَاني رِجْسُـهُمْ وَدَعَـانِي
كَيْ أَكْشِفَ القَلْبَ المَلِيءَ ببُغْضِهِمْ ... هُـوَ عِنْـدَنا أَوْثَـق عُـرَىٰ الإِيمَـانِ

فلَقَدْ صَرَّحَ فيها: «بأنَّ سَببَ هُجُومِهِ وَافْتِرائِهِ عَلَىٰ الدَّولة السّعوديَّة هو أنَّ

قلبَه مُمتَلئٌ بالبُغْضِ لَهُم، وأنَّهم آذَوْه بِرجْسِهِمْ، وأنَّه يَتقرَّبُ إلَىٰ اللهِ ببُغْضِهِمْ». اهـ.

والمُهِمُّ: أنَّ لمختار إبراهيم البدري كَلامًا كثيرًا لا أُرِيدُ اسْتِقْصاءَهُ.

وأَقُولُ: إنَّ لهَذَا الظَّالِمِ كَلَامًا كثيرًا مُتَناقضًا مُتَضاربًا، فهُوَ يَزْعُمُ أنَّه يَحْمي التَّوحيدَ، وهُوَ يُكفِّر دُعاةَ التَّوْحيدِ، ويُحذِّر مِن الكُتُبِ الَّتي يَتعلَّمُ النَّاسُ مِنْها التَّوحيدَ، ويَزْعم أنَّه سَلفيٌّ، وَهُو يَطْعنُ في كلِّ السَّلفيِّينَ، وما أَرَىٰ هَذَا إلَّا كذَّابًا، دجَّالًا، ضالًّا، مُضلًّا، كلامُه يدلُّ علىٰ ضَعْفِ عقْلِه، وَضَحالةِ فِكْره يدلُّ علىٰ أنَّ قَلْبَه مَلِيءٌ بالبُغْضِ للحقِّ وأَهْلِ الحقِّ، يُحِبُّ الظُّهُورَ علىٰ حِسَابِ جَرح الآخرين من أَهْلِ الحقِّ، ورِجَالِ الدِّين، ودُعَاة التَّوحيدِ.

إنَّ مَنْ يُبْغض الشَّيخَ مُحمَّدَ بن عبد الوهَّاب، والأميرَ مُحمَّد بن سعود، والملك عبد العزيز، وابن بازٍ، وابن عثيمين، وغيرهم مِمَّنِ اجْتَمعَتْ كلمةُ أَهْلِ الحقِّ علىٰ تَبْجيلِهِمْ، وتَوْقِيرهم، فَلَا يَطْعن فيهم، ولا يَزْدرِيهم ويَقْدح فِيهِم إلَّا مَفتونٌ، كُتِبَ عليه الخسران، وحَقَّ عليه غَضَبُ الرَّحمن.

وإليك ما قَالَه الشَّيخُ إسحاقُ بن عبد الرَّحمن بن حسن من كتاب «الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة» في (١/ ٥١٤):

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحَمْدُ لله الَّذي بِنِعْمتِهِ اهْتَدَىٰ المُهْتدُونَ، وبِعَدْلِهِ ضَلَّ الضَّالُّون ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أَحْمدُهُ سُبْحانه حَمْدَ عَبْدٍ نزَّه رَبَّه عَمَّا يَقُولُ الظَّالمونَ، وأَشْهد أَنْ لا إله إلَّا الله وَحْده لا شَرِيكَ له، وسُبْحان الله ربِّ العَرْش عَمَّا يَصِفُونَ، وأَشْهَد أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ الصَّادق المأمون، صلَّىٰ الله عَلَيه وعلىٰ آلِهِ، وأصحابِهِ الَّذين هُمْ بِهَدْيِهِ مُتمَسِّكُونَ، وسَلَّم تَسْليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ:

فإنَّه ابتُلِيَ بَعْضُ مَنِ اسْتَحْوذَ عليه الشَّيطانُ بعَدَاوة شَيْخ الإسلام، الشَّيخ: مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ - ومَسبَّته، وتَحْذير النَّاس عنه وعَنْ مُصنَّفَاتِهِ؛ لأَجْلِ ما قَامَ بِقُلُوبِهِمْ مِنَ الغُلوِّ في أَهْلِ القُبُورِ، وَمَا نَشَؤوا عَلَيه من البِدَعِ الَّتي امْتَلأَتْ بِهَا الصُّدُورُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْكُرَ طَرفًا مِن أَخْبارِهِ وأَحْوالِهِ ليَعْلم النَّاظِرُ فيه حَقِيقَةَ أَمْره، فلا يَرُوجُ عليه الباطلُ، وَلَا يَغْترُّ بحَائدٍ عن الحَقِّ مَائلٍ، مُسْتَندُهُ: ما يَنقُلُهُ أَعْداؤُهُ الَّذين اشتهرتْ عَدَاوتُهُمْ لَهُ في وقتِهِ، وبَالَغُوا في مَسبَّتِهِ والتَّأْليبِ عَلَيه وتُهْمتِهِ، وكَثِيرًا ما يَضَعُونَ من مِقْدارِهِ، ويُغِيضُونَ ما رَفَعَ اللهُ مِن مَنَارِهِ؛ مُنَابَذَةً للحقِّ الأَبْلَجِ، وزَيْغًا عَنْ سَوَاءِ المَنْهجِ.

والَّذِي يَقْضِي به العجَبُ: قِلَّة إِنْصافِهِم، وفرط جَوْرهم وَاعْتِسافِهِم، وذَلِكَ أَنَّهم لَا يَجِدُونَ زَلَّةً من المُنْتَسِبِينَ إِلَيْه، ولا عَثْرةً إِلَّا نَسَبوها إِلَيْه، وَجَعَلوا عَارَها راجِعًا عليه، وهَذَا مِن تَمَام كرامتِهِ، وعِظَمِ قَدْره وإمامتِه.

وقَدْ عُرِفَ مِنْ جُهَّالهم، وَاشْتُهِرَ من أَعْمالِهِم: أَنَّه ما دَعَا إِلَىٰ الله أَحَدٌ، وأَمَر بمَعْرُوفٍ، ونَهَىٰ عن مُنْكرٍ في أيِّ قُطْرٍ مِن الأَقْطارِ إِلَّا سَمَّوه وَهَّابيًّا، وكَتَبوا فِيهِ الرَّسَائِلَ، إِلَىٰ البُلْدانِ بكلِّ قَوْلٍ هَائلٍ، يَحْتوي علىٰ الزُّور والبُهْتانِ.

ومَنْ أَرادَ الإنْصافَ، وخَشِيَ مَوْلَاه وخَافَ: نَظَرَ في مُصنَّفاتِ هَذَا الشَّيخ الَّتي هي الآن مَوْجودةٌ عند أَتْباعِهِ، فإنَّها أَشْهرُ من نَارٍ عَلَىٰ عَلَمٍ، وأَبْيَنُ من نِبْراسٍ علىٰ ظُلَمٍ، وسأَذْكُرُ لَكَ بَعْضَ ما وقفت عَلَيه مِن كلامِهِ، خَوْفًا أن تَخُوضَ من مَسبَّتِهِ في مَهامِهِ، فأَقُولُ:

قَدْ عُرِفَ واشْتُهِرَ، وَاسْتفَاضَ من تَقَارِير الشَّيخ ومُرَاسلَاتِهِ، ومُصنَّفاتِهِ

المَسْموعةِ المَقْروءةِ عَلَيه، وما ثَبتَ بخَطِّهِ، وعُرِفَ وَاشْتُهِرَ من أَمْرِهِ ودَعْوتِهِ، وما عَلَيه الفُضَلاءُ النُّبلاءُ مِن أَصْحابِهِ وتَلامذتِهِ، أنَّه: عَلَىٰ ما كانَ عَلَيه السَّلَفُ الصَّالحُ، وأَئمَّة الدِّين، أَهْل الفِقْه والفَتْوىٰ في باب مَعْرفة الله، وإِثْبات صِفَاتِ كَمَالِهِ، ونُعُوتِ جَلالِهِ، الَّتي نَطَقَ بها الكتابُ العزيزُ، وصَحَّتْ بها الأَخْبارُ النَّبويَّةُ، وتلقَّاها أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ بالقَبُولِ والتَّسْليمِ، يُثْبتونها، ويُؤمِنُونَ بها، ويُمِرُّونها كما جَاءَتْ، مِن غَيْر تَحْريفٍ وَلَا تَعْطيلٍ، ومِنْ غَيْر تَكْييفٍ ولا تَمْثيلٍ.

وَقَدْ دَرَجَ علىٰ هَذَا مَنْ بَعْدهم مِنَ التَّابِعِينَ، مِن أَهْلِ العِلْمِ والإِيمَانِ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ؛ كسَعِيدِ بن المُسَيّب، وعُرْوة بن الزُّبير، والقاسم بن مُحمَّد، وسالم بن عبد الله، وسُليمان بن يَسَار، وكمُجَاهد بن جَبْر، وعَطَاء بن أبي رَبَاح، والحَسَن، وابن سِيرين، والشَّعْبِي، وأَمْثالهم؛ كعليِّ بن الحُسَين، وعُمَر بن عبد العزيز، ومُحمَّد بن مُسْلم الزُّهري، ومالك بن أنسٍ، وابن أبي ذِئْبٍ، وكحَمَّاد بن سَلَمة، وحَمَّاد بن زيد، والفُضَيل بن عِيَاض، وابن المُبارك، وأبي حَنِيفة النُّعْمان بن ثابت، والشَّافعيّ، وأحمد، وإِسْحاق، والبُخَاري، ومُسْلم، ونُظَرائِهِمْ من أَهْلِ الفِقْهِ والأَثَر، لَمْ يُخَالِفْ هَذَا الشَّيخ ما قَالُوه، ولَمْ يَخْرُجْ عَمَّا دَعَوْا إِلَيْه وَاعْتقَدُوهُ.

وأَمَّا تَوْحيدُ العِبَادةِ والإِلهيَّة، فقَدْ حَقَّقهُ غَايةَ التَّحقيق، ووَضَّحَ فِيهِ المَنْهج والطَّرِيق، وقالَ: إِنَّ حَقِيقةَ مَا عَلَيْه أَهْلُ الزَّمان، وما جَعَلوه هو غَايَة الإِسْلام والإِيمَان، مِن طَلَبِ الحَوَائج من الأَمْواتِ، وسُؤالِهِم في المهمَّاتِ، وحَجِّ قُبُورِهِمْ للعُكُوفِ عِنْدها والصَّلَوات، هُوَ بعينِهِ فِعْلُ الجَاهليَّة الأُولَىٰ مِن دُعَاءِ اللَّات، والعُزَّىٰ ومَنَاة؛ لأَنَّ اللَّاتَ كما وَرَدَ في الأَحَاديثِ رجلٌ يَلُتُّ السَّويقَ

للحاجِّ، فمَاتَ، فعكفوا على قبرِهِ يرجُونَ شفاعته في مُجاوِريه، والتَّقرُّب بِهِ إلى الله في زائِرِيهِ، لَمْ يقُولوا: إنَّه يُدبِّر الأمْرَ ويرْزق، ولا أنَّه يُحْيي ويُميتُ ويَخْلُق، كما نَطَقَ بذَلِكَ الكتابُ، فكانَ مِمَّا لا شكَّ فيهِ ولا ارْتِيابٌ». اهـ.

وَلِذَلِكَ فَإنِّي أرى عدمَ التَّشاغُلِ بالرَّدِّ عَلَى مُخْتار البدريِّ السُّودانيِّ، لَكِنْ شُبهتانِ أحببتُ أنْ أُوضِّحهما، قال في (ص٥) من النَّشْرَة سطر (٤) نقلًا من شَرْحِهِ لنُونيَّتِهِ (ص١٧): «فنَحْنُ عِبْنا على الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ الآتي:

وَعْده لمُحمَّد بن سعود بِمَا لا يَمْلك شَرْعًا، وهو تَوْريثُ المُلْك كما في كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر من (ص٤١ - ٤٣): «فَأَرْجو أن تكُونَ إمَامًا يَجْتمع عَلَيك المُسْلمونَ وذُرِّيتك من بَعْدك».

فإنْ كانت الألفُ واللَّامُ في كلمة: «المسلمون» للاسْتِغْراقِ، فهَذَا مُصادمٌ لقولِهِ ﷺ: «لا يَزَالُ هَذَا الأمْرُ في قُرَيش مَا بَقِيَ في النَّاس اثْنَانِ»، مُتَّفقٌ عَلَيه، وآل سعود مِن أعراب نَجْدٍ، بل هم ليسُوا مِن مُضَرَ أصْلًا، فكَيْفَ يَجْتمع المُسْلمونَ عَلَيهم.

وإنْ كَانَ الشَّيخُ يَقْصد بكلمة «المُسْلمون»: أَهْلَ نجدٍ فقط، فهَذَا تَخْصيصٌ للدَّعْوة ببَعْضِ الأُمَّةِ دون بَعْضٍ، كما نَشُمُّ ذَلِكَ من بَعْض أقْوال النَّجديِّين غير المُحقَّقة.

ثمَّ إنَّ هَذَا تَقْصيرٌ في الدَّعْوة... ».

«قلتُ - أيْ: مختار - فقَوْلي حِينَئذٍ أنَّ الشَّيخَ لَمْ يُكْمل الدَّعوةَ بالدُّعاءِ إِلَى تَنْصيبِ الإمَامِ القُرَشي الأَعْظم صَحِيحٌ حقٌّ، فلَمْ يَبْقَ لكَ إِلَّا أَنْ تَعْترفَ مَعَنا بأنَّ شَيْخَ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب أَخْطأَ في تَرْك الدَّعْوة لتَأْميرِ إمَامٍ قُرَشيٍّ، وهُوَ الآمِرُ النَّاهي في تِلْكَ الدَّولة السّعوديَّة الأُولَى». اهـ.

وأقولُ: الجوابُ على هذهِ الشُّبْهةِ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمَرَ بأنْ يكونَ الخُلفاءُ مِن قُرَيْشٍ مَا قامُوا بأمْرِهِ، فإنْ قَصَّروا في القيامِ بأمْرِهِ، أوِ ارْتَكبُوا المناهِيَ - سَلَبَ مِنْهم هذِه المَنْقبةَ، وأعْطاهَا غيْرهم، وإلَيْك - يا عبد الله - الأدلَّةَ على ذَلِكَ:

١- أخْرَجَ الحاكمُ في «المُسْتدرك على الصَّحيحين» من كتاب (الفِتَنِ والمَلَاحم)، برقم الحديث (٨٥٣٤) قال: «أخبرنا أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الأَصْبهانِي الزَّاهدُ، ثنا مُحمَّد بنُ عبد الله بن أَرُومَة، ثَنا الحُسَين بن حَفْصٍ، ثنا سُفيان، عن حَبيب بن أبي ثابتٍ، عن القَاسِم بن الحَارِث، عن عبد الله بن عُتْبة، عن أبي مَسْعودٍ الأَنْصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِيكُمْ وَأَنْتُمْ وُلاتُهُ ما لَمْ تُحْدِثُوا أعْمالًا تَنْزعُهُ مِنْكُمْ، فَإذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ - سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَ خَلْقِهِ فَالْتَحَوكُمْ كَمَا يُلْتَحَى القَضِيبُ». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنادِ، ولَمْ يُخرِّجاهُ، وَصَحَّحه الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَرَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ بن حَنْبل في «مُسنده» في (٥/ ٢٧٤) برقم الحديث (٢٢٤٠٩) قال: «حَدَّثنا عبدُ الله، حَدَّثني أبي، ثَنَا مُعَاوية بن هشام، ثَنَا سُفيان، عن حبيب بن أبي ثابتٍ، عن القاسم بن الحارث، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن أبي مَسْعودٍ الأَنْصاريِّ، قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقُرَيشٍ: «إنَّ هَذَا الأَمْرَ لا يَزَالُ فِيكُمْ وَأَنْتُمْ وُلاتُهُ حَتَّى تُحْدِثُوا أَعْمالًا، فَإذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَ خَلْقِهِ فَالْتَحَوكُمْ كَمَا يُلْتَحَى القَضِيبُ».

٢- أَخْرجَ الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه»، في كتاب (المَنَاقِبِ)، باب (مَنَاقب قُرَيش) حديثًا برقم (٣٣٠٩) قال: «حَدَّثنا أبو اليمان، أَخبرَنا شُعَيبٌ عن الزُّهريِّ قال: كانَ مُحمَّدُ بنُ جُبَيْر بن مُطْعِم يُحدِّثُ أنَّه بَلَغَ مُعَاويةَ وَهُو عندَه في وَفْدٍ مِن

قُرَيْشٍ أنَّ عبدَ الله بن عمرو بن العاص يُحدِّثُ: «أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ». وأَوْرَده بنَحْوه فِي كِتَابِ (الأَحْكامِ)، باب (الأُمَراءِ مِنْ قُرَيشٍ).

٣- ثُمَّ أَوْرَدَ حَدِيثًا في البابين السَّابقَين مِن «صحيح البخاريّ» برقم الحديث (٣٥٠١) قالَ: «حَدَّثنا أبو الوليدِ، حَدَّثنا عاصمُ بنُ مُحمَّد قال: سَمِعْتُ أبي، عَنِ ابْنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ في قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ».

وأَوْرَدَه مسلمٌ في كتاب (الإمارة)، باب (النَّاسُ تبعٌ لقُريش، والخلافةُ في قريش) (١٨٢٠).

٤- أَخْرجَ البيهقيُّ في «سُننه الكُبْرىٰ» في كتاب (قِتال أَهْلِ البَغْي)، باب (الأئمَّة مِن قُرَيْشٍ)، برقم الحديث (١٦٣٢٢) قالَ: «أَخْبَرنا عليُّ بن أحمد بن عَبْدَان، ثنا أحمدُ بنُ عُبيد الصَّفَّار، ثَنَا عليُّ بن الحسن بن بَيان، ثَنا عَارِم، ثنا الصَّعْقُ بن حَزْن، ثنا عليُّ بن الحَكَم، عن أَنَسِ بن مالكٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلِي عَلَيْهِمْ حَقٌّ، وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقٌّ مَا عَمِلُوا فِيكُمْ بثَلاثٍ: مَا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَأَقْسَطُوا إِذَا قَسَمُوا، وَعَدَلُوا إِذَا حَكَمُوا».

قال المحقِّق: «إسنادُهُ ضعيفٌ جدًّا، فيه أَكْثر من مَجْهولٍ، لكن يَشْهدُ له ما

أَخْرَجه أحمدُ في (٣/ ١٢٩ و١٨٣)، والبزَّار برقم (١٥٧٩) عَنْ أنسٍ، وصحَّحه الحاكمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهبيُّ.

وقَالَ الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» في (٥/ ١٩٢): «رَوَاه أحمدُ، والبزَّار، وأَبُو يَعْلىٰ، والطَّبرانيُّ في «الأوسط»، ورجال أَحْمد رجالُ الصَّحيح».

وعن أبي موسَىٰ عند أحمدَ في (٤/ ٣٩٦)، والبَزَّار برقم (١٥٨٢)، وذَكَره الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» في (٥/ ١٩٣) وقال: «رواه أحمدُ، والبزَّار، والطَّبرانيُّ، ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ».

وعن أبي برزةَ عِنْدَ أحمد في (٤/ ٤٢١) مِن طَرِيقَيْنِ، والبَزَّار برقم (١٨٥٣)، وذَكَره الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» في (٥/ ١٩٣) وقَالَ: «رَوَاه أحمدُ، وأَبُو يَعْلىٰ، والبزَّار، ورجالُ أحمد رجالُ الصَّحيح خَلَا سُكَيْنَ بن عبد العزيز، وَهُو ثِقَةٌ».

وذَكَره الألْبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» في (ج٦) القسم الثَّاني رقم (٢٨٥٨): «**إنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وإِذَا قَسَمُوا أَقْسَطُوا؛ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ**».

أَخْرَجه الإمامُ أَحْمد في (٤/ ٣٩٦)، والبَزَّارُ في (٢/ ١٢٩)، رقم الحديث: (١٥٨٢)، مِن طريق عَوْف، عن زِيَاد بن مِخْرَاق، عن أبي كِنانَةَ، عن أبي مُوسىٰ، قال: قامَ رَسُولُ الله ﷺ علىٰ بَابِ بَيْتٍ فيه نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ، فقامَ وأَخذ بعُضَادَةِ البابِ، ثمَّ قالَ: «**هَلْ فِي البَيْتِ إِلَّا قُرَشِيٌّ**»، الحديث.

وأَبُو كِنانَة هَذَا مَجهولٌ، ويُقَال: هُوَ مُعَاويةُ بن قُرَّة، ولَمْ يَثبُت كما قَالَ الحَافِظُ في «التَّقريب»، ثمَّ ذَكَر ما سَبَق ذِكْرُهُ من عَزْوِ الحديث إلىٰ الهَيْثميِّ في

«المَجْمع»، وقالَ الهيثمي: «رَواه أحْمدُ، والبزَّارُ، والطَّبرانيُّ، ورجال أحْمد ثِقاتٌ».

قالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَذَا قَالَ، وَقَدْ عَلِمْت ما فيه من الجَهالةِ.

قَالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللحَدِيثِ شَوَاهِدُ يَصِحُّ بِهَا، ويَقْوىٰ، مِنها حَدِيثُ أَبِي سَعِيدِ الخُدْريِّ مثله أخرجَه الطَّبرانيُّ في «الصَّغير»، وكَذَا في «الأوْسط»، قَالَ في «المَجْمع» في (٥/ ١٩٤): «ورجالُهُ ثِقَاتٌ»...

إلىٰ أنْ قَالَ: «ولَهُ شاهدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعودٍ وغيره، وقَدْ مَضىٰ الكلامُ عَلَيه برقم (١٥٥٢)». اهـ.

وبِمُراجعةِ الرَّقَم المَذْكور، وُجِدَ الحديثُ بلَفْظ: «أمَّا بَعْدُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، فَإنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الأَمْر مَا لَمْ تَعْصُوا اللهَ، فَإذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ إِلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَىٰ هَذَا القَضِيبُ - لِقَضِيبٍ في يَدِهِ».

قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخرجه أَحْمدُ في (١/ ٤٥٨) قَالَ: حدَّثنا يعقوبُ، حدَّثنا أبي، عن صَالحٍ، قال ابنُ شِهَابٍ: «حَدَّثني عُبيد الله بن عَبْد الله بن عُتْبة بن مسعود أنَّ عبد الله بن مَسْعودٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله في قَرِيبٍ مِن ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيشٍ، لَيس فِيهِمْ إلَّا قُرَشيٌّ، قَالَ: «لا وَاللهِ، مَا رَأَيْتُ صَفِيحَةَ وُجُوهِ رِجَالٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ وُجُوهِهِمْ يَوْمَئِذٍ». فَذَكَرُوا النِّساءَ، فَتَحدَّثوا فِيهنَّ، فتحدَّثَ مَعَهم، حتىٰ أحببتُ أَنْ يسكتَ، قال: ثمَّ أَتيتُهُ فتشهَّد، ثمَّ قَالَ: فَذَكَره، ثمَّ لَحَىٰ قَضِيبَه، فإذَا هُوَ أَبيَضُ يَصْلِدُ[1]».

قَالَ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قُلْتُ: وهَذَا إسنادٌ صَحِيحٌ علىٰ شَرْط الشَّيْخينِ. وقَالَ الهَيْثميُّ في «مجمع الزَّوائد» في (٥/ ١٩٢): «رَواه أَحْمدُ، وأَبُو يَعْلىٰ، والطَّبرانيُّ

---

(١) أي: يبرقُ.

في «الأَوْسط»، وَرِجَالُ أَحْمد رِجَالُ الصَّحيح، ورِجَالُ أبي يَعْلىٰ ثقاتٌ»".

قال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحديثُ عَلَمٌ مِن أَعْلامِ نُبوَّتِهِ ﷺ، فقَدِ اسْتمرَّتِ الخِلَافةُ فِي قُرَيْشٍ عِدَّةَ قُرُونٍ، ثمَّ دَالَتْ دَوْلتُهُمْ بِعِصْيانِهِمْ لرَبِّهِمْ، وَاتِّباعهم لأَهْوائِهِمْ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيهم مِن الأَعَاجِمِ مَنْ أَخذ الحُكْمَ مِنْ أَيْدِيهمْ، وذلَّ المُسْلمونَ من بَعْدهم، إلَّا ما شَاءَ اللهُ.

ولِذلكَ فعلىٰ المسلمينَ إذا كانُوا صادقينَ في سَعْيهِمْ لِإعَادةِ الدَّولةِ الإِسْلاميَّةِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، ويَرْجعوا إِلَىٰ دِينِهِمْ، وَيَتَّبعُوا أَحْكامَ شَرِيعتِهِمْ، ومِنْ ذَلِكَ أنَّ الخِلَافةَ في قُرَيْشٍ بالشُّرُوطِ المَعْروفة في كُتُبِ الحَدِيثِ والفِقْهِ، وَلَا يُحكِّموا آرَاءَهُمْ وأَهْواءَهُمْ، وَمَا وَجَدوا عَلَيه آبَاءَهُمْ وَأَجْدادَهم، وَإِلَّا فَسيظلُّونَ مَحْكُومِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَصَدَقَ اللهُ إِذْ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد: ١١]، والعَاقبةُ للمُتَّقينَ». انْتهىٰ من «الصَّحيحة» للأَلْبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٤/ ٧٠) وما قَبْلها.

وأَقُولُ: إنَّ هَذَا الظَّالمَ المُفْتري مُخْتار بدري السُّوداني يَطْعن في شَيْخ الإِسْلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّه عَدَلَ بالإِمَامةِ عَنْ قُرَيشٍ، وَقَالَ: «إنَّ هَذَا مُصَادمٌ لقَوْلِهِ ﷺ: «**لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ في قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ في النَّاسِ اثْنَانِ**» مُتَّفقٌ عليه، وآل سعود من أَعْراب نَجْدٍ، بَلْ هُمْ لَيْسوا مِن مُضَر أَصْلًا، فكَيْفَ يَجْتمع المُسْلمونَ، أي: عَلَيهم». انْتَهىٰ.

ولَهُ كلامٌ طويلٌ في تَقْرير ما أَرَادَه، وهَذَا مَبْنيٌّ علىٰ الجَهْلِ والكَذِبِ.

وأَقُولُ: إنَّ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ في قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ في النَّاس اثْنَانِ**»، هذا حُكْمٌ شرعيٌّ بَقِيَ فيهم الأَمْرُ إِلَىٰ عام ٦٥٦ هـ، فَلمَّا كثر فِيهِم الفِسْقُ

والمَعَاصي، وكَانَ الخليفةُ يَهتمُّ برفَاهيتِهِ أكْثر مِمَّا يَهتمُّ بأمْر المُسْلمينَ - سَلَّطَ اللهُ عَلَيهم دَوْلَةَ المَغُولِ (جنْكيز خَان)؛ فقَتَلوا الخَليفةَ في عَهْد هولاكو، وَاسْتَباحُوا عَاصِمةَ الإسْلامِ بَغْداد، فقَتَلوا مِنَ المُسْلمينَ ما سَالَ بِهِ الدَّمُ كَالأنهارِ حَتَّىٰ غَيَّر لونَ دِجْلة، وبَعْدها خَرجَتْ عَنْهم الخلافةُ كُلِيًّا.

وقَدْ تَجِد الآنَ منْ وُلاةِ بَعْضِ الأصْقاعِ مَنْ يَنْتمي إِلَىٰ البَيْتِ الهَاشِميِّ، ولكنَّهم غَيْر مُقْتَفِينَ لشَريعَتِهِ ﷺ، وَلَا مُتَّبعينَ لَهَا في مُعْظمِ أُمُورِهِمْ، وَعَلىٰ هَذَا فَإِنَّ جَعْلَ الخِلافَةِ فِيهِمْ كَانَ مَشْروطًا بِمَا ذُكِرَ في الأَحَادِيثِ السَّابقةِ، فَلمَّا غَيَّروا، غَيَّرَ اللهُ عَلَيهم.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ؛ فَإِنَّ الشَّيخَ مُحمَّدَ بنَ عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُؤمِّر مُحمَّدَ بن سعود، بَلْ هو كَانَ أَمِيرًا علىٰ قَومِهِ، وقَدْ لجأ الشَّيخُ إلىٰ الله، ثمَّ إليه؛ لِيَنْصُرَه علىٰ القِيَام بدَعْوة التَّوْحيدِ، وقالَ له بأنَّه إنْ فَعلَ ذَلِكَ فَنصرَ دِينَ الله، ونَشَرَ تَوْحيدَه؛ فإنَّ ذَلِكَ مُوجبٌ لِأنْ يَنْصُرَه اللهُ ويَمْنحه السُّلطةَ هُوَ ومَنْ سَارَ مِن ذُرِّيَّتِهِ علىٰ نَهْجِهِ.

هذا هو القولُ الحقُّ، وذلكَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَ النَّصرَ لمَنْ قامَ بدَعْوة الرُّسُل ونَصرَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]. وكما قالَ تعالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافَّات: ١٧٣]. وكما قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

فَافْهَمْ يَا جَاهِلُ، ويَا غَبيُّ، لا تَقُلْ في شَرْعِ الله وأَنْتَ جاهلٌ لَا تَعْرفُ مَوَاقعَ الشَّريعةِ، فمِثْلُكَ مِنْ حقِّه أَنْ يُكمَّمَ فاهُ، وأَنْ يُسْجنَ ويُؤدَّبَ؛ لانتقاصِه أهْلَ

الحقِّ ورِجالَ الدِّين، وإنَّ مُحمَّدَ بن عبد الوَهَّاب بَرِيءٌ من التَّكفِيرِ، ومَن رَماهُ بالتَّكْفير، فسَيَلْقَىٰ جَزاءَه عند الله الَّذي يَجزي الظَّالمينَ بظُلْمِهِمْ.

وَسَأنقلُ لَكَ هُنَا - يا أَيُّها المُفْتري - كلامًا للإمَامِ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وأنَّه مِمَّنْ يَتبرَّؤونَ مِنَ التَّكْفير بدُونِ بُرْهانٍ سَاطعٍ، ولا حُجَّةٍ قَاطِعةٍ:

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الدُّرر السَّنيَّة» في (١/ ٢٣٠)، وذَكَر فِيهِ كَلامًا طَويلًا مِمَّا افْتَراهُ عَلَيه أعداءُ دَعْوة التَّوْحيد حَيْث قال: «ومَنْ شَاهَد حَالَنا، وحَضَرَ مَجالِسَنا، وتَحقَّقَ ما عِنْدَنا - عَلِمَ قطعًا أنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ وَضَعَه وَافْتَراه عَلَينا أَعْداءُ الدِّينِ، وإِخْوانُ الشَّياطِينِ؛ تَنْفيرًا للنَّاسِ عَنِ الإِذْعانِ بإِخْلاص التَّوْحيدِ لله تَعالىٰ بالعِبادةِ، وتَرْك أَنْواعِ الشِّرْكِ الَّذي نَصَّ اللهُ عَلَيه بأنَّ اللهَ لا يَغْفرُه ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨]، فإنَّا نَعْتقد أنَّ مَنْ فَعَل أَنْواعًا من الكَبائِر؛ كقَتْل المُسْلم بغَيْر حقٍّ، والزِّنا، والرِّبا، وشُرْب الخَمْر، وتكرَّر ذَلِكَ منه أنَّه لا يَخرج بفعلِهِ ذَلِكَ عن دائرة الإِسْلامِ، ولَا يُخلَّد به في دَار الانْتِقامِ، إِذَا ماتَ مُوحِّدًا بجَمِيع أَنْواعِ العبادةِ». اهـ.

وقال في (ص ٣٠٧) من رِسَالةٍ للملك سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود: «نَحْن - بحَمْد الله - لا نُكفِّر أحدًا مِن أَهْل القِبْلة بذَنْبٍ، وإِنَّما نُكفِّرهم بما نَصَّ اللهُ ورسولُه، وأَجْمَع عليه عُلَماءُ الأُمَّة المُحمديَّة الَّذين لَهُمْ لِسَانُ صِدْقٍ في الأُمَّةِ: أَنَّه كُفْرٌ؛ كالشِّرْكِ في عِبادةِ الله غَيْره، مِن دُعَاءٍ ونَذْرٍ وذَبْحٍ، وكبُغْض الدِّين وأَهْلِه والاسْتِهْزاءِ بِهِ.

وأمَّا الذُّنُوبُ؛ كالزِّنا، والسَّرِقة، وقَتْل النَّفس، وشُرْب الخَمْر، والظُّلْم، ونَحْو ذَلِكَ، فَلَا نُكفِّر مَنْ فَعَله إذا كَانَ مُؤْمنًا باللهِ ورَسُولِهِ، إلَّا مَنْ فَعَله مُسْتَحِلًّا لَهُ». اهـ.

وإنَّك بخَوْضِك - يا مُفْتَر - فِيمَا لا تَعْلم قَدْ فَضَحَك اللهُ، وبيَّن جهْلَك وخُبْثَك وهَوَاكَ الَّذي نَصَرْتَ به أعداءَ التَّوْحيدِ بما قُلْتَه من أكَاذِيب، وَمَا لَفَّقته من افْتِرَاءاتٍ عَلَىٰ أَهْلِ الحقِّ ودُعَاة التَّوْحِيدِ، ودَوْلةِ التَّوْحيد (الدَّولة السّعوديَّة) الَّتي لا تُوجَد دولةٌ مِثْلها فِي هذا الزَّمن - فاللهُ يَتولَّىٰ جَزَاءَك، ويَحْكُم فِيك بحُكْمِهِ العَدْل.

ومن جِهَةٍ أُخرىٰ؛ لمَاذَا لَمْ تُنكر - يا بدريُّ - ما في بَلَدك السُّودان مِن الأَضْرحةِ وَالمَشَاهِدِ الَّتي يَعْبدُها كثيرٌ مِن النَّاس، ويُقدِّمون النُّذورَ، ويَدْعونَ أَصْحابَها، ويَذْبحونَ لها القَرَابِينَ مِمَّنِ ابْتُلُوا بالعَقِيدَةِ الصُّوفيَّة الضَّالَّة، الَّتي أَوْرَدتهم إلىٰ شِرْكِ الجاهليَّة.

بَلْ والأغلظُ من ذَلِكَ أنَّك تَمْدح عقيدةَ أَهْل السُّودان كما (ص٣) من شَرْحك لنُونيَّتك المَشْؤومة حَيْثُ قلت: «صِرْنا لا نشكُّ بَعْدَ أَنْ عَلِمْنا خبرَ غَيْرنا أنَّ وُضُوحَ المَنْهجِ فِي السُّودانِ لَيْس له مَثِيلٌ في أيِّ مَكَانٍ».

فكَيْفَ تَمْدحُ المَنْهجَ الدَّعويَّ في السُّودان، وكثيرٌ من أَهْلِها قَدْ غَرِقَ في أَوْحالِ الصُّوفيةِ، وَفِي السُّودانِ أُنَاسٌ تكْفيريُّونَ مِثْلك، ومِنْهم جُهَّالٌ لا يَعْلمُونَ من الدِّين إلَّا أقلَّ القَلِيل، مَعَ عِلْمنا بأنَّ هُنَاك أُنَاسًا سَلفيِّينَ، طُلَّاب عِلْمٍ، وحَمَلة عَقِيدةٍ صَحِيحةٍ، ولكنَّهم قَلِيلُونَ، وأُقْسِمُ باللهِ، إنَّك لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْل التَّوْحِيدِ والعَقِيدةِ السَّلفيَّة ما قدحت في عُلماءِ التَّوْحِيدِ، ودُعَاةِ التَّوْحِيدِ، ونَاشِري التَّوْحِيدِ، وَدَوْلة التَّوْحِيدِ الدَّولة السّعوديَّة.

والشُّبْهَةُ الثَّانيةُ والَّتي قَالَ فِيهَا مُخْتَار في (فقرة ٢٦ ص١٠) من النشرة الَّتي أُرْسِلَتْ إِلَيَّ، وَاتِّهامه للدَّولة السّعوديَّة بأنَّها: «تُحَاربُ التَّوْحِيدَ، وأنَّ تَبنِّيها لدَعْوةِ التَّوْحيدِ إنَّما هو مَسْرحيَّةٌ وخِدَاعٌ للشُّعُوبِ، والمُلْحقُ الدِّينيُّ السّعوديُّ

في السُّودان يُحَاربُ الإسْلامَ والتَّوْحيدَ»، كما في «قَضَايا مَنْهجيَّة» شريط (رقم ١).

وأقولُ: إنَّ الدَّولة السّعوديَّة مِنْ عَهْد المَلِك عَبْد العزيز بن عبد الرَّحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَا تَدْخلُ مَكَانًا إلَّا وَهِي تُطهِّرُه مِن الشِّركيَّاتِ والبِدَعِ.

وتَعَالَ يا تَافِهُ، ويا سَفِيهُ، سِرْ في الدَّولة السّعوديَّة أَلْفَيْ كيلو عَرْضًا، وأَلْفي كيلو طُولًا، سِرْ فيها بتَأَنٍّ، وانْظُرْ هَلْ تَرَىٰ في السّعوديَّة ضَريحًا يُعبَدُ، أَوْ قَبْرًا يُزارُ زيارةً شِرْكيَّةً أو بِدْعيَّةً، إنَّك لا تَجِدُ شَيْئًا مِن هذا القَبيل.

أَلَا تَسْتحي وتَخْشَىٰ من المَسْؤوليَّة بين يَدَي الله، حيثُ يقول تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]، ويَقُولُ أَيْضًا: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦ - ٧].

ثمَّ هَلُمَّ إِلَىٰ المدارس فانظُرْ في المُقرَّراتِ - تَرَ أنَّ التَّوْحِيدَ مُقرَّرٌ علىٰ الطُّلَّابِ من السَّنة الأُولَىٰ (ابتدائي) إِلَىٰ السَّنةِ الأَخِيرة من الجامعةِ، بَلْ وتُطْبَعُ كُتُبُ التَّوحيدِ وَغَيْرها من المُقرَّراتِ الدِّراسيَّةِ عَلَىٰ حِسَابِ الدَّوْلةِ السّعوديَّة.

ثمَّ هَلُمَّ إلىٰ المَحَاكم الشَّرعيَّة، فَانْظُرْ في مَصَادرها إنْ كان عندك أَهْليَّة، هَلْ تَرَىٰ أَحْكامًا شرعيَّةً مَأْخوذةً من الفِقْهِ الإسلاميِّ، أو تَرَىٰ قوانينَ أَجْنبيَّةً مُسْتوردةً من الشَّرْق أو الغَرْب!

إنَّك - واللهِ - كذَّابٌ مُفْتر، يدلُّ كَلامُكَ أنَّك مُحَاربٌ للتَّوْحيدِ والدِّينِ الإِسْلاميِّ والمَنْهجِ السَّلفيِّ، وأَنْتَ تَزْعُمُ أنَّك تنصرُه، وإنَّما قلت ذلكَ كَذِبًا ونفاقًا، لِكَيْ تَتوصَّل إلىٰ سَبِّ أَوْلياءِ الله، وحُماةِ شَرْعِه، فَنَسْأل اللهَ أن يَكْفيَ المُسْلمينَ شرَّكَ.

ومِنْ جِهَةٍ أُخرىٰ: فإنَّ المملكةَ دَوْلةٌ وَاسِعةُ الأَطْراف، مُتعدِّدةُ الجِهَاتِ، فِيهَا

أُمَراؤُها وعُلَماؤُها، وَفِيهَا أُنَاسٌ صَالحون كثيرٌ، والحَمْدُ لله، وفيها أُناسٌ غيرُ صالحِينَ، مُختَفُونَ فِي غِمَارِ الشُّعَبِ، وكلُّ مَنْ فيها فهُوَ تَحْت حِمَايَةِ الدَّوْلةِ علىٰ العُمومِ إلَّا مَن أَظْهَر مِنْهم سُوءًا فيه ضَرَرٌ علىٰ الدَّولةِ، أو إِخْلالٌ بالأَمْنِ، فإنَّه قد يُسْجن، أو يُحَاكم، أو يُطْرد إنْ كانَ غير مُوَاطنٍ أَصْليٍّ، أمَّا مَن ظلَّ مُتخفِّيًا بعقيدتِه، مُتستِّرًا عن النَّاسِ، فهذا يَبْقىٰ تَحْتَ حِمايةِ الدَّولةِ كغيرِهِ، وضَلالُه علىٰ نفسِه، وعقَابُه علىٰ رَبِّه، ولا يضرُّ الدَّولةَ شيئًا، فإِنْ أَفْسدَ إِفسادًا خفيًّا يَعْلمُه بعضُ الشَّعبِ، ولم يُبْلِغوا الدَّولةَ إِفْسادَه؛ فإنَّ إِثْمَه يكون علىٰ مَن عَلِمَهُ ولَمْ يُبلِّغْ به.

أمَّا رِجَالُ الدَّوْلةِ فإنَّه لا يَنالُهم إثمٌ ما لم يَعْلمُوا، ومَن عَلِمَ مِنْهم شيئًا، ثمَّ قَصَّر فِي مُعالجتِه، فَسينالُه إِثْمُ ذلكَ التَّقْصير علىٰ ما سَكَتَ عنه، وهُوَ يَعْلمُه أو قَصَّر فِي عِلاجِه.

وهذا ردٌّ علىٰ مختار فِي قولِه فِي شريط «قَضَايا مَنْهجيَّة» (رقم ١): «واللي يمشِي السّعوديَّة الآن يعرف أن السّعوديَّة الآن مُتَّجهةٌ نَحْو الكُفْرِ البَوَاحِ، والشِّرْكِ الصُّرَاحِ، أُمَراءُ يُؤْوُونَ الدَّجَاجِلةَ والسَّحَرةَ والكَفَرةَ والزَّنادقةَ، ومَا زول يقدر يتكلَّم، ولا أيّ وَاحِدٍ من العلماء يقدر يَتكلَّم فِي الشَّارع، يقول الأمير الفلاني جايب الدَّجَّال الفُلاني، والفُلاني الفُلاني اللي جايبينه من السُّودان، ونعرف دَجَّالين وقَاعدين فِي السّعوديَّة، وتحت حماية الأُمَراء، والأُمَراء دول مانو دول أمراء آل سعود اللي يحموا التَّوْحيد، ودولة التَّوْحيد». اهـ.

وأَقُول:

أَوَّلًا: بالإِضَافَةِ إِلَىٰ ما سَبَق أنَّه لو قُدِّر أنَّ أَحدًا من رِجَالِ الدَّولة حَصَل منه شَيءٌ من هَذَا القبيل، فإنَّ إِثْمَه وضَرَره يَعُودُ علىٰ شَخْصِه، ولَيْسَ علىٰ الدَّولة،

فالدَّولةُ اتِّجاهُها اتِّجاهٌ صَحيحٌ، وعَقِيدتُها عَقِيدةٌ صحيحةٌ، وَلَا يَضرُّها التَّصرُّفُ الفَرْديُّ، وهَذَا علىٰ فَرْض صِحَّةِ ما قَالَه هَذَا الكذَّابُ، وإلَّا فالَّذي نَعْتقدُهُ أنَّه كَذَّابٌ، وظَالِمٌ، ومُفْترٍ.

ومِنْ نَاحِيَةٍ أُخرىٰ؛ فإنَّ المُسْلمينَ مَأمُورُونَ بِعَدَمِ نَشْر ما يكونُ مِنَ الأُمَراءِ مِنْ أَخْطاءٍ، وعَلَيهم أَنْ يَنْصَحُوهُمْ سِرًّا، فإِنْ قَبِلَ المَنصوحُ، وإلَّا قَدْ بَرِئَتْ ذِمَّةُ النَّاصح.

ولَا يَجُوز له ولا لغَيْره الخروجُ عليهم كما في حديث عُبَادة بن الصَّامت عند مُسْلم في كتاب (الإمارة)، باب (وُجُوب طَاعَة الأُمَراء في غَيْر مَعْصيةٍ، وتَحْريمها في المَعْصية)، قال: «حَدَّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، حَدَّثنا عبد الله بن إِدريس، عن يَحْيىٰ بن سعيد، وعُبَيد الله بن عُمَر، عن عُبَادة بن الوليد بن عُبَادةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّه، قالَ: «**بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ أَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لا نَخَافُ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ**»[(١)].

وحديث عَبْد الله بن عُمَر عند مُسلمٍ في كِتَابِ (الإِمَارَةِ)، باب (وُجُوب مُلَازمةِ جَمَاعة المُسْلمينَ عِنْدَ ظُهُورِ الفِتَنِ)، قَالَ: «حَدَّثنا عُبَيد الله بن مُعَاذ العَنْبَرِيُّ، حَدَّثنا أَبِي، حَدَّثنا عَاصِمٌ، وَهُو ابْنُ مُحمَّد بن زَيْد، عن زَيْد بن مُحمَّد، عن نَافعٍ، قال: جَاءَ عَبْدُ الله بن عُمَر إلىٰ عَبْد الله بن مُطِيع حِينَ كانَ من أَمْر الحَرَّةِ ما كان، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فقَالَ: اطْرَحُوا لأَبِي عَبْد الرَّحمن وِسَادةً، فقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ، أَتَيتُكَ لأُحدِّثَكَ حَدِيثًا سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُهُ، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٩).

حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[(١)].

وحديث عبد الله بن عبَّاس عند البخاريِّ في كتاب (الفتن)، باب (قَوْل النَّبيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، وبمثلِه عِنْدَ مُسْلمٍ في كتاب (الإمَارة)، باب (وجُوبِ مُلَازمةِ جَمَاعةِ المُسْلمينَ عِنْدَ ظُهُور الفِتَنِ)، قَالَ: «حَدَّثنا حَسَنُ بن الرَّبيع، حَدَّثنا حَمَّاد بن زَيْدٍ، عن الجَعْدِ أبي عُثمان، عَنْ أبي رَجَاءٍ، عن ابْنِ عبَّاسٍ يَرْويه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»[(٢)].

وحديثُ عَرْفجة بن شُرَيح الأَشْجعي عِنْدَ مُسْلمٍ في كتاب (الإمارة)، باب (حُكْم مَنْ فرَّق أَمْرَ المُسْلمينَ وَهُوَ مُجْتمعٌ)، قالَ: «وَحدَّثني عُثْمانُ بْن أبي شَيْبَةَ، حَدَّثنا يُونُس بن أبي يَعْفُور، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَرْفَجَة، قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**»[(٣)].

وفي رِوَايةٍ لَهُ في نَفْسِ الكتابِ والبَابِ، قالَ مُسلمٌ: «حدَّثني أَبُو بَكر بن نَافِعٍ، ومُحمَّد بن بَشَّار، قالَ ابْنُ نافعٍ: حَدَّثنا غُنْدَرٌ. وقال ابنُ بَشَّار: حَدَّثنا مُحمَّد بن جعفر، حدَّثنا شُعْبة عن زياد بن عِلَاقة، قال: سمعتُ عَرْفَجَة قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ**[(٤)]؛ **فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ**

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٤) **الهَنَات**: جمع هَنَة، والمراد بها هنا: الفتن والأمور الحادثة.

الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»(١).

وحديثٌ عن أبي هُريرةَ عندَ مُسْلمٍ في كتاب (الإمارة)، باب (وُجُوبِ الوفاء بِبَيْعةِ الخُلفاءِ الأوَّل فالأوَّل)، قال: «حَدَّثنا مُحمَّد بن بشار، حَدَّثنا مُحمَّد بن جعفر، حَدَّثنا شُعْبة عن فُراتٍ القَزَّاز، عن أبي حَازِم قالَ: قَاعَدْتُ أبا هُرَيرة خَمْسَ سنينَ، فسمعتُه يُحدِّثُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«كَانَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِياءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ»**. **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»**(٢).

وَلأبي هُرَيرة أيضًا حديثٌ عِنْدَ مُسْلمٍ في كتاب (الإمارة)، باب (وُجوب مُلازمةِ جماعة المُسْلمينَ عندَ ظُهورِ الفِتَنِ)، قَالَ: حَدَّثنا شَيْبان بن فَرُّوخٍ، حَدَّثنا جَرِير - يعني ابن حَازم - حَدَّثنا غَيْلَان بن جَرِير عن أبي قَيْس بن رِيَاح، عَنْ أَبِي هُرَيرة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: **«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ فَمَاتَ - مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ - فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»**(٣).

وأَقُول: الأدلَّةُ علىٰ عدمِ جَوازِ الخُرُوج عَلَىٰ وُلَاةِ الأُمُور كَثِيرةٌ، وإنَّ هذا الجاهلَ المُتبجِّحَ بالكذبِ مِن حَقِّه أن يُسْجنَ ويُحاكَمَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

إنَّ هذه الإشاعاتِ الكاذبةَ قد تُسيءُ إلىٰ سُمْعةِ الدَّولة السّعوديَّة الَّتي لو نظَر الإنسانُ في كلِّ دُوَلِ الأَرْض لَمْ يَجِدْ مثلَها في الاستقامةِ والعدْلِ أو قَرِيبًا مِنْها، والحمدُ لله علىٰ ذلكَ، ونَسألُ اللهَ أن يَنْصُرَها، وأَنْ يَكْبتَ كلَّ ظَالمٍ يُريدُ بِهَا أَوْ بالمُسْلمينَ سُوءًا، وباللهِ التَّوفيقُ، وصَلَّىٰ اللهُ علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

كتَبَ هذا الرَّدَّ

أحمد بن يحيى محمَّد النَّجميَّ

١٤٢٨/٦/١٦هـ



حفُّ الحواجب، وتشقيرُها مُخالفٌ للشَّرع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعدُ:

فقدْ وصَل إليَّ مقالٌ نُشِرَ في جريدةِ (الوطن) في يوم السَّبت (١٧/ ١ / ١٤٢٦ هـ)، بعنوان: «تعقيبٌ علىٰ خالد السَّيف: لا ضير في حفِّ الحواجب، وتشقيرها».

قال الكاتبُ في صحيفة (الوطن): «كتَب الأكاديميُّ في جامعة القصيم خالد صالح السَّيف مقالًا بعنوان: (هلْ يجوز تشقير الحواجب، وحفّها؟)؛ إنَّه السُّؤال الَّذي لم يبرح علىٰ شفاه حريمنا؛ إنَّه السُّؤال الَّذي ما فتِئ يُفجِّرُ فينا إشكاليَّة قلق فقهيٍّ دائمٍ...».

إلىٰ أنْ قال: «أوافقُ الكاتبَ علىٰ أنَّنا سئمْنا هذا السُّؤال؛ فهو يتردَّدُ في كلِّ مكانٍ، وعلىٰ كلِّ لسانٍ، وقد رأَيْنا بعضَهنَّ ممَّن يَخفْنَ مِن اللَّعن قد تركْنَ حواجبهُنَّ حتَّىٰ اِلتصقتْ بمقدّمة شُعورهنَّ، فأصبحتْ وُجوههنَّ كأنَّها أُسود غابٍ».

وهنا لي وقفةٌ مع هذا الكاتِب الَّذي يُهوِّنُ مِن شأنِ النِّساءِ اللَّاتي يَخفْنَ مِن اللَّعن؛ الَّذي أخبر عنه الرَّسولُ ﷺ؛ فيَجتنبْنَ مُوجبَه في واقعِهنَّ.

أمَا تَعلمُ يا مسكينُ أنَّه ما سادَ مَن سادَ، وبلَغ الدَّرجاتِ العُلىٰ إلَّا بالإيمان؛ الَّذي يَحملُ صاحبَه علىٰ الخوفِ مِن الله، وتحاشىٰ الوُقوعَ فيمَا يُسخطه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن

طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازعات: ٣٥ - ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، ألَا ترىٰ - يا أخا الإسلام - أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ بعضِ عِبادِه بمخافتِه وخشيتِه، والرَّهبة مِن الوُقوفِ بين يدَيهِ، وأخبَر بما لهم عنده مِن النَّعيم المُقيمِ في جنَّات النَّعيمِ، وأنتَ تُعيِّر البقيَّةَ الباقيةَ مِن النِّساء بالخوفِ من لعنةِ اللهِ، وكأنَّك تُجرِّئُهنَّ وتُغريهنَّ بعدم مخافتِه.

الوقفةُ الثَّانية: أنَّك تستحلُّ في سبيل ذلك الكذِبَ، فتقولُ: «وقدْ رأينا بعضَهنَّ ممَّن يَخفْنَ مِن اللَّعن قد تركْنَ حواجبَهنَّ حتَّىٰ اِلتصقتْ بمُقدَّمة شعورهنَّ، فأصبحتْ وُجوههنَّ كأنَّها أُسودُ غابٍ».

وأقولُ: مِنْ اِلتَّصقتْ حواجبهنَّ بمُقدِّمة شُعورهنَّ متىٰ؟ وأين حصل هذا؟ اللَّهم غفرًا مِن المُبالغة الَّتي تُعاب.

الوقفة الثَّالثة: إنَّ الحواجبَ خلقها اللهُ عَزَّوَجَلَّ للإنسانِ زينةً، فوُجودُها هو الزِّينة، وليس إزالتُها هو الزِّينة، فمَن زعم أنَّ وجودها تشويهٌ فقد عابَ صنعة الله، ومَن عاب الصّنعة عاب الصَّانع، فأعدَّ للسُّؤال جوابًا.

الوقفة الرَّابعة: أنَّ إزالَتها أو تشقيرها تغييرٌ لِخلْق الله، وتغييرُ خلْق اللهِ لا يجوزُ، كما سيأتي في الأدلَّة.

الوقفةُ الخامسةُ: أنَّ الشَّيطانَ يُغري بني آدم بتنميصِ شعر الوجهِ والحاجبَينِ، وبالأخصِّ النِّساء، ويزيِّنُ لهنَّ ذلك؛ ليوقعهنَّ في معصية الله وتغييرِ خلْقه، وكذلك الشَّياطين تُحبِّبُ إلىٰ النَّاس المعصيةَ، وتُزيِّنُها لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النِّساء: ١١٧ - ١٢١].

ثمَّ قال الكاتب: «والَّذي ضخَّم هذا السُّؤال لدىٰ حريمِنا هو تكراره في كلِّ المقرَّرات، وعلىٰ كلِّ السَّنوات، وفي الإذاعة والفضائيَّات، وداخل الكتيِّبات والمُلصقاتِ...» إلخ المقطع.

وأقولُ: أَيسوؤُك أنْ يُنبَّهَ النِّساءُ علىٰ ما يتنافىٰ مع دينهنَّ، ويُوجبُ النَّقصَ في اِلتزامهنَّ حتَّىٰ يَجْتَنِبْنَه؛ لقد كانَ الواجبُ عليكَ أنْ تفرحَ بتنبيهِ النِّساءِ علىٰ أُمورِ دينهنَّ، وما يُوجبُ اِلتزامهنَّ لا أن يُثيرَ هذا غضبَك، ويجعلُك تتندَّر بمَن يخافُ لعنةَ الله للمتنمِّصات والمُستوشمات مِن النِّساء.

ثمَّ قال الكاتب: «وحديثُ النَّمص الَّذي يُردِّدُه البعضُ، هو مِن أقوالِ الصَّحابيِّ عبد الله بن مسعود، ورد في (فتح الباري) في (ج١٠/ ٣٧٧) كما ورد أيضًا في (ج ٨/ ٦٣٠) تحت باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾،

حديث رقم (٤٨٨٦).

وفحوىٰ الحديث؛ عن عبد الله بن مسعود قال: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ، وَالمُسْتَوشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ للحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللهِ».

فبلَغ ذلكَ امْرأَةً من بني أَسَدٍ، يُقَالُ لها: أُمّ يعقوب، فجاءتْ، فقالتْ: إنَّه بَلَغني أنَّكَ لَعنْتَ كيتَ وكيتَ، فقال: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ومَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللهِ؟!! فقالتْ: لَقَدْ قَرأْتُ ما بَينَ اللَّوحَينِ، فمَا وَجَدتُ فيه مَا تَقُولُ، قالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ؛ أَمَا قَرأْتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قالت: بلىٰ. قال: فَإِنَّه قدْ نَهَىٰ عنهُ. قالت: فَإِنِّي أَرَىٰ أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ؛ قال: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي. فَذَهَبَتْ فَنظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا» اهـ.

وأقولُ: قولُ الكاتِب: «إنَّ حديثَ النَّمصِ الَّذي يُردِّده البعضُ هو مِن أقوالِ الصَّحابيِّ عبد الله بن مسعود»، ولا أدرِي هل هذا جهْلٌ مِن الكاتِب أو مغالطة مقصودةٌ، والثَّانية أظهرُ، فإنَّ مثلَه لا يجهلُ هذه العبارات بهذا الوُضوح، فقولُه في الحديثِ: «وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ» دالٌّ علىٰ أنَّ هذا اللَّعنَ صادرٌ مِن رسولِ الله ﷺ وليس مِن غيرِه، وهذَا وَاضحٌ وُضوحَ الشَّمس في رابعةِ النَّهار.

فقولُ الكاتب: إنَّ اللَّعنَ هو مِن أقوالِ عبد الله بن مسعود؛ حتَّىٰ ولم يترضَ عنه، قولٌ غيرُ صحيح، فهو قالَ: «وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ». دالٌّ علىٰ أنَّ اللَّعنَ لِمَن يعملون هذه الأمور الَّتي هي: النَّمصُ، والوصلُ، والوشم؛ وهو صادرٌ من نبي الهدىٰ، ورسول الرَّحمة؛ ليس مِن غيرِه.

فقولُ الكاتب فيه مُغالطةٌ يسألُه الله عنها.

ثانيًا: إنَّ حديثَ النَّهي عن الوصل، وما في معناه لم يَرِدْ مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ وحدَه؛ بل قدْ ورَد مِن حديث أبي هُريرةَ رضي الله عنه، في باب وصْل الشَّعر مِن «صحيح البخاري»، رقم (٥٩٣٣) عن النَّبيِّ ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ، وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ، وَالمُسْتَوْشِمَةَ»**.

وفيه حديث عن عائشة رضي الله عنها: **أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الأَنْصَارِ تَزَوَّجَتْ، وَأَنَّهَا مَرِضَتْ فَتَمَعَّطَ شَعْرُهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَصِلُوهَا، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»** أخرجه البخاري في الباب المذكور، برقم (٥٩٣٤)[١].

وحديث عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما في نفس الباب، رقم (٥٩٣٥)، وفيه: **«فَسَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»**[٢].

وفيه حديثٌ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ»**[٣]، وقال نَافعٌ: **«الوَشْمُ فِي اللِّثَةِ»**، أخرجه البخاريُّ في نفس الباب، برقم (٥٩٣٧)، والمقصود باللِّثَة اللَّحمُ الَّذي فيه الأسنان.

وحديثٌ عن معاويةَ في نفس الباب، برقم (٥٩٣٨)، من طريق سعيد بن المسيّب قال: "**قَدِمَ مُعَاوِيَةُ** رضي الله عنه **المَدِينَةَ، آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا، فَخَطَبَنَا فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ»** يعني: **الوَاصِلَةَ فِي الشَّعَرِ**"[٤].

---

(١) وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٢١٢٣).

(٢) وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٢١٢٢) بلفظ: **«لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»**.

(٣) وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٢١٢٤).

(٤) وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٢١٢٧).

وفي باب (المتنمّصات)، حديث ابن مسعود من طريق علقمة، قال: «لَعَنَ عَبْدُ اللهِ الوَاشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ»، فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟! قَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي كِتَابِ اللهِ؟»، قَالَتْ: وَاللهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ، قَالَ: «وَاللهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]»(١).

قلتُ: وفي هذه الآية دلالةٌ أيضًا على أنَّ هذا اللَّعن صادرٌ من رسول الله ﷺ، وليس من ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي باب (المستوشمة) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُتِيَ عُمَرُ رضي الله عنه بِامْرَأَةٍ تَشِمُ، فَقَامَ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ، مَنْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الوَشْمِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: فَقُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَنَا سَمِعْتُ. قَالَ: مَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تَشِمْنَ وَلا تَسْتَوْشِمْنَ»، رواه البخاريُّ رقم (٥٩٤٦).

قال الحافظُ في «الفتح» (١٠/ ٣٧٧ المعرفة): «وفي هذه الأحاديث حجّةٌ لِمَن قالَ: يحرمُ الوصلُ في الشَّعر، والوشم، والنَّمص على الفاعلِ والمفعولِ به؛ وهي حُجَّةٌ على مَن حمَل النَّهيَ فيه على التَّنزيهِ؛ لأنَّ دلالةَ اللَّعنِ على التَّحريمِ مِن أقوى الدِّلالات، بل عند بعضِهم أنَّه مِن علاماتِ الكبيرة، وفي حديثِ عائشةَ دلالةٌ على بُطلانِ ما رُويَ عنها أنَّها رخَّصتْ في وصل الشَّعر بالشَّعر، وقالتْ: إنَّ المُرادَ بالواصل المرأةُ تفجُر في شبابها، ثمَّ تصل ذلك بالقيادة، وقد ردَّ ذلك الطبريّ، وأبطلَه بما جاءَ عن عائشةَ في قصَّة المرأةِ المذكُورةِ في البابِ» اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥).

قلتُ: وهذا الأثرُ المرويُّ عن عائشةَ في تفسير الوصل مِن أبطلِ الباطلِ، ومِن أمحلِ المُحالِ، بالأخصِّ في زمَن الصَّحابة، وبيت النُّبوَّة، ولهذا التَّفسير مفهومٌ سيِّءٌ يدلُّ على أنَّه موضوعٌ.

وأقولُ: قول الكاتب: «أنَّ احتمال أنَّ ابن مسعودٍ قد سمِعَ اللَّعنَ من النَّبيِّ ﷺ كمَا قال ابنُ حجر؛ يدلُّنا على أنَّ وقائع الأحوالِ يتطرَّقُ إليها الاحتمال، فيكسوها ثوبَ الإجمالِ، ويسقطُ بها الاستدلالُ» اهـ.

وأقول: هذه محاولةٌ مِن الكاتبِ الأكاديميّ في إسقاط النَّصِّ، وجرأة دنيئة في إبطالِ النُّصوص النَّبويَّة، وعدم المُبالاة بها، وإيثار لإرضاءِ النَّاس على إرضاء الله تعالى، ولو على حِسَاب إبطال النُّصوص الشَّرعيَّة؛ فقدْ ورَد النَّهيُ المصحوبُ باللَّعنِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ في قوله: «**وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!**»، ومِن حديثِ عائشةَ، وأختِها أسماء بنت أبي بكر، ومن حديث عبد الله بن عمر، وأبي هريرة، ومعاوية، رضوان الله عليهم أجمعين.

فمحاولةُ إسقاطِ حديثِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه لا ينفع هذا الجاهل، ولا مَن يرضى بصنيعه مِن أحاديث مَن سمَّينا، ولكن هذا الكاتب لا يرضيه إلَّا أنْ يُسقط حديثَ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه بأسباب تافهةٍ، وحُجج واهيةٍ.

فهو يقولُ: «إنَّ حديث ابن مسعود موقوفٌ»، ويأتي مِن كتابِ ابنِ الصَّلاح بتعريفِ الموقوفِ، فيقول: «وتعريفُ الحديثِ الموقوفِ بأنَّه ما أُضيفَ إلى الصَّحابيِّ قولًا كان أو فعلًا أو تقريرًا» اهـ.

فأقولُ: أين الموقوف؟ وابنُ مسعودٍ يقولُ: «**وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!**» إنَّ مِثلَ هذا الكاتب لا ينبغي له أنْ يَتكلَّم في الأحاديث النَّبويَّة

حتَّىٰ يتعلَّم مُصطلح الحديث؛ فقولُ ابنِ مسعودٍ: «**وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!**» فـ(ما) استفهاميَّة، استفهام إنكاريّ؛ أي: ما الَّذي يَمنعُني مِن لعْن مَن لعَن رسولُ الله ﷺ؛ لأنِّي بذلك أُبيِّن حقًّا، وأبلِّغ شرعًا؟!.

أمَّا قولُ الكاتب: «إنَّه ليس فيه صيغةٌ مِن صيَغ التَّحمُّل؛ وهي: سمعتُ، وحدَّثني، وقال لي، وأخبرني».

وأقولُ: قولُ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!**»، دالٌّ علىٰ أنَّه قد سمِعَه مِن النَّبيِّ ﷺ، فحججُه الَّتي يُريدُ أنْ يُبطلَ بها الحديثَ حججٌ واهيةٌ، والنَّهيُ المصحوبُ باللَّعن ثابتٌ مِن حديثِ غيرِه كما تقدَّم.

وقولُ الكاتب: «لو كان هذا الحديثُ ثابتًا (لعَن اللهُ النَّامصةَ) مِن قولِ رسولِ الله ﷺ؛ لكانتْ السَّيِّدةُ عائشةُ هي أوَّل مَن قالَتْ به؛ فهي الأقربُ لِمسائلِ النِّساءِ وأحوالهنَّ» اهـ.

وأقولُ: علىٰ فرْضِ صحَّة الأثر؛ الَّذي حكاهُ عْن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فإنَّ أهل الأصول يُقرِّرُون أنَّ العبرة بما روىٰ الرَّواي لا بما رأىٰ، ولم يقُل بأنَّ مخالفةَ الرَّواي لِما روىٰ تقدحُ في روايتِه إلَّا الحنفيَّة، فيما أعلمُ.

علمًا بأنَّ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد رَوَتْ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ**»(١)، وبذلك قدَح الطَّبريُّ في صحَّة ما رُوِيَ عنها مِن جواز الوصل، وتقدَّم قول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الأحاديث الَّتي رُويَتْ في هذا المعنىٰ حُجةً لمَن قال بتحريم الوصل في الشَّعر والوشم والنَّمص.

واسمعْ إلىٰ ربِّك ما يقولُ؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

---

(١) سبق تخريجه.

عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، وقال جلَّ مِن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٥]، وفي الحديث الصَّحيح: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»[1].

فالتِماسُ التَّأويلاتِ المتعسِّفة لِصرْفِ الحديثِ عن ظاهره، وإبطالِ العَملِ به، وتثبيطِ الهِمَمِ عن امتثالِه واتِّباعِ ما فيه؛ جريمةٌ عظيمةٌ يُعاقبُ اللهُ عليها مَن فعلها إنْ ماتَ ولم يَتُبْ، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبِه.

كتبه

أحمد بن يحيى النَّجمي

في ٩/ ٥/ ١٤٢٦ هـ



(١) أخرجه البخاري رقم (٧٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بيعُ الخمر في ديار الكفَّار

(ردٌّ على نجيب عصام يماني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبِه، وبعدُ:

فقدْ نشرتْ جريدةُ (عُكاظ) في يوم الإثنين (٦/ ٢/ ١٤٢٧هـ)، (٦ مارس ٢٠٠٦م)، في العدد رقم (١٧٢٣)، (ص١٨ - ١٩)؛ تعقيبًا علىٰ مقالٍ بعنوان: (أحكام المسائل.. في ديار المُسلمين.. وفي ديارِ غيرِهم)، للكاتب نجيب عصام يماني، حيثُ قال فيه كاتبه - هداه الله إلىٰ الحق والصَّوابِ -: "ما أُثير مؤخَّرًا مِن جدلٍ حول جوازِ بيعِ المُسلم الخمرَ في ديارِ غير المسلمين - في أوروبا وأمريكا -. وهذا الموضوعُ - مِن حيث هو - قد وقع فيه الجدلُ والمُناظرة بين أئمَّة الفقه منذُ فجر التَّاريخ الفقهيِّ. فليست المسألةُ وليدةَ اليوم، بل قد خاض فيها الأئمَّةُ؛ أبو حنيفةَ ومالكٌ والشَّافعيُّ وأحمدُ قبل نحو ثلاثةَ عشر قرنًا مِن الزَّمان. وجاء بعد أولئك الأئمَّة تلاميذُهم بزيادة التَّفصيل والتَّحقيق والاستدلالِ، حتَّىٰ أصبح لكلِّ مذهبٍ قولُه فيها.

وأصلُ هذه المسألةِ هو ما أجازه الحنفيَّة من تعامل المُسلمين بالرِّبا مع غيرهم في بلادهم، مثل دول أوروبا وأمريكا في أيامنا هذه... " إلىٰ أنْ قال الكاتب: "فالشَّاهدُ أنَّ مِن المسائل الاجتهاديَّة ما يتفرَّد به إمامٌ مِن أئمَّة المُسلمين الفقهاء،

فيكونُ في ذلك مندوحةً وتيسيرًا ورفعًا للحرجِ عن فئةٍ مِن المُسلمين، كما هو الحالُ بالنِّسبةِ للأقليات الإسلاميَّة الَّتي تعيشُ في أوروبا وأمريكا.

والاشتغال ببيع الخمر أو غيرها من المُحرَّمات في تلك الدِّيار لا يكون محظورًا، قياسًا علىٰ هذا الأصلِ. أضفْ إلىٰ ذلك أنَّ التَّحريم في النَّصِّ مِن القُرآن الكريم إنَّما جاء في شُربها، وفي لحم الخنزير في أكلِه. وتُحمل الأحاديث الواردة في هذا الموضوع المُتضمِّنة للوعيد في حقِّ عاصرها وحاملها والمحمولة إليه، وكذا في كاتب الرِّبا وشاهدَيه، تُحمل علىٰ التَّغليظِ والتَّرهيب وبيان عظم الإثمِ، ولا تُحملُ هذه الأحاديثُ علىٰ حقيقتِها؛ لأنَّ في ذلك نسخًا للقُرآن بالسُّنَّة، وهذا لا يجوزُ عند كافَّة العُلماء، كما ذكره ابنُ النَّجَّار في (شرح الكوكب المنير) (٣/ ٥٢٦)، وآل تيمية في (المسوَّدة) (٤٠٢)، وأبو الحسين البصري في (المعتمد) (١/ ٤٢٤)، وسيف الدِّين الآمديّ في (الأحكام) (٣/ ١٥٣)، وأبو إسحاق الشيرازي في (اللُّمع) (٣٣). وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[1]، ومعلومٌ أنَّ المُسلمين قاتَل بعضُهم بعضًا في صفِّين والجمَل، بل قُتل مِن المُسلمين في تلك المعاركِ مِن الأعداد ما فاق مَن قتلُوا في جميع الغزوات منذُ بدرٍ إلىٰ ذلك اليوم، كما يقولُ ابنُ كثيرٍ. فهل كلُّ أولئك الصَّحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانُوا كافرين - والعياذُ بالله -..؟!! " اهـ.

وأقولُ: إنَّ مقصدَ هذا الكاتبِ استباحةُ الرِّبا وبيع الخمر والخنزير في بلاد غير المسلمين الَّتي تحكم عليهم بها أهل البلاد الكافرة؛ حين يضطرُّ المسلمون إلىٰ العمل معهم، فهل يقالُ: إنَّ ما حرَّمه اللهُ في بلاد المسلمين يكون مباحًا فعلُه

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٦٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

للمُسلمينَ الَّذينَ يقطنونَ في بلادِ الكُفرِ؛ هذا ما يريدُه هذا الكاتبُ - وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل -.

إنَّ الأحكامَ الشَّرعيَّةَ الَّتي شرَعها اللهُ عَزَّوَجَلَّ وأمَر بها يجبُ أنْ يكونَ المسلمُ ممتثِلًا لتلكَ الأوامر فعلًا وتركًا، ولا يجوزُ لأحدٍ أنْ يستبيحَ الرِّبا في بلادِ الكُفَّار علىٰ تأويلِ أنَّ كلَّ أموالِهم غنيمةٌ للمُسلم إذا ظفر بها وأخذَها، وأنَّه يجوزُ للمُسلم أنْ يشتغلَ في شركةٍ تحكمُ عليه بأنْ يَبيعَ الخمرَ ويبيعَ لحمَ الخنزيرِ؛ هذا ما قصده الكاتبُ، وأنا أُذكِّرُ هذا الكاتب الذي سمَّىٰ نفسَه نجيب عصام يماني؛ أُذكِّره باللهِ، وأن يتَّقي اللهَ عَزَّوَجَلَّ من نَشرِ مثل هذا الضَّلال الذي يغرُّ به المُسلمين، ويحملُهم به علىٰ التَّفسُّخ مِن دينهم.

قال موفَّقُ الدِّين ابنُ قُدامة المقدسيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (المُغني)، تحقيق التُّركي والحلو في (ج١٣/ ٨٣): "وإذا دخَل حربيٌّ دارَ الإسلام بغيرِ أمانٍ، نظرتَ؛ فإنْ كان معه متاعٌ يبيعُه في دار الإسلام، وقد جرَتْ العادةُ بدُخولِهم إلينا تُجَّارًا بغير أمانٍ، لم يُعرَض لهُم.... "، إلىٰ أنْ قال: "وكلُّ مَن دخَل بلادَ المسلمين مِن أهل الحربِ بتجارةٍ بُويعَ، ولم يُسأل عن شيءٍ، وإنْ لم تكُن معه تجارةٌ، فقال: جئتُ مُستأمِنًا، لم يُقبَل منه، وكان الإمامُ مخيَّرًا فيه، ونحوُ هذا قول الأوزاعيُّ والشَّافعيُّ".

قلتُ: أوَّلًا: أموالُ الكفَّار غيرُ جائزةٍ بإطلاقٍ، وإنَّما يحلُّ منها:

- الفيءُ؛ وهو المالُ الَّذي يفرُّ عنه الكفَّار المحاربون مِن المسلمين بغير قتالٍ، فهذا يُسمَّىٰ فيئًا.

- والغنائمُ؛ وهي الأموالُ المأخوذة مِن الكفَّار بالحرب؛ قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر: ٦].

ثانيًا: أمَّا الأموالُ المغنومةُ؛ فهي الَّتي تُحصَّلُ بالقتال؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

ثالثًا: الأموالُ الَّتي يُصالَح عليها الكفَّار أو تكونُ مأخوذةً عليهم بحُكم الشَّرعِ؛ كالجزيةِ والضَّرائب وهي الَّتي تُسمَّىٰ بالخراج، وعشور التِّجارة تجارةِ الكفَّار إلىٰ بلاد المسلمين؛ أفاده في تفسير القرطبيِّ[1].

هذه هي الأموالُ الَّتي يجوزُ أَخذُها للمُسلمين، وما عداها فإنَّ أموالَ الكُفَّار لا يجوزُ أن تُؤخذَ هكذَا؛ فقولُ هذا الكاتب: إنَّ أموالَ الكفَّار كلّها يجوزُ الاستيلاءُ عليها؛ لأنَّها بمنزلة الكلإ المُباح في البراري؛ هذا كلامٌ غيرُ مُسلَّمٍ، وقد علمْنا ممَّا سبق أنَّه لا يجوزُ مِن أموال الكفَّارِ إلَّا الفيءُ، والغنيمةُ، والمأخوذ جزيةً أو مصالحةً بينهم وبين المسلمين، والخراجُ، وعشور التِّجارة، وما عدا ذلك فهو حرامٌ.

فقولُ هذا الكاتبِ واستدلالُه علىٰ جواز الرِّبا في بلاد الكفَّار للمُسلمين، وأنَّه يجوزُ للمُسلمين أَخذُه باعتبار أنَّ الكفَّار كلّهم محاربون، وأنَّ بلادهم كلّها بلادُ حربٍ، وكذلك إباحتُه لبيع الخمر، وبيعِ الخنزير للمُسلمين؛ هذا كلامٌ باطلٌ فيه إغراءٌ للمُسلمين بالمحرَّمات، وأنَّ التَّحريمَ خاصٌّ ببلادِ الإسلام، فمِن أين له هذا؟!

---

(١) انظر: «تفسير القرطبيّ» (١٨/ ١٤ الكتُب المصريَّة).

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزلَ الأحكامَ الشَّرعيَّة علىٰ رسولِه، وكلَّف عبادَه باتِّباعها؛ قال جلَّ من قائلٍ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩]، فالأحكام أنزلها اللهُ للعمَل بها، فمَن زعَم أنَّ الأحكام الشَّرعيَّة يجبُ العملُ بها في بلدٍ دون بلدٍ فإنَّه قد افترىٰ علىٰ الله، وشرع شرعًا لم يأذن به اللهُ.

إنَّ تحريمَ الرِّبا والخمر والخنزير وغير ذلك من المحرَّمات تحريمٌ عامٌّ في بلادِ المُسلمين وبلاد الكفَّار، وقد جاء في الحديثِ الَّذي رواه أبو داود عن المُغيرة بن شعبة بلفظ: «مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ الْخَنَازِيرَ»(١)، ذكره في (النِّهاية في غريب الحديثِ والأثرِ) لابن الأثيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ج٢/ ٤٩٠) عند حرف الشِّين مع القافِ، وقال: "وفيه «مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ الْخَنَازِيرَ»، أي: فلْيُقطِّعها قِطعًا، ويُفصِّلها أعضاءً كما تُفصَّل الشَّاة إذا بِيعَ لحمُها. يقال: شقَّصه يُشقِّصه، وبه سُمِّي القصَّاب مُشقِّصًا. المعنىٰ: مَن استحلَّ بَيعَ الخمْر فليستَحلَّ بَيعَ الخِنزير؛ فإنَّهما في التَّحريم سواءٌ، وهذا لفظُ أمرٍ معناه النَّهيُ، تقديره: مَن باعَ الخمْرَ فليكُن للخنازير قصَّاباً"، قال: "جعلَه الزَّمخشريُّ مِن كلام الشَّعبيِّ، وهو حديثٌ مرفوع رواه المغيرة بن شعبة، وهو في (سنن أبي داود)" اهـ.

وفي الحديث الآخر: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٨٩)، وضعَّفه الألبانيُّ في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٤٥٦٦).

وَدَمِهِ»[١]. انظر (صحيح الجامع)، برقم الحديث (٦٥٢٨)، [حم، م، د، هـ]، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح»؛ يعني: رواه أحمدُ، ومسلم، وأبو داود، وابنُ ماجه.

وقد أخبرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن القريةِ الَّتي كانتْ حاضرةَ البحرِ، وحرَّم الله عليهم أنْ يصيدُوا السَّمكَ يوم السَّبتِ، فاحتالوا علىٰ صيدِه، فحفروا حفرًا في المكان الَّذي يمدُّ فيه البحر قبل السَّبت، وإذا مدَّ البحر يوم السَّبت انحبست الحيتان في تلك الحُفر، فيتركونه إلىٰ يوم الأحد، ثمَّ يأخذونه، ويقولون: إنَّما أخذناه يومَ الأحد، فلعنَهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بسبب ذلك، ومسخَهم قِردةً وخنازيرَ؛ قال تعالىٰ في سورة (الأعراف) من الآية رقم (١٦٣): ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾، إلىٰ أنْ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦ - ١٦٧]، وفي الحديثِ الصَّحيح: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا، وَإِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَىٰ قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ**»[٢]، انظر: (صحيح الجامع) للألباني برقم (٥١٠٧)، وفي الحديثِ الآخر عند مسلم: "**إِنَّ رَجُلًا أَهْدَىٰ لِرَسُولِ اللهِ** ﷺ **رَاوِيَةَ خَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟**» **قَالَ: لَا، فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**بِمَ سَارَرْتَهُ؟**»، **فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ:**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٧٩ الرسالة)، ومسلم (٢٢٦٠)، وأبو داود (٤٩٣٩)، وابن ماجه (٣٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢١)، وأبو داود (٣٤٨٨)، مِن حديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

«إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»، قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّىٰ ذَهَبَ مَا فِيهَا"[(١)].

وكلُّ هذه الأدلَّة لم يَستثنِ النَّبيُّ ﷺ منها شيئًا بأنَّه يحرمُ في بلاد المسلمين، ويحلُّ في بلادِ الكفَّار.

وما ذكره الكاتب أنَّه مِن حُجج الحنفيَّة حيثُ قال: "وكان العبَّاسُ بنُ عبد المطَّلبِ؛ عمُّ الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - وهذا مِن حُجج الحنفيَّة - بعد إسلامِه رجَع إلىٰ مكَّة، وكان يتعاملُ مع قبائلِ العرَب بالرِّبا، يعلمُ الرَّسولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم ينهَهُ، حتَّىٰ جاء الفتحُ وأصبحت مكَّةُ دارَ إسلام، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «... وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ»[(٢)]، ولا يضعُ الرَّسولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حُكمًا إلَّا وكان قائمًا قبْلَ الوضعِ".

وأقولُ: في هذا المقطع مِن الكذبِ، ورمْي الرَّسولِ ﷺ بالتَّغاضي علىٰ فِعْل المُحرَّم، والسُّكوت عليه، وهذا تنقُّصٌ للرَّسول الكريم ﷺ، وتنقُّصٌ لِعمِّه العبَّاس الصَّحابي الجليل، واتِّهامٌ له بالكذب، وأنَّه بعد أنْ أسلَم، وسمِع آياتِ الرِّبا، ذهب بعد ذلك إلىٰ قبائل العرب يتعامل معهم بالرِّبا بعد أنْ علِم حُكم الله فيه، ألَا يتقي الله قائل هذا القول!!

وأقولُ: أوَّلًا علىٰ قائل هذا القولِ أنْ يُثبتَ أنَّ العبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد أنْ أسلمَ وهاجر، وعرَف أنَّ تحريمَ الرِّبا قد نزَل في القرآن، ذهب بعد ذلك إلىٰ قبائل المُشركين يتعامل معهم بالرِّبا؛ يُثبت ذلك بسندٍ صحيحٍ لا مطعنَ فيه، وإلَّا فهو كاذبٌ ساقطُ العدالة، وهذا إفكٌ باطلٌ، قائلُه ينبغي أنْ يُعزَّر بسببِ رميه للرَّسولِ

(١) أخرجه مسلم (١٥٧٩)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الكريمِ وعمِّه بهذا الباطل.

والحقيقةُ أنَّ العبَّاس حين هاجر لم يعُد إلىٰ مكَّة إلَّا يوم الفتح، وكان له ربًا عند بعض القبائل مِن قبْل هجرتِه، فلمَّا فتح اللهُ مكَّة علىٰ نبيِّه قام في اليوم الثَّاني من صبيحة الفتح، فخطَب خُطبتَه المشهورة التي قال فيها: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**»[1]، وكانت خطبتُه في الوقت المناسب؛ لأنَّ مكَّة قبْل ذلك لم تكن تحت حُكمه، فكانت أحكامُ الجاهليَّة من شركٍ وربًا وغيرِ ذلك فاشيةً فيها، وبهذه الخطبة أعلن الرَّسولُ ﷺ الأحكام الشَّرعيَّة فيها، ورميُ هذا القائل للعبَّاس بفعل الرِّبا بعد أنْ علِم تحريمَه، ورميُه للرَّسول الكريم أنَّه علم ما فعلَه العبَّاس وسكَت جرمٌ عظيمٌ وإفكٌ كبيرٌ، يُحاسبُ اللهُ عليه قائلَه.

ألَا تتَّقي اللهَ - يا هذا الكاتب - تدَعُ كتابَ الله وسنَّة رسوله وعمَل السَّلفِ الصَّالح، وتتشبَّثُ بأقوالٍ ساقطةٍ؛ تُغرِي بها الجُهَّال، وتدفعُهم بها إلىٰ ارتكابِ الكبائر المُغلَّظة؛ كالرِّبا وبيع الخمر وبيع لحم الخنزير؛ زاعمًا لهم أنَّ تحريمَ هذه الأشياء خاصٌّ بدار الإسلام، أمَّا بلاد الكفَّار فإنَّه يجوز فيها مُقارفة الكبائر المغلَّظة بدون حُججٍ.

وإنَّ قولك: "والمستند عند الحنفيَّة في هذه المسألة وما يتفرَّع عنها بالقياس؛ أنَّ العبرة في النُّصوص الواردة في هذه المسألة إنَّما هي بالدَّار، وليستْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

بالعاقدين؛ كما ذكره الكاساني في (بدائع الصَّنائع) (٥/ ١٩٢)، والسّرخسيّ في (المبسوط) (٧/ ٢١٤)" اهـ.

وأقولُ: إنَّ الله أرسل إلينا محمَّد بن عبد الله ﷺ، ولم يُرسلْ إلينا فُلانًا ولا فُلانًا؛ فمَن قال قولًا بلا دليلٍ ضربْنا بقولِه في نحرِه، وأخذْنا بالدَّليلِ، وتركْناه وقولَه.

إنَّ من يقولُ: إنَّ العبرةَ في هذه المُحرَّمات بالدَّار، وليست بالعاقدين، ولم يأت علىٰ قوله بدليلٍ من كتاب الله ولا من سنة رسوله؛ فإنَّه قد كذَب وافترىٰ، وقال علىٰ الله ما لم يقُله، وعلىٰ رسوله ما لم يشرعْهُ، وسيجد مغبَّة ما فعَل كما وجد أصحابُ القرية الَّتي كانتْ حاضرة البحر مغبَّة فعلهم في ارتكابهم نهي الله بالحِيَل كما وجد ذلك أيضًا اليهودُ حين حرَّم اللهُ عليهم أكْلَ الشُّحومِ، فجملُوه وباعوه، وأكلُوا ثمنَه، حيثُ باءُوا باللَّعْن والغضَب، وباءَ أصحابُ القرية بالمسخ، وأنت - يا نجيبُ - تُريدُ أنْ تكون إمامَ ضلالةٍ، فتجمع علىٰ هؤلاء المساكين مع بقائهم في بلاد الكفر، وتَعرُّضهم فيها للفتن؛ تُريد منهم أنْ ينسلخُوا مِن دِينهم، فيستحلُّوا ما حرَّم الله، اقرأ آيات الرِّبا في سورة (البقرة) من آية (٢٧٥)، وما بعدها إلىٰ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، واقرأْ قولَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، واقرأ في تحريم الخنزير آية (١٧٣) من سُورة (البقرة) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، وقوله في أوَّل (المائدة) الآية (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾، وفي سورة (النحل): ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية رقم (١١٥).

تصفَّح هذه الآيات، واقرأ تفسيرها هل تجدُ أحدًا مِن أهل العلم قال: إنَّما حرِّمت هذه الأشياءُ في بلاد الإسلام دون بلاد الكفر. لا يمكنُ أنْ تجدَ أحدًا مِن السَّلف قال هذا القول، وسجَّل هذا الضَّلال.

إنَّ الَّذي حرَّم الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله هو حرامٌ، في أيِّ بُقعةٍ كنتَ مِن أرضِ الله إلَّا ما أباحه للمُضطرِّ في حالة اضطراره، أتُراكَ أنصفتَ حينما تقول هذا القول: "أنَّ العبرة في النُّصوص الواردة في هذه المسألة إنَّما هي بالدَّار، وليست بالعاقدين"؟! أتريد أن ينسلخ المسلمون المُقيمون في بلاد الكفر من البقية الباقية معهم من دينهم حينما تبيحُ لهم ما حرَّم الله؟! لقد خبتَ وخسرتَ حينما قلت هذا القولَ أنت ومن اتَّبعك فيه.

وإنِّي أنصحُك وأنصحُ كلَّ من بلغه قولي أنْ يتقُّوا اللهَ في أنفُسِهم، ويتركوا نعيقَ النَّاعقين؛ فإنَّهم دعاةٌ علىٰ أبواب النَّار، مَن أجابَهم إلىٰ باطلِهم قذفُوه في النَّار، وأنصحُ كتَّاب الصُّحف ألَّا يكتبوا ما فيه مفسدةٌ للدِّين، وضررٌ علىٰ المُسلمين، وقد روىٰ البخاريُّ كما في حديث سمرة أنَّ من ينشر الكذبَ: «**يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ**»، انظر في (تعبير الرؤيا)، رقم (٧٠٤٧)، الباب (٤٨).

والمهمُّ: أنَّه إذا كان الرَّجلُ يخرجُ مِن بيتِه، فيكذبُ الكذبةَ يتحدَّث بها عنه في الآفاق: «**يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ**»؛ فإنَّ من يكتب الكذب علىٰ الله ورسولِه - الذي يضرُّ النَّاس والمسلمين - أشدُّ عقوبةً وأفضعُ وأنكىٰ مؤاخذة؛ فاللَّهمَّ إنَّا نشكُو إليك ما حلَّ بأمَّة محمَّدٍ ﷺ مِن دُعاةِ السُّوءِ،

وندعوكَ أنْ تُلهِم المُسلمين رُشدَهم، وتقيَهم شرَّ الفتن ما ظهَر منها وما بطَن.

ولست بحاجةٍ أنْ أردَّ علىٰ كلِّ ما قاله هذا الكاتبُ، ونقله عن فُقهاءِ الحنفيَّة، وقد رددتُ علىٰ المهمِّ ممَّا قاله في منشوره هذا، وأسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يهديَه، ويردَّه إلىٰ الحق ردًّا جميلًا، وألَّا يعودَ إلىٰ نشْرِ ما يهدمُ الدِّين، ويضرُّ المُسلمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.

كتبه

أحمد بن يحيى محمد النَّجمي

١/ ٣/ ١٤٢٧هـ



حقُّ النَّبيِّ ﷺ بين الغلوِّ والتَّفريطِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفُسِنا، ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعدُ:

فقد سمعتُ أن بعضَ الكتَّاب وبعضَ الشعراء بالغوا في حقِّ النَّبيِّ ﷺ، وأعطوه شيئًا من حقِّ الألوهيَّة، وهذا لا يجوز، الواجب أن نعرف لله حقَّه، ولرسول الله ﷺ حقَّه من غير زيادة ولا غلوٍّ ولا تقصير في نفس الوقت.

فمنهم من يقول: نعتذر إليكَ يا رسولَ... كأنَّه جالسٌ أمامَه.

وهذا معنىٰ: أنَّ مَن يقولُ هذا القول يعتقدُ أنَّه يعلمُ الغيبَ، واللهُ سبحانه يقولُ لنبيِّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١ - ٢٢]، وفي الصَّحيح عن عمر قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١). والإطراء: هو أنْ يُرفعَ فوقَ مَنزلتِه، ويُعطىٰ أكثرَ مِن حقِّه.

وقد فرَّق اللهُ عَزَّوَجَلَّ بينَ حقِّه الخاصِّ به، والحقِّ المُشترك بينه وبينَ رسولِه في سُورة (النُّور)، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النُّور: ٥٢].

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين رسوله، فقال ﷺ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وجعَل الخشيةَ والاتِّقاء من خصائصه فقال: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النُّور: ٥٢].

وقد لخَّصتُ حقوق الرسول ﷺ الجائزة له في «أوضح الإشارة في الرَّدِّ علىٰ مَن أجازَ الممنوع مِن الزِّيارة»، بعد ذكر الآيات والأحاديث الدالة علىٰ تعظيمه وتعزيره وتوقيره في ذلك، فقلتُ في (ص٢٢٥)(٢): «**وقَدِ اتَّضح من هَذِهِ الآياتِ أنَّ حقَّ الرَّسُول** ﷺ: مُتَابعةُ أَمره، والإِذْعانُ لحُكْمِهِ، والرِّضا بقضائِهِ، وأنَّه لا خِيرَةَ لنَفسِكَ مع خيرتِهِ، وألَّا تُقدِّم أمرَ أحدٍ عَلَىٰ أَمْره، ولا نَهْيَ أحدٍ عَلَىٰ نَهْيه، وأَنْ تُجِيبَ دَعْوتَه، وتُصدِّقَ خبَره إِذَا أَخْبر، وأَنْ تُحبَّه أكثرَ من الأَهْلِ والمَالِ والوَلَدِ، وتُصلِّي عَلَيْه إِذَا ذُكِر، وأن تَعْلَمَ أنَّ الحياةَ والفلاحَ والفوزَ والظَّفَرَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) وانظره في «أوضح الإشارة»: (٨/ ٢٦٧ - ٢٦٨) من مجموع آثار العلَّامة النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ط/ دار الميراث النَّبويّ - الجزائر -.

والنَّجاةَ فِي اتِّباع أَوَامِرِه، واجْتِنَابِ نَوَاهيه، وأنَّ الهَلاكَ والمَوْتَ والبَوَارَ والخسارَ فِي مُخَالفة أمرِهِ، والتَّجرُّؤ عَلَىٰ نَوَاهيه، وتَكْذيبِ أَخْبارِه، وأنَّ سعادةَ العِبَادِ مَنُوطةٌ باتِّباعِهِ، وتَعْظِيم شريعتِهِ، والانقيادِ لَهَا، والتَّأسِّي بأخلاقِهِ وأعمالِهِ فِي سِلْمِهِ وحَرْبِهِ، ومدخلِهِ ومخرجِهِ، وتَعْظيم سُنَّته، وإنزالِهَا بالمَنْزلةِ اللَّائقة بِها، بحثًا عنها، وتَأسِّيًا وعملًا بِها، ووُقُوفًا عندها، ودعوةً إليها، وجهادًا فِي سَبِيلِهَا، وبذل الجُهْد فِي نَشْرها وإِعْلائِهَا، وبَذْل النَّفْس والمال فِي نُصْرتِهِ، وغض الصَّوْت عنده في حياتِهِ، ومُوَالاة مَنْ وَالَاهُ، ومُعَاداة مَنْ عَادَاه، وبُغْض مَنْ أَبْغَضَ وما أَبْغَض، وحبّ مَنْ أحبَّ وما أحبَّ، ومُحَاربة مَنْ حَارَبَه، ومُسَالَمة مَنْ سَالَمه، والرُّجُوع إِلَىٰ حُكْمِهِ عِنْدَ التَّنازُع، والرِّضا به، وإِنْ خالفَ ما تَهواه النَّفْسُ من الشَّهواتِ، والأَهْواءِ، والمَذَاهبِ، والأَعْرافِ، والعَوَائدِ، والتَّقاليدِ الحزبيَّةِ أو المَذْهبيَّةِ، أو القَبَليَّةِ، أو الوَطنيَّةِ».

إذًا؛ مِن المُنكر والإثم الكبير والشِّرك الأكبر أن يُعطىٰ الرَّسول حقًّا من حقوق الله تعالىٰ، وذلك كما قال البوصيريُّ[(١)]:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ ما لي مَنْ أَلُوذُ به ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُول الحادثِ العَمَمِ
إِنْ لَمْ تكنْ في مَعَادي آخذًا بيَدِي ... فضلًا وإلَّا فقُلْ: يا زلَّةَ القَدَمِ

وقول عبد الرَّحيم البُرَعِي[(٢)]:

(١) هو محمد بن سعيد البوصيري. وُلِدَ سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي (٦٩٤). انظر: «معجم المؤلِّفين» (١٠/ ٢٨).

(٢) عبد الرَّحيم البرعي: هو عبد الرَّحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، شاعر مُتصوِّف مِن سكَّان النّيابتين في اليمن، له ديوان شعر مطبوع أكثره في المدائح النَّبويَّة. انتهىٰ. من «الأعلام» للزّركليّ (٤/ ١١٨)، وقال: توفِّي سنة (٨٠٣)، ملحق «البدر الطَّالع» لزبارة (ص١٢٠).

يا رَسُولَ اللهِ يا ذَا الفَضْلِ يا بَهجةَ المَحْشَرِ جَاهًا ومَقامًا

عُدْ عَلَىٰ عبدِ الرَّحِيمِ المُلتجي بحِمَىٰ عزِّك يا غَوْثَ اليَتَامَىٰ

وأَقِلْنِي عَثْرتي يا سَيِّدي فِي اكْتِسَابِ الذَّنْبِ فِي خَمسين عَامَا

وقول عبد الرَّحيم أيضًا:

يا سَيِّدي يا رَسُولَ اللهِ يا أَمَلي يا مَوْئلي ومَلاذي يَوْمَ يَلْقانِي

هَبْني بجَاهِكَ ما قَدَّمتُ من زَلَلٍ جُودًا ورَجِّح بفضلٍ منكَ مِيزَانِي

وَاسْمَعْ دُعَائي واكشفْ ما يُسَاوِرُنِي مِنَ الخُطُوبِ ونَفِّس كُلَّ أَحْزَانِي

وَأَنْتَ أَقْرَبُ مَنْ تُرجىٰ عَوَاطفُهُ عِنْدِي وإِنْ بَعُدَتْ دَارِي وَأَوْطَانِي

إنِّي دَعَوتُكَ مِنْ نِيَابَتِي بُرَع وأنتَ أَسْمعُ مَنْ يَدْعُوه ذُو شَانِ

فَامْنَعْ جَنَابِي وأَكْرِمْنِي وَصِلْ نَسَبِي بِرَحْمةٍ وكَرَامَاتٍ وغُفْرَانِ

وأقول: إنَّ هذا المخذولَ قد أعطىٰ الرَّسولُ البشريَّ الَّذي قال له ربّه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، أعطاه حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ من سماع الدُّعاء، وإجابة مَن دعاه، وأعطاه مغفرةَ الذُّنوب، وكشف الكُروب، وجلْب المطلوب، أعطاه المغفرة والرَّحمة، جعَلَه في مقام الألوهيَّة مالكًا للمصائر، يعذِّب مَن يريد، ويرحم مَن يريدُ، وهذا جهلٌ عظيمٌ، وكأنَّ هذا الرَّجلَ لم يقرأْ كتابَ الله، ولم يَسمعْ دعوةَ التَّوحيد الَّتي أُرسل بها صلواتُ الله وسلامُه عليه.

ولو كان رسول الله ينفع أحدًا من دون إذن ربّه؛ لنفَع أمَّه وأباه، فقد جاء في «صحيح مسلم»: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبرَ أُمِّهِ، فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ

مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»".[1]، فلو أنَّ النَّبيَّ يملكُ أن يُنقذَ أحدًا بغير أمرِ ربِّه لأَنقذَ أمَّه.

وقد أخبرَ حينَ قالَ رجلٌ: أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ[2].

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أحمد بن يحيى النجميّ

في ١٨/ ٠١/ ١٤٢٧ هـ



(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

رسائل في الصِّيام

- استقبالُ رمضان
- فضلُ الصِّيام
- تفسيرُ آيات الصِّيام
- مِن أحكام الصِّيام

استقبال شهر رمضان

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينُه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا، ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثة بدعةٌ، وكُلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النَّار. **ثُمَّ أمَّا بعدُ:**

فضيلة القرآن:

اعلموا رحمكم الله أنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فَضَّل شهر رمضان علىٰ سائر الشُّهور؛ بأنَّه أنزل فيه القرآن، وفيما يُذكر أنَّ الكُتُب الأُولىٰ كانت تنزل فيه، ولكن كانت الكتب الأولىٰ تنزل دُفعة، أمَّا كتابنا فقد نزل جُملة إلىٰ بيتِ العِزَّة

بالسَّماء الدُّنيا كما أُثِرَ ذَلِك عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1]، ومِنْ بيتِ العِزَّة نزل علىٰ النَّبيِّ ﷺ مُفرَّقًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ القرآن أنزلَه علىٰ عبدِه ورسولِه مُفرَّقًا.

وقال في آية (الفُرقان): ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، فأنزله الله علىٰ عبده ورسوله مفرَّقًا بحسب الوقائع، فكُلَّما ألقىٰ الكُفَّار شُبهةً رَدَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فيها، وكُلَّما قال الكُفَّار قولًا رَدَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فيها، وكلَّما سُئِلَ عن شيءٍ رَدَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ السَّائل أو السَّائلين؛ ومرَّةً يسأل اليهودُ عن الرُّوح، ومرَّةً يسألون عن أشياءَ أخرىٰ، وكذلك كُفَّارُ مكَّة.

الحاصل: أنَّ الله أنزله جُملةً واحدةً إلىٰ بيت العزَّة في رمضانَ، في ليلة القدر، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فضيلة شهر رمضان:

أمر الله عَزَّوَجَلَّ بصيامه شُكرًا لنعمة القرآن، ونعمةُ القرآن نعمةٌ لا تُوازيها نعمة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، وجعله باقيًا في أُمَّة محمَّد إلىٰ ما شاء الله يستذكرون منه الوقائع، ويأخذون منه الأحكام، ويَتَبَيَّنُون منه العِبر، ويتحاكمون إليه عند الاختلاف، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ

(١) أخرجه الطَّبريُّ في تفسيره (٣/١٨٨ هجر)، وابن أبي حاتم في «التَّفسير» (١٦٥٠، ١٥١٢٩)، والنَّسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٩٣٧)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٠١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٨١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه»، ووافقه الذَّهبيُّ.

فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

إنَّ هذا الشَّهر فَضَّله الله عَزَّوَجَلَّ بتفضيل القرآن الذي أنزله فيه، وأمر بصيامه وقيامه، - صيام نهاره وقيام ليله -، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبر في نفس الآية بأنَّه يُريد بأمَّة محمَّد ﷺ اليُسر، ولا يُريد بهم العُسر، فيَسَّره عليهم بالاجتماع، ومِن أجل أن يعدُّوا له عُدَّته؛ فيأتي عليهم وهم متأهّبون له، وبالاجتماع يَخِفُّ عليهم، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)]، وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٢)].

ومعنىٰ: (إيمانًا واحتسابًا)؛ أي: تصديقًا بوعد الله الَّذي وعد بأنَّه يُجازي الصَّائمين بجزاءٍ عظيمٍ، وقد جاء في الحديث الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[(٣)].

الصِّيام بين الرَّبِّ وبين العبد:

ومعنىٰ هذا الحديث: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُجازي العبدَ بعمله غير الصِّيام، يأمر ملائكته فيحاسبوه؛ الحسنة بعشر أمثالها، وقد يُضَاعف الله العمل بأكثر من ذلك، ما بين عشر إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ.

أمَّا الصَّوم؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعطي فيه بغير حساب؛ لأنَّ الصَّوم من

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصّبر، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزُّمر: ١٠]، ذلك لأنَّ الصَّومَ سِرٌّ بين العبد وربِّه؛ فليس فيه رياء، بل إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم من عبده إذا هو صام من أجله وفي سبيله رغبةً في ثوابه، وخوفًا من عقابه.

وهنا سؤال: ما معنىٰ كونه سرًّا بين العبد وبين ربِّه؟

الجواب: معنىٰ ذلك أنَّك إذا خلوت بماءٍ، فتضمضمت وبلعت منه شيئًا، فإنَّه لا يعلم ذلك إلَّا الله؛ فإذا حَمَيْتَ نفسَك من ذلك، واحتطتَ بأنْ لا يدخل حلقَك منه شيءٌ؛ فحينئذٍ يكون هذا الصَّومُ سرًّا بينك وبين ربِّك، لا يعلمه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلذلك يجزي عليه ربُّنا الجزاء العظيم.

فضائلُ شهر رمضان:

وإنَّ هذا الشَّهر له فضائلُ عظيمةٌ؛ منها:

- إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأمُر ملائكته بفتح أبواب الجنَّة، فلا يُغلق منها بابٌ، ويأمر ملائكته بإغلاق أبواب النَّار، فلا يفتحُ منها بابٌ، ويأمر ملائكته بتصفيد مردة الشَّياطين[1]، بمعنىٰ: أنهم يُغلُّون، فتُغَلُّ أيديهم إلىٰ أعناقهم، فلا يستطيعون أن يصلوا إلىٰ سبيل شيءٍ، وليس معنىٰ ذلك أنَّ الشَّياطين كُلَّها تُغَلُّ، ولكن مَرَدَتُهُم وكِبارُهم وأَشَدُّهم نكاية بالمسلمين هم الَّذين يُغلُّون.

- يضاعف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه الحسنات، ويغفر فيه السَّيِّئات، ويعتق فيه الرِّقاب من النَّار.

فيا عباد الله يجب أن نغتنم هذا الشَّهر؛ لأنَّ هذا الشَّهر مِنَ الفُرَصِ التي

---

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩) والترمذي (٦٨٢)، والنَّسائي (٢٠٩٧)، وابنُ ماجه (١٦٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ينبغي للمُسلم أن يحرص عليها.

فاحرص - يا عبد الله، رحمك الله - علىٰ صيام شهر رمضان، وعلىٰ قِيامه، اغتنم هذه الفرصة، فلعلَّها لا تُواتيك مَرَّةً أخرىٰ، فلعَلَّ المنيَّةَ أنْ تخطفك قبل أنْ يأتيَك رمضانُ آخرُ.

فيا عبد الله اتَّق الله ربَّك؛ فإنَّ في الجنَّة بابًا يقالُ له: الرَّيَّان، هذا الباب هو أحد أبواب الجنَّة الثَّمانية، يُسَمّىٰ الرَّيَّان، ويدخل منه الصَّائمون، ويُنادىٰ: أين الصَّائمون؟ فيقومون، ويُدخلهم الله منه، ثُمَّ يُغلق بعد ذلك[(١)].

إذن: فمن هم الصَّائمون الذين يدخلون من ذلك الباب الَّذي يُسمَّىٰ الرَّيَّان؟

وقد سُمِّي الرَّيَّان: جزاء لما عَطَّشُوا أنفسهم، وظَمَّؤُها، وجَوَّعوها، واجتنبوا الشَّهوات في نهار رمضان، وكذلك صِيام النَّوافل في غيره، فلمَّا فعلوا ذلك جازاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالرَّيِّ بَدَلًا من العطش الَّذي فرضوه علىٰ أنفسِهم طاعةً لربِّهم، ورغبةً فيما عنده.

فيا عبد الله: أيُّهما خيرٌ لك؛ أنْ تصومَ هذا اليوم الَّذي يترواح ما بين عشر ساعات إلىٰ أربع عشرة ساعة، تصوم هذا اليوم، فتأتي يوم القيامة، وتُبعث وأنت رَيَّانٌ، وأنت غير عاطش وغير جائع، ذلك اليوم الَّذي طوله خمسون ألف سنة، والنَّاس يقفون في موقفٍ طويلٍ يقدَّر بخمسمائة سنة، أو ثلاثمائة سنة، وقيل غير ذلك، الله يعلم حقيقة الأمر فيه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد وصف ذلك اليوم بأنَّه يجعل الولدان شيبًا، والسَّماء منفطرٌ به.

فإن صُمت في هذه الدُّنيا، وعَوَّدت نَفْسَك علىٰ أن تُعْطِشَها طاعةً لرَبِّك

---

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتُجوِّعها طاعة لربِّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتترك شهواتك طاعة لربِّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُجازيك يوم القيامة، بأن تُبعث وأنت ريَّان عندما يكون النَّاس عِطاشًا، وعندما تدنو منهم الشَّمس علىٰ رؤوسهم قدر ميل، ويصهرهم العرق، حتَّىٰ إنَّ الكافر يَصِلُ في عَرَقه إلىٰ فمه، وقد ألجمه العرق إلجامًا - والعياذ بالله -.

ولكن المُؤمن تُظَلِّله طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ من صدقات، وقراءةٍ للقرآن، وغيرها من الأعمال الصَّالحة، وقد صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ كما روىٰ ذلك الشَّيخان عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

وهكذا يا عباد الله، ينبغي أن نعمل في هذه الدُّنيا ما يقربنا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

حِكَمُ الصَّوم:

أوَّلًا: أنَّه شكرٌ لنِعَم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، شكرٌ لنعمةِ القُرآن كما سبق.

ثانيًا: أنَّ العبد أُمِرَ بالصَّوم مِن أجلِ أنْ يحبسَ نفسَه عن معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيُمرِّن نفسَه علىٰ طاعة ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحبسها عن المعاصي طواعيةً لله عَزَّ وَجَلَّ.

ثالثًا: أنَّك إذا جعتَ وعطشت ضَعُفت الشَّهوة الَّتي تدفع إلىٰ المعاصي،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

ولهذا جاء في الحديث، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1]، أي: يكون له بمنزلة الوجاء، ذلك لأنَّه يُضيِّق السُّبل إلى الشَّهوة التي رُبَّما تحمل العبد على معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

رابعًا: أنَّ خُلُوَّ المعدة من الطَّعام والشَّراب يُضَيِّق مجاري الدَّم التي يسلكها الشَّيطانُ.

خامسًا: أنَّ الصِّيام سببٌ في الصِّحَّة بإذن الله تعالى؛ فإذا تَعوَّد الإنسان على كثرة الصِّيام؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعَوِّضه؛ ذلك بأنَّ الفضلات تذهب وتتلاشى، أمَّا كثرة الأكل والشَّراب فيُسبِّبُ التُّخَم، ويُسَبِّبُ الأمراض؛ فلذلك كان الصَّومُ سبيلًا إلى الصِّحَّة.

سادسًا: ثمَّ لتتذكَّر أيضًا إخوانك المُحتاجين (الفُقراء والمساكين) الَّذين يقرِصهم الجوع، والَّذين يُصِيبهم ما يُصِيبهم من الحاجة؛ فتعطف عليهم.

فهذه كلُّها مِن الحِكَم، وأهمُّها: ضبط النَّفس، ورِيَاضتها، وتمرينها على طاعة الرَّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تعريف الصَّوم:

الصَّوم: لغة الإمساك، ولهذا يقول الملك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ - ويقال: إنَّه كلام عيسى - لمريم: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦﴾ [مريم: ٢٦]، ومعنى ﴿صَوْمًا﴾: إمساكًا عن الكلام. فالصَّوم الإمساك عن أيِّ شيء يكون.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وشرعًا: هو الإمساك عن الطَّعام والشَّراب والشَّهوة ما بين طلوع الفجر الثَّاني إلىٰ غروب الشَّمس، وقد كان الرَّجل في أوَّل الإسلام إذا أفطر جاز له الأكل والشُّرب والجماع ما لم ينم، فإذا نام حَرُمَ عليه الأكل والشُّرب والجماعُ.

حصل هذا فترةً للمسلمين، وكان رجلٌ، يقال له: قيسَ بنَ صِرْمَةَ، يكدُّ في مزرعته حتَّىٰ رجع عشاءً، فقال لأهله: ائتوني بطعامٍ، فذهبت زوجته تعدُّ له الطَّعام، ورجعت وإذا به قد نام، فقالت له: لك الخيبة! حرم عليك، فأمسك، وأصبح صائمًا، وغدا علىٰ عمله، حتَّىٰ أُغميَ عليه في الظُّهر، وأُخذ مغمًىٰ عليه، فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك(١).

كذلك أيضًا وقعت من عمر بن الخطَّاب وبعضِ المؤمنين مُقَارَفَةٌ للنِّساء، وهو أنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سهَر عند النَّبي ﷺ ورجع إلىٰ بيته؛ فأراد امرأته علىٰ ما يُريده الرَّجل من امرأته، فقالت: إنَّها نامتْ، فظنَّ أنَّها تعتذرُ وتَعْتَلُّ كاذبةً؛ فواقعها رغمًا عنها، ثمَّ أكَّدت له بأنَّها حقًّا قد نامت؛ فأسف، وغدا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأخبره، فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧](٢).

وكانت كلمة: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لم تنزل عند ذلك(٣)، فكان بعض الصَّحابة - ومنهم عديُّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قد أخذ عِقالًا أبيض وعقالًا أسود، ووضعها

(١) أخرج الحديث البخاري (١٩١٥)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرج الحديث أبو داود (٥٠٦)، وصحّحه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٥٠٦).
(٣) أخرج الحديث البخاري (٤٥١١)، ومسلم (١٠٩١)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تحت وسادته، وجعل يأكلُ ويشربُ، وينظر إليها حتَّىٰ يَتبيَّن له الأبيض من الأسود، ثمَّ بعد ذلك أمسك؛ فجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يخبره، فقال: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»[(١)]. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فنزلت شبه الجملة هذه متأخرة عن الآية.

فتبيَّن أنَّ المراد بالخيط الأبيض: هو بياض الصُّبح، والأسود: هو سواد اللَّيل.

إذن، ومن هنا: يَتبيَّن لنا بأنَّ الصِّيام ابتداؤه من طلوع الفجر الثَّاني إلىٰ غروب الشَّمس، وليس المراد بالفجر في الآية الفجر الأوَّل؛ لأنَّ الفجر الأوَّل يطلع معترضًا في السَّماء، يطلع مستطيلًا في السَّماء إلىٰ نصف السَّواد، ويكون متقدِّمًا علىٰ الفجر الثَّاني بحوالي ساعةٍ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَغُرَّنَّكُمْ مِنْ سَحُورِكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ وَلَا بَيَاضُ الْأُفُقِ الْمُسْتَطِيلُ هَكَذَا حَتَّىٰ يَسْتَطِيرَ هَكَذَا**»[(٢)]، يعني: الذي ينشَقُّ عرضًا.

ثبوت رمضان:

كذلك أيضًا من الأمور الهامَّة: دخول رمضان، فبم يثبت دخول رمضان؟ إنَّه يثبت دخوله بشهادة رجلٍ مسلمٍ، أيُّ مسلمٍ كان يشهد بالله أنَّه رأىٰ الهلال البارحة؛ فإنَّه إذا عُرِف هذا لزم الصِّيام، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ**»[(٣)]، يعني: أكملوا عدَّة الشَّهر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩٤)، من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثلاثين يومًا.

لذلك فإنَّه تُجزئ الرُّؤية عمَّن يكونون بعد البلد الَّذي رُئِيَ فيه، ذلك أنَّه إذا رُئِيَ الهلالُ مثلًا في (باكستان)، أو في (العراق)، أو في (الكويت)، أو في البلدان الَّتي حولنا؛ لزمنا نحن الصَّوم، لأنَّ الشَّمس تغيب عندهم قبلنا، وإذا كان قد ثبت الهلال عندهم بشهادةٍ فإنَّه يلزمنا الصَّوم، وإذا ثبت الهلال عندنا بشهادةٍ فإنَّه حينئذٍ يلزم مَن وراءنا الصَّوم؛ فيلزم مصر، والدُّوَل الإفريقيَّة الصَّوم؛ لأنَّ هذه الدُّوَل إنَّما تغيب الشَّمس عندهم بعدنا.

هذا هو القول الحقُّ فيما أراه، وهناك من المسلمين من يقول: إنَّه إذا رُئِيَ في بلدٍ لزِمَ جميع المُسلمين أن يصوموا على تلك الرُّؤية، ولكن هذا القول، قبل أن يَتبيَّن أنَّ الأرض تختلف في المطالع.

وقد كان النَّاس يَشكُّون في هذا الاختلاف، قبل أن تأتي الآلات التي تُبيِّن ذلك، أمَّا الآن فأصبح الأمر ظاهرًا وواضحًا، لأنَّ كُلَّ بلدٍ لا بدَّ أن يُعرف الغروبُ فيها، ويعرف ذلك الآن بالإذاعة والسَّاعة، فأصبح اختلافُ المَطالع أمرًا متواترًا ومعلومًا بالضَّرورة لكلِّ أحدٍ.

وإذا كان الهلال قد رُئِيَ في بلدٍ؛ فالبُلدان الَّتي بعد ذلك البلد يلزمها الصِّيام لتلك الرُّؤية الَّتي تغيب الشَّمس فيها بعد تلك البلد. ولكن الرُّؤية لا بدَّ أن تكون رؤيةً بصريَّةً، يعني: عاديَّةً، وليست بالآلةِ، أمَّا إذا كانت بالآلة فلا يعتدُّ بها؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا» يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلاثِينَ، وفي رواية: وَعَقَدَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ما يقدح في الصَّوم:

طلب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من عباده أن يمتنعوا عن الأكل والشُّرب والجماع في هذا اليوم الَّذي يصومونه؛ إذن: فمَن أكَل أو شرب عامدًا فإنه يُعتبر قد أساء إساءةً كبيرةً وعظيمةً، وأتىٰ أمرًا عظيمًا - والعياذ بالله -.

لكن إذا أكل أو شرِب ناسيًا فليعلم أنَّه إنَّما هو أطعمه الله وسقاه، بشرط أنْ لا يكون قد ابتلع بعد التَّذكُّر شيئًا؛ فإذا أكل الإنسانُ وفي أثناء أكله تذكَّر؛ فلفَظَ الشَّيءَ الَّذي في فمه، أو شَرِب وفي أثناء شُرْبه تذكَّر، ولفَظَ الشَّيء الَّذي في فمه، فإنَّه معفوٌّ عنه في الشَّيء الَّذي ابتلعه، وصومُه كاملٌ لا يُنقصه شيءٌ.

أمَّا إذا قارف زوجته - أي: جامعها - في حال الصَّوم؛ فإنَّه يُعتبر قد أساء إساءةً عظيمةً، وعليه كفَّارة؛ فقد أتىٰ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، قَالَ: «**وَمَا شَأْنُكَ؟**» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «**هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا**» قَالَ: لَا أَجِدُ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ[1] فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: «**خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ**» فَقَالَ: أَعَلَىٰ أَفْقَرَ مِنَّا؟ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَفْقَرُ مِنَّا، ثُمَّ قَالَ: «**خُذْهُ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»[2].

إذن: مَن وقع علىٰ امرأته في رمضان؛ فإنَّه تجب عليه الكفَّارة الَّتي ذُكِرت، وهي: عِتق رقبةٍ إن قدر، أو صِيَام شهرين مُتَتَابعين، أو إطعام ستِّين مسكينًا.

---

(١) العرق: المكتل الضخم يسع خمسة عشر صاعًا إلىٰ عشرين صاعًا. «فتح الباري» (١/ ١٥٦).

قال الشيخ: «والخمسة عشر صاعًا تساوي ستِّين مدًّا».

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١١)، ومسلم (١١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهناك أشياءُ تكلَّم عنها الفقهاء؛ مثل: الملاعبة والتَّقبيل: والتَّقبيلُ إنْ حصل من شابٍّ شهوته مُندفعة؛ فربَّما إذا حصل منه إنزال منيٍّ وجب عليه قضاء ذلك اليوم، ولا كفَّارة عليه، وإن لم يحصل فليس عليه شيءٌ، ولكن الأفضل للشَّابِّ أنْ لا يعمل مثل هذه الأسباب الَّتي ربَّما تؤدِّي إلىٰ إفطار صائم.

وأمَّا الشَّيخ الكبير الذي قد ضعفت شهوتُه، فالأفضلُ له ترك الملاعبة والتَّقبيل، ولكن إن نعله فليس عليه شيءٌ، وقد جاء في حديث أنَّه بمنزلة مضمضة الماء[1]، فإن نزل منه المنيُّ بسبب المُلاعبة وجبتْ عليه الكفَّارة عند بعض أهل العلم، وبعضهم يرون أنَّه يجبُ عليه القضاء فقط، وأنَّ الكفَّارة لا تترتَّب إلَّا في الجماع، ولعلَّ هذا هو القولُ الأحسن.

كذلك أيضًا اختلفوا في النُّخامة: فبعضهم يرىٰ أنَّ بلع النُّخامة إذا كانت من الرَّأس أنَّه يُفطر بها الصَّائمُ، ولكن الأظهر أنَّ ما كان داخل جسد الإنسان فإنَّه لا يُفطِّر، ولكن لا ينبغي تجميع الرِّيق، أو بلع النُّخامة، وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أنْ يتحاشىٰ هذا.

ومن المفطرات: القيء عمدًا؛ فمَن استقاءَ أفطرَ، ومَن ذرعَه القيءُ فإنَّه لا يفطرُ، ولكن بشرط أنْ يحتاط لنفسه؛ فلا يرجع شيئًا من الَّذي قد خرج من القيء إلىٰ بطنه؛ فإن رجع إلىٰ بطنه أفطر، ويجب عليه أنْ يُمسك، وأن يقضي بعد ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٨)، وأبو داود (٢٣٨٥) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: هَشَشْتُ يَوْمًا فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا، قَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟» قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفِيمَ؟»، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٢٣٨٥).

كذلك: **الإبر المغذِّية**: وهي الَّتي تؤخذ في الوريد، فهذه لا تجوزُ، إنَّما الإبر الَّتي فِي العَضَل فهِي جائزةٌ علىٰ الأصحّ.

ومن الأمور الَّتي يُظَنُّ أنَّها مِن المفطرات ما يأخذه أصحاب الرَّبو، فهذا يظهر أنَّه جائزٌ، وليس فيه شيء، ولكن جوازه عند الحاجة.

صوم النَّافلة:

ينبغي للإنسان أن يَتعوَّد علىٰ صيام النَّافلة، والأفضل أن يُعوِّد الإنسان نفسه أن يصوم في كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيّام.

وقد ورد أنَّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قضىٰ علىٰ نفسه أن يصوم الدَّهر ما بقي، وأن يقوم الليل، فأُخبِر النَّبيُّ ﷺ عنه، وجاء إلىٰ عبد الله بن عمرو؛ فقال له: «أَلَمْ أُنبَّأْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ» فقال: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتِ العَيْنُ، وَنَفِهَتِ النَّفْسُ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ، أَوْ كَصَوْمِ الدَّهْرِ»، وفي روايةٍ قال له: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[1].

فهجوم العين يكون من الضَّعف وكثرة العبادة، وكثير مِن السَّلف كانوا يرغبون في العبادة، وكانوا يكثِرون منها، وقد أَتتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَتْ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ زَوْجِي يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوَهُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُومُ بِطَاعَةِ اللهِ عز وجل»، فَقَالَ لَهَا: «جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا مِنْ مُثْنِيَةٍ عَلَىٰ زَوْجِهَا»، فَجَعَلَتْ تُكَرِّرُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، وَهُوَ يُكَرِّرُ عَلَيْهَا الْجَوَابَ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ الأَزْدِيُّ حَاضِرًا، فَقَالَ: اقْضِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا،

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، ومسلم (١١٥٩).

قَالَ: «وَهَلْ فِيمَا ذَكَرَتْ قَضَاءٌ؟!» فَقَالَ: إِنَّهَا تَشْكُو مُبَاعَدَةَ زَوْجِهَا عَنْ فِرَاشِهِ، وَتَطْلُبُ حَقَّهَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «أَمَا إِنْ فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاقْضِ بَيْنَهُمَا»، فَقَالَ كَعْبٌ: عَلَيَّ بِزَوْجِهَا، فَأُحْضِرَ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتَكَ هَذِهِ تَشْكُوكَ، فَقَالَ: هَلْ قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ نَفَقَتِهَا؟ قَالَ: لا، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رُشْدُهُ ... أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فِرَاشِي مَسْجِدُهُ
نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقُدُهْ ... فَلَسْتُ فِي حُكْمِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهْ
زَهَّدَهُ فِي مَضْجَعِي تَعَبُّدُهْ ... فَاقْضِ الْقَضَا يَا كَعْبُ لا تُرَدِّدُهْ

قَالَ: فَقَالَ زَوْجُهَا:

زَهَّدَنِي فِي فَرْشِهَا وَفِي الْحَجَلْ ... أَنِّي امْرُؤٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلْ
فِي سُورَةِ النَّمْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوَلْ ... وَفِي كِتَابِ اللهِ تَخْوِيفٌ جَلَلْ

فَقَالَ كَعْبٌ:

إِنَّ لَهَا حَقًّا عَلَيْكَ يَا رَجُلْ ... تُصِيبُهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلْ
قَضِيَّةٌ مِنْ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ ... فَأَعْطِهَا ذَاكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعِلَلْ
إِنَّ خَيْرَ الْقَاضِي مَنْ عَدَلْ ... وَقَضَى بِالْحَقِّ جَهْرًا وَفَصَلْ

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَبَاحَ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعًا؛ فَلَكَ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا، تَعبدُ فيهَا ربَّك، ولها يومٌ وليلةٌ. فقال له عمرُ: «وَاللهِ مَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ أَمْرَيْكَ أَعْجَبُ؟ أَمِنْ فَهْمِكَ أَمْرَهُمَا أَمْ مِنْ حُكْمِكَ بَيْنَهُمَا؟ اذْهَبْ فَقَدْ وَلَّيْتُكَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ»(١).

---

(١) روىٰ القصّة الزبير بن بكار في «الأخبار الموفقيات» (٤٣٢ عالم الكتب)، ورواها عبد الرزاق في «المصنّف» (١٣٣٥٩ - ١٣٣٦٠) بلفظ مختصر، وصحّحها الألباني في «إرواء الغليل» (٧/ ٨٠) رقم (٢٠١٦).

الحاصل: أنَّ الَّذي كان يحصل في الأزمنة الأولىٰ أنَّ بعضَ النَّاس يحبُّ الاستكثار مِن العبادة، ولكن الآن النَّاس مدبرون عن العبادة - والعياذ بالله -.

فأنت تُريدُ مِن النَّاس أن يعملوا بالواجب، والكثير منهم مُخِلُّون به.

فاحرص يا عبد الله علىٰ ألَّا تغضبه علىٰ نفسك؛ لأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنِ استهديتَه وطلبتَ رضاه جعلك من المهديِّين، وجعلك من المتَّقين.



فضلُ الصِّيام

إنَّ الحمد لله نحمَدُه، ونَستعينه، ونستغفِرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسِنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنَّ لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّد ﷺ وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكُلَّ محدثة بدعة، وكُلَّ بدعة ضلالة، وكُلَّ ضلالةٍ في النَّار. ثُمَّ أمَّا بعدُ:

رمضان شهرُ القرآن الكريم:

إذا تدَّبرنا آياتِ القُرآن عرفْنا ما يدورُ في المُستقبلِ مِن قيام السَّاعة، ومِنَ الجنَّة والنَّار، وقيام النَّاس لله ربِّ العالمين، وماذا يكون في ذلك الموقف مِن الخوف الشَّديد، والفزع العظيم؛ حتَّىٰ تبلغَ القُلوب الحناجر. فلا شكَّ أنَّ سَبِيل معرفتنا إلىٰ هذه الأمور هو القُرآن.

وكذلك عرفنا من القرآن: جزاء المُحسنين، وجزاء المُشركين، ونعيم الجنَّة، وعذابَ النَّار، وأنَّ نعيم الجنَّة لا يَنقطع، وأنَّ عذاب النَّار منه ما يبقىٰ ومنه ما يزولُ؛ فمنهم من يكون مُخَلَّدًا فيها، وهم الذين يموتون علىٰ الكُفر وعلىٰ الشِّرك الأكبر - عياذًا بالله -، ومنهم من يعذَّب في النَّار بقدْر جِناياته في الدُّنيا، ثمَّ يدخلُ الجنَّة بعد قضاء فترة العقوبةِ. هذه الأمور كُلُّها لم نعرفها إلَّا مِن طريقِ القُرآن.

وكذلك عرفنا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وعرفنا صِفات الإنسان، ومرجع الإنسان، ومِن أيِّ شيءٍ خُلِقَ، وأنَّ آدم خُلِق من طينٍ، وأنَّ حَوَّاءَ خُلقت من آدم - من ذكر بِلَا أُنثىٰ -، وأنَّ سائر النَّاس خُلقوا من بين الذَّكر والأُنثىٰ، ما عدا عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي جعله الله آيةً؛ فخَلَقه من أنثىٰ بِلَا ذكر، وخلق حوَّاء من ذكرٍ بلا أنثىٰ. هذه أمور كلُّها عرفناها مِن خلال القرآن.

إذن: فجديرٌ بأن نَشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نِعمِه الَّتي أنعم بها علينا، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٥٢، ٥٣].

هكذا أوحىٰ اللهُ القرآن علىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون هُدًىٰ ونُورًا، وفَرَضَ اللهُ صيام هذا الشَّهر الَّذي أنزله فيه؛ فإمَّا أن يكون ابتداءُ الإنزال به، وإمَّا أن يكون كما قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ القُرآن أُنزل جملةً واحدةً إلىٰ بيت العزَّة، ومنه أُنزل[1].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٨٨ هجر)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٥٠، ١٥١٢٩)، والنَّسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٩٣٧)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٠١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٨١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه» ووافقه الذهبي.

علىٰ كلا الحالين: فإنَّ إنزال القُرآن قد أُضيف إلىٰ شهر رمضان، وفرض الله صِيامه شكرًا علىٰ هذه النِّعمة.

حِكَم الصِّيام:

وإنَّ مِن الحِكم التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ في الصِّيام:

- أنَّ الإنسان إذا حفِظ نفسَه، وأمسك عن الطَّعام والشَّراب، فإنَّ ذلك فيه رِياضةٌ له، وتمرينٌ لنفسه علىٰ طاعةِ الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

- كذلك من الحِكَم: أنَّ الإنسان إذا أكلَ وشرِب امتلأت معدتُه، وعند ذلك تضعُفُ الرُّوح، ويَضعُف العَقلُ، وتتَّغلب الصِّفة الجِسمانيَّة في الإنسان علىٰ الصِّفة الرُّوحانية.

أمَّا إذا ترك الطَّعام والشَّراب لله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ النَّفس تشف[1]، وعندئذٍ يحصل لها نوعٌ من الشُّعور به سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فيقوىٰ إيمانه به، ويمتثل أمْرَه إذا امتنع عن شهواته تعبُّدًا لله عَزَّوَجَلَّ، وطاعةً له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

- ومِن الحِكَم أيضًا: أنَّ الإنسان بصيامه يَذوق ألمَ الجوع، ويَذُوق ألمَ العطَش، ويعلم أنَّ له إخوانًا في الله قَصُرت أيديهم وإمكانياتهم عن الإتيان بالطَّعام والشَّراب، فيتصدَّق عليهم، ويعطيهم ممَّا رزقه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقد ألمح القُرآن إلىٰ هذا الحِكَم في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ودَليل التَّقوىٰ يقوىٰ في الإنسان عندما يصوم، كما أنَّ العكس بالعكس؛ فإذا استخففت بشعائر الله عَزَّوَجَلَّ ضَعُف دليل التَّقوىٰ، وعندئذٍ يكون في الأمر خُطورة، بحيثُ إنَّه يُقْبِل علىٰ المُحرَّمات ولا يُبَالي ولا يَتَأثَّر، ويَتَساهل ويَتهاون في المَفْرُوضات ولا يُبَالي.

---

(١) تشِفُّ: أي ترِقُّ، يُقال: شَفَّ الثوبُ إذا رقَّ، انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ١٩٤).

فضلُ الصِّيام:

الصِّيامُ له فضلٌ عظيمٌ، والنَّبيُّ ﷺ يقول في الحديث الَّذي يرويه عن ربِّه: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»(١)، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(٢)، وفي حديثٍ آخر: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»(٣)، وهذه الأحاديث كلُّها صحيحةٌ.

وقد ذكَّر النَّبيُّ ﷺ أصْحابَهُ، وقال: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»(٤).

وجاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»(٥).

وأيضًا: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ

(١) أخرجه البخاريُّ (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرج الترمذيُّ (١٦٢٤)، من حديث أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٤) أخرجه النَّسائيُّ (٢١٠٦)، من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢١٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»[(١)].

تأمَّل في اسم هذا الباب، وهو فيه بِشارة ضِمنيَّة، فالصَّائمُون يُبعثون يوم القيامة وهم رَيَّانونَ ليسوا عِطاشًا، والنَّاس يُبعثون يوم القيامة عِطاشًا.

فيا من لا يُعطِّش نفسَه في يومٍ مقداره اثنتا عشرة ساعةً، أو ثلاث عشرة ساعة، أو أربع عشرة ساعة، لا بدَّ لك من العطش في يوم مقداره خمسين ألف سنة.

الشاهد علىٰ ذلك: الحديث الَّذي هو في صفة القيامة: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَىٰ اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...»[(٢)]، والمعنىٰ: أنها تراءىٰ لهم كأنَّها ماءٌ، فعند ذلك يقال لهم: ألَا تَرِدون، فيَرِدون إلىٰ النَّار ويتساقطون فيها؛ والشَّاهد من الحديث أنَّهم يقولون: «عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا».

فيا أيُّها الصُّوَّام أبشروا، أيُّها الصُّوَّام أبشروا، أيُّها الصُّوَّام أبشروا، أبشروا بالرَّيِّ في يوم العطش، أبشروا فإنَّكم تدخلون الجنَّة من باب الرَّيَّان، وتردون علىٰ النَّبيِّ ﷺ فتشربون من حوضه شَرْبةً لا تَظمؤون بعدها أبدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

احرص على ألاَّ تخدش صَوْمَك بمعصيةٍ:

فيا أيُّها النَّاس إنَّ الصَّوم عظيمٌ، فيجب أن نَحرِص عليه، وأن نحفظه مِمَّا يُفسده.

وإنَّ الأمور التي تَخدِشُ الصَّومَ كثيرةٌ؛ منها السِّباب والشَّتم، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»[1]، هكذا يقول النَّبيُّ ﷺ مُوجِّهًا أُمَّته، ومُبيِّنًا لهم ما يُقرِّبهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إنَّ الغيبة خَدْشٌ للصَّوم، وإنَّ الشَّتم خَدْشٌ للصَّوم، وإنَّ السِّبابَ خَدْشٌ للصَّوم، وإنَّ الفُحْشَ خَدْشٌ للصَّوم، وإنَّ الرَّفَثَ خَدْشٌ للصَّوم، وإنَّ أكْلَ المال الحَرام خَدْشٌ للصَّوم، وهكذا سائر المعاصي.

ينبغي للمسلم أن يحفظ نفسَه عن هذه الأمورِ، وقد جاء في الحديث: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[2].

فمَن لم يدع قول الزُّور والعمل به؛ فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه؛ فكون الإنسان يدعُ الطَّعام والشَّراب الحلال لله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك يُفطر على ما حرَّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهذا لا شكَّ أنَّه لا يجوز، وإنَّما الصَّوم مُعتَدٌّ به، بمعنى: أنَّه لا يُطالب بقضاء ذلك اليوم.

ولكن هذه الأمور تَخدش صيامه، وتُنقص أجْرَهُ، وربَّما يكون الإثمُ أعظمَ من الأجر، وربَّما يتساويان، وربَّما يكون الإثم أقلَّ، ولكنَّه يُنقِص أجرَ الصَّوم كثيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤) مسلم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٣)، والترمذي (٧٠٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مفطرات الصَّوم، وكفَّارة المُفطر بعُذرٍ وبغير عُذرٍ:

من الأمور التي تُفطر الصَّائم:

١- الأكل والشُّرب عامدًا: فهذا لا شكَّ أنَّه يُفطرُ الصَّائم، وهذا أمرٌ لا ينازع فيه أحدٌ.

٢- الجِماع: ويزيد الجِماع علىٰ الأكل والشُّرب أنَّ فيه كفَّارة؛ وهي إمَّا عِتقُ رقبةٍ، وإمَّا صيام شهرين مُتَتابعين، وإمَّا إطعامُ سِتِّين مِسكينًا؛ فإنِ استطاع عتقَ رقبة كان ذلك هو المُتعيِّن، أمَّا إذا لم يستطعْ العِتق فإنَّه ينتقل إلىٰ الصِّيام؛ فيَصُومُ شهرين ويُشترطُ فيهما التَّتابع؛ فلا يفصل بينهما بِفاصل، فإذا كان هناك فاصلٌ حصَل من الصَّائم وهو مختارٌ انقطع بذلك التَّتابع؛ كمنْ يفطر عمدًا بغير عذرٍ، أو أن يُجامع زوجته، يعني: أثناء النهار، وهو صائمٌ.

أمَّا إن حصل شيءٌ يقطع التَّتابع، ولكنَّه أمرٌ خارج عن إرادة الإنسان، فإنَّ هذا في أصحِّ الأقوال لأهل العلم لا يضرُّ، ولا يقطع التَّتابُع. فإن انقطع التَّتابع بمَرَضٍ يُبيح الفطر للفريضة، فعند ذلك هذا الانقطاع لا يضُرُّ. وإن أتىٰ علىٰ صيام الكفَّارة عيد الأضحىٰ أصبح واجبًا عليه فطرُ يوم العيد؛ وهذا الانقطاع لا يضُرُّ.

الحاصل: أنَّ الأصحَّ مِن أقوال أهل العلم أنَّ التَّتابُع إذا انقطع بأمرٍ قهريٍّ لا يستطيع الإنسان دفعه؛ فإنَّ هذا لا يقطع التَّتابع.

وقد ذهب قومٌ أنَّ الكفَّارة تجبُ علىٰ مَن أكَل أو شرِبَ عامدًا بدون عُذرٍ[١]، ولكن ليس معهم دليلٌ إلَّا من باب القياس علىٰ الجماع، ولا شكَّ أنَّ الجماعَ

---

(١) وهم الحنفيَّة والمالكيَّة، انظر: «تبيين الحقائق» للزَّيلعي (١/ ٣٢٧)، و«الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البرِّ (١/ ٣٤١).

أفحشُ وأكثر فحشًا من الطَّعام والشَّراب، وأيضًا: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يأمر بالكفَّارة في مثل هذا، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا ينسىٰ شيئًا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤].

أمَّا هل يقضي أو لا يقضي؟ قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ»[١]، إلَّا أنَّ هذا الحديث ضعيف؛ فالقضاءُ لا شَكَّ أنَّه يجب عليه، ولا يجوز أن يترك القضاء لحديثٍ ضعيفٍ.

الحاصل: أنَّه يجبُ عليه القضاء، ويستغفرُ اللهَ، ويتوبُ إليه.

وهناك أمورٌ فيها خلافٌ هل تُفسدُ الصَّوم أو لا تُفسدُه؟ منها القيءُ، ومنها الحجامة، ومنها الكُحل، وأشياء أخرىٰ معروفة عند الفُقهاء.

الحجامة في رمضان:

أمَّا الحجامة فقد اختلف فيها أهل العلم؛ فمنهم من رأىٰ أنَّها تفطر، وعلىٰ ذلك المشهور في مذهب الحنابلة[٢]، أخذًا بحديث: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»[٣]، يقول الإمام أحمد: إنَّ هذا قد ورد عن أحد عشر صحابيًّا[٤].

أمَّا الشَّافعيُّ فقد تكلَّم علىٰ هذا الحديث في كتابه «اختلاف الحديث»، وقال: إنَّه منسوخٌ، وفَصَّل ذلك قائلًا: إنَّ حديث: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٢٣)، وأبو داود (٢٣٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وضعَّفه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧٢٣).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (٣/ ١٥ إحياء التراث).

(٣) أخرجه الترمذي (٧٧٤)، وأبو داود (٢٣٦٧)، من حديث ثوبانَ رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧٧٤).

(٤) انظر: «المغني» لابن قدامة (٣/ ١٥)، و«منتهى الإرادات» للبهوتي (١/ ٤٨٢ عالم الكتب).

ورد في فتح مكَّة، في السَّنة الثَّامنة، وحديث ابن عبَّاس: «**أنَّ النبيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ**»، كان عام حجَّة الإسلام سنة عشر[(١)]، وهذا الحديث في «صحيح البخاري»[(٢)]، ولكن الإمام أحمد ضعَّف كلمة: «وهو صائمٌ»، وقال: إنَّ الحديث عن ابن عبَّاس: «**أنَّ النَّبيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ**». ولكن زيادة: «**وَهُوَ صَائِمٌ**» لا تصحُّ[(٣)]. ولكن صحَّحها البُخاريُّ، والبُخاريُّ هو من رجال الحديث المعتبرين، فهو الملقَّب: بـ (أمير المؤمنين في الحديث)، ولا شَكَّ أنَّ تصحيحَه للحديث معتبرٌ؛ لذلك فإنَّ كثيرًا من أهل العلم ذهبوا إلىٰ أنَّ الحِجامة لا تُفطر الصَّائم[(٤)].

وإذا كانت الحجامةُ لا تُفطر الصَّائم، فلا بدَّ أن يكون الصَّائم الَّذي يحتجم مُحتاجًا إليها، إذن: فهي إذا كانت في حاجةٍ لا تفطر.

وما يُقاس عليها من إخراج الدَّم الَّذي هو مثل (التَّبرُّع بالدَّم للمُحتاج إليه)، فالأقربُ في ذلك أنَّه لا يُفطر الصَّائم قِياسًا علىٰ الحجامةِ أوَّلًا، وثانيًا: لأنَّه إخراجٌ وليس بإدخالٍ. وإنَّما المُفطرات، هي: بالإدخال، يعني: أن يَبلع الإنسان شَيئًا، أو يأكل شيئًا، أو يشرب شيئًا، وما أشبه ذلك. هذا هو القول المعتبر والصَّحيحُ الَّذي تطمئنُّ إليه النَّفس.

القيء:

أمَّا القيءُ فقد ورَد فيه حديثٌ صحيحٌ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا**

---

(١) «اختلاف الحديث» للشَّافعي (٨/ ٦٤٠ المعرفة).

(٢) «صحيح البخاري» (١٩٣٨).

(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود (١/ ٤٤٦).

(٤) وهو مذهب الحنفيَّة والمالكيَّة والشَّافعيَّة، انظر: «بدائع الصَّنائع» للكاساني (٢/ ١٠٧)، و«بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٢٣٣)، و«الحاوي الكبير» للماوردي (٣/ ٤٦١).

قَضَاءَ عَلَيْهِ، وَمَنِ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ»[١]، قوله ﷺ: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ»: بمعنىٰ: أنَّه خرج عليه رُغمًا عنه، فعلىٰ كلِّ حالٍ يتبيَّنُ مِن هذا: أنَّ القيءَ ينقسم إلىٰ قسمين:

- إن استدعاه الصَّائم، فإنَّه في هذه الحالة يُفطر.

- وإنْ ذرعه وخرَج مِن غيرِ إرادتِه، ولا رغبة فيه؛ فإنَّ هذا لا يُفطر، ولكن بِشرطِ: ألَّا يبتلع شيئًا خرَج مِن حلْقِه إلىٰ جوفِه مرَّة أُخرىٰ.

الكُحل:

هل الكحل يعتبر مفطرًا؟ **أقول**: قد ورد في هذا أحاديث، ولكنَّها أحاديث ضعيفة، وقد أورد الترمذيُّ حديثَين في الكُحل للصَّائم، وذكَر بأنَّهما ضعيفان، وقال: لا يصحُّ في هذا الباب شيءٌ[٢].

علىٰ كلِّ حال؛ فالكُحل لم يصحَّ فيه إباحة للصَّائم، ولم يصحَّ فيه منعٌ، وعلىٰ هذا فإنَّ تَرْكَهُ هو الأولىٰ والأفضل، بدليل: أنَّ الإنسان إذا اكتحل فإنَّه يخرجُ مع النّخام الخارج مِن صدرِه أو مِن جوفِه.

التطيُّب بالبخور:

هناك خلاف بين أهل العلم في مسألة التَّطيُّب بالبخور - دخان العود - للصَّائم؛ فمن الناس من يقول: إنَّ الدُّخان مكروهٌ؟ وقال بعضُهم: هو حرام ويفطر. فإين دليل هؤلاء؟

الجوابُ: لا دليل لهم، فعندما تتطيَّب بالبخور هل يقال: إنَّك أفطرتَ؟

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٧٢٠)، وابنُ ماجه (١٦٧٦)، من حديث أبي هريرة ﵁، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧٢٠).

(٢) «سنن الترمذي» باب ما جاء في الكحل، تحت حديث رقم (٧٢٦).

الجواب: لا، إنَّ من يقول هذا: قد بالغ بدون دليل، فينبغي ألا ننظر لهذا القول ولا نعتبره، وهذا قولٌ ضعيفٌ جدًّا؛ لأنَّ دخولَ الدُّخان في أنفك، وهو الدُّخان الطَّيِّب المنعش، هذا وإن كان فيه رائحة طيِّبة، ولكنَّه ليس بطعامٍ ولا شرابٍ، فالقول بأنَّه مكروهٌ أو بأنَّه حرامٌ لا ينبغي.

التَّبرُّد بالماءِ:

ربَّما يحتاجُ الإنسانُ أنْ يقف مع عمَّاله في مزرعتِهِ، أو في متجره، أو في مصنعه، ثمَّ يعود إلىٰ منزله وقت الظَّهيرة وهو متعبٌ جدًّا، وعطشان جدًّا، فيستعمل طريقة - وكانت موجودة في الماضي -، وهي أنَّه إذا رجع إلىٰ بيته يغتسل ثم يَبُلُّ ثوبيه؛ فيكون ثوب تحته، وثوب فوقه، ثمَّ ينام؛ فيقوم وقد هدأ عنه العطش بإذن الله.

فامتصاص المسام لهذا الماء الَّذي في الثِّياب، هذا أمرٌ عفا اللهُ عنه، وليس فيه شيءٌ.

فإذا كان هذا ليس فيه شيءٌ، فكذلك التَّطيُّب بالبخور.

بخاخ الرَّبو:

ومن المسائل المختلف فيها بين أهل العلم: بخَّاخ الرَّبوِ؛ هل يكون مفطرًا أم لا؟ وقد سُئلتُ عنه في إحدىٰ المرَّات، فقلتُ للسَّائل: ائتني به، فأتىٰ لي بهذه الآلة، وأخذت أضغط عليها علىٰ راحة يدي، فتبيَّن لي أنَّها لا تضرُّ؛ ما دام ليس فيه ماء ولا رطوبة.

ومن فضل الله عَزَّوَجَلَّ أنِّي وجدتُ بعد أن قلتُ للمستفتي: ليس في ذلك شيءٌ؛ أنَّ الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين أيضًا قد أفتىٰ بهذه الفتوىٰ[1]؛

---

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (١٩/ ٢٠).

فحمدت الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الموافقة، وإنِّي أرجو أن أكون قد أصبتُ الحقَّ، وعلى هذا نقول: إنَّ بخَّاخ الرَّبو لا يضرُّ، ولا يعتبرُ مُفطِّرًا.

القُبلة والمباشرة في نهار رمضان:

يبقى معنا مسألة المباشرة، ومسألة القبلة، هل هي جائزةٌ للصَّائم، أم لا؟ صَحَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُقبِّلُ زوجاته وهو صائم[1]، ولمَّا سأل عمرُ بن أبي سلمة النَّبيَّ ﷺ، أَيُقَبِّلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَلْ هَذِهِ» لِأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ»[2].

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ «أَنَّ رَجُلًا قَبَّلَ امْرَأَتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ وَجْدًا شَدِيدًا، فَأَرْسَلَ امْرَأَتَهُ تَسْأَلُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهَا، فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ فَرَجَعَتْ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ زَوْجَهَا فَزَادَهُ شَرًّا، وَقَالَ: لَسْنَا مِثْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ يُحِلُّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ.

ثُمَّ رَجَعَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَوَجَدَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا بَالُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَ: «أَلَا أَخْبَرْتِيهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَدْ أَخْبَرْتُهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرَتْهُ فَزَادَهُ شَرًّا، وَقَالَ: يُحِلُّ اللهُ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «إِنِّي

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٨).

لَأَتْقَاكُمْ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ»[(١)].

وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تقول لابن أختها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ إِحْدَىٰ نِسَائِهِ، وَهُوَ صَائِمٌ»، ثُمَّ تَضْحَكُ[(٢)].

فالحاصل: أنَّ مِن العلماء مَن أخذ بهذه الأحاديث، وأباح القُبلة، ومنهم من منَعها، ومنهم مَن فَصَّل، فقال: إنْ كان الرَّجلُ شهوته ضعيفة؛ فإنَّه لا مانع من أنْ يُقبِّل، أمَّا إذا كان شهوته قويَّة فينبغي له ألَّا يُقبِّل، واستدلّ أهل هذا القول بأنَّ النَّبيَّ ﷺ أتاه شابٌّ فستأذنه في القبلة فلم يأذن له، وأتاه شيخ واستأذنه في القبلة فأذن له[(٣)].

ولكن هذا الحديث - فيما أذكر - أنَّ أهل العلم قالوا: إنَّ الصَّواب فيه أنَّه موقوفٌ، أي: موقوفٌ علىٰ ابن عبَّاس[(٤)].

فمن هنا ينبغي علىٰ الإنسان أن ينظر في نفسه؛ فإن كانت شهوته ضعيفةً فلا بأس أن يُقبِّلَ، وأمَّا إذا كان شهوته قويَّةً؛ بحيث إنَّه إذا قبَّل علىٰ الأقلِّ أنَّه يخرج منه مذيٌ؛ فبعض أهل العلم يرون الكفَّارة حتَّىٰ علىٰ من قبَّل فأمذىٰ.

ليلةُ القدر وفضلُها:

ليلة القدر قد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ فيها أحاديث وأنَّها في العشر الأواخر، وقد

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٢)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢٩١ عبد الباقي) (رقم: ١٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣٣٩٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٩٦٠): «رجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٦).

(٣) أخرج أبو داود (٢٣٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ «فَرَخَّصَ لَهُ»، وَأَتَاهُ آخَرُ، فَسَأَلَهُ، «فَنَهَاهُ»، فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَالَّذِي نَهَاهُ شَابٌّ". وقال الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٦٥): «حسنٌ صحيحٌ».

(٤) أخرجه مالكٌ في «الموطَّأ» (١/ ٢٩٣ إحياء التراث) رقم (١٩).

جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ جماعة من أصحابه، وذكروا أنَّهم رأوها في العشر الأواخر، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»[١].

ولكن هل المسلم يعتبرُ ليلة القدر بما مضىٰ، أو يعتبر بما بقي؟ فهذا فيه احتمال:

إن قلنا: إن قلنا باعتبار ما بقي، فتكون ليلة اثنتين وعشرين؛ فهي تاسعة تبقىٰ، أو أربع وعشرين؛ فهي سابعة تبقىٰ، أو ستّ وعشرين؛ فهي خامسة تبقىٰ، أو ثمانٍ وعشرين؛ فهي ثالثة تبقىٰ.

أمَّا إنْ قُلنا: باعتبار ما مضىٰ: فتكون اللَّيلة الحادية والعشرين، أو الثَّالثة والعشرين، أو الخامسة والعشرين، أو السَّابعة والعشرين، أو التَّاسعة والعشرين، وأرجىٰ ليلة هي ليلة السَّابعة والعشرين.

وقد روىٰ مسلم عن أبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: «وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ، يَحْلِفُ مَا يَسْتَثْنِي، وَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا»[٢].

وهناك علاماتٌ أخرىٰ، قد ذُكر منها أنَّ تلك اللَّيلة لا حرَّ ولا برد[٣]، وغير ذلك من علاماتٍ.

كذلك أيضًا ممَّا يذكر عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه استخرج أنَّها ليلة سبع

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٧٦٢).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٢١٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤١٩)، من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٧٥).

وعشرين من سورة القدر؛ إذ إنَّ هذه السُّورةَ عددُ كلماتها ثلاثون كلمةً، يعني: بعدد أيَّام الشَّهر، وأنَّ الكلمة السَّابعة والعشرين هي الضَّمير الَّذي يعود علىٰ ليلة القدر، فقال تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر: ٥]؛ فكلمة ﴿هِيَ﴾ تُتمِّم سبعًا وعشرين كلمةً، إذن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين(١).

فمَن صام يوم ليلة القدر وقام ليلها فكأنَّما صام وقام ألف شهر، وهذا فضلٌ مِن الله عَزَّوَجَلَّ، والله يُضاعفُ لِمَنْ يشاءُ، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يختصُّ برحمته مَن يشاء، وقد اختصَّ أمة محمَّد ﷺ بهذه الفضائل.

فجعل اللهُ صيام وقيام هذه اللَّيلة يعدلُ ألفَ شهرٍ، والألفُ شهرٍ إذا قسَّمناها علىٰ اثني عشر شهرًا، نجد أنَّها تساوي: ثلاثًا وثمانين سنة، وأربعة أشهر؛ فتأمَّلوا هذا الفضل العظيم، وهذا الثَّواب الجليل الَّذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ لأمة محمَّد ﷺ، واختصَّهم بهذا الفضل العظيم، فهل يدرك عقلُك ذلك: أنَّ ليلةً واحدةً تقوم ليلها وتصوم نهارها فتُحسب لك بألف شهرٍ.

إذن فأنت عندما تصيب هذه اللَّيلة؛ بأنْ تقوم ليلَها وتصوم نهارها كلَّ عامٍ؛ فيكون لك في هذه اللَّيلة بألف شهرٍ.

ويُروىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُريَ أعمار أُمَّته فتَقَالَّها، فأعطاه اللهُ ليلةَ القدر لِتكون

---

(١) قال ابنُ عطيَّة في «المُحرَّر الوجيز» (١/ ٦١الكتب العلميَّة): «وهذه مِن مُلَح التَّفسير، وليست مِن متين العلمِ»، وقال ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٢٠٣ابن حزم): «وهو كما قال».

وقد ذكر هذا عن ابن عبَّاس مكيُّ بنُ أبي طالب في «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية» (١٢/ ٨٣٧١الشارقة) وقال: «هذا استدلال فيه نظر إنْ صحَّ عنه».

وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٥١٦الفكر) وقال: «ولا يصحُّ مثلُ هذا عن ابن عبَّاس، وإنَّما هذا من باب اللُّغز المنزَّه عنه كلام الله تعالىٰ».

خيرًا من ألفِ شهرٍ[(١)].

إذن فكأنَّك يا من تصوم رمضان وتقوم لياليه عُمِّرت أكثر من عُمْرِ نُوحٍ عليه السلام، فلو أنَّ إنسانًا عُمِّرَ مثلًا خمسًا وسبعين سنة، وصام ستِّين شهرًا، وكلّ شهر يصيب فيه ليلة القدر، فحينئذٍ يكون حاصل ضَرْب ستِّين في ثلاث وثمانين: أربعة آلاف وتسعمائة وثمانين عامًا. هذا هو مقدار عِبَادتك كما حدَّدها الله لك من الأجر فيها.

ولكي يُحصِّل العبدُ علىٰ هذا الأجر العظيم أن يقوم ليلَها ويصوم نهارها احتسابًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

والحاصل: أنَّه شيءٌ عظيمٌ، وفضلٌ كبيرٌ، اختصَّ الله به أمَّة محمد ﷺ، فيا له من فضلٍ عظيمٍ، أعطاه الله هذه الأمَّة!

قيام شهر رمضان:

قيام هذا الشَّهر سُنَّةٌ من السُّنن، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[(٢)]، وقال: **«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[(٣)]؛ فعلىٰ كلِّ حالٍ ينبغي للمسلم أنْ يحرصَ علىٰ قيام رمضان وصيامه.

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٣٢١) (رقم: ١٥).

(٢) أخرجه التِّرمذي (٦٨٣)، وأبو داود (١٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف سنن التِّرمذي» (٦٨٣).

(٣) أخرج مسلم (٤٨٨) عن معدان بن أبي طلحة اليعمريِّ، قال: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

تنبيه: يستحبُّ للمسلم إتمامًا للأجر، وتحصيلًا للفائدة؛ أنْ يكون انصرافُه مِن القيام مع انصراف الإمام، والأفضل أنْ يجعلَ له وِرْدًا في آخر اللَّيل، ولا يكتفي بصلاةِ التَّراويح مع الإمام، وهذا لا يُقلِّلُ مِن شأن الصَّلاة مع الإمام، فإنَّه لو صلَّىٰ مع الإمام حتَّىٰ ينصرفَ احتسب له قيام ليلةٍ كاملةٍ، ولكن ينبغي أن يجعلَ له صلاةً في آخر اللَّيل.

ولا شكَّ أنَّه ما من عبدٍ يسجدُ لله سَجْدة إلَّا رفعه الله بها درجةً، فكلَّما سجدت سجدةً رفعك الله بها درجة[1].

وقد جاء في الحديث: «أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ صَاحِبِهِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا وَقَدْ خَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَيَّ فَقَالَا لِي: ارْجِعْ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدَخَلَ هَذَا الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «وَصَلَّىٰ كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٣)، وابنُ ماجه (٣٩٢٥)، من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه» (٣٩٢٥).

والمعنىٰ: كُلَّما طال عمرُ الإنسان بالخير فهو خيرٌ.

ومن هنا استدلَّ أهل العلم بأنَّه ينبغي للإنسان ألَّا يسألَ الله الموت، ولكن ليقلْ: «اللَّهمَّ أَحيِنِي مَا كانَتْ الحَيَاةُ خَيرًا لِي، وَتَوفَّنِي مَا كَانَتْ الوَفَاةُ خَيرًا لِي»[1].

وينبغي للمسلم أن يغتنم أيَّام رمضان؛ فإنَّها أيَّام الغنائم، وفيها فضائلُ عظيمةٌ، وأجرٌ كبيرٌ، وهو أجر الصِّيام، وأجر القيام، وأجر الصَّدقة، وأجر التَّعليم، وأجرُ الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، وكلُّ هذه من الأمور التي تُضاعف للعبد في هذا الشهر.



(١) ورد هذا في حديث أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

تفسيرُ آياتِ الصِّيام

إنَّ الحمد لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكلَّ ضلالة فِي النَّار. **ثُمَّ أمَّا بعد:**

سأتحدَّث فِي رحاب آيات من سورة (البقرة)؛ وهي الآيات التي فرض الله علينا من خلالها الصِّيام، وبيَّن لنا بعضًا من أحكامِه مِن خلال هذه الآيات.

وأجتهد إلىٰ الله فِي الدُّعاء، وأتَضَرَّع إليه أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، ولا يبتغىٰ به إلَّا رِضاه، وأن يُرتب عليه المنفعة والفائدة لمن أراده - سبحانه -.

اللهم أستغفرك ممَّا لا أعلم، إنَّك تعلم ولا أعلم وأنت علَّام الغُيوب، اللَّهمَّ ألهمني رُشدي، وأعِذْني مِن شَرِّ نفسي، اللَّهمَّ إنِّي أبرأ من حول نفسي وقُوَّتها إلىٰ

حولك وقوتك.

آيات الصيام:

يقول الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٧].

في هذه الآيات مسائل، وقد كتبت فيها اثنتين وثلاثين فقرة، أو ثلاثًا وثلاثين فقرة، وسأحاول من خلال هذه الكلمات أن أتكلّم على هذه الفقرات باختصارٍ مفيدٍ للقارئ.

الصِّيام سنَّة من قبلنا:

قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن

قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣]، في هذه الفقرة من هذه الآية يُخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه فرض الصِّيام وأوجبه علينا كما فرضه وأوجبه علىٰ الَّذين من قبلنا.

وقد فرض الله علىٰ الذين من قبلنا صيام ثلاثةِ أيَّام من كلِّ شهر، وصيام عاشوراء.

وقيل: إنَّ الله فرض علىٰ بني إسرائيل صيام رمضان، وأنَّهم أضافوا إلىٰ ذلك عشرًا؛ فصارت أربعين يومًا، ثمَّ إنَّه مرض أحدُ الملوك، أو أحد الأحبار؛ فنذر أنَّه إن شُفي أن يضيف عشرة أيَّام؛ فأضاف عشرة أيام؛ فصارت خمسين يومًا، وهذه الزِّيادة لا شكَّ أنَّهم مخطئون فيها(١).

فعند ذلك أوجب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أُمَّة محمَّد ﷺ صيام هذا الشَّهر الكريم؛ لأنَّ الله أنزل فيه القرآن؛ فجعل صيامه شكرًا لنعمةِ القرآن.

التَّقوى علَّة الصِّيام:

قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾، وهنا كلمة ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ في الآية: واجبة الوقوع، وهي ترجٍّ، وهذا التَّرجِّي يترتب علىٰ الصِّيام متىٰ كان الصِّيام علىٰ الوجه المطلوب، فلا شك أنَّ للصَّوم فوائد، ومن هذه الفوائد:

١- زيادة الإيمان.

٢- زيادة التقوىٰ.

٣- زيادة الخشية لله.

---

(١) قد ذكر المفسّرون عدّة أقوال في بيان صفة صيام من قبلنا، انظر في ذلك: «تفسير الطبري» (٣/ ١٥٣ هجر)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٥ طيبة)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٧ طيبة).

٤- التَّمرُّن على المُجاهدة.

٥- أنَّ الله جعله سببًا في صِحَّة العبد، ولهذا جاء في الحديث: «**صُومُوا تَصِحُّوا**»[١]، وهذا الحديث فيه كلام.

الصِّيام أيَّامٌ معدودات:

وقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، نُصب مفعولًا ثانيًا لـ(كُتب)، وقيل: جرّ لـ(كُتِب)، أي: «في أيَّام معدوداتٍ»[٢].

وهذه الأيَّام المعدودات هي شهرُ رمضان، وهي ثلاثون يومًا، تبدأ بتيقُّن وتأكُّد شهر رمضان.

صيام يوم الشكِّ:

لا يجوز لأحدٍ أن يستقبل الصِّيام، ويصوم قبل تَيقُّنِ دخوله؛ لقوله ﷺ: «**لا تَصُومُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، وَلا تُفْطِرُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ؛ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا**»[٣].

وفي الحديث أيضًا عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه، أنَّه قال: «**مَنْ صَامَ يَوْمَ الشَّكِّ فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا الْقَاسِمِ**»[٤]، فاليوم الَّذي هو الثَّلاثون من شهر شعبان لا يجوز للإنسان أن يصومه بنيَّة أن يكون أوَّل يومٍ مِن رمضان.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٣١٢)، وأبو نعيم في «الطب» (١١٣)، وضعَّفه الألبانيُّ في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٢٥٣)، و«ضعيف الجامع» (٣٥٠٤).

(٢) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٢٠٧ابن كثير).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٧)، ومسلم (١٠٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦)، والنَّسائي (٢١٨٨)، وابنُ ماجه (١٦٤٥)، وصَحَّحَه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٦٨٦)، وفي «إرواء الغليل» (٩٦١).

أمَّا مَن كان له صيامٌ، ووافق هذا اليوم، وصامه الإنسان بهذه النيَّة، فيقول أهل العلم: لا بأس، لكن ينبغي ألَّا يصومه.

وينبغي للإنسان أن يجتنب الشُّبهات، فلو صام هذا اليوم بنيَّة أُخرىٰ غير رمضان، وخاصَّةً إذا كان ممَّن يقتدىٰ بهم؛ فلربَّما يقتدي به من لا يعرف.

حكم المريض، والمُسافر في رمضان:

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ فيجوز للمريض الإفطار والقضاء، يعني: الإفطار بنيَّة القضاء فيما بعد إن عافاه الله عَزَّوَجَلَّ.

والمُسافر يجوز له أن يُفطرَ بنيَّة القضاء فيما بعدُ إذا أقام.

ولكن بالنِّسبة للمرض الَّذي يبيح الفطر، فهو في الحقيقة يختلف؛ فالمرض الذي لا يستطيع الإنسان معه الصِّيام مرَّةً واحدةً؛ بأن يكون المرض شَديدًا، فلا يجوز للإنسان أنْ يصوم لأنَّه يضرّ بنفسه.

أمَّا إذا كان المرض خفيفًا بحيث إنَّه يَستطيع الصِّيام، ولكن بمشقَّة؛ فهذا يجوز له الصِّيام لكن مع الكراهة، فينبغي له أنْ يفطر إذا كان يشقُّ عليه.

وإذا قرَّر طبيبٌ، أو طبيبان مسلمان أنَّ الصَّوم يزيد المرض فإنَّه يجب عليه أن يفطر.

وهنا سؤال: هل المريض الذي يستطيع الصِّيام مع مشقَّة يسيرة تصاحبه، هل الأفضل له الصِّيام، أم الفطر؟ **الجواب:** الأفضل له الصِّيام.

ولا شكَّ أنَّ نفس السُّؤال أيضًا للمُسافر: هل الأفضل للمُسافر الصَّوم أو الفطر؟ **الجواب:** هذا خلاف بين أهل العلم؛ فمنهم من يُفضِّل هذا، ومنهم من يفضل هذا، ولكن هذا الخلاف مع عدم وجود المشقة، فإن وجدت المشقة فإنَّه

حينئذ يكون الأفضل الفطر بدون خلافٍ.

معيار السَّفر:

أمَّا المُسافر: فيباح له الفطر، والسَّفر الذي يباح فيه الفطر، هو: السَّفر الذي يباح فيه القصر والجمع.

وهو مختلف فيه بين الفقهاء؛ فمِن أهل العلم من يرىٰ أنَّ السَّفر الَّذي يباح فيه الفطر، ويباح فيه القصر والجمع؛ هو ما كان مسافة يومين بالرِّجل، أو يومٍ وليلةٍ بالرِّجل، وهذا ورد في رواية في حديث: «**لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسَافَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ زَوْجٍ أَوْ ذِي مَحْرَمٍ**»(١). وورد: «**يَوْم وَلَيْلَة**»، وورد: «**يَوْم**»، وورد: «**لَيْلَة**»، وكلُّ هذه الرِّوايات موجودة في «الصَّحيحين»(٢).

وهناك رواية؛ وهي: «**بَرِيدًا**»؛ فهذه الرواية وردت من «سنن أبي داود»(٣)، وفي طريقها انفرد بها سهيل بن أبي صالح، وفيه كلام.

الحاصل: أنَّه ينبغي أن نأخذ بأقلّ ما سُمِّي سفرًا، والأقلُّ في ذلك: يوم مُسْتَقِلٌّ، أو ليلة مستقلَّة، وذلك مسافة بريدين(٤).

إذن: فمن سافر أربعين كيلو له أن يفطر ويقصر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٦) ومسلم (١٣٣٨)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (١٠٨٨)، و«صحيح مسلم» (١٣٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود (١٧٢٥)، وابنُ حبّان (٢٧٢٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعّفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٧٢٧).

(٤) **البريدان**: أربعة وعشرون ميلًا، وأربعون كيلو مترًا، والأربعون كيلو مترًا، كانت هي مسافة يومٍ في سير الجمل، الذي عاش النَّاس عليه مدَّة طويلة، وهي ألف وأربعمائة عند عموم النَّاس.

وقد يرد سؤال: ماذا وقد أصبح السَّفر اليوم خلاف السَّفر في ذلك الوقت؟

الإجابة، نقول: هذا صحيح من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ، ولما سُئِل النَّبيُّ ﷺ عن القصر في الخوف، وقد ذهب الخوفُ، فقال ﷺ: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ؛ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»[(١)].

الصيام للمطيق:

في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾.

كان في أوَّل الأمر: مَن شاء صام، ومن شاء تصدق على مسكين بقوت يوم، ويُعفى من الصِّيام، وهذا كان في أوَّل الأمر.

ثمَّ بعد ذلك: لمَّا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ الآية الثانية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أصبح وجوب الصِّيام حتمًا على كُلِّ قادرٍ.

وبذلك أصبح الحكم الأوَّل منسوخًا، ولكن بقيَ هذا الحكم للشَّيخ الكبير الفاني والعجوز الكبيرة الفانية، والحبلى والمرضع - إذا خافتا على نفسيهما، أو على وَلَدَيهما -؛ فيجوز للشَّيخ الكبير أن يفطر ويطعم - كما فعل أنس بن مالك -[(٢)].

وكما يجوز أيضًا للحبلى والمرضع أن تفطر، فهل يجب عليهما القضاء والفدية، أو يجب عليهما القضاء دون الفدية، أو تجب عليهما الفدية دون قضاء؟

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨٦)، والترمذي (٣٠٣٤) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢١٧)، وعبد الرَّزَّاق في «المصنف» (٧٥٧٠)، وفي «التفسير» (١٨٢)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (٦٧٥)، والدَّارقطني في «السُّنن» (٢٣٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٣٢٠).

وأقولُ: هذه أقوال أهل العلم، والأقربُ في ذلك أنَّه يجب عليها القضاء متىٰ صحَّت، ولا فدية عليهما إلَّا إذا خافتا علىٰ ولديهما، فحينئذٍ تجبُ عليهما الفدية، ويجبُ عليهما القضاءُ باعتبار أنَّهما قادرتان علىٰ الصَّوم، ولكن خافتا علىٰ ولديهما.

ثمَّ إنَّ هذه الآية بقي حكمها في الشَّيخ الكبير، والحامل، والمرضع.

وقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾، أي: أطعم أكثر من مسكينٍ فهو خيرٌ له.

وقوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ هذه الخاتمةُ في هذه الآية فيها تفضيل الصِّيام علىٰ الذي يطيقونه في الآية المنسوخة.

ثمَّ إذَا أضيف للمُسافر والمريض الفطر في السَّفر أو المرض؛ فالخلاف في السَّفر، هل المُسافر يُباح له الفِطر، مع تفضيلِ جانب الصَّوم، أو يُباح له الفطر مع تفضيل جانب الفِطر؛ فهذا محلُّ خلافٍ.

فمن أهل العلم مَن يُفضِّلُ الصَّوم بالسَّفر إذا قدر عليه، ومنهم من يُفضِّل الفطر إذا قدر عليه، ولا شكَّ أنَّ المسافر إذا شَقَّ عليه الصِّيام كره له الصِّيام، أو أنَّه قد يبلغ إلىٰ حدِّ التَّحريم إذا خاف علىٰ نفسِه الموت؛ ففي هذه الحالة لا يجوزُ له الصِّيام.

نزول القرآن في رمضان:

في قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى﴾.. هذه الفقرة يتبيَّن منها أنَّ القرآن نزل في رمضان، وإذا كان نزل في رمضان، ففي أيِّ ليلة نزل؟

والجواب: أنَّه نزل في ليلةِ القدرِ.

وهذا يجعلُنا نُؤمن قطعًا بأنَّ ليلة القدر في رمضان، خلافًا لمَن يقولُ: إنَّها قد تكون في رمضان، وقد تكون في غير رمضان.

ولكن تعيينها فيه صعوبة، وإنَّما الأقرب أنَّها في العشر الأواخر؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ»[١]، وفي رواية: «أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَاطْلُبُوهَا فِي الْوِتْرِ مِنْهَا»[٢].

الوتر من العشر الأواخر: يكون في ليلة من ليالي العشر، والوتر: إنْ قُلنا: إنَّه الأوَّل، باعتبار ما مضىٰ؛ فالوترُ يكون ليلة إحدىٰ وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين.

وإن قُلنا باعتبار ما بقي، فيكون الوتر ليلة اثنتين وعشرين، فهي تاسعة تبقىٰ، أو أربع وعشرين فهي سابعة تبقىٰ، أو ست وعشرين فهي خامسة تبقىٰ، أو ثمانٍ وعشرين، فهي ثالثة تبقىٰ.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا بأنَّه أنزل القُرآن في شهر رمضان، وفي الآية الأخرىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١]، ولا يعني ذلك أنَّه نزل كُلّه، وإنَّما ذلك من الله:

١- إمَّا أن يكون إخبارًا بابتداءِ نُزوله، فيكون بدء نُزولِه في تلك اللَّيلة، وظلَّ ينزل إلىٰ ثلاث وعشرين سنة حين توفي النَّبيُّ ﷺ.

٢- وإمَّا كما قال ابن عبَّاس أنَّه نزل إلىٰ بيت العزَّة جملةً واحدةً، ومن هناك فُرِّقَ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٨) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٥) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٨٨ هجر)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٥٠، ١٥١٢٩)، والنَّسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٩٣٧)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٠١٩٠)، والحاكم في =

القرآن حياة النّاس:

قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾، أي: أنَّ القرآن هو الهدىٰ الَّذي جعله الله للنَّاس، وقوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾، أي: بَيَّنَ الله فيه ما كان، وما يكون، وما كُنَّا لنعرف كيف خُلِق آدم، لولا أنَّ الله أخبرنا، وما كُنَّا لنعرف أنَّ عرشَ الرَّحمن كان علىٰ الماء قبل خَلْق السَّموات والأرض، لولا أنَّ الله أخبرنا، وما كُنَّا لنعرف أنَّ نُوحًا كان أوَّل الرُّسل، وأنَّه بقي في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، وأنَّ قومه أُهلكوا بالغرق.. إلىٰ آخر ما ذكر مِمَّا مضىٰ.

وكذلك ماذا يكون مِنْ تَبَدُّل الأرض، وقيام السَّاعة، والبعث، والقيام، والنُّشور، والحساب، والصِّراط، والجنَّة، والنَّار، ونعيم الجنَّة للمُتَّقين، وعذاب النَّار للكافرين، والمُنافقين؛ فكُلُّ ذلك بَيَّنَه الله عَزَّوَجَلَّ في هذا القرآن.

وجوب الصَّوم على الحاضر له:

قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ هذا أمرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو واجبٌ، يعني: أنَّ مَن شهد الشَّهر، ومن كان حاضرًا للشَّهر، وجب عليه أن يصومه.

هذا إذا كان قادرًا بالغًا عاقلًا؛ فإذا سقط واحد من هذه الشُّروط؛ فإنَّه لا يجب عليه الصَّوم.

والصَّوم: هو الإمساك عن المُفطرات من طلوع الفجر الثَّاني إلىٰ غروب الشَّمس بنيَّة الصِّيام، يعني: بأنْ يكون الصّيام من إنسانٍ عاقلٍ، وذلك لأنَّ عدم العقل لا يكون معه صيامٌ، ولا يكون معه عبادةٌ.

ولا شكَّ أنَّ صوم رمضان فريضة مِن فرائض الإسلام، وهو ركنٌ مِن أركانه

=

«المستدرك» (٢٨٨١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرّجاه» ووافقه الذهبي.

بإجماع المُسلمين.

قوله: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي: يجبُ عليه أنْ يقضي عدَّة ما أفطر، ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهي غير أيَّام رمضان.

وهنا سؤالٌ هامٌّ: هل يكون القضاء مُتتابعًا، أو لا يكون متتابعًا؟ **الجواب**: من أهل العلم من قال بالتَّتابع وهم القليلُ، ومنهم من قال: إنَّه لا يجبُ التَّتابعُ، وهم الكثيرُ؛ فأكثر أهل العلم من الصَّحابة وغيرهم متَّفقون علىٰ أنَّه لا يجبُ التَّتابع في قضاء رمضانَ؛ بدليل أنَّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَقْضِيهِ إِلَّا فِي شَعْبَانَ لِلشُّغْلِ بِرَسُولِ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

تيسير الله على عباده:

قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ في هذه الآية نعمة من الله عظيمة علىٰ أُمَّة محمَّد، فيُخبرنا ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه يريد بنا اليُسر، ولا يُريد بنا العُسر، كما في الآية الأُخرىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

وليس المراد باليُسر تمييع أحكام الدِّين، والتَّهاون به، وإنَّما المراد أنَّ أحكامه سهلة ومُيَسَّرة، لا كما يقول بعض النَّاس: (الدِّين يسر)، ويقصد بذلك: أن يرتكب كلَّ محرَّم، إذا كان هواه يسوقه إلىٰ هذا الشَّيء المحرَّم.

وأقول: هؤلاء الذين يريدون الدِّين مُمَيَّعًا بهذه الصِّفة، فهؤلاء مخطئون خطأً كبيرًا، والحقُّ أنَّ الدِّين أحكامه مُيَسرة وسهلة، ولكن كون الإنسان يتجرَّأ علىٰ محارم الله بدعوىٰ: أنَّ الدِّين يُسْر، ويترك فرائض الله والواجبات أيضًا بزعم: أنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٠)، ومسلم (١١٤٦).

الدِّين يسرٌ، ويعمل المنكرات بزعم: أنَّ الدِّين يُسر؛ فهذا أمرٌ بعيد عن حقيقة الإسلام.

عدَّة شهر رمضان:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، أمرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لإكمال العِدَّة؛ لهذا يقول النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ»[1]، والمعنىٰ: أنَّه إن غُمَّ علىٰ المسلمين ولم يَرَوْ الهلال؛ فعليهم أن يُكملوا عدَّة شعبان ثلاثين يومًا.

أمَّا كونهم يجعلون الشَّهر تسعًا وعشرين بدون حقيقة؛ فهذا لا يجوز.

ولا شَكَّ أنَّ الشَّهر يكون تسعًا وعشرين، ولكن إذا رُئي الهلال، فعند ذلك ابتدأنا الشَّهر الذي بعده، أمَّا إذا لم نَرَ الهلال فلا بدَّ من إكماله ثلاثين يومًا.

مشروعيَّة التَّكبير في ليلة العيد ويومه:

قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ دليل علىٰ مشروعيَّة التَّكبير في ليلة العيد ويومه، وأخذ الفقهاء سُنِّيَة التَّكبير ليلة العيد ويومه أخذًا من هذه الآية، ومن الأحاديث والآثار التي وردت في هذا.

وفي الآية إِشارة إلىٰ أنَّ الإله الحَقَّ المعبود كبيرٌ وعظيمٌ، فالله أكبر من كُلِّ شيءٍ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

صلاة العيد:

ومن السُّنن أيضًا التِّي في صباح يوم العيد: إقامة صلاة العيد، وإعطاء زكاة الفطرِ شكرًا لله علىٰ نعمة إتمام الصَّوم.

فقد جعَل الله لإتمام الصَّوم يومَ العيد يوم فرحٍ وسرورٍ؛ لإتمام هذه عبادة

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٧)، ومسلم (١٠٨٠) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الصَّوم علىٰ الوجه المطلوب الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك فإنَّ الله شرع لهم أن يخرجوا إلىٰ الفضاءِ، وأن يُصَلُّوا صلاة العيد، وأن يُكَبِّروا الله ويذكروه حتَّىٰ يكونوا شاكرين لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه النِّعمة.

والأعياد إنَّما شُرعت لهذا، أمَّا سائر الأعياد التي يعملها النَّاس في هذا الزمن، فهي أعياد مبتدعة؛ فأعياد المسلمين السَّنَويَّة اثنان: (عيد الفطر، وعيد الأضحىٰ)، وواحد أسبوعيًّا، وهو: (يوم الجمعة).

أعيادُنـــا ثلاثـــةٌ فاثنـــانِ ... في سنةٍ فطرٌ وأضحىٰ الثَّاني
وثالـــثٌ يعتـــادُ أسبوعيًّـــا ... خصيصـــة فـــي ديننـــا تهيّـــا
فضـــيلة خُـــصَّ بهـــا نبيُّنـــا ... كـــم أمَّـــة عنهـــا أضلَـــتْ قبْلَنـــا
وكلُّهـــا نِيطـــت بشُكـــر المنعـــم ... علـــىٰ عبـــاداتٍ لغُنـــم المسلـــم
ولـــم تكـــن أعيـــاد لهْـــوٍ وطـــرَبْ ... وصـــرف أوقـــات بغيـــرِ مُكتســـب

نعم، هي أعيادٌ ليستْ للَّهو وللطَّرب واللَّعب، ولكنْ كانت إقامتُها لذكْر الله عَزَّوَجَلَّ.

الله قريبٌ مِن عباده:

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ هذا إقرارٌ من الله عَزَّوَجَلَّ عن قُربه جَلَّوَعَلَا مِن عبادِه.

وأنَّ المعبودَ الَّذي تعبدونه هو قريبٌ منكم ومُطَّلِع عليكم، ولا يخفىٰ عليه شيءٌ مِن أمرِكم، فأنتم ينبغي لكم أن تعلموا هذا، وأنْ تعبدُوه حقَّ عبادتِه، وأن تسألوه، وإذا سألتموه فإنَّه يعطيكم سؤلكم، إذا رأىٰ لكم الخير فيما تدعون.

فهذا لا شَكَّ أنَّ فيه إخبارًا عن قُرب المعبود علىٰ ما يصدر مِن عبادِه، وإقرارًا لهم بالدُّعاء، وحثًّا لهم عليه.

فنحن إذا دعوناه أجابنا، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾، فإذا دعوناه أجابنا، لكن بشرط أن نكون نحن مستجيبين له جَلَّ وَعَلَا لا نتخلَّف عن أمْرِه الَّذي نستطيعُه، ولا نُقدِمُ علىٰ شيءٍ من نهيه ونحن نعلم أنَّه معصيةٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لهذا جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ العبد إذا سأل الله عَزَّوَجَلَّ فلا بدَّ له من واحدة من ثلاث:

الأولىٰ: أن يعطيَه سُؤله، إن رأىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مصلحة في ذلك.

الثَّاني: أن يصرف عنه من الشَّرِّ بقدر دعوته بهذا.

الثَّالث: أن يدَّخر له هذا الدُّعاء إلىٰ يوم القيامة[1].

فإذا دعا العبد فلا يخلو جزاءُ دعائه مِن هذه الأمور الثَّلاثة.

سنة الله لن تجد لها تبديلاً:

قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ وهذا دليلٌ علىٰ أنَّ استجابة الله لنا مشروطة بإجابتنا له، كقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمَّد: ٧]، وهُنا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ هذا التَّرجي فيه أنَّ إجابة العبد لربِّه، ودعاءه له من أسباب رشده وهدايته.

فمِن أسباب الرُّشد والهداية أنْ تكونَ مُهتديًا، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمَّد: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون: ٦].

فالَّذي يفعلُ المعاصيَ من الزِّنا، وشرب الخمر، والفواحش، وأكل الرِّبا،

---

(١) أخرجه أحمد (١١١٣٣) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١٦٣٣).

وأكل المال الحرام، هذه الأمور إذا كان الإنسان يُقدِمُ عليها بغير مبالاةٍ؛ فكيف يرجو من الله أنْ يُوفِّقه، وأنْ يجعله راشدًا في أموره، ومُهتديًا؟! فلا يكون كذلك إلَّا من ألهمه اللهُ رُشدَه؛ بأنْ وفَّقه للصَّلاح، وللدُّعاء، وللاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا دعاهم إلىٰ خيرٍ سارع إليه، وإذا حَذَّرهم من شرٍّ تَجنَّبه وابتعدَ عنه، فهذا هو الَّذي يرجو مِن الله أنْ يُلهمَه رُشده، وأنْ يُوَفِّقَه.

غير أنَّ الجانب الثَّاني، ليس علينا أن نُيئِّسَه من رحمة الله، ولكنْ نقول له: يجبُ عليك أن تتوب، لعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يتوب عليك، وأن يُلهمك رُشدك، وأن يُوفِّقك لما يحبُّ ويرضىٰ، وأن يختم لك بخاتمةِ خيرٍ.

أمَّا إن بقي علىٰ أموره المُنكرة، وعلىٰ فواحشه الَّتي يقترفها ويفعلُها، فانتظاره لما ينتظره أهل الهدىٰ وأهل التَّقوىٰ وأهل الرُّشد؛ إنَّما يُعدُّ من الغباء -والعياذ بالله- والتَّمنِّي للشَّيء بغيرِ فعلِ أسبابِه؛ ولكلِّ شيء أسبابٌ.

عفوُ الله، وكرمُه:

في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ...﴾.

كان الصَّومُ في أوَّلِ الإسلام أنَّ الصَّائم إذا أفطر يَحلُّ له أن يأكل ويشرب ويُجامع ما لم يصلِّ العشاء، أو ينم؛ فإذا نام أو صلَّىٰ العشاء عند ذلك حرُم عليه الجماع، وحرُم عليه الأكل والشُّرب.

ثمَّ أراد اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رحمته للمسلمين، وذلك من خلال رجل من الأنصار، فقد كان هذا الرَّجل يعملُ في مزرعته طول النَّهار، وكانوا في حرثهم ينضحون على الإبل، ويسقون النَّخيل، ويعملون شيئًا من الزِّراعة لأجل [illegible] حتَّى

يعمل في بُستانه، وبعد المغرب جاء إلىٰ زوجته، فقال لها: هاتي طعامك، فذهبت تلتمس له الطَّعام، وتُعدُّه له، فجاءت وقد نام، فقالت: لك الخيبة، نمت!! إذن حرُم عليك.

فما كان له إلَّا أن واصل في صومه، وفي الصَّباح ذهب إلىٰ مزرعته كما مضىٰ اليوم الَّذي قبله، وظلَّ يعمل إلىٰ وقت الزَّوال، ثمَّ أُغمي عليه؛ فحُمل ورجعوا به إلىٰ البيت[1].

وفي تلك الأثناء وقَع مِن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه مثل ذلك، فسمر يومًا مع النَّبيِّ ﷺ، وجاء إلىٰ زوجته يريد منها ما يريدُ الرَّجلُ مِن امرأتِه، فقالت: قد نمتُ، فظنَّ أنَّها تعتلُّ؛ فأرغمها وقضىٰ حاجته منها، ثمَّ بعد ذلك أكَّدت له أنَّها قد نامت فعلًا؛ فذهب إلىٰ النَّبيِّ ﷺ شاكيًا نفسه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ويأمل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثمَّ من الرَّسول ﷺ الفرج؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾[2]، والرَّفث هو الجماع ومقدِّماته، فكلُّه يقال له: رفث، وفي ذلك حديث النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَفْسُقْ؛ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»[3].

كذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ هذه معاتبةٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين الضُّعفاء.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ

---

(١) أخرج الحديث البخاري (١٩١٥)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرج الحديث أبو داود (٥٠٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، وأبو داود (٢٣٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ مِن النِّكاح والطَّعام والشَّراب.

ولا شكَّ أنَّ في هذه الآية تَفضُّلًا من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده المؤمنين في أن عفا عنهم فيما قد سلَف من الوقوع في معصيته، وأباح لهم في المستقبل في ليالي الصِّيام: الطَّعام والشَّراب والجماع إلىٰ طلوع الفجر.

الإمساك في رمضان:

في قوله: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، كان بعضُ الصَّحابة قد غلِط في هذا، وظنَّ أنَّ المُرادَ بالخيط الأبيض والخيط الأسود الخيوطُ بمعناها الحقيقيِّ؛ فيربط في إحدىٰ رجليه خيطًا أبيضَ، وفي الثَّانية خيطًا أسودَ، ثمَّ يأكل ويشرب - وقد كان الوضع سابقًا: أنَّه لم يكن هناك مصابيح - حتىٰ يتَّضح له هذا ببياضه، وهذا بسواده، وبعد ذلك يُمسك[(١)].

دل علىٰ هذا حديث عديٍّ بن حاتم حين جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَض وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ**» يعني: إذا كان وسادك يتَّسع للخيط الأبيض والخيط الأسود فهو عريضٌ، «**إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»[(٢)]، والمراد به الفجر، فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، فهذه الجملة القصيرة: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لم تنزل إلَّا بعد مُدَّة من نزول الآية؛ لمَّا غلط هؤلاء الصَّحابة في فهم هذه الآية أنزل الله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١٩١٧)، و«صحيح مسلم» (١٠٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).

إذن المراد بالخيط الأبيض: النَّهار، والخيط الأسود: اللَّيل، وبيانُ هذا توضيحٌ للإشكال الَّذي حصَل لبعضِهم.

- في قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ توضيحٌ للنِّهاية، فكما أوضح فيما سبق البدايةَ، أوضح هنا النِّهاية، فقال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

وهنا سؤالٌ: ما هو اللَّيلُ؟ وهل يكون اللَّيل إذا بدت النجوم كما يقول بعض المبتدعة[1].

وهذا خلاف ما قاله الرَّسول ﷺ لأحد أصحابه، وكان مسافرًا: «**يَا فُلَانُ، انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: «**انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**» قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ «**إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَا هُنَا، وَجَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»[2]، يعني: أبيح له الفطر.

اتَّقوا حدودَ الله:

قوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، هذا نهيٌ مِن الله عَزَّ وَجَلَّ للمُعتكِف أنَّه لا يجوزُ له المباشرةُ، ولا تجوز له القُبلةُ، فالقُبلة تجوز للصَّائم إذا كان كبيرًا وشهوته ضعيفة، ولكن لا تجوز للمُعتكِف مهما كان الأمر، فإنَّ ذلك حرامٌ.

ثُمَّ قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فهذا الفعل مِن حدود الله، فإنَّ من باشر وهو معتكفٌ فقد تجاوز - والعياذ بالله - حدًّا من حدود الله.

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، وفي ذلك بيان لتحريم المباشرة

---

(١) يقصد بهؤلاء المبتدعة: الرَّوافض، حيثُ إنَّهم يخالفون أهل السُّنَّة في أنَّ ميقات فطرهم حين يهلّ اللَّيل، وعلامة ذلك وتأكّده عندهم برؤية النُّجوم في السَّماء.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٩٧)، ومسلم (١١٠١) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

في حال الاعتكاف، وهو من حدود الله محرّم.

من أعظم العبادات تعظيمُ حُدودِ الله:

- قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾، أي: كما بيَّن لكم حدودًا في الصَّوم فقد بيَّن لكم في غيره، فمِن الآيات ما يُبيِّن فيها الشَّرّ ليحذره النَّاس، ومن الآيات ما يُبيّن فيها المُباح ليفعلَه النَّاس.

فيجب أن نقفَ عند حُدود الله، فما أباحه اللهُ لنا فلا بأسَ أنْ نفعلَه، وما حذَّرنا ونهانا عنه فعلينا بالابتعاد عنه، والحذر والخوف منه.

فعلينا بتأدية فرائض الله كما أرادها اللهُ، وعلينا أنْ نجتنبَ محرَّمات الله حتىٰ يرضىٰ اللهُ عنَّا، ونكون شاكرين لله عَزَّوَجَلَّ.



مِن أحكام الصِّيام

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعدُ: فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ مُحدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النَّار. ثمَّ أمَّا بعدُ:

فريضة الصَّوم:

يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ

ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٦].

ذَكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية أنَّ الصِّيام كُتب علينا أُسْوةً بمن كان قبلنا من الأُمم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

نادىٰ الله المؤمنين باسم الإيمان، واسمُ الإيمان يقتضي أنَّ المؤمنين يكونون مُتَّبعين لنبيِّهم الَّذي آمنوا به، مُتَّبعين لأوامر ربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا فالدَّعوة باسم الإيمان ممَّا يَستحثُّ الله به المُؤمنين علىٰ امتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، معنىٰ ﴿كُتِبَ﴾ فُرض، أي: فُرض عليكم الصِّيام.

تعريف الصِّيام:

هو الإمساك وجوبًا عن المفطِّرات من أكلٍ وشربٍ، وجِماعٍ ومُقدِّماته؛ من طلوع الفجر الثَّاني إلىٰ غُروب الشَّمس من أيام رمضان.

مسافة السفر المعتبرة:

إذا حصل للإنسان عُذرٌ مِن الأعذار المبيحة للفطر؛ وهي: (المرض، أو السفر)؛ فإنَّه يجوز له أن يُفطرَ في حال (مرضه) أو حال (سفره)، أن يُفطر ما دام

مريضًا، أو مُسافرًا سفرًا يُباحُ فيه القصر، وأقلُّه سفر يومٍ كاملٍ بالرِّجْل أو بِسَيْر الجمل، وذلك أربعة وعشرون ميلًا، وهي أربعون كيلو مترًا، هذه المسافة كانت تُقطع في اليوم كاملًا أو إلَّا قليلًا، أو في ليلة كاملةً أو إلَّا قليلًا.

وأُمثِّل بأنَّ المسافة بيننا[1] وبين (أبي عريش) كانت تُقطع في ليلة كاملة، أو في يوم كامل، أمَّا الآن فتُقطع في ساعةٍ إلَّا رُبعًا أو أربعين دقيقة أو خمسة وثلاثين دقيقة.

إذن: فالعبرة بالسَّير الذي مضىٰ عليه زمنٌ طويل، وهو أربعةَ عشر قرنًا، فالقرن الرَّابع عشر هو الذي بدأت تدخل فيه السَّيارات، وبعد ذلك تكاثرت شيئًا فشيئًا حتَّىٰ الآن.

الحاصل: أنَّ هذا السَّير الَّذي هو الآن بالآلة الحديثة لا يُعتبر، وإنَّما المُعتبر السَّير علىٰ الأقدام، والسَّير علىٰ الجِمال الذي كان مألوفًا خلال ثلاثةَ عشر قرنًا.

والدَّليل علىٰ ذلك ما ورد في (صحيح مسلم) أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا**»[2]، وفي رواية: «**مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ**»[3]، وفي رواية: «**مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**»[4]، وفي رواية: «**مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ**»[5]، وفي رواية: «**مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»[6].

---

(١) شيخنا أحمد النَّجميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يسكن بقريته النجاميَّة جنوب مدينة صامطة بالخطّ الجديد بمسافة أربعة كيلو مترًا تقريبًا. [حسن دغريري].

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٩)، وأبو داود (١٧٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (١٨٦٤)، ومسلم (٨٢٧) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أخرجه البخاري (١٠٨٦) ومسلم (١٣٣٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي رواية: «**بَرِيدًا**[(١)]»[(٢)].

فرواية: «**البريد**» هي أقلُّ ما ورد إلَّا أنَّها قد يقال بأنَّها: شَاذَّةٌ، أو فيها رجلًا سَيِّئ الحفظ، وهو: سهيل بن أبي صالح.

الحاصل: أنَّ الرِّوايات الموثوقة الَّتي خرَّجها البخاري ومسلم معًا، أو خرَّجها مسلمٌ وحدَه.

فرواية: «**اليوم واللَّيلة**»، و«**اليومين**»، و«**الثَّلاثة أيَّام**» خرَّجها البخاري ومسلمٌ.

ورواية اليوم وحْدَه والليلة وحْدَها خرَّجها مسلم، وهي رواية صحيحةٌ.

الحاصل: أنَّ ما أُبِيحَ فيه القصر والجمع أُبِيحَ فيه الفطرُ.

الصِّيام سنَّةُ مَن قبْلنا:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية أنَّ الصِّيام كُتب علىٰ من قبلنا؛ **فمن أهل العلم مَن يقولُ**: إنَّه كُتب عليهم صوم رمضان، **ومن أهل العلم مَن يقولُ**: إنَّه كُتب عليهم صيام ثلاثةِ أيَّام مِن كلِ شهرٍ[(٣)].

وعلىٰ أيٍّ مِن القولين؛ فالله قد كتب عليهم الصِّيامَ من لدن نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إلىٰ سائر الرُّسل بعده؛ كـ(قوم هود، وقوم صالح)، ومن بعدهم من الأمم.

---

(١) **البريد**: هو مسيرة اليوم والنصف.

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٢٥)، وابنُ حبَّان (٢٧٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه الألباني في «السِّلسلة الضَّعيفة» (٥٧٢٧).

(٣) **انظر هذه الأقوال في**: «تفسير الطبري» (٣/ ١٥٣ هجر)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٥ طيبة)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤٩٧ طيبة).

فكما كَتبَ اللهُ عليهم الصِّيام من أجل تزكية النُّفوس، ومِن أجل التَّمرُّن علىٰ حفظ النُّفوس من التَّورُّطِ في المعاصي والوقوع فيها، كما كُتِبَ علىٰ أولئك كُتِبَ علينا.

وقد أشار الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾؛ إذنْ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوجب علينا الصِّيام لمصلحتنا.

علَّة الصَّوم ومصلحتُه:

المصلحة الَّتي تعود علىٰ العبد مِن صومه، هي: أنَّ العبد يَتمرَّن علىٰ منْع نفسِه وكبحِها ورَدْعِها عن الوقوع في المُحرَّمات، فهذه فائدةٌ عظيمةٌ، وهي: التَّمرُّن علىٰ منع النُّفوس وكبحها وردعها عن شهواتها.

وذلك هو الَّذي أشار إليه القُرآن بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾؛ فالصِّيام وصفه النَّبيُّ ﷺ بأنَّه: «جُنَّةٌ»[1]، أي: أنَّه يقيك مِن الشَّيطان، ومِنْ دعوته إلىٰ الوُقوع في المُحَرَّمات، فتَضيق العُروق الَّتي يسير بها؛ فيضعف.

هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان:

قال تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهذه الأَيَّام المعدودات هي صيام أيَّام رمضان وجوبًا وحتمًا؛ فإذا صُمْتَ هذه الأَيَّام الَّتي أوجب اللهُ عليك؛ بأن مَنعْتَ نفسَك عن الطَّعام والشَّراب مِن أجل ربِّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ امتثالًا لأمْرِه، واجتنابًا لِنهيِه، وطاعةً لِجلاله، وتعبُّدًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُثيبُك علىٰ ذلك الجنَّة، وقبل ذلك تُبعث يوم القيامة ريَّانَ.

فهذه الأَيَّام الَّتي تُعطِّش نفسَك فيها، وتجوِّع نفسَك فيها؛ يُعوِّضُك الله بدلًا عنها؛ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبعثك حين يبعثك ريَّان، ولست عطشانَ؛ حتَّىٰ يقف

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

النَّاس فِي ذلك الموقف الطَّويل الذي يَشيبُ منه الولدان، وتدنو الشَّمس منهم، ويعلوهم العرق.

ولهذا فإنَّ باب الصِّيام يكون فِي الجنَّة، واسمُه (باب الريان)، كما صحَّ ذلك عن رسولِ الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**»(١).

يا لها من فضيلةٍ! ويا له من فوزٍ عظيمٍ!

فيا أيُّها المسلمُ، لا يَستهوينَّك الشَّيطان فتُفْطر بغير عذرٍ؛ فإنَّ هذا لا يجوزُ لك، بل يجبُ عليك أن تتَّقيَ الله ربَّك، وأنْ ترعىٰ هذه الفريضة وتُؤدّيها كما أوجبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وجوب الصِّيام:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، كما تقدَّم لنا الكلام علىٰ أنَّ الفطر يجوز للسَّفر الذي يُباح فيه القصرُ والجمعُ، ومقداره مسيرة يومٍ أو ليلة بالرِّجْلِ أو الجمل.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٤].

هذه الفقرة فيها: أنَّ الصَّومَ كان فِي أوَّل الأمر مَن شاء صام، ومَن شاء أطعم عن نفسه وأفطر؛ فأوجب بدلًا عن الصِّيام طعام مسكين، وندبهم إلىٰ الزِّيادة، فقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٤]، لكن بعد ذلك لمَّا نزلت الآيةُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأخيرةُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ عند ذلك أوجب اللهُ الصيامَ حتمًا، ثم إنَّه فضل الصِّيام علىٰ الإطعام فقال: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

تخفيفُ الله على عباده:

كذلك أيضًا كان في أوَّل الأمر إذا أفطر الصَّائمُ فله أنْ يأكل ويشرب ويُجامع ما لم ينم؛ فإذا نام فلا يجوز له الطَّعام، ولا الشَّراب، ولا الجِماع؛ فكلُّ ذلك يَحرمُ عليه، هذا كان في أوَّل الأمر.

ثمَّ إنَّه حصَل أنَّ رجلًا مِن الأنصارِ، يُقالُ له: قيسُ بنُ صِرْمَةَ، هذا الرَّجل ظلَّ يشتغلُ في مزرعتِه، وذات يومٍ رجع بعد المغرب، فقامتْ امرأته تُهيِّئ له الطَّعام، وإذا به قد نام؛ فقالت له: نمت لك الخيبة، إذًا حرُم عليك.

فبقي مواصلًا للصِّيام، فلمَّا أصبح ذهب إلىٰ عملِه الَّذي هو مزرعتُه؛ فلمَّا اشتدَّ الحرُّ في الظَّهيرةِ أُغميَ عليه؛ فحُمل إلىٰ بيته[(١)].

كذلك وقعت حادثةٌ أُخرىٰ قريبة منها، وهي أنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاء إلىٰ بيت النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمر معهم قليلًا، ثمَّ بعد ذلك رجع إلىٰ بيته؛ فأراد مِن امراته ما يُريده الرَّجلُ مِن المرأة، فقالت: إنَّها قد نامتْ؛ فظنَّ أنَّها تعتلُّ، وتتحيَّل عليه؛ فواقعها غصبًا عنها، وهي أكَّدتْ له بعد ذلك فندم.

فذهب إلىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره فأنزل الله بعد ذلك: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟

---

(١) أخرج الحديث البخاري (١٩١٥)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧](١). فكانت هذه الآية حازمةً، وكانت هي الَّتي فيها التَّشريع الأخير.

من أُبيح له الإفطار:

المهمُّ أنَّ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾؛ هذا نُسخ من جانبٍ، وبقي من جانبٍ؛

فقد نُسخ مِن جانب أنَّ الرَّجل القادر علىٰ الصَّوم؛ كان يجوز له الإطعام ويفطر.

لكن بقيَ الحكمُ للرَّجل الكبير والمرأة الكبيرة اللَّذَين يضرُّهما الصِّيام لضعفهما وكِبرهما؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبقىٰ الإطعام لمن يكون كذلك؛ إذا كان شيخًا فانيًا، أو امرأة كبيرة فانيةً، فهؤلاء يجوز لهم أن يُطْعموا إذا كانوا غير قادرين علىٰ الصِّيام.

أمَّا الحُبلىٰ والمرضع: فهُما أيضًا أُبيحَ لهما الفطرُ؛ إذا كان الجنينُ يتأثَّر بالصَّوم، وكذلك أيضًا إذا كان الرَّضيع يَقِلُّ عليه اللَّبن، وليس هناك لبنٌ غير ثَدْي أُمِّه؛ ففي هذه الحالة يجوز لها أن تُفْطر مِن أجْلِ وَلدِها، هكذا استقرَّتْ الشَّريعة علىٰ هذا الوضع.

كرامة شهر رمضان (القرآن):

وأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ

---

(١) أخرج الحديث أبو داود (٥٠٦)، وصحّحه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٥٠٦).

وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

أشار الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية إلىٰ أنَّ القُرآن نزَل في ليلة القدر، وأنَّ الله جعَل ليلة القدْر في رمضان، وأوجب علينا صيامه وقيامه شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نِعمة القرآن: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾. الله أكبر!! ما أعظمَها مِن هداية!!

فهذا الكتابُ العظيمُ الَّذي فيه بيان الأحكام الشَّرعيَّة، وفيه خبرُ ما قبلنا، ونبأ ما بعْدنا، وفصْل ما بيننا، فيه الدَّلالة علىٰ ما يُرضي الله عَزَّوَجَلَّ، ويُقرِّبنا إليه، ويوجب لنا دخول الجنَّة، والنَّجاة من النَّار، هذا القرآن الذي فيه بيان كُلِّ شيء يجبُ علينا أن نحتكم إليه، وأن نعتمد عليه دون غيره.

القرآن أفضل الأحكام على الإطلاق:

النَّاسُ الآن الَّذين يُحكِّمون القوانين الوضعيَّة، ويتركون كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فهؤلاء يُعتبرُ هذا منهم ضلالًا، ولا يجوز لهم أنْ يفعلوا ذلك؛ ولا أنْ يجعلوا لجانًا للتَّقنين وللتَّشريع.

فهنا أسأل نفسي والمسلمين أجمعين، وأَخُصُّ من يُجَوِّز ذلك: هل يجوز لك - يا أخي - أن تُشرِّع، والله قد شرع لك في كتابه كلَّ ما تحتاج إليه؟

الجواب علىٰ هذا السُّؤال: لا واللهِ، لا يجوز لأحدٍ أنْ يفعل ذلك، بل علينا أنْ نَتحاكمَ إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سُنَّة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وما مِن حُكمٍ يطلع إلَّا وفي كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ما يدلُّ علىٰ هذا، هل هو حلالٌ أم حرامٌ؟ وهل هو مُباحٌ أو ممنوعٌ؟ وهل هو فرضٌ أو ندبٌ؟ وهل هو

حرامٌ أو مكروهٌ؟

فهذه الأحكام كلُّها تُستقىٰ مِن شريعة اللهِ.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: من حضر.

واستدل أهل العلم من هذه الآية:

١- أنَّ مَن أتىٰ عليه هلالُ رمضانَ، وهو مُسافرٌ؛ فإنَّه يجوز له أنْ يُفطر.

٢- وأنَّ مَن أتىٰ عليه هلالُ رمضانَ وهو حاضرٌ؛ فإنَّه إذا سافر لا يجوز له الفطرُ.

وهذا القول يعتبرُ ضعيفًا حكاه ابنُ كثير عن ابن حزم في «المحلَّىٰ»، واستضعفه[(١)].

ولكن القول الصَّحيح: أنَّ مَن سافر في رمضان فله أن يُفْطر؛ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أباح له ذلك، والنَّبيُّ ﷺ هو المُبيِّن عن الله، وقد أتىٰ عليه أوَّل رمضان، وهو مُقيم بالمدينة، ثمَّ سافر بعد ذلك في رمضان فأفطر، وأمر أصحابه بالفطر، في غزوة الفتح[(٢)].

وحصل أيضًا في غزوةِ بدرٍ، ولكن غزوة بدْر لعلَّها كانت قبل فرضيَّة الصِّيام.

الحاصل: أنَّ القول الصَّحيح الَّذي عليه المُعوَّل: هو أنَّ مَن سافر في أثناء الصَّوم؛ فله أن يُفْطر، وأنْ يتمتع برُخْصَة الله عَزَّوَجَلَّ.

ونسأل الله أن يُوَفِّق ويُسَدِّد الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، إنَّه جوادٌ كريمٌ، وصلَّىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٧ طيبة).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٤)، ومسلم (١١١٣) من حديث عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

مواعـــظ

- الدُّنيا متاعٌ زائلٌ وعاريةٌ مُستردَّةٌ
- الاستقامة
- موعظة
- هوان الدُّنيا
- حُكم اللَّهو واللَّعب
- الوعيدُ على إضاعة الصَّلاة
- مثَل الحياة الدُّنيا
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- أسباب النَّجاة مِن النَّار، وأسباب دخولها
- فضل الله ورحمته
- سؤال القبر

الدُّنيا متاعٌ زائلٌ وعاريةٌ مستردَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أمَّا بعدُ:

فإنَّ من المعلوم عند كلِّ عاقل: أنَّ الدُّنيا ما هي إلَّا متاعٌ زائلٌ، وعاريةٌ مستردَّة، وخيرُ ما كسبَه العبدُ منها ما نفعَه في آخرتِه، قال عَزَّوَجَلَّ علىٰ لسان مُؤمن فرعونَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩]، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». رواه البخاري(١).

قال ابن رجب(٢): «هذا الحديث خرجه البخاريُّ عن عليِّ بن المدينيّ، حدّثنا محمَّد بن عبد الرحمَّن الطفاوي، حدَّثنا الأعمش، حدَّثني مجاهد، عن ابن عمر... فذكره.

وقد تكلَّم غيرُ واحد من الحفَّاظ في لفظة: "حدَّثنا مُجاهدٌ"، وقالوا: هي غيرُ

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) الكلام من هذا الموضع إلىٰ آخر الرِّسالةِ منقولٌ عن ابن رجب - مع تصرُّف يسير - عند شرحه لهذا الحديث في «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١١٢٣ الفحل) فما بعدها. والله الموفق.

ثابتة، وأنكروها على ابن المديني، وقالوا: لم يسمع الأعمشُ هذا الحديثَ من مجاهد، إنَّما سمعه من ليث بن أبي سليم عنه، وقد ذكره العقيليُّ وغيرُه، وخرَّجه الترمذيُّ من حديث ليث عن مجاهد، وزاد فيه: «**وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ**»، وزاد في كلام ابن عمر: «**فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا**». وخرَّجه ابنُ ماجه[(١)]، ولم يذكر قول ابن عُمر[(٢)].

وخرج الإمام أحمد والنَّسائي من حديث الأوزاعيّ، عن عبدة بن أبي لبابة، عن ابن عمر قال: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي، وَقَالَ: اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[(٣)]. وعبدة بن أبي لبابة أدرك ابن عمر، واختُلف في سماعِه منه.

وهذا الحديث أصلٌ في قِصَر الأمَل في الدُّنيا، وأنَّ المؤمن لا ينبغي له أنْ يتَّخذَ الدُّنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئنّ فيها، ولكن ينبغي أنْ يكونَ فيها كأنَّه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرَّحيل.

وقد اتَّفقتْ على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مُؤمنِ آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غافر: ٣٩]. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يقولُ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ**

---

(١) أخرجه الترِّمذيّ (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤) من حديث ابن عمر، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن ابن ماجه» (٣٣٢٢).

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «شُعب الإيمان» (٩٧٦٦)، وابنُ أبي شيبة في «مُصنَّفه» (٣٤٣٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٢) (٦١٥٦)، والنَّسائيّ في «السُّنن الكبرى» (١١٨٠٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٤٧٣).

الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١).

ومِن وصايا المسيح عليه السَّلام لأصحابِه أنَّه قال لهم: «اعبُرُوها ولا تعمُرُوها»(٢).

ورُوي عنه أنَّه قال: «مَن ذا الَّذي يبني علىٰ مَوجِ البحر دارًا، تلكم الدُّنيا فلا تتَّخذوها قرارًا»(٣).

ودخَل رجلٌ علىٰ أبي ذرٍّ، فجعَل يُقلِّب بصرَه في بيتِه، فقال: يا أبا ذرٍّ، أينَ متاعُكم؟ قال: إنَّ لنَا بيتًا نوجِّه إليهِ، قالَ: إنَّه لا بدَّ لكَ مِن متاعٍ ما دُمتَ هاهنا، قال: إنَّ صاحبَ المنزلِ لَا يدعُنا فيه»(٤).

ودخلُوا علىٰ بعضِ الصَّالحِين، فقلَّبُوا بصرَهم في بيتِه، فقالُوا لَهُ: إنَّا نَرَىٰ بيتَك بيتَ رجُلٍ مُرتحلٍ، فقالَ: أمرتحل؟ لا أرتحلُ، ولكن أطردُ طرْدًا». يعني: أنَّ الليلَ يسلمه إلىٰ النهار، والنهار يسلمه إلىٰ الليل، وكلُّ يوم ينقص من عمره.

ثم قال ابن رجب: «وكان عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: إنَّ الدُّنيَا قَدْ ارتَحَلَتْ مُدبِرةً، وإنَّ الآخرةَ قد ارتحلَتْ مُقبلةً، ولكلٍّ منهما بَنُونَ، فكُونُوا مِن أبناءِ الآخرةِ، ولا تكُونُوا مِن أبناءِ الدُّنيَا، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابٌ، وغدًا

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» (١/ ٣٩١) (٣٧٠٩) مِن حديث ابن مسعود، وصحَّحه الألبانيُّ في «السّلسلة الصَّحيحة» (٤٣٨).

(٢) أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (٣٣ ابن كثير)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٥ السَّعادة) عن وهيب المكِّي قال: «بَلَغَنِي أنَّ عِيسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَام -... » فذكره.

(٣) أخرجه أحمد في «الزُّهد» (٣٢٥) عن مكحول، قال: «قال عيسىٰ... » فذكره، و(٤٨١) عن إبراهيم قال: «كان عيسىٰ... ».

(٤) أخرجه البيهقيُّ في «شُعب الإيمان» (١٠١٦٨).

حسابٌ ولا عملٌ[(١)].

قال بعضُ الحُكماءِ: عجبتُ ممَّن الدُّنيا مولّية عنه، والآخرة مُقبلةٌ إليه يشغل بالمُدبرة، ويُعرِضُ عن المُقبلةِ[(٢)].

وقال عُمرُ بن عبد العزيز في خُطبتِه: إنَّ الدُّنيا ليستْ بدارِ قراركم، كتَبَ اللهُ عليها الفَناءَ، وكتَب اللهُ علىٰ أهلها منها الظَّعن، فكم مِن عامرٍ موثقٍ عن قليلٍ يخربُ، وكم مِن مُقيمٍ مُغتبطٍ عمَّا قليلٍ يَظعنُ، فأَحسنُوا - رحمكم اللهُ - منها الرِّحلةَ بأحسنِ ما بحضرتِكُم مِن النُّقلة، وتَزوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوىٰ[(٣)].

وإذا لم تكُن الدُّنيا للمُؤمن دارَ إقامةٍ، ولا وطَنًا، فينبغي للمُؤمنِ أن يكونَ حالُه فيها علىٰ أحَدِ حالَينِ:

- إمَّا أنْ يكون كأنَّه غريبٌ مُقيمٌ في بلد غُربةٍ، همُّهُ التَزوُّد للرُّجوع إلىٰ وطنِه.

- أو يكون كأنَّه مسافرٌ غيرُ مُقيمٍ البتَّة، بلْ هو ليلُه ونهارُه، يسيرُ إلىٰ بلد الإقامة، فلِهذا وصَّىٰ النَّبيُّ ﷺ ابنَ عُمرَ أنْ يكونَ في الدُّنيا علىٰ أحد هذين الحالينِ؛ فأحدهما: أنْ يتركَ المُؤمن نفسَه كأنَّه غريبٌ في الدُّنيا؛ يتخيَّل الإقامةَ، لكنْ في بلد غُربةٍ، فهو غيرُ متعلِّق القلب ببلدِ الغُربةِ، بل قلبُه مُتعلِّق بوطنِه الَّذي يَرجعُ إليه، وإنَّما هو مُقيمٌ في الدُّنيا لِيقضيَ مرمَّة جهازِه إلىٰ الرُّجوع إلىٰ وطنِه، قال الفُضَيل بن عياض: المُؤمنُ في الدُّنيا مهمومٌ حزينٌ، همُّه مَرمَّة جهازِه[(٤)].

---

(١) أخرجه ابنُ المُبارك في «الزُّهد» (٢٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٤٤٩٥)، والبيهقي في الشعب (١٠١٣٠)، وأبو داود في «الزُّهد» (١٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (١/ ٣٧١) (٣٦٩)، ومن طريقه البيهقي في «الزُّهد الكبير» (٥٠٤).

(٣) أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (٣٧٠)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٢).

(٤) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٠السّعادة)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٤٤٥العمروي)=

ومن كان في الدُّنيا كذلك، فلا همَّ له إلَّا في التَّزوّد بما ينفعُه عند عوده إلىٰ وطنِه، فلا ينافس أهلَ البلد الَّذي هو غريبٌ بينهم في عزِّهم، ولا يجزعُ مِن الذُّلّ عندهم، قال الحسنُ: المؤمنُ كالغريبِ لا يَجزعُ مِن ذلِّها، ولا يُنافس في عزِّها، له شأنٌ، وللنَّاس شأنٌ[1]. لمَّا خُلق آدم عليه السَّلام أُسكن هو وزوجتُه الجنَّة، ثُمَّ أهبطا منها، ووُعدا بالرُّجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبدًا يحنُّ إلىٰ وطنِه الأوَّل، وكما قيل:

كَـمْ مَنْـزِلٍ للمَـرْءِ يَأْلَفُـهُ الفَتَـىٰ ... وَحَنِينُـهُ أَبَـدًا لِأَوَّلِ مَنْـزِلِ

ولبعضِ شُيوخِنا:

فَحَيَّ عَلَـىٰ جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فَإِنَّهَـا ... مَنَازِلُـكَ الأُولَـىٰ وَفِيهَـا المُخَيَّمُ

وَلكِنَّنَـا سَبْيُ العَـدُوِّ فَهَـلْ تَـرَىٰ ... نَعُـودُ إِلَـىٰ أَوْطَـانِنَـا وَنُسَلِّـمُ

وَقَـدْ زَعَمُـوا أَنَّ الغَرِيـبَ إِذَا نَـأَىٰ ... وَشَطَّـتْ بِـهِ أَوْطَـانُهُ فَهْـوَ مُغْـرَمُ

وَأَيُّ اغْتِـرَابٍ فَـوْقَ غُرْبَتِنَـا الَّتِـي ... لَهَا أَضْحَتِ الأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ[2]

كان عطاءٌ السَّليميُّ يقولُ في دُعائِه: اللَّهمَّ ارحم في الدُّنيا غُربتِي، وارحمْ في القبر وحشتِي، وارحمْ مَوقفِي غدًا بين يدَيك[3].

قال الحسنُ: بَلغنِي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لأصحابِه: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ

= عن الفُضيل بن عياضٍ، قال: «الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا مَغْمُومٌ، يتزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِهِ، قَلِيلٌ فَرَحُهُ، ثُمَّ بَكَىٰ».

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٢١٠)، وابن أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (٨٤).

(٢) من «القصيدة الميميَّة» لابن القيِّم. انظر: «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح» (ص٧)، و«مدارج السَّالكين» (٣/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٣) أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢٤).

وَمَثَلُ الدُّنْيَا، كَقَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرَ، أَوْ مَا بَقِيَ، أَنْفَدُوا الزَّادَ، وَحَسَرُوا الظَّهْرَ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيِّ الْمَفَازَةِ، لا زَادَ وَلا حَمُولَةَ، فَأَيْقَنُوا بِالهَلَكَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بِرِيفٍ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَيْهِمْ، قَالَ: عَلامَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: عَلَىٰ مَا تَرَىٰ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَاءٍ رِوَاءٍ، وَرِيَاضٍ خُضْرٍ، مَا تَعْمَلُونَ؟ قَالُوا: لا نَعْصِيكَ شَيْئًا، قَالَ: أَعْطُونِي عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِاللهِ، قَالَ: فَأَعْطَوْهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِاللهِ لا يَعْصُونَهُ شَيْئًا، قَالَ: فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً، وَرِيَاضًا خُضْرًا، فَمَكَثَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، الرَّحِيلُ، قَالُوا: إِلَىٰ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَىٰ مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُمْ، وَإِلَىٰ رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ، فَقَالَ جُلُّ الْقَوْمِ - وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ -: وَاللهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ، وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ - وَهُمْ أَقَلُّهُمْ -: أَلَمْ تُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِاللهِ لا تَعْصُونَهُ شَيْئًا، وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ، فَوَاللهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ، قَالَ: فَرَاحَ فِيمَنِ اتَّبَعَهُ، وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ، فَنَزَلَ بِهِمْ عَدُوٌّ، فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ»[(١)] ...».

إلىٰ أن قال - أي ابن رجب -: «قال داودُ الطائيُّ: إنَّما اللَّيلُ والنَّهارُ مراحلُ ينزلها النَّاسُ مرحلةً مرحلةً، حتَّىٰ ينتهيَ ذلك بهم إلىٰ آخر سفرِهم، فإنِ استطعتَ أنْ تُقدِّمَ في كلِّ مرحلةٍ زادًا لِمَا بين يديها، فافعلْ، فإنَّ انقطاعَ السَّفرِ عنْ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٧٦)، وفي «ذم الدُّنيا» (٨٨ عطا) مرسلًا عن الحسن.

وأخرجَه أحمدُ في «مُسندِه» (١/ ٢٦٧ قرطبة) (٢٤٠٢) بمعناه مُختصرًا مِن حديثِ ابن عبَّاس، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

قريبٍ ما هو، والأمرُ أَعجلُ مِن ذلكَ، فتزوَّدْ لِسفرِك، واقضِ ما أنتَ قاضٍ مِن أمْرِك، فكأنَّك بالأمْرِ قدْ بغتَك[١].

وقال بعضُ الحُكماء: كيفَ يفرحُ بالدُّنيا مَن يومُه يهدمُ شهرَه، وشهرُه يهدمُ سَنته، وسنتُه تهدمُ عمرَه؟! كيف يفرحُ مَن يقودُه عُمره إلىٰ أجلِه، وتقودُه حياتُه إلىٰ موتِه؟![٢]...

وَإنَّ امْـرَءًا قَـدْ سَـارَ سِـتِّينَ حِجَّـةٍ ... إِلَـىٰ مَنْهَـلٍ مِـنْ وِرْدِهِ لَقَرِيـبُ

قال بعضُ الحُكماءِ: مَن كانت اللَّيالي والأيَّام مطاياهُ، سارَتْ بِهِ وإنْ لم يَسِرْ[٣].

وفي هذا قال بعضُهم:

وَمَـا هَـذِهِ الأَيَّـامُ إِلَّا مَرَاحِـلُ ... يحثُّ بِهَا دَاعٍ إِلَىٰ الْمَوْتِ قَاصِدُ

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ - لَوْ تَأَمَّلْتَ - أَنَّهَا ... مَنَـازِلُ تُطْوَىٰ وَالمُسَافِرُ قَاعِدُ[٤]

وقال آخر:

نَسِيرُ إِلَىٰ الآجَـالِ فِـي كُـلِّ لَحْظَةٍ ... وَأَيَّـامُنَا تُطْـوَىٰ وَهُـنَّ مَرَاحِـلُ

وَلَـمْ أَرَ مِثْـلَ الْمَـوْتِ حَقًّـا كَأَنَّـهُ ... إِذَا مَـا تَخَطَّتْـهُ الأَمَـانِيُّ بَاطِـلُ

وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... فَكَيْـفَ بِـهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلُ

تَرَحَّلْ مِنَ الـدُّنْيَا بِزَادٍ مِـنَ التُّقَىٰ ... فَعُمْـرُكَ أَيَّـامٌ وَهُـنَّ قَلَائِـلُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزُّهد» (٤٤٠)، وفي «كلام اللَّيالي والأيَّام» (ص٣٠ ابن حزم) (٣٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/ ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (ص١٢٠) (٢٤٧).

(٣) أخرجه بنحوه الدِّينوريّ في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٢٩) عن الحسن.

(٤) ذكرهما ابن القيِّم في «مدراج السَّالكين» (٣/ ١٩٠ الكتاب العربي).

وأما قوله: «فخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك»، يعني: اغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت، وفي رواية: «فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا»[1]، يعني: لعلك غدًا من الأموات دون الأحياء.

وقد رُوي معنى هذه الوصية عن النبي ﷺ من وجوه، ففي «البخاري» عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «نِعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّة والفراغ»[2].

وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ قال لرجُل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك»[3].

وقال غنيم بن قيس: كنَّا نتواعظُ في أوَّل الإسلام: ابن آدم، اعملْ في فراغك قبل شُغلك، وفي شبابك لكبرك، وفي صحتك لمرضك، وفي دنياك لآخرتك، وفي حياتك لموتك[4].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «بادِرُوا بالأعمالِ ستًّا: طُلوعَ الشَّمسِ من مغربِها، أو الدُّخانَ، أو الدَّجَّالَ، أو الدَّابَّةَ، أو خاصَّةَ أحدِكُم

(1) أخرجه الترمذي (٢٣٣٣) من حديث ابن عمر، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٤١).

(2) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(3) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٦) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥).

(4) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، وأحمد في «الزهد» (١٣٧٩)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٠).

أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(١).

وفي الترمذي عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ»(٢).

والمرادُ من هذا: أنَّ هذه الأشياء كلَّها تعوقُ عن الأعمال، فبعضُها يشغل عنه؛ إمَّا في خاصَّة الإنسان؛ كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته، وبعضُها عامٌّ؛ كقيام الساعة، وخروج الدَّجَّال، وكذلك الفتنُ المزعجةُ كما جاء في حديث آخر: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»(٣)...

وبعضُ هذه الأمور العامَّة لا ينفع بعدها عملٌ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(٤).

وفي «صحيح مسلم» عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٦٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه أيضًا عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»(١).

وعن أبي موسى، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٢)...

وفي «المسند» عن عبد الرَّحمن بن عَوف وعبد الله بن عمرو ومعاوية، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ العَمَلَ»(٣).

وروي عن عائشة قالت: «إِذَا خَرَجَ أَوَّلُ الآيَاتِ، طُرِحَتِ الأَقْلَامُ، وَحُبِسَتِ الحَفَظَةُ، وَشَهِدَتِ الأَجْسَادُ عَلَىٰ الأَعْمَالِ»(٤)....

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ [الزُّمر: ٥٤ - ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٧٠٣).

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٧٥٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٩٢) (١٦٧١)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٥/ ٣٤).

(٤) أخرجه عبد الرَّزَّاق في «تفسيره» (٢/ ٧٢)، ونعيم في «الفتن» (١٨٢٢ الزهيري)، وابنُ أبي شَيبة في «مُصنَّفه» (٣٧٥٩٩)، والطَّبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٥).

تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]».

اهـ كلام ابن رجب.



الاستقامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٢ - ١١٦].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤].

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومنها قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

أمَّا الأحاديث؛ فمنها حديث: أنَّ رَجلًا قال للنَّبيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فَاسْتَقِمْ**»[(١)].

ومنها حديث: «**اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَىٰ الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[(٢)].

الاستقامة: هي الثَّبات علىٰ الحقِّ، والاتِّباعُ له، وعدم التَّأرجُح فيه.

وحقيقتُها: موافقة الله في أمره بالامتثال، وموافقة رسوله كذلك ﷺ، وموافقة الله ورسوله في نهيهما بالامتناع.

وأهمُّ ما يجب الثَّباتُ عليه: هو التَّوحيد، تعلُّمه حق العلم، والتَّعرُّف عليه حقَّ المعرفة، والحذر ممَّا يخدشه.

وأهم ما يجب الثبات عليه بعد ذلك هو الصَّلاة، والمحافظة عليها بأوقاتها وطهارتها وأدائها في المسجد كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) من حديث سُفيان بنِ عبدِ اللهِ الثَّقفيِّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٤).

وأهم ما يجبُ الثَّباتُ عليه بعد الصَّلاةِ: الزكاة، ثم الصوم، ثم سائر الأعمال، ومما يجب الثبات عليه التلقي، وأن يكون من الله ورسوله، لا من غيرهما.

وأهمُّ ما يُناقض الاستقامة: الشِّرك، وهو قسمان:

- شرك عبادة.
- وشرك تشريع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- العمل على ترسيخ الإيمان في القلب وزيادته.

٣- العمل بالصدق دائمًا، ومجانبة الكذب.

٤- أداء الأمانة، عبوديّةً لله رب العالمين. وهي قسمان:

* أمانة العبادة.
* وأمانة العمل.

٥- المحافظة على الصلاة في أوقاتها، وفي المساجد جماعة.

٦- التصدق بما يستطيع الإنسان ولو كان قليلًا.

٧- الحرص على العلم تنمية للمعلومات، للأحكام الشرعية التي نؤمر بها.

٨- الحكمة ولين القول في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٩- الصبر على ما ينال الآمر والناهي من ضعاف الإيمان من أذًى في نفسه أو في عرضه، فقد قيل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كذَّاب وكاهن وشاعر ومتقوِّل ومفترٍ وغير ذلك.

١٠- الحرص على الوقت من الضَّياع.



موعظة

عجبتُ ممَّن الدُّنيا مُدبرةٌ عنه، والآخرةُ مقبلةٌ إليه، وهو يتركُ المقبلةَ، ويشتغل بالمُدبرة.

قال عُمرُ بن عبد العزيز في خُطبةٍ: «إنَّ الدُّنيا ليستْ بدارِ قَرَارِكُم، كتَبَ اللهُ عليها الفَناءَ، وكتَبَ علىٰ أهلِها منها الظَّعن، فكم مِن عامرٍ موثقٍ عن قليلٍ يخربُ، وكم مِن مُقيمٍ مُغتبطٍ عن قليلٍ يَظعنُ، فأَحسنُوا - رحمكم اللهُ - منها الرِّحلةَ بأحسنِ ما بحضرتِكُم مِن النُّقلة، وتَزوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوىٰ»[1].

وقال عليُّ بن أبي طالب في خطبة له: «أمَّا بعدُ: فإنَّ الدُّنيَا قَدْ ارتَحَلَتْ مُدبِرةً، وإنَّ الآخرةَ قد ارتحلَتْ مُقبلةً... إلخ»[2].

قيل لمحمَّد بن واسع: كيف أصبحتَ؟ قال: ما ظنُّك برجلٍ يرتحل كلَّ يومٍ مرحلة إلىٰ الآخرة[3].

وقال داود الطَّائيّ: «إنَّما اللَّيلُ والنَّهارُ مراحلُ ينزلها النَّاسُ مرحلةً مرحلةً، حتَّىٰ ينتهيَ ذلك بهم إلىٰ آخر سفرِهم، فإنِ استطعتَ أنْ تُقدِّم في كلِّ مرحلةٍ زادًا لِمَا بين يديها، فافعَلْ، فإنَّ انقطاعَ السَّفر عنْ قريبٍ، والأمرُ أَعجلُ مِن ذلكَ،

---

(١) أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (١/ ٣٧٢) (٣٧٠)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه ابنُ المُبارك في «الزُّهد» (٢٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٤٤٩٥)، والبيهقي في الشعب (١٠١٣٠)، وأبو داود في «الزُّهد» (١٠٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٣٤٨).

فتزوَّدْ لِسفرِك، واقضِ ما أنتَ قاضٍ مِن أمرِك، فكأنَّكَ بالأمرِ قدْ بغتَك(١).

قال بعضُ الحُكماء: كيفَ يفرحُ بالدُّنيا مَنْ يومُه يهدمُ شهرَه، وشهرُه يهدمُ سَنتَه، وسنتُه تهدمُ عمرَه؟!(٢)

وقال الحسن: لم يزل اللَّيلُ والنَّهارُ سريعَينِ في نقص الأعمار، وتقريبِ الآجال، هيهات قد صحبا نوحًا وعادًا وثمودَ وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأصبحوا وقد قَدِموا علىٰ ربِّهم، ووردُوا علىٰ أعمالِهم، وأصبحَ اللَّيلُ والنَّهارُ غضَّيْنِ جديدَين، لم يُبلِهُما ما مرَّا به، مستعدَّين لمَن بقيَ بمثل ما أصابا به من مضىٰ(٣).

وكان أُويسٌ إذا قِيلَ له: كيف الزَّمانُ عليكَ؟ يقولُ: «كيفَ الزَّمانُ علىٰ رجل إنْ أَصبحَ ظنَّ أنْ لا يُمسي، وإنْ أمسىٰ ظنَّ أنْ لا يُصبحَ فمُبشَّرٌ بالجنَّةِ أو مُبشَّرٌ بالنَّارِ»(٤).

ولأبي العتاهية(٥):

وَمَــا أَدْرِي وَإِنْ أَمَّلْـتُ عُمْـــرًا ... لَعَلِّـي حِـينَ أُصْبِحُ لَسْـتُ أُمْسِـي
أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ كُــلَّ صَبَــاحِ يَــوْمٍ ... وَعُمْــرُكَ فِيــهِ أَقْصَــرُ مِنْــهُ أَمْـسِ

ولبعض السَّلف(٦):

إِنَّــا لَنَفْــرَحُ بِالأَيَّــامِ نَقْطَعُهَــا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَىٰ يُدْنِـي مِـنَ الأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّمَا الرِّبْــحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَـلِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزُّهد» (٤٤٠)، وفي «كلام اللَّيالي والأيَّام» (ص٣٠ ابن حزم) (٣٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/ ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (ص١٢٠) (٢٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الزُّهد» (٤٥٣)، وفي «كلام اللَّيالي والأيَّام» (ص٣٦ - ٣٧) (٥٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٨٣).

(٥) نسبهما له ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١١٣٦ الفحل).

(٦) انظر: «كلام اللَّيالي والأيَّام» لابن أبي الدُّنيا (ص٣٠ ابن حزم).

هوان الدُّنيا

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ، قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» رواه البخاري[١].

وعن المستورد بن شدَّاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «وَاللهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» رواه مسلم[٢].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» رواه مسلم[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» رواه مسلم[٤].

وعن أنس قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا» رواه مسلم[(١)].

وعن أبي هريرة قال رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفق عليه[(٢)]، إلَّا أنَّه عند مُسلِم «حُفَّتْ» بدل «حُجِبَتْ».

وعنه رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» رواه البخاري[(٣)].



---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري (٦٤٨٧) عن أبي هريرة رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ.
وأخرجه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس بن مالك رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

حكم اللَّهو واللَّعب

أمَّا بعدُ:

فإنه ممَّا يجبُ أنْ يُعلمَ أنَّ اللهَ بعثَ نبيَّه مُحمَّدًا بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيدًا، وأنَّه أكمَل له ولأُمَّته الدِّين، وأنَّه بشَّر بالسَّعادة لمَن أطاعه، وأخبر بالشَّقاوة الأبديَّة لمَن عصاه.

وأمَر الخلْق أنْ يَردُّوا ما تنازعوا فيه مِن دينِهم إلىٰ ما بعثَه به، وأخبر أنَّه يأمرُ بالمعروف وينهىٰ عن المُنكر، وأنَّه يُحلُّ لأمَّته الطَّيِّبات، ويُحرِّم عليهم الخبائث، وهذا أصلٌ عظيمٌ يجبُ أنْ يعلمه المسلمون، ويَعملُوا به؛ حرصًا علىٰ النَّجاة، وخوفًا من الهلكة؛ لأنَّه لا نجاةَ لأحدٍ مِن عذابِ اللهِ وغضبه إلَّا أنْ يعتصمَ بشرعِه، ويحذر مِن مُخالفتِه وعِصيانِه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠١ - ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأنَّ ممَّا يجب أن يعلم أنَّ اللَّهوَ واللعبَ محرَّمٌ؛ لما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث التي تذمُّ فاعل ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ

ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٤].

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

وقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠].

ومن السُّنَّة ما رواه البخاريُّ في صحيحه مُعلَّقًا بصيغة الجزْم: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ[١] وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَىٰ جَنْبِ عَلَمٍ[٢]، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ[٣] لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ[٤]، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ»[٥].

وما رواه الطَّيالسيُّ بلفظ: «يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ طُعْمٍ وَشُرْبٍ وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ، فَيُصْبِحُونَ قَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَيُصِيبَنَّهُمْ خَسْفٌ وَقَذْفٌ»[٦].



---

(١) الحر: الفرج، وأصله: الحرح، المعنىٰ: أنَّهم يَستحلُّون الزِّنا.

(٢) علم: جبل، أو هو رأس الجبل.

(٣) السّارحة: الغنم.

(٤) فيبيّتهم الله: يهلكهم في الليل.

(٥) أخرجه البخاريُّ معلّقًا (٥٥٩٠)، ووصلّه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٣٤١٧) وغيره. وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٩١).

(٦) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٢٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٢٦) من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه لشواهدِه الألبانيُّ في «تحرم آلات الطَّرب» (ص٦٧)، وانظر: «السلسلةالصَّحيحة» (١٦٠٤).

الوعيدُ على إضاعةِ الصَّلاة

أمَّا بعدُ:

فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أن الله توعَّد المضيِّعين للصلاة بأعظم وعيد فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ - ٧].

وقال: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠].

قال ابنُ كثير: «لمَّا ذكَر تعالىٰ حزبَ السُّعداءِ، وهمُ الأنبياءُ، عليهمُ السَّلامُ، وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ، مِنَ الْقَائِمِيْنَ بِحُدُودِ اللهِ وَأَوَامِرِهِ، الْمُؤَدِّينَ فَرَائِضَ اللهِ، التَّاركينَ لِزواجرِه - ذكَرَ أنَّه خَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ؛ أي: قُرونٌ أُخَرُ، ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَإِذَا أَضَاعُوهَا فَهُمْ لِمَا سِوَاهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَضْيَعُ؛ لِأَنَّها عِمَادُ الدِّينِ وَقِوَامُهُ، وَخَيْرُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَمَلَاذِّهَا، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا، فَهَؤُلَاءِ سَيَلْقَوْنَ غَيًّا، أَيْ: خَسَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقدِ اخْتلفُوا في المرادِ بإضاعةِ الصَّلاةِ هاهنا، فقالَ قائِلُونَ: المرادُ بِإضاعتِها تَرْكُها بالكلِّيَّةِ، قاله مُحمَّدُ بنُ كعبِ القُرَظي، وابنُ زيدِ بنِ أَسلَمَ، والسُّدِّيُّ، واختارَهُ ابنُ جريرٍ؛ ولهذا ذَهَبَ مَنْ ذهَبَ مِنَ السَّلفِ والخلَفِ والأئمَّةِ كما هو المشهورُ عن الإمامِ أحمدَ، وقولٌ عنِ الشَّافعيِّ إِلَىٰ تكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ،

لِلْحَدِيثِ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَركُ الصَّلَاةِ»(١)، والحديثِ الآخرِ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(٢)...

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيمرة فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾، قَالَ: إِنَّمَا أَضَاعُوا الْمَوَاقِيتَ، وَلَوْ كَانَ تَرْكًا كَانَ كُفْرًا»(٣).

قال كعب الأحبار: «واللهِ، إِنِّي لَأَجِدُ صفةَ المُنافقينَ في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: شَرَّابِينَ لِلقَهَوَاتِ، تَرَّاكِينَ لِلصَّلَوَاتِ، لَعَّابِينَ بِالْكَعَبَاتِ، رَقَّادِينَ عنِ الْعَتَمَاتِ، مُفَرِّطِينَ فِي الْغَدَوَاتِ، تَرَّاكِينَ لِلْجُمُعَاتِ»(٤).

وقال الحسنُ البصريُّ: «عطَّلُوا المساجدَ، ولَزِمُوا الضَّيعاتِ»(٥).

وقال مُجاهدٌ: «أُناسٌ مِن هذهِ الْأُمَّةِ، يَتَرَاكبونَ كالأنعامِ والحمُرِ في الطُّرُق، لا يَخافون اللهَ في السَّماء، ولا يَستحيُون من النَّاس في الأَرضِ»(٦).



(١) أخرجه مسلم (٨٢)، من حديث جابر.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٢١)، والنَّسائيّ (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، من حديث بريدة، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٤٣).

(٤) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٤٥).

(٥) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٤٥).

(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في «الدُّر المنثور» (١٠/ ٩٧ التركي).

مثلُ الحياةِ الدُّنيا

أيُّها النَّاسُ، إنَّكم لم تُخلقوا عبثًا، ولم تُتركوا سُدًى، وإنَّ لكم معادًا يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر مَن خرَج مِن رحمة الله التي وسعتْ كلَّ شيءٍ، وحُرم جنَّةً عرضُها السَّموات والأرضُ.

واعلمُوا أنَّ الأمانَ غدًا لِمَن خاف اليوم، وباع قليلًا بكثيرٍ، وفانيًا بباقٍ، وألَا ترون أنَّكم في أسلاب الهالكين تَتقلَّبون، وسيخلفُكم مِن بعدِكم الباقون، وكذلك حتَّىٰ يرثَ اللهُ الأرض، وهو خيرُ الوارثين، فوا أسفا علىٰ مَن باع آخرته بدُنياه! لقد باع كثيرًا بقليل، وباقيًا بفانٍ، فكِّروا فيما يمرُّ بكم مِن الحوادث والعِظاتِ، ألَا ترون أنَّكم في كلِّ يومٍ تُشيِّعون عاديًا أو رائحًا إلىٰ الله؟! قد قضىٰ نَحبَه، وبلَغ أجلَه، ثُم تُغيِّبونه في ضريحٍ مِن الأرض، وتَدعُونه غير موسَّد ولا ممهَّد، قد خلَع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب، مُرتهنًا بعمله، غنيًّا عمَّا ترَك، فقيرًا إلىٰ ما قدَّم.

عباد الله، ألا يكون لكم في ذلك عبرة علىٰ ضآلة الدُّنيا وحقارتها، وعِظَم الآخرة وخطرها! ألَا يكفيكم ما حدَّثكم الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١]؟!

عباد الله، إنّ الدُّنيا ممرٌّ، وليست بمقرّ، قال عنها نبيُّ الهُدىٰ ﷺ مُبيِّنًا ضعفَها وقلَّتها وحقارتَها: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**»(١).

وقال: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(٢).

وقال: « **مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(٣).

«**قال بعضُ المُتأخِّرين - في آية سُورة الحديد -: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعِب الصِّبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهوِ الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينةِ النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخرِ الأقرانِ، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدّهقان**»(٤).



---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٣٢٢)، وابنُ ماجه (٤١١٢)، مِن حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٧٩٧).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٣٢٠)، وابنُ ماجه (٤١١٠)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦٨٦و٩٤٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩١) (٣٧٠٩) من حديث ابن مسعود، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٤٣٨).

(٤) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٥٥ الكتب المصريَّة).

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المُنكرِ

(كلمة خاصَّة لشبكةِ سحاب السَّلفيَّة)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آله وصحبِه، وبعدُ:

فإنَّ الله أثنىٰ علىٰ أمَّة محمَّدٍ ﷺ أنَّها خيرُ أمَّةٍ أُخرجتْ للنَّاس، وجعَل أبْرزَ خِصالِها الَّتي استحقَّت بها هذا الثَّناءَ العاطرَ مِن ربِّ الأرض والسَّماءِ: الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكر، والإيمانَ بالله.

وإنَّ هذه الثَّلاثَ الخصالَ مُترابطةٌ، لا ينفكُّ بعضُها عن بعض، فكمَا فرَض اللهُ عليهم الإيمانَ، فإنَّه فرَض عليهم الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكرِ، فمِن لازِم الإيمانِ أنَّ صاحبَه لا بدَّ أنْ يكون آمِرًا بمعروفٍ، ومِن لازمِه أنْ يكونَ ناهيًا عن مُنكرٍ علىٰ مراتبِه الثَّلاثِ؛ في قوله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)].

وفي الحديث: «ثَلَاثٌ لا يُغلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالنُّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

قال في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦): «(صحيح) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم عن جُبير بن مُطعم، وأبو داود وابنُ ماجه عن زيد بن ثابت، والتِّرمذيّ

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وابن ماجه عن ابن مسعود»[١].

وفي الحديث أيضًا: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَوْ بَشَرٍ، أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ، أَوْ رَآهُ أَوْ سَمِعَهُ»[٢].

ولقدْ رأينا المثقَّفين، بل ممَّن تَغبطُهم على علمٍ وعقلٍ أقوامًا يتضايقون مِن ذِكْرِ الحزبيَّات الجديدة، وبيان ما فيها من أخطاءٍ، وما عليها مِن مُلاحظاتٍ ومآخذَ، فتراهم يتَّهمون مَن سلَك هذا المَسلك، وهو بيانُ ما في تلك المناهج مِن أخطاءٍ فاحشةٍ، بعضُها يُخرج مِن الإسلام؛ كالشِّرك الأكبر، وبعضُها يَخدشُه خدشًا ليس باليسير؛ كالبِدَع والتَّشريعات الَّتي وضعوها مِن عندِ أنفسِهم استحسانًا؛ كقول مؤسِّس المنهج الإخوانيِّ: نتعاونُ فيما اتَّفقنا عليه، ويعذرُ بعضُنا بعضًا فيما اختلفْنا فيه.

وقوله في شرط الطَّاعة مِن شُروط البَيعة العشرة، من «رسالة التَّعاليم» (ص ١٥ مجموع رسائل البنا) [ط/ الأندلس ١٣٨٤هـ]: «أريدُ بالطَّاعة امتثال الأمر، وإنفاذه توًّا في العُسر واليُسر، والمَنشط والمَكره» يعني: بِدونِ مُراجعةٍ ولا تَردُّدٍ.

وهذا الشَّرط مخالفٌ لتعاليم الإسلام، فقد كان النَّبيُّ ﷺ يُبايعُ أصحابَه على السَّمع والطَّاعة في العسر واليُسر، والمنشط والمكره، ويلقِّنُهم: فِيمَا اسْتَطَعْتَ[٣]،

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٨٤ قرطبة) وابن ماجه (٣٠٥٦) والحاكم (٢٩٤و٢٩٥و٢٩٦) عن جبير بن مطعم، وأبو داود (٣٦٦٠) - دون محل الشَّاهد - وابن ماجه (٢٣٠) عن زيد بن ثابت، والترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه - وليس فيه محل الشاهد - (٢٣٢) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه أحمد (١١٤٢٨ الرسالة)، وابن ماجه (٤٠٠٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٨).

(٣) أخرج البخاريُّ (٧٢٠٢)، ومسلمٌ (١٨٦٧) عن ابن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى

ويقول: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[(١)]، و«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»[(٢)]، فإذا بيَّن أحدٌ هذه التَّشريعات الغريبة عن الإسلام، ووضَّحها لطلَّاب العلم الَّذين يجهلون هذا، قالوا: هذا تفريقٌ للمسلمين، هذه غيبةٌ للدُّعاة!

أخي المسلم، أرجو أن تتذكَّر أنَّ الإسلامَ هو ما جاء به محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، لا ما استحسنه الشُّيوخُ، وجعلُوه شرعًا لأتباعِهِم، فمَن أسَّس دعوةً علىٰ نهجٍ مُخترعٍ مِن عندِ نفسِه، وأدخَل في الإسلامِ ما ليس منه، وأخرَجَ منه أساسَه الأعظمَ، وقاعدتَه الَّتي لا يقومُ إلَّا عليها؛ فإنَّ عملَه مردودٌ غيرُ مقبولٍ؛ لأنَّه فقَد أحد الأصلَين اللَّذين يقومُ عليهما كلُّ عمَلٍ؛ وهما الإخلاصُ لله، والصَّوابُ علىٰ ما جاء به محمَّد رسول الله ﷺ، ولسنا نتكلَّم عن الإخلاص؛ فهو أمرٌ يعلمُه اللهُ، ولكن نقولُ: إنَّ مَن ترَكَ الدَّعوةَ إلىٰ الله البادئَة بالتَّوحيد، وسكَت عن الشِّرك حتَّىٰ كأنَّه مباحٌ شرعًا، واشترط في دعوتِه شُروطًا ليستْ في كتاب الله؛ فإنَّ عمَلَه قد جانبَ الصَّوابَ، وخالَفَ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ في دعوتِه.

ثانيًا: يتظاهرون بالتَّنسُّك والتَّعبُّد؛ فيُغرون مَن لا يعرفُ حقيقةَ أمْرِهم، فينخدعُ بهم، وهُمْ في الحقيقةِ يَدعون إلىٰ خلافةٍ بدلًا مِن التَّوحيد، ويَرون الخروجَ علىٰ الوُلاة المُسلمين، ويُربُّون الشَّبابَ علىٰ بُغضِهم، ويُعدُّون العدَّة

=

السَّمْعِ والطَّاعَةِ»، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ».

وأخرجه أبو داود (٢٩٤٠) بلفظ: «وَيُلَقِّنُنَا فِيمَا اسْتَطَعْتَ».

(١) أخرج البخاري (٧١٤٥)، ومُسلمٌ (١٨٤٠) مِن حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٦٦) (٢٠٦٧٢ قرطبة)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٠ رقم ٣٨١ حمدي السَّلفي) واللَّفظ له، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. وأخرجه البغويُّ في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٤ أرنؤوط)، من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٦٩٦).

للخروج عليهم متى تهيَّأت الفُرَصُ.

ثالثًا: يجبُ على مَن يعلمُ هذه الحقائقَ بالدَّلائل والقرائن أنْ يُبيِّنَ أمْرَهم، ويُحذِّر منهم طاعةً لله، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المُنكر الَّذي أمَرَ اللهُ به، وجعَله مِن أبرَز صفاتِ هذه الأُمَّة.

رابعًا: نحنُ نَعتقدُ أنَّ مَن سكَت عن بيانِ هذه الأُمور وهو يَعلمُها أنَّه قد خان الأمانة الَّتي أوجب اللهُ عليه أداءها، في قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وخان الدَّولة، وخان المجتمعَ الَّذي هو فيه، وذلك في نفس الوقت خيانةٌ للدِّين الإسلاميِّ؛ لأنَّه تقصيرٌ في حمايةِ الدِّين مِن الدَّخيل.

خامسًا: ومَن سكَت عن هذه المناهج الَّتي فيها من المخالفات للدِّين الإسلاميّ في أصوله وفروعه وعقائده وأحكامه فإنه قد شجَّع الفساد، وأعان المُفسدين والمُحدِثين في الدِّين ما ليس منه.

سادسًا: وهو في هذه الحالةِ داخلٌ في اسم الكاتِمينَ الَّذين أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه يلعنُهم ويلعنُهم اللَّاعنون مِن عبادِه، حيثُ يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

سابعًا: ثبت في الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَه، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**»(١).

والسُّكوت عن هؤلاء إيواء للمحدِثين، وإعانةٌ لهم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فاحذرْ - يا عبدَ الله - أنْ تسكتَ عن الباطل وتُقرَّه؛ فتدخُلَ في عِدادِ مَن سمَّىٰ اللهُ، فتخسر في الآخرة، فإنَّ اليوم عمَلٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

وكتبه

أحمد بن يحيى بن محمَّد النَّجمي



أسباب النَّجاةِ من النَّار وأسباب دخولها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعينُ

أوَّلُ أسباب النَّجاةِ مِن النَّارِ: الإيمانُ بالله، ويدخلُ في الإيمانِ بالله:

١- الإيمانُ بوجودِه.

٢- الإيمانُ بأسمائه وصفاتِه.

٣- الإيمانُ بوحدانيَّته.

٤- التَّوجُّه إليه بالعبادة دون سواه؛ مِن صلاة وصومٍ.

٥- التَّحاكُم إلىٰ شرعِه.

٦- التَّلقِّي منه ومِن رَسولِه ﷺ.

وهذا مقتضىٰ الإخلاص والمتابعة لرسول الله اللَّذين هما شرطُ الولاءِ.

ثانيًا: مِن أسبابِ النَّجاةِ مِن النَّار: المحافظة علىٰ الصَّلاة في أوقاتها، قال تعالىٰ عن أهل النَّار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨].

ثالثًا: مِن أسبابِ النَّجاة مِن النَّار: الزَّكاة، وإعطاؤها لمُستحقِّيها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ لا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ...» الحديث[1].

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٩٨٧)، عن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لا يُؤَدِّي

رابعًا: من أسباب النَّجاة مِن النَّار: الصّوم: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(١).

خامسًا: مِن أسبابِ النَّجاة مِن النَّار: برُّ الوالدَين، الوالد بابٌ مِن أبواب الجنَّة.

سادسًا: من أسباب النَّجاة مِن النَّار: ترك الزِّنا والفواحش، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣].

سابعًا: مِن أسباب النَّجاة مِن النَّار: تركُ الرِّبا، وعدمُ أخْذِه وأكلِه.

ثامنًا: مِن أسباب النجاة من النار: ترك شربِ الخمر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

تاسعًا: من أسباب النجاة من النار: ترك أكل مال اليتيم ظلمًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

عاشرًا: من أسباب النَّجاة من النَّار: أداء الأمانة، وعدم الخيانة فيها، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

الحادي عشر: من أسباب النَّجاة من النَّار: العدلُ في الحُكم، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النّساء: ٥٨]، وقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

=

زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَىٰ سَبِيلَهُ؛ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ...».

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلمٌ (١١٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثَّاني عشر: من أسباب النَّجاة من النَّار: متابعة النَّبيِّ ﷺ، والتَّأسِّي والتَّشبُّه به، وبطريقته وأكله ولباسه وكل شيء في كلامه ومشربه ونومه ويقظته، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦].

ومِن أسباب دخولِ النار:

أوَّلًا: التشبه بالكفَّار من اليهود والنَّصارىٰ والمجوس، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٢]، إلىٰ أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

ثانيًا: الابتداع في الدين.

ثالثًا: الإعراض.



فضلُ الله ورحمتُه

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

قال ابن كثير: «يَقولُ تعالَىٰ مُمتنًّا علىٰ خلْقِه بِما أنزلَ إِلَيْهِمْ مِن الْقُرآنِ العظيمِ علىٰ رَسولِه الكريمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أَيْ: زَاجِرٌ عَنِ الْفَواحِشِ، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أَيْ: مِنَ الشُّبَه وَالشُّكُوكِ، وهو إِزالة ما فيها مِن رِجسٍ ودنسٍ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أَيْ: محصلٌ لَهَا الهدايةُ والرَّحمةُ مِن اللهِ تعالىٰ. وإِنَّما ذلكَ لِلمؤمنين به والمُصدِّقين المُوقنينَ بما فيه، كما قالَ تعالَىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: بِهذا الَّذي جاءَهمْ مِن اللهِ؛ مِن الهُدىٰ ودينِ الحقِّ فليفرَحُوا، فإِنَّهُ أَولَىٰ ما يَفرحُون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أَيْ: مِنْ حُطامِ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ الذَّاهِبَةِ لَا مَحالَةَ»(١) اهـ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٧٤ - ٢٧٥ سلامة).

ونَقَل القُرطبيُّ في «تفسيرِه»(١) عن أبي سعيد الخدريِّ وابن عبَّاس أنَّهما قالا: "«(فضل الله) القرآنُ، و(رحمته) الإسلامُ».

وعنهما أيضًا: «(فضل الله) القُرآن، و(رحمته) أنْ جعلكم مِن أهلِه».

وعن الحسن والضَّحَّاك ومُجاهِدٍ وقتادةَ: «(فضل الله) الإيمان، و(رحمته) القُرآن»"(٢).

قلتُ: والكلُّ صحيحٌ؛ فالقرآن فضلٌ مِن الله، تفضَّلَ بِهِ علىٰ عبادِه، فعلَّمهم منه ما لم يكونوا يعلمون، وشفاءُ صدورهم به من الشُّكوك والشُّبَه والحَيرَةِ، فإنَّ الإنسان قد يُفكِّر في بدْءِ الخلْق، كيف كان، فبيَّن اللهُ لنا بدْءَ الخلْقِ ونهايتَه.



---

(١) (٨/ ٣٥٣).

(٢) انظر هذه الأقوال في: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٩٤ - ١٩٨ هجر).

سؤال القبر

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ.

فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَىٰ بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي، فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي.

فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، فَيُقَالُ لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.

فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الْخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ».

أبو داود عن أنس. قال الألباني في «صحيح الجامع»: صحيح، ذكره برقم (١٩٢٦)[١].



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥١).

تراجم وسير

- سيرةُ الإمام المبجَّل أحمد بن محمَّد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ
- سيرةُ الإمام البخاريّ
- ترجمة الشَّيخ عبد الله القرعاويّ (وصايا لطلّاب العلم)

سيرة الإمام المُبجَّل
أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم، وبعدُ:

فقد طلَب منِّي المُشرفون علىٰ وقف السَّلام الخيري بمدينة الرِّياض أنْ أُترجم لعَلَمٍ مِن أعلام الحديث، وإمامٍ مِن أئمَّتهم، فاخترتُ أن أُترجم للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لِمَا لهذا الإمام من المحبَّة والقَبول والإجلال عند النَّاس جميعًا، وفي الأوساط العلميَّة خاصَّة، ورأيتُ أن تكون التَّرجمة مشتملةً علىٰ الأبحاث الآتية:

١ - التَّعريف بنسبه.

٢ - مولده.

٣ - نشأته.

٤ - بداية طلبه للعلم.

٥ - شيوخُه.

٦ - رحلته في طلب العلم.

٧ - حفظه للعلم.

٨ - ورعه، وثناء العُلماء عليه.

٩- أوصافُه الشَّخصيَّة.

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم.

١١- منعه مِن التَّحديث.

١٢- المحنة في عهد الواثق.

١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكّل على الله.

١٤- حال الإمام في دولة المتوكّل.

١٥- جهادُه لأهل البدع.

١٦- وفاته.

١٧- مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند».

وهذا أوان البدء في البحث فأقول:

١- التَّعريفُ بنسبِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الإمامُ محمَّد بنُ أحمد الذَّهبيّ المتوفَّىٰ سنة (٧٤٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «سيَر أعلام النُّبلاء» في (ج١١/ ص١٧٧ - ٢٢٧) رقم التّرجمة (٧٨): «هو الإمام حقًّا، وشيخُ الإسلام صدقًا: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة».

وبعض النَّسَّابين يقدِّم: ذهل بن شيبان.

وساق النَّسب إلىٰ: بكر بن وائل.

ثمَّ قال: «الذُّهليُّ الشَّيبانيُّ المروزيُّ، ثمَّ البغداديُّ، أحد الأئمَّة الأعلام.

هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في «تاريخه» وغيره»[1]. ويلتقي نسبه بنسب النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نزار بن معدِّ بن عَدنان.



(١) انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١١/ ١٧٧ - ١٧٨ الرسالة).

٢- مولده رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الإمامُ الذَّهبيُّ: «وكان محمَّد والدُ أبي عبد الله من أجناد مَرْو، مات شابًّا؛ له نحوٌ مِن ثلاثين سنةً، ورُبِّيَ أحمدُ يتيمًا، وقيل: إنَّ أمَّه تَحوَّلت من مرو وهي حاملٌ به»[1]، رحمها الله.

«... وقال أبو داود: سمعتُ يعقوب الدَّورقيّ، سمعتُ أحمد يقول: ولدتُ في شهر ربيع الأوَّل سنة أربعٍ وستِّين ومئة»[2].



---

(١) «السِّير» (١١/ ١٧٩).

(٢) «السِّير» (١١/ ١٧٩).

٣- نشأته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نشأ يتيمًا في حِجر أمِّه، ونقل صالحٌ عن أبيه أنَّه قال: ثَقَبت أُمِّي أُذني، فكانت تصيِّر فيهما لؤلؤتين، فلمَّا ترعرعت نزعتُهما، فكانتا عندها، ثمَّ دفَعَتْهما إليَّ، فبعتُهما بنحوٍ مِن ثلاثين درهمًا[١].



(١) انظر: «السِّير» (١١/ ١٧٩).

٤- بداية طلبه للعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الإمامُ الذَّهبيُّ: «طلبَ العلمَ وهو ابنُ خمس عشرةَ سنةً، في العام الَّذي مات فيه مالكٌ وحمَّاد بن زيد»[1].

قلت: كان ذلك في عام (١٧٩هـ).



(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٠).

٥- شيوخه

قال الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمع من إبراهيم بن سعد قليلًا، ومن هُشيم بن بشير، فأكثر وجوَّد، ومن عبَّاد بن عباد المهُلَّبي، ومعتمر بن سليمان التَّيمي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأيُّوب بن النَّجَّار، ويحيىٰ بن أبي زائدة، وعليّ بن هاشم بن البَريد، وقرَّان بن تمام، وعمَّار بن محمَّد الثوري، والقاضي أبي يوسف... »، وذكر عددًا من المشايخ الَّذين أخذ عنهم...

ثمَّ قال: فعدَّة شُيوخه الَّذين روىٰ عنهم في «المسند»: مئتان وثمانون ونيِّف...

حدَّث عنه البخاريُّ حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخَرَ في المغازي.

وحدَّث عنه مسلمٌ وأبو داود بجُملةٍ وافرةٍ.

وروىٰ أبو داود، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجه عن رجلٍ عنه.

وحدَّث عنه أيضًا ولداه؛ صالحٌ وعبدُ الله، وابنُ عمِّه حنبلُ بنُ إسحاق[1].

ومن شيوخه: «عبد الرزَّاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، وأبو عبد الله الشَّافعيّ؛ لكنَّ الشَّافعيَّ لم يُسمِّه؛ بل قال: حدَّثني الثِّقة.

وحدَّث عنه: عليُّ بن المديني، ودُحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواريّ، ومحمَّد بن يحيىٰ الذُّهلي، وأحمدُ بنُ إبراهيمَ الدَّورقيُّ، وأحمدُ بنُ الفُرات... »[2]، وذكَر جُملةً ممَّن حدَّثوا عنه، بعضُهم من شيوخه.

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٠ - ١٨١).

(٢) انظر: «السير» (١١/ ١٨١، ١٨٢).

«قال ابنُ أبي حاتم: أخبَرنا أبو زُرعةَ أنَّ أحمد أصلُه بصريٌّ، وخطَّته بمرو، وحدَّثنا صالحٌ سمعتُ أبي يقول: مات هُشيم، فخرجتُ إلىٰ الكوفة سنة ثلاثٍ وثمانين، وأوَّل رحلاتي إلىٰ البصرة سنة ستٍّ، وخرجتُ إلىٰ سُفيان سنةَ سبعٍ، فقدِمْنا وقد ماتَ الفُضيلُ بنُ عِياض، وحججتُ خمس حجج، منها ثلاثٌ راجلًا، أنفقتُ في إحداها ثلاثين درهمًا، وقدِمَ ابنُ المبارك في سنة تسعٍ وسبعين، وفيها أوَّل سماعي من هُشيم، فذهبتُ إلىٰ مجلس ابن المبارك، فقالوا: قد خرج إلىٰ طَرَسوس، وكتبتُ عن هُشيم أكثرَ مِن ثلاثة آلاف، ولو كان عندي خمسون درهمًا لخرجت إلىٰ جرير إلىٰ الرّيّ.

قلتُ: - أي: الذَّهبي -: قد سَمِع منه أحاديث، قال: وسمعتُ أبي يقول: كتبتُ عن إبراهيم بن سعد في ألواحٍ، وصلَّيت خلفَه غيرَ مرَّةٍ، فكان يُسلِّمُ واحدة.

وقد روىٰ عن أحمد من شيوخه ابن مهدي». اهـ[1].



(١) انظر: «السِّير» (١١/ ١٨٣).

٦- رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال المرّوذي: «سمعتُ أبا عبد الله يقول: مات هُشيمٌ ولي عشرون سنةً، فخرجتُ أنا والأعرابيُّ - رفيق كان لأبي عبد الله - قال: فخرجنا مُشاةً، فوصلنا الكوفة، يعني: في سنة ثلاثٍ وثمانين، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلْق، فأعطىٰ الأعرابي حجةً بستِّين درهمًا، فخرج وتركني في بيتٍ وحدي، فاستوحشتُ، وليس معي إلَّا جرابٌ فيه كُتبي، كنتُ أضعُه فوق لبنةٍ، وأضعُ رأسي عليه، وكنتُ أُذاكر وكيعًا بحديث الثَّوريِّ»(١).



(١) انظر: «السّير» (١١/ ١٨٦).

٧- حِفظُه للعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال المرُّوذي: «وذكر مرَّةً شيئًا، فقال: هذا عند هشيم؟ فقلتُ: لا.

وكان ربَّما ذكر العشر أحاديثَ فأحفظُها، فإذا قامَ قالُوا لي: فأمليها عليهم.

وحدَّثنا عبد الله بن أحمد، قال لي أبي: خُذْ أيَّ كتابٍ شئتَ مِن كتُب وكيع من المصنّف، فإن شئتَ أن تسألني عن الكلام حتَّىٰ أخبرك بالإسناد، وإن شئتَ بالإسناد حتَّىٰ أخبركَ أنا بالكلام»[1].

قلتُ: يريد بالكلام: المتن، أي: الحديث الَّذي يُتوصَّل إليه بالإسنادِ.

قال الإمامُ الذَّهبيُّ: «وسمعتُ أبا إسماعيل التِّرمذي يذكُر عن ابن نُمير قال: كنتُ عند وكيع، فجاءه رجلٌ - أو قال: جماعةٌ مِن أصحاب أبي حنيفة - فقالُوا له: هاهنا رجلٌ بغداديٌّ يتكلَّم في بعض الكوفيِّين! فلم يعرفه وكيعٌ، فبينا نحن كذلك؛ إذْ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو. فقال وكيعٌ: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له[2]. فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الَّذي يُنكرون، وجعَل أبو عبد الله يحتجُّ بالأحاديث عن النَّبيِّ ﷺ، فقالُوا لوكيع: هذا بحضرتك ترىٰ ما يقول! فقال - أي: وكيع -: رجلٌ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: أيش أقول له؟! ثمَّ قال: ليس القول إلَّا كما قلتَ يا أبا عبد الله. فقال القوم لوكيع: خدعك والله

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٦).

(٢) أوسعوا له.

البغداديُّ!»[١].

«وعن أحمد الدّورقي عن أبي عبد الله قال: نحنُ إذا كتبْنا الحديثَ مِن ستَّة وجوه أو سبعة لم نضبطه، فكيف يضبطه مَن كتبَه مِن وجهٍ واحدٍ؟!

قال عبدُ الله بنُ أحمد: قال لي أبو زُرعة: أبوك يحفظُ ألفَ ألفِ حديثٍ. فقيل: وما يدريك؟ قال: ذاكرته، فأخذتُ عليه الأبواب».

قال الإمام الذَّهبيُّ: «فهذه حكايةٌ صحيحةٌ في سَعَة علم أبي عبد الله، وكانوا يَعدُّون في ذلك المكرَّر والأثر وفتوىٰ التابعين، وما فُسِّر، ونحو ذلك، وإلَّا فالمتون المرفوعة القويَّة لا تَبلغ عُشر مِعشار ذلك»[٢].

«قال إبراهيم الحربيُّ: رأيتُ أبا عبد الله كأنَّ اللهَ جمَع له علم الأوَّلين والآخرين»[٣].

قال الخلَّال: «أخبرَنا المرُّوذي: سمعتُ محمَّد بن يحيىٰ القطَّان يقول: رأيتُ أبي مُكرمًا لأحمد بن حنبل، لقد بذل له كتبه، أو قال: حديثه.

وقال القواريريُّ: قال يحيىٰ القطَّان: ما قَدِم عليَّ من بغداد أحبّ إليَّ من أحمد بن حنبل.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعتُ أبي يقولُ: شقَّ علىٰ يحيىٰ بن سعيد يوم خرجتُ من البصرة.

وقال عمرو بن العبَّاس: سمعتُ عبد الرَّحمن بن مهديٍّ ذكر أصحاب

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٦، ١٨٧).

(٢) انظر: «السير» (١١/ ١٨٧).

(٣) «السير» (١١/ ١٨٨).

الحديث، فقال: أعلمهم بحديث الثَّوريِّ أحمدُ بن حنبل؛ قال: فأقبل أحمد بن حنبل، فقال: من أراد أن ينظر إلىٰ ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلىٰ هذا»[١].

وقال أبو الوليد الطيالسي: «ما بالمِصرَين[٢] رجلٌ أكرم عليَّ مِن أحمد بن حنبل»[٣].

قال عبد الله بن أحمد: «سمعتُ أبي يقول: قدمتُ صنعاء أنا ويحيىٰ بن معين، فمضيتُ إلىٰ عبد الرَّزَّاق في قريته، وتخلَّف يحيىٰ، فلمَّا ذهبتُ أدقُّ الباب؛ قال بقَّالٌ تجاه داره: مه، لا تدقَّ؛ فإنَّ الشَّيخَ يُهاب، فجلستُ حتىٰ إذا كان قبل المغرب خرَج، فوثبتُ إليه، وفي يدي أحاديثُ انتقيتُها، فسلَّمتُ، وقلتُ: حدِّثْني بهذه، رحمك الله، فإني رجلٌ غريب؛ قال: ومَن أنت؟ وزبرني[٤]. قلت: أنا أحمد بن حنبل. قال: فتَقَاصَر[٥]، وضمَّني إليه، وقال: بالله، أنت أبو عبد الله. قال: ثمَّ أخَذ الأحاديث، وجعل يقرؤها حتَّىٰ أظلم. قال للبقّال: هلمَّ المصباح! وكان عبد الرَّزَّاق يُؤخِّر صلاة المغرب»[٦].



(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) أي: البصرة والكوفة.

(٣) انظر: «السير» (١١/ ١٩٠).

(٤) أي: انتهرني.

(٥) أي: كفّ عن الحديث بشدّة، ولانَ له في الحديث.

(٦) انظر: «السير» (١١/ ١٩٢).

٨- ورَعُه، وثناءُ العُلماءِ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الإمامُ الذَّهبيُّ في «السِّير»: «قال الخلَّال: حدَّثنا الرَّماديّ: سمعتُ عبد الرَّزَّاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعتْ عيناه، فقال: بلغني أنَّ نفقتَه نفدَتْ، فأخذتُ بيده، فأقمتُه خلْف الباب، وما معنا أحدٌ، فقلتُ له: إنَّه لا تجتمعُ عندنا الدَّنانير؛ إذا بِعنا الغَلَّة أشغلناها في شيءٍ، وقد وجدتُ عند النِّساء عشرة دنانير فخذْها، وأرجو ألَّا تُنفقها حتىٰ يَتهيَّأ شيءٌ. فقال: يا أبا بكر، لو قَبلْتُ مِن أحدٍ شيئًا قَبلتُ منك.

وقال عبدُ الله: قُلتُ لأبي: بلغني أنَّ عبدَ الرَّزَّاق عَرَض عليك دنانير؟ قال: نعم.

وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئةِ درهم - أظنُّ - فلم أقبل، وأعطىٰ يحيىٰ بن معين وأبا مسلم، فأخذا منه»[١].

قال المرُّوذي: «قال لي أبو عبد الله: كنَّا عند يزيد بن هارون، فوهم في شيءٍ، فكلَّمتُه، فأخرَج كتابَه، فوجدَه كما قلتُ: فغيَّره، فكان إذا جلَس يقولُ: يا ابن حنبل، ادنُ هاهنا! ومرضتُ فعادني، فنطحه البابُ»[٢].

قال المرُّوذيُّ: «سمعتُ بعضَ الواسطيِّين يقولُ: ما رأيتُ يزيد بن هارون ترَك المزاح لأحدٍ إلَّا لأحمد بن حنبل»[٣].

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٢) انظر: «السير» (١١/ ١٩٤).

(٣) انظر: «السير» (١١/ ١٩٤).

وقال قُتيبةُ: «خيرُ أهل زماننا ابنُ المبارك، ثمَّ هذا الشَّابُّ، يعني: أحمد بن حنبل»(١).

وقال حرملةُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: خرجتُ مِن بغدادَ، فما خلَّفتُ بها رجلًا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقىٰ من أحمدَ بن حنبل»(٢).

وقال نصر بن علي الجهضميُّ: «أحمدُ أفضلُ أهل زمانه»(٣).

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: «سمعتُ محمَّد بن سختويه سمعتُ أبا عُمير بن النَّحَّاس الرَّملي، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: رحِمَه اللهُ، عن الدُّنيا ما كان أصبرَه! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصَّالحين ما كان ألحقه! عُرِضَتْ له الدُّنيا فأباها، والبدعُ فنفاها»(٤).

وقال قُتيبةُ: «لولا الثَّوريُّ لمات الورعُ، ولولا أحمدُ لأحدثوا في الدِّين؛ أحمدُ إمام الدُّنيا»(٥).

«ورُويَ عن إسحاق بن راهويه قال: أحمدُ حُجَّةٌ بين الله وبين خلقه...

وعن ابن المديني قال: أعزَّ اللهُ الدِّينَ بالصِّديق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المِحنة»(٦).

«وقال النُّفيليُّ: كان أحمدُ بن حنبل مِن أعلام الدِّين...

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر: «السير» (١١/ ١٩٥).

(٣) انظر: «السير» (١١/ ١٩٧).

(٤) انظر: «السير» (١١/ ١٩٨).

(٥) «السير» (١١/ ١٩٥).

(٦) انظر: «السير» (١١/ ١٩٦).

وقال عليُّ بن خشرم: سمعتُ بشر بن الحارث يقول: أنا أُسألُ عن أحمد بن حنبل! أحمدُ بن حنبل أُدخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر...

وقال ابنُ أبي حاتم: سألتُ أبي عن عليِّ بن المديني وأحمد بن حنبل، أيُّهما أحفظُ؟ فقال: كانا في الحفظ مُتقاربَين، وكان أحمدُ أفقهَ، إذا رأيتَ من يحبُّ أحمد، فاعلم أنَّه صاحبُ سنَّة.

وقال أبو زُرعةَ: أحمدُ بن حنبل أكبرُ من إسحاقَ وأفقهُ، وما رأيتُ أحدًا أكملَ مِن أحمدَ...

وقال ابنُ وارة: كان أحمدُ صاحبَ فقهٍ، صاحبَ حفظٍ، صاحبَ معرفةٍ.

وقال النَّسائيُّ: جمَع أحمدُ بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزُّهد والصَّبر»[١].

«قال الخلَّال: أخبرني محمَّد بن موسىٰ، قال: رأيتُ أبا عبد الله؛ وقد قال له خُراسانيٌّ: الحمدُ لله الَّذي رأيتُك. قال: اقعُد أي شيءٍ ذا، مَن أنا؟!

وعن رجُلٍ قال: رأيتُ أثَر الغمِّ في وجه أبي عبد الله، وقد أثنىٰ عليه شخصٌ، وقيل له: جزاكَ اللهُ عن الإسلام خيرًا. قال: بل جزىٰ اللهُ الإسلامَ عنِّي خيرًا؛ مَن أنا؟! وما أنا؟!

قال الخلَّال: أخبرنا عليُّ بن عبد الصَّمد الطَّيالسيُّ، قال: مسحتُ يدي علىٰ أحمد بن حنبل، وهو ينظرُ، فغضبَ، وجعَل ينفض يده، ويقول: عمَّن أخذتُم هذا؟!»[٢].

---

(١) انظر: «السِّير» (١١/ ١٩٧ - ١٩٩).

(٢) انظر: «السِّير» (١١/ ٢٢٥).

«قال عبدُ الله بن بشر الطَّالقاني: سمعتُ محمَّد بن طارق البغداديّ يقول: قلتُ لأحمد بن حنبل: أستمِدُّ من محبرتك، فنظر إليَّ، وقال: لم يبلغ وَرَعي وورعك هذا، وتبسَّمَ»[(١)].

«وقال عبدُ الله بنُ أحمد: سمعتُ أبي يقولُ: وَدِدْتُ أنِّي أنجُو مِن هذا الأمْر كفافًا، لا عليَّ ولا لي.

وعن المرُّوذي قال: أدخلتُ إبراهيم الحُصْري علىٰ أبي عبد الله - وكان رجلًا صالحًا - فقال: إنَّ أمِّي رأتْ لك منامًا هو كذا وكذا، وذكرتِ الجنَّة، فقال: يا أخي، إنَّ سهلَ بن سلامة كان النَّاس يُخبرونه بمثل هذا، وخرج إلىٰ سفك الدِّماء، وقال: الرُّؤيا تسرُّ المؤمن ولا تغرُّه»[(٢)].

وترجم للإمام أحمدَ ابنُ كثير من «البداية والنِّهاية» في (ج١٠/ ٣٥٩ - ٣٦٥ إحياء التراث)، وذكَر نسبَه كما قلناه من «سير أعلام النبلاء» إلىٰ بكر بن وائل، ثمَّ أوصله إلىٰ نزار بن معد بن عدنان، وأنَّه قدم به أبوه من مرو إلىٰ بغداد وهو حملٌ، فوضعته أمُّه ببغداد في عام (١٦٤هـ) في ربيع الأوَّل منه، وزاد: وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنوات، وكفلته أمُّه، وكان في حداثته يختلف إلىٰ مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك، وأقبل علىٰ سماع الحديث[(٣)].

«وقال ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن حرملةَ: سمعتُ الشَّافعيَّ قال: وعدني أحمدُ بن حنبل أن يَقدمَ عليَّ مصر، فلم يقدم. قال ابنُ أبي حاتم: يُشبه أن تكون

---

(١) انظر: «السِّير» (١١/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السِّير» (١١/ ٢٢٧).

(٣) انظر: «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٥٩).

خِفَّة ذات اليد منعته أنْ يَفِيَ بالعِدة.

وقد طاف أحمدُ بن حنبل في البلاد والآفاق، وسمع من مشايخ العصر، وكانوا يُجلُّونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سَرَد شيخُنا في «تهذيبه» أسماء شيوخه مُرتبين علىٰ حروف المعجم، وكذلك الرُّواة عنه.

قال البيهقيُّ بعد أنْ ذكَر جماعةً مِن شُيوخ الإمام أحمد: وقد ذكر أحمد بن حنبل في «المسند» وغيره الرِّواية عن الشَّافعيِّ، وأخذ عنه جملةً من كلامه في أنساب قريش...

قلتُ - القائلُ ابن كثير -: قد أفرد ما رواه أحمد عن الشَّافعيِّ؛ وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثًا، ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد عن الشافعي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**نَسَمَةُ المؤمِن طَائِرٌ تَعَلَّقُ في شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ [اللهُ] إلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ البَعْثِ**»[1].

وقد قال الشَّافعيُّ لأحمد لما اجتمع به في الرِّحلة الثَّانية إلىٰ بغداد سنة (١٩٠هـ)، وعمرُ أحمد إذ ذاك نيِّفٌ وثلاثون سنةً؛ قال له: يا أبا عبد الله إذَا صحَّ عندكم الحديث فأعلمني به؛ أَذهبُ إليه حجازيًّا كان أو شاميًّا أو عراقيًّا أو يمنيًّا»[2].

وقول الشَّافعيّ له هذه المقالة تعظيمٌ لأحمد وإجلالٌ له، وأنَّه عنده بهذه المثابة؛ إذا صحَّح أو ضعَّف يرجع إليه.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٥٥) (١٥٨١٦ قرطبة)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤١٣٨).

(٢) انظر: «البداية والنّهاية» (١٠/ ٣٦٠).

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروى البيهقيُّ عن الرَّبيع؛ قال: بعثني الشَّافعيُّ بكتابٍ مِن مصر إلىٰ أحمد بن حنبل، فأتيته، وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعتُ إليه الكتاب، فقال: أقرأته؟ فقلتُ: لا. فأخذَه، فقرَأه، فدمعتْ عيناه، فقلتُ: يا أبا عبد الله، وما فيه؟ قال: يذكر أنَّه رأىٰ رسول الله ﷺ في المنام، فقال: اكتب إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه منِّي السَّلام، وقلْ له: إنَّك ستُمتحَنُ وتُدعىٰ إلىٰ القول بخلْق القُرآن فلا تُجبْهم، يرفع اللهُ لك عَلَمًا إلىٰ يوم القيامة». اهـ[1].



(١) «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٦٥).

٩- أوصافه الشَّخصيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمامُ الذَّهبيُّ في «السِّيَر»: «قال ابنُ ذَرِيح العُكبريُّ: طلبتُ أحمدَ بن حنبل فسلَّمتُ عليه، وكان شيخًا مخضوبًا طُوالًا أسمر، شديد السُّمرة...

وعن محمَّد بن عبَّاس النَّحوي؛ قال: رأيتُ أحمد بن حنبل حَسَن الوجه، رَبْعَةً؛ يخضب بالحِنَّاء خضابًا ليس بالقاني، في لحيته شعَراتٌ سُودٌ، ورأيتُ ثيابه غِلاظًا بيضًا، ورأيتُه معتمًّا، وعليه إزار.

وقال المرُّوذيُّ: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامَّة جلوسه مُتربِّعًا، خاشعًا، فإذا كان برًّا لم يَتبين منه شدة خشوع، وكنت أدخلُ والجزء في يده يقرأ...

وقال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: تزوَّجتُ وأنا ابن أربعين سنةً، فرزَقَ اللهُ خيرًا كثيرًا.

وقال أبو بكر الخلال في كتاب «أخلاق أحمد»، وهو مجلَّد: أملىٰ عليَّ زهير بن صالح بن أحمد قال: تزوَّج جدي عبَّاسة بنت الفضل من العرب، فلم يُولد له منها غير أبي، وتوفيت، فتزوج بعدها ريحانة، فولدت له عبد الله عمِّي، ثمَّ توفيت، فاشترىٰ حُسْنَ، فولدت له أُمَّ عليٍّ زينبَ، وولدت له الحسن والحسين توأمًا، وماتا بقرب ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمَّدًا، فعاشا حتَّىٰ صارا من السِّنِّ نحو أربعين سنة، ثمَّ ولدت سعيدًا. قيل: كانت والدةُ عبد الله عوراء، وأقامت معه سنين». اهـ[(١)].

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ١٨٤، ١٨٥).

١٠ - ثباته في المِحنةِ في عهْد المُعتصِم

ذكَر ابنُ كثير في «البداية والنِّهاية» ما جاء في محنة أبي عبد الله؛ أحمد بن محمَّد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أيَّام المأمون، ثمَّ المعتصم، ثمَّ الواثق بسبب قولهم في القُرآن العظيم: إنَّه مخلوقٌ. وما أصابه بسبب ذلك من الحبس الطَّويل، والضَّرب الشَّديد، والتَّهديد بالقتل، وسوء العذاب، وأليم العقاب، وقلَّة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه، وصبره عليه، وتمسّكه بما كان عليه مِن الدِّين القويم والصِّراط المُستقيم، وكان أحمدُ عالمًا بما ورد بمثل حاله مِن الآيات المتلوَّة والأخبار المأثورة.. إلىٰ أنْ قال: «قال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: ١٧]».

ثمَّ أورد حديثَ سعد بن أبي وقاص عند أحمد في «مسنده» من طريق ابنه مصعب بن سعد، عن أبيه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ النَّاس أَشَدُّ بَلَاءً؟ فقَالَ: **«الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ»**[١]. اهـ[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٧٣) (١٤٩٤ قرطبة)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التَّعليقات الحسان» (٢٨٩٠): «حسنٌ صحيحٌ».

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٤).

قلتُ: وفي هذا الحديث بشارةٌ لأصحاب البلاء بوافر الأجر وعظيم الذُّخر عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيثُ قَرَنهم بالأنبياء.

وذكَر ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ص ٣٦٥) ملخَّص الفِتنة والمحنة من كلام أئمَّة السُّنَّة، فقال: «قد ذكرنا فيما تقدَّم أنَّ المأمونَ كان قد استحوذَ عليه جماعةٌ مِن المُعتزلة؛ فأزاغوه عن طريقِ الحقِّ إلىٰ الباطل، وزيَّنوا له القولَ بخلْق القُرآن، ونفي الصِّفات عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال البيهقيُّ: ولم يكن في الخُلفاء قبله مِن بني أميَّة وبني العبَّاس خليفةٌ إلَّا علىٰ مذهب السَّلف ومنهاجهم، فلمَّا ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء، فحملُوه علىٰ ذلك، وزيَّنوه له، واتَّفق خروجه إلىٰ طرسوس لغزو الرُّوم، فكتَب إلىٰ نائبه ببغدادَ إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب يأمرُه أنْ يدعُوَ النَّاس إلىٰ القولِ بخلْق القُرآن، واتَّفق له ذلك آخر عمُره قبل موته بشُهور من سنة ثماني عشرة ومئتين.

فلمَّا وصَل الكتاب - كما ذكرنا - استدعىٰ جماعةً من أئمَّة الحديث، فدعاهم إلىٰ ذلك فامتنعوا، فتهدَّدهم بالضَّرب وقَطْع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مُكرهين، واستمرَّ علىٰ الامتناع من ذلك الإمام أحمدُ بن حنبل، ومحمَّد بن نوح الجنديسابوري، فحُملا علىٰ بعيرٍ، وسُيِّرا إلىٰ الخليفة عن أمره بذلك، وهما مُقيَّدان متعادلان في مَحمل علىٰ بعيرٍ واحد.

فلمَّا كانا ببلاد الرَّحبة جاءهم رجلٌ من الأعراب من عُبَّادهم يقال له: جابر بن عامر، فسلَّم علىٰ الإمام أحمد، وقال له: يا هذا، إنَّك وافد النَّاس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنَّك رأسُ النَّاس اليوم؛ فإيَّاك أن تُجيبهم إلىٰ ما يَدعونك إليه فيُجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر علىٰ ما

أنت فيه؛ فإنَّه ما بينك وبين الجنَّة إلَّا أنْ تُقتلَ، وإنْ لم تُقتل تَمُتْ، وإن عِشتَ عِشتَ حميدًا.

قال أحمدُ: وكان كلامُه مما قوَّىٰ عزمي علىٰ ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الَّذي يدعونني إليه.

فلمَّا اقتربا مِن جيش الخليفةِ ونزلُوا دُونَه بمرحلةٍ، جاءَ خادمٌ وهو يَمسحُ دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفًا لم يسلَّه قبل ذلك، وأنَّه يُقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تُجبه إلىٰ القول بخلق القرآن ليقتلنَّك بذلك السَّيفِ.

قال: فجثا الإمامُ أحمدُ علىٰ رُكبتَيه، ورمَق بطرْفه إلىٰ السَّماء، وقال: سيدي، غَرَّ حلمُك هذا الفاجر؛ فتجرَّأ علىٰ أوليائك بالضَّرب والقتل؛ اللَّهمَّ فإنْ يكن القُرآنُ كلامُك غيرَ مخلوق، فاكفنا مُؤنَتَه.

قال: فجاءهم الصَّريخ بموت المأمون في الثُّلث الأخير من اللَّيل.

قال أحمد: ففرحنا.

ثمَّ جاء الخبرُ بأنَّ المعتصم قد وَليَ الخلافة، وقد انضمَّ إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأنَّ الأمرَ شديدٌ، فردُّونا إلىٰ بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارىٰ، ونالني منهم أذىٰ كثيرٌ، وكان في رِجلَيه القُيودُ.

ومات صاحبُه محمَّد بن نوح في الطَّريق، وصلَّىٰ عليه أحمد.

فلمَّا رجع أحمدُ إلىٰ بغداد دخلَها في رمضان، فأُودع في السِّجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: نيفًا وثلاثين شهرًا.

ثمَّ أُخرج إلىٰ الضَّرب بين يدي المُعتصم، وقد كان أحمدُ - وهو في السِّجن -

هو الَّذي يُصلِّي في أهل السِّجن والقيود في رجليه»[١].

ثمَّ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذِكْرُ ضَرْبِه رضي الله عنه بين يدي المعتصم: لمَّا أحْضرَه المعتصمُ من السِّجن زاد في قُيوده.

قال أحمد: فلم أستطع أنْ أمشيَ بها، فربطتها في التِّكَّة[٢]، وحملتُها بيدي، ثمَّ جاؤوني بدابَّة، فحُملتُ عليها، فكِدْتُ أنْ أسقُطَ علىٰ وَجْهي مِن ثِقَل القُيودِ، وليس معي أحدٌ يُمسكُني، فسلَّم الله حتىٰ جئنا دار المعتصم، فأُدخلتُ في بيتٍ، وأُغلق عليَّ، وليس عندي سراجٌ، فأردتُ الوضوءَ، فمددتُ يدي، فإذا إناءٌ فيه ماء، فتوضَّأت منه، ثمَّ قمتُ، ولا أعرف القِبلة، فلمَّا أصبحتُ، فإذا أنا علىٰ القبلة - ولله الحمد -، ثمَّ دُعيتُ فأُدخلتُ علىٰ المعتصم، فلمَّا نظَر إليَّ، وعنده ابنُ أبي دؤاد؛ قال: أليسَ قد زعمتُم أنَّه حَدَثُ السِّنِّ؟ وهذا شيخٌ مُكْهِلٌ!

فلمَّا دنوتُ منه، وسلَّمتُ، قال لي: ادنُه، فلم يزل يُدنيني حتَّىٰ قرُبتُ منه، ثمَّ قال: اجلِسْ.

فجلستُ، وقد أثقلَنِي الحديد، فمكثتُ ساعةً، ثمَّ قلت: يا أمير المؤمنين، إلىٰ ما دعا ابنُ عمِّك رسولُ الله ﷺ؟

قال: إلىٰ شهادةِ أنْ لا إله إلَّا اللهُ. قلتُ: فإنِّي أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله.

قال: ثمَّ ذكرْتُ له حديثَ ابن عبَّاس في وفد عبد القيس، ثمَّ قلتُ: فهذا الَّذي دعا إليه رسولُ الله ﷺ.

قال: ثمَّ تكلَّم ابنُ أبي دؤاد بكلامٍ لم أَفهمْه، وذلك أنِّي لم أتفقَّه كلامَه، ثُمَّ

---

(١) «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٦٥ - ٣٦٦).

(٢) التِّكَّة: رباط السَّراويل.

قال المعتصمُ: لولَا أنَّك كنتَ في يدِ مَن كان قبْلي لم أتعرَّض إليك، ثُمَّ قال: يا عبد الرَّحمن، ألم آمرك أنْ ترفعَ المحنةَ؟

فقلتُ: اللهُ أكبرُ! هذا فرجٌ للمسلمين.

ثمَّ قال: ناظِرْه يا عبد الرَّحمن، كلِّمه.

فقال لي عبدُ الرَّحمن: ما تقولُ في القُرآن؟

فلم أُجبْهُ، فقال المعتصم: أَجِبْه.

فقلتُ: ما تقولُ في العلم؟ فسكَتَ.

فقلتُ: القُرآن مِن علْم الله، ومَن زعَم أنَّ علْمَ الله مخلوقٌ فقدْ كفَر بالله، فسكَت.

فقالُوا فيما بينَهم: يا أميرَ المؤمنين، كفَّرك وكفَّرَنا، فلم يلتفِتْ إلىٰ ذلك.

فقال عبد الرَّحمن: كان اللهُ ولا قُرآن.

فقلتُ: كان اللهُ ولا علْمَ! فسكَت.

فجعلُوا يتكلَّمون مِن هاهنا، وهاهنا.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أَعطوني شيئًا مِن كتاب الله أو سنَّة رسول الله حتَّىٰ أقولَ به.

فقال ابنُ أبي دؤاد: وأنتَ لا تقولُ إلَّا بهذا وهذا؟

فقلتُ: وهل يقومُ الإسلامُ إلَّا بهما؟!

وجرتْ مُناظراتٌ طويلةٌ.

واحتجُّوا عليه بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]

وبقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعد: ١٦].

وأجاب بما حاصلُه: أنَّه عامٌّ مخصوصٌ بقوله[1]: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾

(١) هكذا في «البداية والنِّهاية»، والصَّواب: «بمثل قوله».

[الأحقاف: ٢٥].

فقال ابنُ أبي دُؤاد: هو - والله - يا أميرَ المؤمنين ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ، وهنا قُضاتُك والفقهاءُ فسَلْهُم.

فقال لهم: ما تقولون؟

فأجابُوا بمِثل ما قال ابنُ أبي دُؤاد، ثمَّ أحضروه في اليوم الثَّاني، وناظُروه أيضًا ثمَّ في اليوم الثَّالث، وفي ذلك كلّه يعلُو صوتُه عليهم، وتغلبُ حجَّتُه حُججَهم، فإذا سكتوا فتح الكلامَ عليهم ابنُ أبي دؤاد، وكان مِن أجهلِهم بالعِلم والكلام.

وقد تَنوَّعتْ بهم المسائل في المجادَلة، ولا عِلْمَ لهم بالنَّقل، فجعلوا ينكرون الآثار، ويردُّون الاحتجاج بها، وسمعتُ منهم مقالاتٍ لم أكُن أظنُّ أنَّ أحدًا يقولُها، وقد تكلَّم معي ابن غوث بكلامٍ طويلٍ ذَكَر فيه الجسم وغيره بما لا فائدةَ فيه.

فقلتُ: لا أدري ما تقولُ؟ إلَّا أنّي أعلمُ أنَّ الله أحدٌ صمدٌ؛ ليس كمثله شيءٌ، فسكتَ عنِّي.

وقد أوردتُ لهم حديث الرُّؤية في الدَّار الآخرة، فحاولُوا أنْ يضعِّفوا إسنادَه، ويُلفِّقوا عن بعض المُحدِّثين كلامًا يَتسلَّقون به إلىٰ الطَّعن فيه، وهيهات، وأنَّىٰ لهم التناوش من مكانٍ بعيدٍ.

وفي غضون ذلك كلّه يتلطَّف به الخليفة، ويقول: يا أحمد أَجِبْني حتَّىٰ أجعلَك مِن خاصَّتي، وممَّن يطأ بِساطي.

فأقول: يا أمير المؤمنين، يأتوني بآيةٍ من كتاب الله، أو سنَّةٍ عن رسولِ الله ﷺ حتَّىٰ أُجيبَهم إليها؟

واحتجَّ أحمدُ عليهم حين أنكرُوا الآثارَ بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم: ٤٢]، وبقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء: ١٦٤]، وبقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: ٤٠]، ونحو ذلك من الآيات.

فلمَّا لم يَقم لهم معه حجَّةٌ عَدلُوا إلىٰ استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذا كافرٌ ضالٌّ مُضلٌّ.

وقال له إسحاقُ بن إبراهيم نائبُ بغداد: يا أميرَ المؤمنين، ليس مِن تَدبيرِ الخِلافة أن تُخلِّي سبيلَه، ويَغلب خليفتين.

وعند ذلك حمي واشتدَّ غضبُه، وكان أَلينَهم عَريكةً، وهو يظنُّ أنَّهم علىٰ شيء.

قال أحمد: فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعتُ فيك أنْ تُجيبَني فلم تُجبْني.

ثمَّ قال: خذُوه، واخلعُوه، واسحَبُوه.

قال أحمدُ: فأُخذتُ وسُحبتُ وخلعتُ، وجيء بالعقابين والسِّياط، وأنا أنظر،... فجرَّدوني، وصرتُ بين العقابين، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، اللهَ، اللهَ! إنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلاثٍ**»[1]، وتلوتُ الحديث، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**»[2]، فَبِمَ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٢) (٣٦٢١ قرطبة): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحلُّ دَمُ امرئ مُسلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفسُ بالنَّفس، وَالتَّاركُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ»، وهو عند البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١١) (٦٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢١).

تَستحلُّ دَمي، ولم آتِ شيئًا من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكُر وُقوفَكَ بين يَدَي الله كوقوفي بين يديك! فكأنَّه أمسك.

ثمَّ لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، إنَّه ضالٌّ مُضلٌّ كافرٌ.

فأمرني، فقمتُ بين العقابين، وجيء بكُرسيٍّ، فأقمتُ عليه، وأمرني بعضُهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم، فتخلعت يداي، وجيء بالضَّرّابين ومعهم السِّياط، فجعَل أحدُهم يَضربُني سوطَينِ، ويقول له - يعني: المعتصم -: شُدَّ؛ قطع الله يديك!

وجاء الآخر فضربني سوطين، ثمَّ الآخر كذلك فضربُوني أسواطًا، فأغمي عليَّ، وذهب عقلي مرَارًا.

فإذا سكَن الضَّربُ يعود عليَّ عقلي.

فقام المعتصم إليَّ يدعوني إلىٰ قولهم، فلم أُجبْه، وجعلُوا يقولون: وَيْحك! الخليفة علىٰ رأسِك.

فلم أقبَلْ، وأعادوا الضَّرب، ثمَّ عاد إليَّ فلم أُجبْه، فأعادوا الضَّرب، ثمَّ جاء إليَّ الثَّالثة، فدعاني فلم أَعْقلْ ما قال مِن شدَّة الضَّرب، ثمَّ أعادوا الضرب، فذهَب عقلي فلم أُحسَّ بالضَّرب، وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأُطلقتُ، ولم أَشعُر إلَّا وأنا في حُجرةٍ من بيتٍ، وقد أُطلقَتْ القُيود من رِجلي، وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٢٢١هـ).

ثمَّ أمر الخليفةُ بإطلاقه إلىٰ أهله، وكان جُملة ما ضرب نيِّفًا وثلاثين سوطًا، وقيل: ثمانين سوطًا، لكن كان ضربًا مُبرّحًا شديدًا جدًّا، وقد كان الإمام أحمد رجلًا رقيقًا، أسمر اللَّون، كثير التَّواضع رَحِمَهُ ٱللَّهُ». اهـ[1].

(١) «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٣٦٦ - ٣٦٨).

١١- منعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التَّحديث

كنت أعتقدُ أنَّه مُنع من التَّحديث من دولة ذلك الزَّمن، وحسب ما قرأتُ لم أجدْ ما يدلُّ صراحةً علىٰ ذلك، والَّذي وجدتُه أنَّ الإمامَ أحمد لمَّا عاد إلىٰ بيته بعد الضَّرب جلَس في بيته؛ فلم يخرج منه لجمعةٍ ولا لجماعة، وامتنع من التحديث.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البداية والنِّهاية»: «ما كان مِن أمر الإمام أحمدَ بعدَ المحنةِ: حين خرَج مِن دار الخِلافةِ؛ صار إلىٰ منزلِه فدُووِيَ حتَّىٰ برِئ - ولله الحمد -، ولازم منزلَه، فلا يخرج منه إلىٰ جمعةٍ ولا جماعة، وامتنعَ مِن التَّحديث، وكانت غَلَّتُه مِن مِلْكٍ له في كلِّ شهرٍ سبعة عشر درهمًا ينفقها علىٰ عياله، ويتقنَّع بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ صابرًا مُحتسبًا، ولم يزل كذلك مدَّة خلافة المعتصم، وكذلك في أيَّام ابنه محمَّد الواثق»[١].



(١) «البداية والنّهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٢- المحنةُ في عهْد الوَاثِقِ

قال الإمام الذَّهبيُّ: «قال حنبل: لم يَزَلْ أبو عبد الله بعد أنْ برئ مِن الضَّرب يحضرُ الجمعة والجماعة، ويُحدِّث ويُفتي حتَّىٰ مات المعتصم، ووَلِيَ ابنُه الواثق، فأظهرَ ما أظهر مِن المحنةِ؛ والميل إلىٰ أحمد بن أبي دُؤاد وأصحابه، فلمَّا اشتدَّ الأمر علىٰ أهل بغداد، وأظهرت القضاةُ المحنة، وفُرِّق بين فضل الأنماط وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته؛ كان أبو عبد الله يَشهدُ الجمعة ويُعيدُ إذا رجع، ويقول: تُؤتَىٰ الجمعة لفضلها، والصَّلاةُ تُعاد خلفَ مَن قال بهذه المقالة.

وجاء نفرٌ إلىٰ أبي عبد الله، وقالُوا: هذا الأمرُ قد فشَا وتفاقم، ونحن نخافه علىٰ أكثرَ مِن هذا، وذكرُوا ابنَ أبي دُؤاد، وأنَّه علىٰ أن يَأمر المُعلمين بتعليم الصّبيان في المَكاتب: القُرآنُ كذا وكذا، فنحنُ لا نرضىٰ بإمارته، فمنعهم من ذلك وناظرهم.

وحكىٰ أحمدُ قصدَه في مُناظرتهم، وأمرهم بالصَّبر. قال: فبينا نحن في أيَّام الواثق؛ إذ جاءه يعقوب ليلًا برسالةٍ من الأمير إسحاق بن إبراهيم يقول: إنَّ أمير المؤمنين قد ذكرَك، فلا يَجتمعنَّ إليك أحدٌ، ولا تساكنِّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها؛ فاذهب حيثُ شئتَ مِن أرض الله، فاختفىٰ أبو عبد الله مدَّة حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، وقُتل أحمد بن نصر الخزاعي، ولم يزل أبو عبد الله مختفيًا

في البيت لا يخرج إلىٰ صلاةٍ ولا إلىٰ غيرها حتَّىٰ هلك الواثق»(١).

وعن أبي عبد الله البُوشنجي قال: «حدَّث أحمدُ ببغداد جهرةً حين مات المُعتصم، فرجعتُ مِن الكُوفة، فأدركتُه في رجب سنة (٢٧هـ) - يعني ومئتين -، وهو يُحدِّث، ثُمَّ قطع الحديث لثلاثٍ بقين مِن شعبان بلا مَنْعٍ؛ بل كتبَ الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلىٰ ابن أبي دؤاد: إنَّ أحمد قد انبسطَ في الحديث. فبلَغ ذلك أحمد، فقطع الحديث إلىٰ أنْ تُوفيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»(٢).



(١) «السّير» (١١/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) «السّير» (١١/ ٢٦٥).

١٣ - انتهاءُ المحنة بولاية المتوكِّل على الله

قالَ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال حنبل: وَليَ المتوكِّلُ جعفرٌ؛ فأظهر الله السُّنَّة، وفرَّج عن النَّاس، وكان أبو عبد الله يُحدِّثنا ويحدِّث أصحابه في أيَّام المتوكِّل، وسمعتُه يقولُ: ما كان النَّاس إلىٰ الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا. ثمَّ إنَّ المتوكِّل ذكَره، وكتَب إلىٰ إسحاق بن إبراهيم في إخراجه إليه، فجاء رسولُ إسحاق إلىٰ أبي عبد الله يأمرُه بالحضور، فمضىٰ أبو عبد الله، ثُمَّ رجَع، فسأله أبي عمَّا دُعي له؟ فقال: قرأ عليَّ كتابَ جعفر يأمرني بالخُروج إلىٰ العسكر، يعني: سُرَّ مَن رأىٰ.

قال: وقال لي إسحاقُ بن إبراهيم: ما تقولُ في القُرآن؟

فقلتُ: إنَّ أمير المؤمنين قد نهىٰ عن هذا...

قال أبو عبد الله: وقال لي إسحاقُ بنُ إبراهيم: لا تُعْلِمْ أحدًا أنِّي سألتُك عن القُرآن.

فقلتُ له: مسألة مسترشد، أو مسألة مُتعنِّت؟

قال: بل مسترشد.

قلت: القُرآنُ كلام الله، ليس بمخلوق». اهـ[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلمَّا وليَ المتوكِّل علىٰ الله الخلافة، استبشَر النَّاسُ بولايتِه؛ فإنَّه كان محبًّا للسُّنَّة وأهلها، ورفَع المحنة عن الناس، وكتَب إلىٰ

(١) «السير» (١١/ ٢٦٥).

الآفاق: لا يَتكلَّمُ أحدٌ في القَول بخَلْق القُرآن. ثمَّ كتَب إلىٰ نائبه ببغداد؛ - وهو إسحاقُ بنُ إبراهيم - أنْ يبعثَ بأحمدَ بن حنبل إليه، فاستدْعَىٰ إسحاق الإمام، فأكرمه وعظَّمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إيَّاه، وسأله فيما بينه وبينه عن القُرآن! فقال له أحمدُ: سؤالك هذا سُؤال تعنُّتٍ أو استرشاد؟ قال: بل سؤالُ استرشاد. فقال: هو كلام الله مُنَزَّلٌ، غيرُ مخلوقٍ. فسكَن إلىٰ قوله في ذلك، ثمَّ جهَّزه إلىٰ الخليفة إلىٰ (سُرَّ مَن رأىٰ)»[1].



(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٤ - حالُ الإمامِ أحمدَ في دَولةِ المُتوكِّل

قال الإمامُ الذَّهبيُّ: «قال صالحُ بن أحمد: قال أبي: قال لي إسحاق بنُ إبراهيم: اجعلني في حِلٍّ من حضوري ضربَك!

فقلتُ: قد جعلتُ كلَّ مَن حضرني في حِلٍّ.

وقال لي: من أين قلتَ: إنَّه غيرُ مخلوقٍ؟

فقلتُ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرَّق بين الخلق والأمر.

فقال إسحاق: الأمرُ مخلوق.

فقال: يا سبحان الله! أمخلوقٌ يخلق مخلوقًا؟!

قلتُ: يعني: إنَّما خلق الكائنات بأمره، وهو قوله: «كُنْ».

قال: ثمَّ قال: عمَّن تحكي أنَّه ليس بمخلوق؟

قلتُ: عن جعفر بن محمد، قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوق.

قال حنبل: ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتحمَّل به أو يُنفقُه، وكانت عندي مئة درهم، فأتيتُ بها أبي، فذهبَ بها إليه، فأصلح بها ما احتاج إليه، واكترىٰ[1] وخرج، ولم يمضِ إلىٰ محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم، ولا سلَّم عليه. فكتب بذلك محمد إلىٰ أبيه، فحقدها إسحاق عليه. وقال: يا أمير المؤمنين! إنَّ أحمد

---

(١) أي: استأجر دابَّةً يُسافر بها، أو استأجر مَن يحمله معه في سفره.

خرج من بغداد، ولم يأت مولاك محمدًا.

فقال المتوكل: يُردُّ، ولو وَطِئ بِساطي.

وكان أحمد قد بلغ بُصرىٰ[1] فرُدَّ، فرجع وامتنع من الحديث إلّا لولده ولنا، وربما قرأ علينا في منزلنا.

ثمَّ إنَّ رافعًا رفع إلىٰ المتوكِّل أنَّ أحمد ربَّص[2] عَلَويًّا في منزله، يُريد أن يُخرجَه ويبايع عليه.

قال: ولم يكن عندنا عِلمٌ، فبينا نحن ذات ليلة نيامٌ في الصَّيف سمعنا الجَلَبة، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا، فإذا به قاعدٌ في إزار، ومظفَّر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعةٌ معهم، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكِّل: وردَ علىٰ أمير المؤمنين أن عندكم عَلَويًّا ربَّصته؛ لتبايع له وتظهره.. في كلامٍ طويل.

ثمَّ قال له مظفّر: ما تقول؟

قال: ما أعرف مِن هذا شيئًا، وإنِّي أرىٰ له السَّمع والطَّاعة في عُسري ويُسري، ومنشطي ومكرهي، وأثرةٍ عليَّ، وإنِّي لأدعو الله له بالتَّسديد والتَّوفيق في اللَّيل والنَّهار.. في كلام كثير.

فقال مظفّر: قد أَمَرني أمير المؤمنين أن أُحلِّفَك.

قال: فَأَحْلَفَه بالطَّلاق ثلاثًا أنَّ ما عنده طلبة أمير المؤمنين.

ثمَّ فتَّشوا منزل أبي عبد الله والسّرب والغرف والسّطوح، وفتشوا تابوت الكتُب، وفتَّشوا النِّساء والمنازل، فلم يروا شيئًا، ولم يُحسُّوا بشيءٍ.

---

(١) بُصرىٰ المشهورة بالشَّام، وهذه بُصرىٰ أخرىٰ، مِن قُرىٰ بغداد، قُرب عكبرا. انظر: «معجم البلدان».

(٢) أي: خبّأه للوقت المناسب.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وكتب بذلك إلىٰ المتوكّل، فوقع منه موقعًا حسنًا، وعلم أنَّ أبا عبد الله مكذوبٌ عليه، وكان الَّذي دسَّ عليه رجلٌ مِن أهل البدَع، ولم يَمت حتّىٰ بيَّن اللهُ أمرَه للمُسلمين؛ وهو ابن الثَّلجِيِّ»[1].



(١) «السير» (١١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

١٥- جهاده لأهل البدَع

قال الذَّهبيُّ: «قال محمَّد بن إسماعيل التِّرمذيّ: كنتُ أنا وأحمدُ بن الحسن التِّرمذي عند أحمدَ بن حنبل، فقال له أحمدُ: يا أبا عبد الله، ذكرُوا لابن أبي قُتيلة بمكَّة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قومُ سوء. فقام أبو عبد الله ينفض ثوبه، ويقول: زنديقٌ، زنديقٌ! ودخل البيت»[(١)].

وقال الذَّهبيُّ: «قال أحمدُ بن محمَّد بن إسماعيل الأدميُّ: أخبرنا الفضلُ بن زياد، سمعتُ أحمد بن حنبل يقولُ: مَنْ ردَّ حديثَ رسول الله ﷺ فهو علىٰ شفَا هَلَكةٍ»[(٢)].

قال الحاكمُ: «حدَّثنا الأصمُّ، سمعتُ مُحمَّد بن إسحاق الصَّغاني، سمعتُ فورانَ صاحب أحمد يقولُ: سألنِي الأثرمُ وأبو عبد الله المعَيطي أن أطْلب مِن أبي عبد الله خلوة، فأسأله فيها عن أصحابنا الَّذين يفرقون بين اللَّفظ والمحكيّ؟

فسألتُه، فقال: كيف تُصرِّفَ في أقواله وأفعاله، فغير مخلوق، فأمَّا أفعالنا فمخلوقةٌ.

قلت: فاللفظيَّة تُعِدُّهم يا أبا عبد الله في جُملة الجهميَّة.

فقال: لا، الجهميَّة الَّذين قالُوا: القُرآنُ مخلوقٌ.

---

(١) «السّير» (١١/ ٢٩٩).

(٢) «السّير» (١١/ ٢٩٧).

وبه قال: وسمعت فُوران يقول: جاءني ابن شدَّاد برُقعةٍ فيها مسائلُ، وفيها أنَّ لفظي بالقرآن غيرُ مخلوق، فضرَب أحمدُ بنُ حنبل علىٰ هذه، وكتَب: القُرآن كلام الله غير مخلوق.

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: من زعم أنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، فقد كفَر.

وقال المرُّوذيُّ: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَن تعاطىٰ الكلام لا يُفلح، ومن تعاطىٰ الكلام لم يخلُ مِن أنْ يتجهَّم.

وقال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَن أحبَّ الكلام لم يُفلح؛ لأنَّه يؤُولُ أمرُهم إلىٰ حَيرةٍ؛ عليكم بالسُّنَّة والحديث، وإيَّاكم والخوض في الجدال والمراء؛ أدركنا النَّاس وما يعرفون هذا الكلام، عاقبةُ الكلام لا تؤولُ إلىٰ خيرٍ.

وللإمام أحمد كلامٌ كثيرٌ في التَّحذير مِن البدع وأهلها، وأقوال في السُّنَّة، ومَن نظر في كتاب «السُّنَّة» لأبي بكر الخلال رأىٰ فيه عِلمًا غزيرًا، ونقلًا كثيرًا، وقد أوردتُ - يعني: الذَّهبيّ - من ذلك جملةً في ترجمة أبي عبد الله في «تأريخ الإسلام»، وفي كتاب «العزَّة للعليِّ العظيم»، فتَرَني عن إعادته هنا عدم النِّيَّة، فنسألُ الله الهدىٰ وحُسن القصد. وإلىٰ الإمام أحمد المنتهىٰ في معرفة السُّنَّة علمًا وعملًا، وفي معرفة الحديث وفُنونه، ومعرفة الفقه وفُروعه، وكان رأسًا في الزُّهد والورع والعبادة والصِّدق»[1].

وقال الذَّهبيُّ: «قال المرُّوذيُّ: أخبرتُ أبا عبد الله أنَّ أبا شُعيب السُّوسي الرَّقي فرَّق بين بنته وزوجها لمَّا وقف في القرآن.

(١) «السير» (١١/ ٢٩١ - ٢٩٢).

فقال: أحسن؛ عافاه الله، وجعل يدعو له.

ولمَّا أظهر يعقوب بن شيبة الوقف، حذَّر عنه أبو عبد الله، وأمر بهجرانه.

ولأبي عبد الله في مسألة اللّفظ نُقُولٌ عِدَّة، فأوّل مَن أظهر مسألة اللّفظ: حسين بن علي الكرابيسي، وكان مِن أوعية العلم، ووضع كتابًا في المدلِّسين يحطُّ فيه على جماعة، فيه أنَّ ابن الزُّبير من الخوارج، وفيه أحاديثُ يقوِّي بها الرَّافضة، فأُعلم أحمد، فحذَّر منه، فبلغ الكرابيسي، فتنمَّر، وقال: لأقولنَّ مقالةً حتَّىٰ يقول ابنُ حنبل بخلافها فيكفر، فقال: لفظي بالقُرآن مخلوق. فقال المرُّوذي في كتاب «القصص»: فذكرت ذلك لأبي عبد الله أنَّ الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنَّه قال: أقولُ: إنَّ القُرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوق من كلِّ الجهات إلَّا أنَّ لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافرٌ. فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر، قاتله اللهُ، وأيُّ شيءٍ قالت الجهميَّة إلَّا هذا، وما ينفعُه، وقد نَقَضَ كلامُه الأخير كلامَه الأوَّل، ثمَّ قال: أيش خبر أبي ثور، أَوَافقه علىٰ هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام». اهـ[(١)].

وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال إسحاقُ بن إبراهيم البغويُّ: سمعتُ أحمد يقول: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وسمع سلمة بن شبيب أحمد يقول ذلك، وهذا متواتر عنه.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال: القرآن مُحدث؛ فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السرَّاج: سألت أحمد عمَّن يقول: القرآن مخلوق!

---

(١) انظر: «السير» (١١/ ٢٨٩) بتصرفٍ يسيرٍ.

قال: كافرٌ. ومَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق! فقال: جهميٌّ...

قلتُ - القائل: هو الذَّهبي -: الَّذي استقرَّ الحال عليه أنَّ أبا عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: مَن قال لفظي بالقُرآن غير مخلوق؛ فهو مُبتدعٌ.

وأنَّه قال: مَن قال لفظي: بالقُرآن مخلوقٌ فهو جهميٌّ.

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقول هذا، ولا هذا.

وربَّما أوضحَ ذلك، فقال: مَن قال: لفظي بالقُرآن مخلوقٌ - يُريد به القُرآن؛ فهو جهميٌّ.

قال أحمدُ بن زنجويه: سمعتُ أحمدَ يقولُ: اللَّفظيَّة شرٌّ مِن الجهميَّة»[1].

قلت: جهاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهل البدع كثير، وفيه كلامٌ كثير، وأقتصر على هذا خشية الإطالة.



(١) «السير» (١١/ ٢٨٨، ٢٨٩) باختصار.

١٦- وفاته

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مرضُه: قال: سمعتُ أبي يقول: استكملت سبعًا وسبعين سنةً، ودخلتُ في ثمان، فحُمَّ مِن ليلته، ومات اليومَ العاشر.

وقال صالح: لمَّا كان أوَّل ربيع الأوَّل من سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين حُمَّ أبي ليلةَ الأربعاء، وباتَ وهو محموم، يتنفس تنفُّسًا شديدًا، وكنت قد عرفت عِلَّته، وكنت أُمرِّضه إذا اعتلَّ، فقلت له: يا أبتِ، علىٰ ما أفطرت البارحة؟ قال: علىٰ ماء باقلاء»[1].

قلت: الباقلاء: هو الدّجر، في لهجة أهل الجنوب.

فكان الإمام أحمد زاهدًا، لا يَقبلُ مِن أحدٍ شيئًا، وكان يعيشُ علىٰ سبعة عشر درهمًا يأخذُها من إيجار البيوت خلَّفها له أبوه، والسبعة عشر درهمًا هي تساوي أربعة ريالات وربع، وكانت أهله تَغزل أحيانًا، وترسل غَزلها للسُّوق تبيعه بدرهمَين أو نحوهما، ولمَّا أُخذت ملابسُه وهو بمكة وافتقده بعض أصحابه، فبحث عنه، فإذا هو بخربة لم يستطع أن يخرج، فعَرَض أن يعطيه شيئًا، فأبىٰ، فقال له: قَرْضًا، فأبىٰ، فقال: أنسخ لك السَّمَاعات التي سمعناها من فلان، وأخذ منه علىٰ أنَّ ما أعطاه يكون أجرةً في النسخ، ولمَّا نفدت نفقته وهو بصنعاء، فعرض عليه شيخه عبد الرَّزَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ دنانير، فأبىٰ أن يَقبلها، وأجَّر

(١) «السير» (١١/ ٣٣٤).

نفسه من الجمَّالين، والحكايات في زهده وتقشّفه كثيرةٌ.

والمهمُّ أنَّه جلس يمُرَّض، وتوفّي في ضحىٰ يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأوَّل.

قال صالح: «واجتمعتْ عليه أوجاع الحصر[١] وغير ذلك، ولم يزلْ عقله ثابتًا، فلمَّا كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النَّهار توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٢].

وكانت جنازته حافلةً لم يُرَ مثلُها.

قيل: حُزِرَ الذين صلَّوا عليه من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النساء بستين ألف امرأة.

وقال الذهبي: «قال موسىٰ بن هارون الحافظُ: يقالُ: إنَّ أحمدَ لمَّا مات مُسحَتْ الأمكنةُ المبسوطةُ الَّتي وقَف النَّاسُ للصَّلاة عليها، فَحُزرَ مقاديرُ النَّاس بالمسَاحة علىٰ التَّقدير ست مئة ألف أو أكثر، سِوىٰ ما كان في الأطرافِ والحوالي والسُّطوح والمواضع المتفرِّقة أكثر مِن ألفِ ألفٍ»[٣].

وقال الذَّهبيُّ أيضًا: «وقال جعفرُ بنُ محمَّد بن حُسين النِّيسابوريُّ: حدَّثني فتحُ بن الحجَّاج، قال سمعتُ في دار ابن طاهر الأمير أنَّ الأميرَ بعَث عشرين رجلًا فحزرُوا كم صلَّىٰ علىٰ أحمد بن حنبل، فحزروا، فبلَغ ألفَ ألفٍ وثمانين ألفًا سِوىٰ مَنْ كان في السُّفُن، فقال: بلغوا ألف ألف وثلاث مئة ألف.

وقال عبد الرَّحمن بن أبي حاتم: سمعتُ أبا زُرعةَ يقولُ: بلغنِي أنَّ المتوكِّل

---

(١) الحصر: احتباس الحدَث في البطن.

(٢) «السير» (١١/ ٣٣٥).

(٣) «السِّير» (١١/ ٣٣٩).

أَمَر أن يُمسح الموضع الَّذي وقَف عليه النَّاسُ حيثُ صُلِّيَ علىٰ أحمد، فبلَغ مقام ألفي ألف وخمس مئة ألف.

وقال أبو بكر البيهقيُّ: بلغني عن أبي القاسم البغوِّي: أنَّ ابن طاهر أمر أن يُحزر الخَلق الَّذين في جنازة أحمد، فاتَّفقوا علىٰ سبع مئة ألف نفس». اهـ[1].

وأقولُ: إنَّ بعضَ الرِّوايات فيها مبالغة، ولعلَّ الرِّواية الأخيرة الَّتي هي سبع مئة ألف تكون أقرب إلىٰ الصَّواب، واللهُ أعلمُ.



(١) «السِّير» (١١/ ٣٤٠).

١٧- مؤلَّفاتُه

قال الذَّهبيُّ: «قال ابنُ الجوزيِّ: كانَ الإمامُ - أحمدُ - لا يَرىٰ وَضْعَ الكتُب، وينهىٰ عن كِتْبَة كلامِه ومسائلِه، ولو رأىٰ ذلك لكانتْ له تصانيفُ كثيرةٌ، وصنَّف «المسند» وهو ثلاثون ألفَ حديثٍ»[١].

قلتُ: كما في الطبعة المرقمة بـ (٢٨١٩٩) حديثًا، وهي طبعة بيت الأفكار الدَّولية للنَّشر والتوزيع.

واطَّلعنا علىٰ التَّرقيم في «المسند» المحقَّق في خمسةٍ وأربعين جزءًا، فوجدنا أنَّ الرَّقم الأخير (٢٧٦٤٧) حديثًا، بتحقيق شُعيب الأرناؤوط ومَن معه مِن المُحقِّقين، وذلك في طبعةٍ مؤسَّسة (الرِّسالة).

قال: «وكان - الإمام أحمد - يقولُ لابنه عبد الله: احتفظْ بهذا (المسند)؛ فإنَّه سيكونُ للنَّاس إمامًا، و(التَّفسير) وهو (١٢٠٠٠٠) ألف حديث - ولكنَّه مفقودٌ -، و(النَّاسخ والمنسوخ)، و(التَّاريخ)، و(حديث شعبة)، و(المُقدَّم والمؤخَّر في القُرآن)، و(جوابات القرآن)، و(المناسك) الكبير والصغير، وأشياء أُخَر»[٢].

وبالجملةِ: لم يَذكُر الذهبيُّ ردَّ الإمام أحمد علىٰ الجهميَّة.

«قلتُ [القائلُ: هو الإمامُ الذَّهبيُّ]: ومِن مؤلَّفاتِه: كتاب (الإيمان)، وكتاب

---

(١) «السير» (١١/ ٣٢٧).

(٢) «السير» (١١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

(الأشربة)، ورأيتُ له ورقةً مِن كتاب (الفرائض)، فتفسيره المذكور شيءٌ لا وجودَ له، لو وُجِدَ لاجتهد الفُضلاءُ في تحصيله، ولاشْتهَر، ثمَّ لو أَلَّف تفسيرًا لما كان يكون أزيد مِن عشرة آلافِ أثرٍ، ولاقتضىٰ أنْ يكونَ في خمس مجلدَّات»[1].



(١) «السِّير» (١١/ ٣٢٨) بتصرُّف يسير في أوَّله.

١٨- منهجُ الإمام أحمد في تأليف «المُسند»

التَّأليفُ ينقسمُ إلى أقسام:

١- التَّأليفُ علىٰ الأبواب: كتأليف صاحبي «الصَّحيحين»: البخاري ومسلم، وأصحاب السُّنن: أبي داود، والتِّرمذيّ، والنّسائيّ، وابن ماجه.

٢- التَّأليف علىٰ المسانيد: وهو أن تُجمع أحاديثُ كلِّ واحدٍ مِن الصَّحابة في مكانٍ واحدٍ، وهذه طريقة الإمام أحمد في «مسنده».

٣- التَّأليف علىٰ طريقة المعاجم: وهو أن يأتيَ بالأحاديث بحسَب معجم شُيوخه، والتَّرتيب قد يكون في المسانيد والمعاجم علىٰ حسَب الأقدميَّة في الفضل، أو الأقدميَّة في السِّنِّ، أو التَّرتيب علىٰ حروف المعجم.

وإنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رتَّب كتابه «المُسند» علىٰ مسانيد الصَّحابة كعادةِ أهل المسانيد: وهو أنْ يجعلَ حديث كلِّ صحابيٍّ علىٰ حدةٍ؛ صحيحًا كان أو حسنًا أو ضعيفًا مِن غير الِتفاتٍ إلىٰ الموضوعات والأبواب.

ويُتَّبع في ترتيب مسانيد الصَّحابة طرائق عدَّة:

- فقد تُرتَّب علىٰ حُروف الهجاء، أو علىٰ السَّابقةِ في الإسلام، أو الشَّرافة النَّسبيَّة، أو غير ذلك.

- وقد يقتصر في بعضِها علىٰ أحاديث صحابيٍّ واحدٍ؛ كمسند أبي بكر، أو أحاديث جماعةٍ منهم؛ كمسند الأربعة، أو العشرة، أو طائفة مخصوصة يجمعها وصفٌ واحد؛ كمسند المقِلِّين مِن الصَّحابة، ومسند الصَّحابة الَّذين نزلُوا

مصر[(١)].

«ويظهر أنَّ الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد توخَّىٰ ترتيب الصَّحابة في «مسنده» حسَب اعتباراتٍ عدَّة:

- منها: الأفضليَّة.
- والسَّابقة في الإسلام.
- والشَّرافة النَّسبيَّة.
- وكثرة الرِّواية.

إذ بدأ مُسندَه بمسانيد الخُلفاءِ الأربعة، ثمَّ مَسانيد بقيَّة العشرة المُبشَّرين بالجنَّة، ثمَّ مُسند أهل البيت، ثمَّ مسانيد المُكثرين مِن الرِّواية؛ كالعبادلةِ الأربعةِ: ابن عبَّاسٍ، وابن مسعود، وابن عُمر، وابن عمرو [ابن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ]، ثمَّ مسند المكِّيِّين، ثمَّ مسند المدنيِّين، ثمَّ مسند الشَّاميِّين، ثمَّ مسند الكوفيِّين، ثمَّ مسند البصريِّين، ثمَّ مسند الأنصار، ثمَّ مسند النِّساء»[(٢)].



---

(١) انظر: «الرسالة المستطرفة» (ص٦٠، ٦١).

(٢) انظر مقدمة «المسند» في (ج١/ ٥١) بتحقيق شُعيب الأرناؤوط ومَن شاركه.

الخاتمـة

الحمدُ لله علىٰ تمام هذه الترجمة لِعَلَمٍ من أعلام الملَّة، وإمامٍ من أئمَّتها؛ وقد حرصتُ علىٰ أن تكون هذه التَّرجمة مختصرةً، وإلَّا فإنَّ الكتابات عن الإمام أحمد كثيرةٌ، وقد ترجَم الذَّهبيُّ للإمام أحمد في «سِيَر أعلام النُّبلاءِ» في حوالي (١٨٠) صفحة، وخصَّص بعضُهم ترجمته في التَّأليف، فجاءت مجلَّدًا مُستقِلًّا.

وفي النِّهاية ينبغي أنْ نتَّخذَ مِن هذا الإمام الأسوةَ والقُدوة حيثُ كانتْ أخلاقُه وأعمالُه تُمثِّلُ السُّنَّة.

واللهُ المُوفِّق والمُعينُ؛ وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

كتبها

أحمد بن يحيى بن محمد بن شُبير النَّجمي

في ٣/ ٧/ ١٤٢٦هـ



سيرةُ الإمامِ البُخاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وُلد الإمامُ البخاريُّ عام ١٩٣ هـ، وذهب بصره في صغره، فرأت أمُّه إبراهيم الخليل يقول لها: يا هذه، قد ردَّ اللهُ علىٰ ابنِك بصرَه بكثرةِ دُعائك له، فأصبحَ وقد ردَّ اللهُ بصرَه[1].

كان سريعَ الحِفظِ جدًّا، فقد ردَّ علىٰ أحدِ مشايخه وهو ابنُ إحدىٰ عشرة سنة، «قال حاشدُ بن إسماعيل: كان البخاريُّ يَختلفُ معنَا إلىٰ مشايخ البصرة وهو غلامٌ، فلا يَكتبُ حتَّىٰ أتىٰ علىٰ ذلك أيَّام، فَلُمْنَاهُ بعدَ ستَّة عشر يومًا، فقالَ: قدْ أكثرْتُم عليَّ، فاعرضوا عليَّ ما كتبتُم، قال: فأخرَجناه، فزاد عَلىٰ خمسة عشر ألف حديثٍ، فقرأها كلَّها عنْ ظهْر قلْب حتَّىٰ جعلَنا نُحكِمُ كتُبَنا مِن حِفْظِهِ...

وقال محمَّد بنُ أبي حاتم عن البخاري: كنتُ في مجلس الفريابي، فقال: حدَّثنا سفيان، عن أبي عُروة، عن أبي الخطَّاب، عن أبي حمزة، فلم يعرف أحدٌ في المجلس مَن فوق سُفيان، قال: فقلتُ لهم: أبو عُرْوةَ هو معمر بن راشد، وأبو الخطَّاب هو قتادة بن دِعامةَ، وأبو حمزة هو أنسُ بن مالك، وكان الثَّوريُّ فعولًا لِذلك؛ يُكنِّي المشهورِين»[2].

---

(١) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٧٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٧٨).

ومِن أعجب ما حُكي عن حفظِه: أنَّه لمَّا قدِم بغداد عملوا له حفل استقبال، وعمدُوا إلىٰ مائة حديثٍ، فقلبُوا أسانيدها، وأعطوها لعشرةٍ، فلمَّا استقرَّ المجلس، قام أوَّل العشرة فسأله عن أوَّل حديث، فقال: لا أعرفه، ثمَّ الثَّاني، ثم الثَّالث، إلىٰ العاشر، وهو يقول: لا أعرفه، ثُمَّ قام الرَّجل الثَّاني، وسأله كذلك، وقال: لا أعرفه، حتَّىٰ انتهىٰ إلىٰ العشرة الرّجال، وهو لا يزيد علىٰ قوله: لا أعرفه، فلمَّا رأىٰ أنَّهم قد انتهوا، التفَتَ إلىٰ الأوَّل، فقال: قلتَ في الحديث الأوَّل كذا، والصَّواب كذا حتَّىٰ انتهىٰ، ثمَّ الرَّجل الثَّاني، ثمَّ الثَّالث...[1].

وضع أبو عبد الله «صحيحه» في المدينة عند قبر النَّبيِّ ﷺ، وكان لا يَكتُب حديثًا حتَّىٰ يغتسل ويُصلِّيَ ركعتَين.

وقال: «ألفتُ كتبي ثلاث مرَّات»[2]، حصل له في آخر عُمره فتنةٌ، وسعىٰ المُغرضون بينه وبين شيخِه محمَّد بن يحيىٰ الذُّهلي، ونقلوا عنه أنَّه قال: «لفظي بالقرآن مخلوقٌ»[3]، فوقعتْ بينهما وحشةٌ، ونهىٰ الذُّهليُّ عن مجالسة البخاري، وطلَب منه والي سمرقند أنْ يأتيَ إلىٰ منزله ليحدِّثه وأبناءَه بمصنَّفاته فأبىٰ، وقال: أنت أمير امْنَعنِي من التَّحديث حتَّىٰ تكون لي عند الله حجَّة في كتم العلم.

فنافاه الأمير من سمرقند، فخرج إلىٰ خرتنك، فمرض وتوفي بها ليلة عيد الأضحىٰ من سنة ٢٥٨هـ، وله من العمر ٦٢ سنة وثلاثة عشر يومًا.

مزيَّة «صحيح البُخاريّ» علىٰ غيره من الكتب المصنَّفة في الصحيح أو غيره،

---

(١) انظر القصَّة في: «فتح الباري» (١/ ٤٨٦).

(٢) انظر القصَّة في: «فتح الباري» (١/ ٤٨٧).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٩٠).

ويظهر ذلك بأمور:

أوّلها: تلقِّي الأمّة لـ«صحيح البُخاريِّ» بالقَبول، وتقديمه علىٰ «صحيح مسلم».

ثانيها: أنَّ مدار الحديث الصَّحيح علىٰ الاتِّصال، وإتقان الرِّجال، وعدم العِلل، وعند التَّأمُّل يظهر أنَّ «صحيحَ البُخاريّ» أتقنُ رجالًا، وأشدُّ اتِّصالًا من «صحيح مسلم»، وتبيَّن ذلك ممَّا يأتي:

١- أنَّ الرِّجال الَّذين انفرد البخاريُّ بالتَّخريج لهم دون مُسلم هم أربع مائة، وبضع وثلاثون رجلًا، المتكلَّم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلًا.

والذِّين انفردَ مسلمٌ بالإخراج لهم دون البخاريّ ست مائة وعشرون رجلًا، والمتكلَّم فيه بالضعف منهم مائة وستُّون رجلًا.

٢- أنَّ الرِّجال الَّذين تكلِّم فيهم عند البخاريِّ لم يخرج عنهم إلَّا قليلًا.

أمَّا الَّذين تُكلِّم فيهم عند مسلم فقد أخرج عنهم كثيرًا.

٣- أنَّ الَّذين تُكلّم فيهم عند البخاريّ أكثرهم من شيوخه الَّذين مارسهم، وعرف أحوالهم، أمَّا الذين تُكلِّم فيهم عند مسلم فأكثرهم من الطبقات العُليا الَّذين لم يعاصرهم، ولم يَلقَهم.

٤- أمَّا الاتّصال؛ فإنَّ مُسلمًا مذهبُه أنَّ الحديثَ المُعنعنَ حُكمُه الاتِّصال إذا كان الرَّاوي قد عاصر الراوي عنه، وإن لم يثبت لقاؤه ما لم يكن الرَّاوي مُدلّسًا، أمَّا البخاريُّ فلا يقبل ولا يخرّج في «صحيحه» إلّا ما ثبت لقاء الرّاوي لمَن روىٰ عنه.

٥- أمّا ما يتعلّق بالعلّة فإنَّ الأحاديثَ الَّتي انتُقدتْ عليهما بلغتْ مائتي حديث وعشرة أحاديث، اختصَّ بها البخاريّ من ذلك بأقلَّ من ثمانين، والباقي اختصَّ به مسلم.

ومِنْ أجْلِ ما ذكر فقد ذهب أكثر العُلماء إلىٰ تقديم البخاريِّ علىٰ مسلم، وهو مَذهبُ المشارقة عُمومًا، أمَّا المغاربةُ فقد ذهَب الكثير منهم إلىٰ تقديم مُسلمٍ علىٰ البُخاريّ.

ولقد أحسن مَن قالَ:

تَنَازَعَ قَوْمٌ فِي البُخَارِيْ وَمُسْلِمِ ... لَدَيَّ وَقَالُوا: أَيُّ ذَيْنِ يُقَدَّمُ

فَقُلْتُ: لَقَدْ فَاقَ البُخَارِيُّ صِحَّةً ... كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصِّنَاعَةِ مُسْلِمُ(١)

ترجمته:

هو محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفيّ.

معنىٰ «بردزبه»: الزُّارع، ونُسب إلىٰ الجعفيّين؛ لأنَّ جدَّه المغيرة أسلم علىٰ يد اليمان الجعفي؛ فنُسب إليه علىٰ مذهب من يرىٰ أنَّ من يرىٰ أنَّ من أسلم علىٰ يد شخص نُسبَ إليه بالولاء، ويسمونه: ولاء إسلام.

شرَط البخاريُّ أن يكون كل واحد ممَّن يُخرِّجُ لهم عدلًا تامَّ الضَّبط، متَّصل السند، غير معلّل، ولا شاذّ، وأن يكون كلُّ واحدٍ مِن الرُّواة قد ثبَت لقاؤه لشيخِه، ولم يكتف بمجرَّد المُعاصرة كما فعَل مُسلمٌ، فهو لا يَقبلُ الحديثَ المعنعن إلَّا إذا ثبَت لقاء الرَّاوي لمَن روىٰ عنه.

السَّببُ الباعثُ له على تأليف «الجامع الصَّحيح»:

قال: كنَّا يومًا عند إسحاق بن راهويه، فقال: لو أفردتُم الصَّحيح من سنَّة رسول الله ﷺ. قال: فمِن ثَمَّ وقع في نفسي ذلك، وبدأتُ في جمْع الصَّحيح(٢).

(١) انظر: «النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٧).

قال الحافظ نقلًا عن ابن الصَّلاح: «عدد أحاديث (صحيح البخاري) سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المكرَّرة»[(١)].

وتبعَه النَّوويّ وغيره، وتعقَّبه الحافظُ؛ فعدَّ جميعَ الكتُب والأحاديث التي فيها، وقال في آخر ذلك: «فجميعُ ما في الكتاب بالمكرَّر تسعةُ آلاف واثنان وثمانون حديثًا، وهذه العدَّة خارج عن الموقوفات على الصَّحابة والمقطوعات عن التَّابعين فمَن بعدَهم»[(٢)].

قلتُ: والعددُ الَّذي في «فتح الباري»، والَّذي اقتصر على الأحاديث المُسندة دون الموقوفات والمقطوعات مبتدئًا برقم (١)، ومنتهيًا برقم (٧٥٦٣) حديث أبي هريرة: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ»[(٣)].

ولا شكَّ أن هذا العدد المسلسل بالأرقام أضبط، أمَّا التَّعداد الأوَّل فهو عرضة للسَّهو والغلَط والتَّكرار أو الإسقاط، وبالله التَّوفيق.



---

(١) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٦٥).

(٢) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه البخاريُّ (٧٥٦٣).

ترجمة الشَّيخ عبد الله القرعاويِّ
(وصايا لطُلَّاب العلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام على رسولِ الله وعلى آله وصحبِه وبعْدُ:

وردَ إليَّ خطابٌ مِن مندوب جريدة (عُكاظ) بجازان، بدون رقم، بتأريخ (١٧/ ٨/ ١٤١٩هـ)، وهو المدعوّ: محمَّد بن عبد الرَّحمن الدُّريبي، قال فيه: «مع إطلالة شهر رمضان المبارك تعتزم جريدة (عكاظ) مِن خِلال صفحة الفكر، إلقاء الضَّوء على شخصيَّاتٍ إسلاميةٍ بارزةٍ أسهَمَتْ بجهودٍ وافرةٍ في مجالات الدَّعوة والتَّعليم؛ ومِن هذه الشَّخصيَّات المُميَّزة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لذلك نأملُ مِن فضيلتِكم التَّكرُّم بالإجابة على الأسئلة المرفقة، وأيَّ إضافاتٍ ترونها تُثري هذا الجانب الهامَّ مِن حياة شيخنا القرعاويِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ والتكرُّم بإرسال الإجابة إلينا مشفوعةً بصورةٍ شخصيَّة - وفَّقكم الله - مع كتابة الاسم والتَّوقيع، وهذه الأسئلة على النَّحو التَّالي:

س١/ نودُّ إعطاءنا نُبذةً عن بدايات هذا الدَّاعية بالمنطقة؟

س٢/ بحكم معرفتكم الشَّاملة بفضيلة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي نرجو أنْ تُبيِّنوا لنا: أين تلقَّى تعليمَه؟ وما هي البلدان الَّتي زارها لِتلقِّي العلم؟

س٣/ اختيار منطقة جازان لتكون مقصد دعوته لا زال محلَّ سؤالٍ، كيف

كان هذا الاختيار؟

س٤/ للشيخ عبد الله القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفاتٌ تُؤهِّله لمهمَّة الدَّعوة، فما هي هذه الصِّفاتُ؟ وكيف كان أسلوبُه في المعاملة مع النَّاس؟

س٥/ بصفتكم من أبرز تلاميذه منذ بداياتِ دعوته السَّلفيَّة بصامطة، نرجو أن تبيِّنوا لنا: كيف انطلقتْ تِلْك البدايات المحدودة في مجال الدَّعوة والتَّعليم؟

س٦/ كانت الحالة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة بالمنطقة في حالة ضعف شديد، ونحن نسأل ونقول: كيف تَغلَّب الشيخ عبد الله علىٰ تلك المصاعب؟ ومَن ساعده في هذا السَّبيل في ذلك الوقت؟

س٧/ أين كانت بدايات دور العلم الّتي أنشأها فضيلةُ الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنطقة؟ وما هي وسائل دعمها؟

س٨/ عُرِفتْ منطقةُ جازان بأنَّها بيئة عِلميَّة ذات عقيدةٍ سلفيَّةٍ صحيحةٍ، ولأهلها فطرةٌ سليمة، فهل ساعدتْ هذه العوامل علىٰ تسهيل مهمَّة الشَّيخ القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

س٩/ ما هي العوامل الَّتي أسهمتْ في نشاطات مدارس الشَّيخ عبد الله القرعاوي حتَّىٰ شملت المنطقة، وما جاوَرها مِن المناطق؟

س١٠/ ما مدىٰ تَقبُّل النَّاس وإقبالهم علىٰ دعوة الشَّيخ القرعاويّ بالمنطقة وما جاوَرها؟

س١١/ تعدَّدتْ وسائل الدَّعم ومؤازرة الدَّولة - وفَّقها الله - في عهد المغفور له - بإذن الله - الملك عبد العزيز والملك سعود رحمهما الله، تعدّد هذا الدَّعم بجهود الشَّيخ القرعاويّ ومدارسه؛ نودُّ أنْ تُحدِّثونا عن هذا الجانب؟

س١٢/ ما هي الثِّمارُ الَّتي جَنَتْها المنطقةُ، وكانت محصِّلةً لجهود الشيخ

القرعاوي وطلبته منذُ تأسيس مدارسِه ومعاهدِه العلميَّة؟

س١٣/ هل لكم - يا فضيلةَ الشَّيخ - مِن كلمةٍ أخيرةٍ تودُّ أن تقولَها وفاءً بحقِّ هذه الشَّخصيَّة المميَّزة في عطاءاتِها وجهودها المُوفَّقة؟



الإجابة على الأسئلة(١):

السُّؤال (١): نودُّ إعطاءنا نبذةً عن بدايات هذا الدَّاعية بالمنطقة؟

الجواب: لمَّا كانت التَّرجمة المطلوبة لشيخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان حقُّه عليَّ أكبرَ مِن ذلك بكثير فقد لبَّيْتُ الطَّلب؛ مُستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ، فأقولُ:

عبد الله بن محمَّد القرعاويّ، داعيةٌ معروف، ومعلِّمٌ قديرٌ، عرفته منطقة جازان منذ أن قَدِم إليها عام (١٣٥٨هـ).

البدايات ثلاث:

١- بداية حياته، وهي مولده.

٢- بداية طلبه للعلم.

٣- بداية دعوته في المنطقة.

وكأنَّ المقصود بداية دعوته في المنطقة، ولكن لابدَّ من إلمامةٍ سريعة بنسبه وولادته، وبداية طلبه للعلم.

فأمَّا نسبُه: فهو عبد الله بن محمَّد بن حمد بن محمَّد بن عثمان بن علي بن محمَّد بن نُجيْد القرعاوي، ولقِّبَ أحد أجداده بالقرعاوي؛ لأنَّه سكن قريةً يقال لها: القرعاء، من ضواحي بُريدَة.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم ١١ من ذي الحجَّة سنة (١٣١٥هـ)، ونشأ يتيمًا في كَنَف

---

(١) تنبيه: تمَّ إعادةُ كلِّ سؤال قبل إجابته؛ لتتَّضح الإجابة.

والدته، وإشراف عمّه، ذلك لأنَّ والدَه توفيَ وأُمّه حاملٌ به، وكانت امرأةً صالحةً، كما ذَكَر لنا، وقال: كانتْ بعد أن تُصلِّيَ الفجر لا تُباشر شيئًا من أعمالها حتَّىٰ تقرأ شيئًا مِن القُرآن.

فلمَّا بلغ سنَّ التمييز درس القُرآن الكريم، ثمَّ اشتغل بالتِّجارة مع عمِّه؛ لأنَّه كان فقيرًا حتَّىٰ بلغ من العمر خمسًا وثلاثين سنةً، ثمَّ بعد ذلك اتَّجه إلىٰ دراسة العلم الشَّرعيّ؛ فدرس علىٰ عُلماء بلده؛ منهم: عمر بن سليم وأخوه، والشيخ محمَّد بن إبراهيم المفتي السَّابق، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ عبد العزيز بن بشر.

وارتحل في طلب العلم مرَّتين إلىٰ الهند (مدينة دلهي)، ودرس في المدرسة الرحمانية بها.

وكانت رحلته الأخيرة في عام (١٣٥٥هـ)، قرأ فيها السِّتَّ الأمَّهات في الحديث، وقرأ شيئًا من علوم الآلة، وأخذ الإجازة في علم الحديث في ١٣/ ٧/ ١٣٥٧هـ ثمَّ عاد إلىٰ بلده السّعوديَّة.

والَّذي يظهر لي أنَّه لم يَمرَّ علىٰ أهله في عودته، وإن كان مرَّ عليهم فإنَّه لم يجلس عندهم، بل اتَّجه إلىٰ مكَّة، وجلس في مكتبة الحرم حوالي ستة أشهر - حسب ما ذَكرَ لنا - قرأ فيها كتبًا كثيرة، وقال لنا: إنَّه كان لحرصه علىٰ القراءة لا يريد أن يشتغل بشيء.

قال: فكنتُ إذا خرجتُ للصَّلاة أشتري خبزًا، وأفتُّه بالماء وآكله، فمكثتُ علىٰ هذا مدَّةً، فأحسست برأسي وشوشةً.

قال: فذهبتُ، فاشتريتُ تنكة سمنٍ؛ فكنت إذا أحسستُ بالجوع، آخذُ شيئًا من الخبز وأفتُّه بين السمن وآكله؛ فذهب عنِّي ما كنتُ أجدُ.

وفي هذه الأثناء فكَّر في الذَّهاب إلىٰ الجنوب، ولعلَّ الفكرة كانت تُراوده من قبل حين كان يدرس عند الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسمع في تلك الأثناء أنَّ في جنوب المملكة جهلًا كثيرًا؛ من شِرْكيَّاتٍ وبدعٍ وغيرها.

وفي هذه المدَّة عُرِضَتْ عليه الوظائف فأباها، واستشار شيخَه في الذَّهاب إلىٰ الجنوب، وقوَّىٰ مِن عزمه أنَّه رأىٰ النَّبيَّ ﷺ في النَّوم، وقال له في الرُّؤيا: اتَّجِهْ إلىٰ هذه الجهة! وأشار له إلىٰ الجنوب.

وفي يوم ٢٠ صفر اتَّجه إلىٰ جازان في سفينةٍ شراعيَّة، ولمَّا وصل جازان اشترىٰ بضاعةً، واستأجر عليها جمَّالِين يحملونها، ورافقهم حتَّىٰ وصل صامطة؛ فاستأجر دكَّانًا، وأنزلها فيه، وقدم علىٰ قاضي صامطة في ذلك الحين؛ إذْ وجد عنده طلَّابًا يدرسون شيئًا من المبادئ عنده، فكانت بداية تدريسه لهم؛ إذ كان القاضي مشغولًا لا يتفرَّغُ لهم إلَّا أحيانًا في المساء، وهذا مبدأ دعوته في الجنوب.

وقد أعطاه الشَّيخُ ناصر خلوفة طيَّاش مباركي جزءًا مِن داره، يبني فيه مدرسةً؛ فبنىٰ فيها عريشًا، ومكث يدرِّس، وتسامع به النَّاس، وجاء إليه الرَّاغبون في طلب العلم، وكان في البداية معه ستةٌ أو سبعة؛ هم: ناصر خلوفة، وعُثمان حملي، وحسن حملي، ومحمَّد ماطر، ومحمد عثمان نجار، ومحسن حملي، ويحيىٰ حسن مذكور، وقد انضاف إليهم من الجرّادية ثلاثة: هم محمَّد جابر صغير، ومنصور بهلول، ومرعي بن أحمد القحطاني. ومن النّجاميَّة: حسن محمَّد شبير نجمي، وأخوه حسين محمَّد شبير نجمي.

وفي شهر رمضان عام (١٣٥٨هـ) سافر الشَّيخ لزيارة أولاده، وعاد في ذي الحجّة سنة (١٣٥٨هـ)، ومرَّ بمكة، فأخذ شيئًا من الكتب وعاد إلىٰ الجنوب،

وبنى عريشًا كبيرًا مضافًا إلى العريش الأوَّل، وبدأ التَّدريس في المدرسة في شهر ربيع الأوَّل عام (١٣٥٩هـ)، ولكن كثر الطَّلبة في عام (١٣٦٠هـ).

وكنتُ ممَّن انتظم في المدرسة باستمرار في أوَّل عام (١٣٦٠هـ)، ودخلتُ والشَّيخُ حافظ ما زال يتداوى مِن الخِتان.

***

السُّؤال (٢): بحُكم معرفتكم الشَّاملة بفضيلة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ نرجو أنْ تُبيِّنُوا لنا: أين تلقَّى تعليمَه؟ وما هي البُلدانُ الَّتي زارها لِتلقِّي العلْم؟

الجواب: قد أشرتُ في بداية طلبه للعلم: أنَّه درس في المملكة على بعض عُلماء القصيم، وهم: عمر بن سليم وأخوه، وكان يدْرُس في الرِّياض - أحيانًا - على الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم المفتي السَّابق، وأنَّه درس في قطر على الشيخ محمَّد بن مانع، وعلى الشيخ عبد العزيز بن بشر في الأحساء، وأنَّه سافر إلى الهند لِطلَب العلم مرَّتين، وذكَر لنا أنَّه تعلَّم الكتابة في مدرسة الحلواني في مكَّة، وقد تجوَّل في كثير مِن البلدان، منها: مصر والشَّام وفلسطين والعراق؛ ليجد عالمًا سلفيًّا يدْرسُ عليه، فلم يجِدْ.

وأخيرًا، اتَّجه إلى المدرسة الرَّحمانيَّة في الهند، وهي مدرسةٌ يُدرَّس فيها الحديث على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة؛ فدرس بها أوَّل مرَّة، ورجع إلى بلده حين كتبت له أمُّه، فرجَع، ووجد أنَّها قد تُوفِّيتْ قبل وُصولِه بأيَّام قليلةٍ.

وسافر للهند السَّفرةَ الأخيرةَ في سنة (١٣٥٥هـ)، ومكث فيها سنتين أو أكثر، قرأ فيها الأمَّهات، وأخذ الإجازة في ١٣/ ٧/ ١٣٥٧هـ مِن شيخِه أحمد الله بن

أمير القرشيّ.

لربَّما قال قائلٌ: فلِمَ لَم يطلب العلم في الأزهر، وهو المنارة المعروفة بالعلم آنذاك؟

وأقولُ: إنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأ في بلد توحيد، وتعلَّم التَّوحيد والعقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة علىٰ مشايخ، وعرف أنَّ الدِّراسة في الأزهر علىٰ العقيدة الأشعريَّة، ورأىٰ من الشِّركيَّات في الأضرحة والمشاهد ما لا صَبر له عليه، وفي مصر مِن البدع المنتشرة ما قد جعلها النَّاس سُننًا؛ فرأىٰ ما لا طاقة له أنْ يتصدَّىٰ لها وينكرها، وإنْ سكتَ رأىٰ أنَّ السُّكوتَ علىٰ مثل ذلك أمرٌ عظيمٌ.

ثمَّ سافر إلىٰ بلاد فلسطين يسألُ عن شيوخ العلم، فدُلَّ علىٰ شيخٍ، فلمَّا دخل عليه وجده جالسًا في وسط الحلقة، فقال: مِن أين جئتَ؟ قال: من الجزيرة العربيَّة. قال: مِن أين منها؟ قال: مِن نجدٍ. قال: أنت مِن الَّذين يأكلون الشَّعير. قال: نعم. فقال له الشيخ: أتأذَنُ يا شيخ؟ قال: نعم. قال: أليس النَّبيُّ ﷺ أكَل الشَّعير؟ قال: بلىٰ. قال: أليس حين مات كان درعُه مرهونةً في ثلاثين صاعًا من شعير أخذها نفقةً لأهله؟ قال: بلىٰ. قال: فلم تُعيِّرنا بأكل الشَّعير؟! ألَا تعلمُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عن الجلوس وسط الحلقة؟ فقال: بلىٰ. فأفحمَه.

والمهمُّ: أنَّه قد سافر من حينه، فمرَّ علىٰ بيت المقدس وعكَّا وديار بكرٍ وحلب ودمشق وغير ذلك، لكن لم يجدْ المشايخ السَّلفيِّين الَّذين يرضىٰ بالتَّلقِّي عنهم.

هذا فيما يظهر لي أنا، وإلَّا فإنَّه لم يُشافهني بذلك، ولكنَّها الحقيقة.

***

السُّؤال (٣): اختيار منطقة جازان لتكون مقصد دعوتِه لا زال محلَّ سؤالٍ، كيف كان هذا الاختيارُ؟

الجواب: أوَّلًا وقبل كلِّ شيء تلك عناية الله ومشيئته، أراد أنْ ينقذَ بدعوتِه أقوامًا مِن الشِّرك والبدع والجهل والظُّلم، إلىٰ التَّوحيد والسُّنَّة والعلم والعدل، ففعل.

جاء إلىٰ أقوامٍ متلهِّفين للعلم والمعرفة أشدّ مِن عطش الأرض المُجدبةِ الَّتي تتلهَّف للماءِ، فما هي إلَّا أيَّامٌ قلائلُ؛ فإذا هي قد توشَّحت بالخضِرِ والأزاهير، وما هي إلَّا أيَّامٌ قلائل وإذا بأُولئك الرِّجال قد انصبغَتْ قلوبُهم بصبغة الإيمان، وتعطَّرت ألسنتُهم وأفواههم بتلاوةِ القُرآن، وتَضوَّعتْ جوارحهم بعبادة الرَّحمن، وكانوا دعاةً إلىٰ التَّوحيد حربًا علىٰ أهل السِّحر والشَّعوذة وعبادة القبور والأوثان.

ولقد حصل لهم في أوَّل الأمر ولشيخهم مِن أنواع الأذىٰ ما حصَل، ونالُوا مِن ذلك ما قد ضرَب اللهُ به في كتابه المَثل.

ولقد حصل لهم بوجود الدَّولة الَّتي ما زالت تُؤيِّدهم وتُعضدهم خيرٌ كثير، وصرف الله عنهم بذلك شرًّا مستطيرًا.

وأخيرًا، توطَّدتْ دعائمُ دعوته، وانتشرتْ في جميع المنطقة، بل وخارجها بانتشار المدارس الَّتي انتشر بها التَّوحيد، والحمد لله علىٰ ذلك، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومع ذلك فقد جعل اللهُ لكلِّ شيءٍ سببًا، وكان السَّبب في اختيار هذه المنطقة بالذَّات بعد قضاء الله وقدره: أنَّ الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يجلس عند الشيخ محمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيسمع من أخبار المنطقة الجنوبيَّة، وأنَّه يسودُ

ويفشو فيها الشِّركُ والبدعُ والظُّلم، وتنتشر فيها الملاهي والألعاب، ويختلطُ فيها الرِّجال بالنِّساء، وتقع بسبب ذلك مناكر عظيمةٌ، وتُمنعُ المرأة من إرث أبيها، إلىٰ غير ذلك، فألقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في قلب شيخنا ما جعله يُفكِّرُ في ذلك كثيرًا حتَّىٰ رأىٰ تلك الرُّؤيا، وهو مجاورٌ في الحرم، ويقرأ في مكتبة الحرم اللَّيل والنَّهار؛ فزاد ذلك مِن رغبته، واستشار شيخه المفتي السَّابق الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأشار عليه، ودعا له بخيرٍ؛ فقوِيَ العزم، وتوطَّدت النِّيَّة، وكان الإيمان عميقًا، والمحبَّة في الجهاد كبيرة، وحبُّ التَّضحية كثيرًا، فأحيا الله به قلوبًا، ونوَّر الله بعلمه أفئدةً، حتَّىٰ إنَّه - فيما أظنُّ - قلَّما أمسىٰ رجلٌ ولا امرأة في منطقة جازان إلَّا وله في عنقه مِنَّة؛ لأنَّه إمَّا أن يقرأ فيستفيد، وإمَّا أن يَسمع فيستفيد بالسَّماع.

***

السُّؤال (٤): للشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفاتٌ تُؤهِّله لِمُهمَّة الدَّعوةِ، فما هي هذه الصِّفاتُ؟ وكيف كانَ أُسلوبُه في المُعاملة مع النَّاس؟

الجوابُ: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفَّقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ صفات الدَّاعية المأمور بها شرعًا، وإنْ كان بعضُها يَتنافىٰ مع جِبلَّته الَّتي خُلِقَ عليها أصلًا؛ فتخلَّق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بضدِّها؛ فمثلًا كان الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل في خُلقِه حِدَّة، ولكنه تَخلَّق بالصَّبر والحِلم تأسِّيًا بالرُّسُل - صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين - كما في قولِه جلَّ مِن قائل: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فنقول:

أولًا: إنَّ مِن أبرز صفات الشَّيخ الَّتي نال بها ما نال: الصَّبرَ؛ فقد كان يُخبرُنا أنَّ فلانًا وقع فيه(١) وافترىٰ عليه بأشياءَ؛ فيأتي إليه ذلك الشَّخص فيقوم إليه ويُرحِّب به ويُعانقُه، وكأنَّ شيئًا لم يَحدُث.

ثانيًا: ومن تلك الصِّفات الحِلم؛ فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حِليمًا، يَحلم عمَّن أساء إليه.

ثالثًا: قوَّة التَّحمُّل؛ فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قويَّ التَّحمُّل ويقابل الإساءة بالإحسان.

رابعًا: عُمق الإيمان، الذي يجعله يتحمَّل الأمور العظيمة من غير تضجُّرٍ رجاءَ للثَّواب وعظيم الأجر مِن الله؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلت: ٣٤، ٣٥].

خامسًا: الأناة في الأمور، وعدم التَّسرُّع فيها؛ فقد كان يأتيه أحدُ طلَّابه مُنفعلًا، فيهدِّئه ويُصبِّره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ يَتبيَّن للطَّالب فيما بعد أنَّ الصَّوابَ كان معه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سادسًا: الكرم، وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكرم رؤساء القبائل إذا بدا مِن رئيس القبيلة معارضة لأمرٍ مِن أُمور الدَّعوة، وقد أرسل أحد طُلَّابه إلىٰ قريته ليفتح مدرسةً، فلمَّا علم شيخ القريةِ قال لجماعته - وكانوا أصحاب ماشيةٍ -: خَلُّوا - أي: اتركوا - أولادكم يُسرِّحون ماشيتكم، ما تنفعكم إلَّا دوابّكم؛ لا تطاوعوا جماعة القرعاوي.

فجاء الطَّالب يشكو ما لَقيه من شيخ القرية وأهلها، فلقيَ الشَّيخ بعد ذلك رئيس القرية الذي قال ما قال، فاستقبله واحتضنه ورحَّب به، ثمَّ أعطاه حبَّة جنيه

---

(١) أي: في عرضه بالغيبة والبهتان.

ذهب، وقال له: خُذْ هذه ولا يراها أحد، ولا تُخبر بها أحدًا، ولم يَقل شيئًا بخصوص المدرسة، فلمَّا رجع أرسل لأعيان قبيلته فحضروا، فقال لهم: أرسلوا أولادكم إلىٰ المدرسة، والدَّوابّ اجعلوا فيها أُجراء؛ فالعلم هو الذي سينفع أولادكم، هذا الشيخ القرعاوي دُرَّةٌ ونعمةٌ ساقها الله إليكم.

نحو هذا بلغني مِن ثِقةٍ مِن طُلَّاب الشَّيخ، وممَّن هم قريبُون من هذه القبيلة، وهذا يدلُّ علىٰ ما كان يَتمتَّع به شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن حكمةٍ وحُسن تَصرُّفٍ، وهذا كان في أوَّل الأمر.

ولمَّا أُعطي مدارس في عهد الملك سُعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يجعل رئيس القبيلة مُراقبًا، وبعض الأعيان فرَّاشًا، وهذا يُقاوله علىٰ إحضار الماء؛ فوظَّف رؤساء القبائل وأعيانهم، فصاروا كلُّهم خَدَمًا للدَّعوة.

***

السُّؤال (٥): بصفتكم من أبرز تلاميذه منذ بدايات دعوته السَّلفيَّة المباركة نرجو أن تُبيِّنوا لنا: كيف انطلقت تلك البدايات المحمودة في مجال التَّعليم والتَّعليم؟

الجوابُ: كانتْ دعوةُ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعتمدُ علىٰ التَّعليم أكثرَ منها علىٰ الكلمات الوعظيَّة؛ فكان يُركِّز علىٰ تعليم مجموعةٍ مِن الشَّباب، ويختار منهم مَنْ يرىٰ أنَّه قد فهم شيئًا من أصول الدِّين - فيرسله مُعلِّمًا وداعيًا إلىٰ إحدىٰ القرىٰ، فيفتح له مدرسةً.

وكان في مساء يوم الخميس من بعض الأسابيع يذهب مع بعض تلاميذه الكبار إلىٰ إحدىٰ القرىٰ - فيلقي عليهم المواعظ بخصوص التَّوحيد والصَّلاة

وصفتها وغير ذلك.

وربَّما يُعطي بعض تلاميذه إشارةً بالخروج يوم الجمعة، وإذا سمعوا بمشعوذٍ طاردوه؛ فإمَّا أن يُلقوا عليه القبض ويذهبوا به إلى الأمير أو القاضي فيسجنه، أو يفرَّ إذا كان مِن غير أهل البلدِ فلا يعودُ.

***

السُّؤال (٦): كانت الحالة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة بالمنطقة في حالة ضعف شديد، ونحن نسأل ونقول: كيف تغلَّب الشَّيخُ عبدُ الله على تلك المصاعب؟ ومن ساعده في هذا السَّبيل في ذلك الوقت؟

الجوابُ: كان الأمر كما قلتُ، ولكن كانت عنايةُ الله عَزَّوَجَلَّ بذلك الدَّاعية ودعوته عظيمة؛ لأنَّه على حقٍّ، ويدعو إلى حقٍّ؛ فألهمَه اللهُ جَلَّوَعَلَا أنَّه إذا كان خصبٌ وزراعةٌ في ناحيةٍ من النَّواحي القريبة مِن صامطةَ، نقل المدرسة إلى القرية المخصبة، واجتمع بكبار أهل القرية وأغنيائهم، ورغَّبهم فيما عند الله، وحثَّهم على مُساعدة طلَّاب العلم، وكلُّ واحدٍ منهم يأخذُ مِن الطُّلَّاب الَّذي يستطيعُ عليه؛ واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر.

ولمَّا عمَّ القحطُ في الجهات في عام (١٣٦٢هـ) فتح مدرسة في البيض، وجعَل بعض طلبته مُدرسًا فيها، ثمَّ افتتح مدرسةً في ضمد، وهكذا.

وفي رَحلته الأخيرة كان له مالٌ قليلٌ، وكان يعطي بعض أصحاب البيع والشِّراء في صامطة مُضاربة، وكان يجمع ما حصل له، ويشتري ذرة في أيَّام الحصاد عند رخص الذُّرة، ويشتري قوطة كثيرة - أي: طماطم -، ويُعامل بائعات الحِقنة[1] -

---

(١) هي من اللَّهجات الدَّارجة عندنا في منطقة جازان.

أي: لبن البقر -، ويؤجِّر علىٰ الطحين - أي: الذرة المطحونة -، ولعلَّهم يخلطون معه شيئًا من البُر، ويجمع الطَّلبة لمدَّة ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، وفي الضُّحىٰ يعطي كلَّ واحد نصف قُرص مِن الذُّرة، ويجعلُ مِن طلبته مُدرّسين لهؤلاء، وتكون الدِّراسة جِدِّيَّةً؛ فإذا انتهىٰ ما عنده مِن الطَّعام أو قَرُب ينتهي، فرَّقهم في القُرىٰ مُدرِّسين، وكلُّ واحدٍ منهم يكتب له الشَّيخ إلىٰ رئيس القرية ليكون مُدرّسًا فيها، ويتحمَّلون نفقته، ولو بالتَّداول كلّ أسبوع عند واحد، أو كلّ شهر عند واحد.

وهكذا أمضىٰ ما بين السِّتين إلىٰ ما يقارب عام (١٣٧٤هـ) أو (١٣٧٥هـ)، ولمَّا وجد من طلَّابه موظَّفين، كان يُوزِّع بعض الطَّلبة المرابطين في المدرسة السَّلفيَّة علىٰ بعض طلَّاب العلم المُوسرين.

والطَّريقة الأولىٰ كان معمولًا بها من دخول سنة (١٣٦٧هـ) في موضعين؛ في بيش علىٰ يد الشيخ حافظ، وفي صامطة علىٰ يد الشيخ ناصر خلوفة، وبعد فتح المعهد عادت كلُّها إلىٰ صامطة حين انتقل الشَّيخ حافظ إلىٰ صامطة مرَّة أخرىٰ، وبقي الشَّيخ ناصر علىٰ هذه الطَّريقة زمنًا بعد توقُّف عامَّة المدارس، رحم الله الجميع.

***

السُّؤال (٧): أين كانتْ بداياتُ دُور العِلم الَّتي أنشأها فضيلةُ الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنطقةِ؟ وما هي وسائلُ دَعْمِها؟

الجوابُ: كانت المدرسةُ السَّلفيَّةُ بصامطةَ هي الأمّ، وظلَّت هي الأمّ، وقد افتتح مدرسةً في ضمد، وكان المدرس فيها هادي بن علي مطيع، وكذلك كان

مديرًا للمدرسة قبل أن يُعيَّن قاضيًا، وافتتح مدرسةً في فيفا، وكان المدرس فيها الشيخ محمد بن يحيىٰ القرني قبل أن يعيَّنَ قاضيًا.

وفتح مدرسةً في الدَّرب، وكان المدرِّس فيها يحيىٰ بهلول زمنًا.

وقد افتتح مدرسةً في بيش، وكان المدرس فيها عمر جردي، ثمَّ حسين عبد الله.

ثمَّ بعد ذلك انتقل الشيخ حافظ إلىٰ بيش؛ فكانت المدرسة في أمِّ الخشب من عام (١٣٦٧ - ١٣٧٣هـ)، وقصده الطُّلَّاب من كلِّ ناحية، وكذلك أيضًا فتح مدرسة في صبيا، وكان فيها الشَّيخ عمر جردي إمامًا ومُدرِّسًا.

وفتح مدرسةً في البيطاريّة، وكان فيها الشَّيخ أحمد جابر.

وفتح مدرسةً في المضايا، وكان فيها محمد عُثمان نجَّار.

وفتح مدرسةً في البرك، وكان فيها حسن زيد قبل أن يُعيَّن قاضيًا.

والمهمُّ: أنَّ المدارس الَّتي بَقيَتْ واستمرَّت هي مدرسة صامطة، ومدرسة ضمد، ومدرسة بيش، وهناك مدارس لم أذكرها، وهي مدرسة الطوال، وكان فيها الشيخ حسين بن محمد النَّجمي حتَّىٰ عُيِّن قاضيًا في عام (١٣٧٢هـ)، ومدرسة المباركة وهي قرية عنطوطة، وكان المدرس فيها الشيخ حسن بن محمَّد النَّجمي، وبقيَ إلىٰ أن عُيِّن قاضيًا في عام (١٣٧٢هـ)، ومدرسة النّجامية كان فيها كاتب هذه الأسطر، وبقيتُ فيها إلىٰ أن عُيِّنتُ في المعهد العلمي عند افتتاحه، ومدرسة في اللّقية، وكان فيها الشيخ منصور بهلول حتَّىٰ عيِّن قاضيًا، ومدرسة الجرادية، وكان فيها محمَّد جابر مدخلي، إلىٰ غير ذلك مِن المدارس.

ثمَّ فُتحت مدارس كثيرة بعد مجيء الملِك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ المنطقة في عام (١٣٧٤هـ)، حتَّىٰ خرجت عن منطقة جازان إلىٰ أبها ونجران وبيشة والقنفذة

والباحة.

وأمَّا وسائل دعمها، فكان قبل عام (١٣٧٣هـ) الَّذي تَحدَّثت عنه سابقًا وبعده، كان هناك وظائفُ ورواتبُ، واستمرَّت إلىٰ أن وُقِّفَتْ في عام (١٣٧٩هـ).

***

السُّؤال (٨): عُرِفَتْ منطقةُ جازان بأنَّها بيئةٌ عِلميَّةٌ ذاتُ عقيدةٍ سلفيَّةٍ صحيحةٍ، ولأهلها فطرةٌ سليمةٌ، فهل ساعَدَتْ هذه العواملُ على تسهيل مُهمَّة الشَّيخ القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجواب: القولُ بأنَّ منطقة جازان عُرفت بأنَّها منطقة علميَّة ذات عقيدة سلفيَّة صحيحة - هذا فيه نظرٌ مِن وجهَين:

الأوَّل: أنَّ منطقة جازان ليست كلّها ذات بيئة علميَّة، بل معظمها يسيطر علىٰ أهلها الجهل والجفاء، ولم تُعرَف البيئة العلميَّة قبل مجيء الدَّولة السّعوديَّة إلَّا في ضمد؛ فقد عرف منهم علماء فطاحل، منهم: الشيخ محمَّد بن ناصر الحازمي، ومنهم الشيخ الحسن بن خالد الحازمي، ومنهم الشيخ الحسن بن أحمد العاكشي، وما عدا أهل ضمد فالعلم قليل، بل يكاد يكون معدومًا.

الوجه الثَّاني: قولكم: «ذات عقيدةٍ سلفيَّةٍ صحيحةٍ»: هذا فيه نظرٌ أيضًا؛ فإنَّ المنطقة كانت قبل مجيء الشَّيخ وحين مجيئه تُسيطر عليها الخرافات والسِّحر والشَّعوذةُ وشِرْكُ القُبور والبدَع، وتُسيْطرُ علىٰ أهلها عاداتٌ مُخالفةٌ للإسلام.

نعم، كانت المنطقةُ سليمةً مِن عقائد التَّشيُّع والرَّفض، وخاليةً من عقائد الصُّوفيَّة والتَّجهُّم والاعتزال، لكنَّها لم تَسلم مِن شرْك القُبور والسَّادة[1]

---

(١) السَّادة: هم الأولياء والمعظَّمون في نظر الجهَّال.

والكهانة والسِّحر وغير ذلك؛ فأين تكون العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة من هذه المعتقدات والأعمال المخالفة للشرع! علمًا بأنَّ أهل العلم في المنطقة - وإن وجِدُوا - فإنَّهم لم توجد منهم دعوة إلىٰ ترك الشِّرك والعقائد المُنحرفة والبدع، وإنْ وجد منهم شيءٌ في المجال النَّظري؛ لم يُوجد في المجال العمليِّ.

والمهمُّ: أنَّ إطلاق القول بأنَّ أهل المنطقة هنا علىٰ العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة غير واردٍ إلَّا من باب إطلاق المُؤرِّخين الذين يقولون: أهل بلادِ كذا سُنِّيون، ويقصدون أنَّهم غير شيعة ولا خوارج ولا معتزلة ولا قدريَّة ولا صوفيَّة.

ولا شكَّ أنَّ خلوَّ المنطقةِ مِن هذه العقائد المُنحرفة ساعد الشَّيخ علىٰ نشر المذهب السُّنِّيِّ السَّلفيِّ، والعودة بأهل المنطقة إلىٰ العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة، وإزالة ما علقَ بها من شركيَّاتٍ وبدعٍ وخُرافات.

ولا ننسىٰ أنَّ لدولةِ الملك عبد العزيز النَّصيبَ الأكبرَ والحظَّ الأوفرَ في القضاءِ علىٰ كلِّ المظاهر المُنافية للشَّرع الإسلاميّ؛ فما إن يَستقرُّ مُلكُه علىٰ بلدٍ إلَّا ويزيل منها مظاهر الشِّرك؛ فيأمر بالقضاءِ علىٰ الأضرحة، وهدم الأبنية الَّتي تُقام علىٰ القُبور، ويَمنعُ البدَع الظَّاهرة المُنتشرة في البلاد الَّتي يستولي عليها.

وأذكرُ وأنا صغير أنَّه عندما استقرَّت سُلطة ابن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ منطقة جازان، منع ما يسمَّىٰ بالوحشة، وهي تفرقةُ التَّمر والطَّعام عند الدَّفن للميت، ومَنَع الموالد التي كانت تُعمل في اليوم الثالث أو السابع بعد الموت، ومنع الختان الجاهلي، وهو السّلخ إلىٰ السُّرَّة، أو كامل القصبة الذي كان سائدًا في المنطقة، ولمَّا تجاوز بعض النَّاس وختنوا علىٰ العادة الجاهليَّة قُطِعت أيدي سبعة من الختَّانين في المنطقة، وكان في ذلك العلاج الحاسم لتلك العادة المُنكرة.

وقضىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الختان العلنيّ بحيث ألَّا يُختن الولد إلَّا بعد أن يَظهر شاربه، ويجلسون شهرًا يلعبون، وفي يوم الختان يجعلون المدرَّمة، وهم الشباب الذين يريدون الختان علىٰ مكانٍ مرتفع، ويكشفون عن ذكر الشاب أمام الرِّجال والنِّساء، ويسلخه الختَّان بعد أن ينتدب ويبحجر بعينيه - أي: يبالغ في فتح عينيه - فإن رفَّ طرفه، أي: تحرَّك جفنه، أو تحرَّكت منه بشرة. قالوا: تَرغَّل - أي جُبُن - وسبُّوه جميعًا؛ الرِّجال والنِّساء، وإن سلَّمه الله شكروه، وقبَّلوا رأسه، فقضت الدَّولة علىٰ هذه المظاهر.

فرحم الله الملك عبد العزيز رحمة الأبرار الأخيار؛ لقد كان من المجدِّدين للإسلام الَّذين يُحيي الله بهم ما اندثر مِن الدِّين؛ لِكون ذلك المَلِك صاحب سُنَّة، وكان حوله عُلماءُ أبرار وأئمَّةٌ أخيار مِن آل الشَّيخ وغيرهم، وكانت سُلطته تُعدُّ امتدادًا لسُلطة أجدادِه محمَّد بن سعود وأنجاله، رحمهم الله، والعُلماء حوله علىٰ المنهج السَّلفيّ؛ لأنَّهم علىٰ منهج الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنجاله وتلاميذِه - رحمهم الله رحمةَ الأبرار.

وقد جاء الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاويّ علىٰ هذا الوضع، فأصلح ما بقي، وعلَّم النَّاس وعرَّفهم علىٰ السُّنَّة والتَّوحيد، وقضىٰ علىٰ ما بقي مِن مظاهر الشِّرك والبدَع الَّتي كانتْ مِن مُخلَّفات الجاهليَّة، فاجتمع الإصلاح العلميُّ إلىٰ الإصلاح السِّياسيّ؛ فتواءما وتعاونا؛ إذ سار أولاد الملك عبد العزيز علىٰ نهج والدهم، رحم الله مَن وافىٰ أجلَه منهم، وحفِظَ اللهُ مَن بقِيَ، إلَّا أنَّه في الوقت الحاضر ينبغي التَّنبُّه للحزبيَّات الوافدة الَّتي تغلغلَتْ بطريقةٍ خفيَّة، فحوَّلت بعض شبابِنا عن المنهج السَّلفيِّ الحقِّ، وأدخلَتْ فيهم ما أدخلَتْ مِن العقائد

العَربِية علىٰ الإسلام.

نسأَلُ اللهَ أن يُثبِّتنا علىٰ دينه حتَّىٰ نلقاه علىٰ ذلك، وأن يُثبِّت دولتنا علىٰ الحقِّ، ويُبصِّرَها بالخَلل، ويُعينها علىٰ إصلاحِه.

* * *

السُّؤالُ (٩): ما هي العواملُ الَّتي أسهمَتْ في نشاطاتِ مدارس الشَّيخ عبد الله القرعاوي حتَّى شملتْ المنطقة، وما جاورها مِن المناطق؟

الجواب:

أوَّلًا: ذلك بعد عناية الله وتسديده وعونه.

ثانيًا: ومن ذلك معاضدة الدَّولة له سياسيًّا وماديًّا، جزىٰ الله الدَّولة خيرَ الجزاء علىٰ ما قدَّمته وتُقدِّمه مِن مُناصرةٍ للعقيدة السَّلفيةِ وأهلها مِن مملكتنا الحبيبة.

ثالثًا: قد تقدَّم أنْ تحدثتُ عن هذا الموضوع، وكيف كان الشَّيخ يُحاول ويُدبِّر ويستعين بما يأتيه من الدَّولة من مُساعدةٍ.

* * *

السُّؤال (١٠): ما مدى تقبُّل النَّاس وإقبالهم على دعوة الشَّيخ القرعاويِّ بالمنطقة وما جاورها؟

الجواب: كان إقبال النَّاس علىٰ دعوة الشَّيخ ومدارسه عظيمًا، وبالأخصِّ بعد أن لمسُوا فائدتها، وعرفوا جدواها؛ لقد عارض بعض الآباء حين رحَّل الشيخ أوَّل دفعةٍ من المعهد بعد وفاة الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان قد رحَّلهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ حسابه، فلمَّا نجحوا وعادوا مُدرسين وبعضهم قضاة، عرف النَّاس جدوىٰ الدراسة، ولمسوا فائدتها؛ فجزىٰ الله ذلك الشيخ خير الجزاء،

ورفع درجته في الفردوس الأعلىٰ؛ فجعلوا يتبارون بعد أن عرفوا الفائدة من وراء الدِّراسة، والحمدُ لله علىٰ ذلكَ.

***

السُّؤال (١١): تعدَّدت وسائل الدَّعم ومؤازرة الدَّولة - وفَّقها الله - في عهد المغفور له - بإذن الله - الملك عبد العزيز والملك سعود رحمهما الله - تعدَّد هذا الدَّعم بجهود الشَّيخ القرعاويِّ ومدارسِه؛ نَودُّ أن تُحدِّثونا عن هذا الجانب؟

الجواب: إنَّ الشَّيخَ كان حينَ بدأ دعوتَه وفتح مدرستَه السَّلفيَّة ليس له بيتٌ ولا مأوىٰ إلَّا المسجد وبيت القاضي الشَّيخ إبراهيم العمودي - رحمهما الله جميعًا -، وكان لا بدَّ لكلِّ مصلحٍ من مُعارضين يحاولون طمس الحقِّ، وقَلْب الحقائق، فرفع قومٌ من الأشرار فيه وفي طلبته؛ فأرسل الملكُ عبدُ العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هيئةً تَستطلعُ الخبَر برئاسة الشَّيخ فيصل المُبارك والشَّيخ محمَّد علي البَيْز؛ فنقل الشَّيخُ المدرسة في المسجد، وأنزلَ الضَّيفَ في المدرسة، وواصلوا البحث والنِّقاش معه ومع طلبته، وخرجوا بصورةٍ مشرِّفة، واقترحوا فيما بلَغَنا أن يُعطىٰ الشَّيخ مرتَّبًا قدرُه ستُّون ريالًا شهريًّا، وكانت السِّتون ريالًا في ذلك الزَّمن شيئًا كثيرًا، وأن يُعطىٰ طلبته الثَّابتون علىٰ عشرة ريالات، وكانت نواةَ خيرٍ.

ثمَّ بعد ذلك تواصل الخير، وتواصل الدَّعم؛ ففي عام (١٣٦٥هـ) رفع أعداءُ الدَّعوة علىٰ عادتهم في طمس الحقِّ وقلب الحقائق؛ فأرسل الملك عبد العزيز لجنةً من آل الشَّيخ، ومرُّوا علىٰ المدارس، وأخذوا الحقائق، فأفادوا بأنَّ الشَّيخ وطلبته علىٰ العقيدة السَّلفيَّة، وأوصَوا بفتح ستٍّ وعشرين مَدرسةً، في كلِّ مَدرسةٍ مُعلِّمٌ ومُساعدٌ.

وفي عام (١٣٦٦هـ) حجَّ الشيخ وجلس في مكَّة يُراجع في إنجاز تلك المدارس حتَّىٰ نجحَتْ، وقرَّروا لكلِّ مدرسٍ ثمانين ريالًا، ولكلِّ مساعدٍ ستِّين ريالًا.

ولم يزل الدَّعم يتواصلُ للشَّيخ وطلبته؛ فعُيِّنَ منهم قضاة، وكتَّابُ عدلٍ، ومُدراءُ مدارس، ومُدرِّسون، ورؤساء هيئةٍ، وأعضاء هيئة.

وفي عام (١٣٧٣هـ) عُيِّن الشيخ مُعتمدًا للمعارف في منطقة جازان، وكانت مدارس المعارف تابعة له. وفي نهاية هذا العام اعتذر واستقال من المعارف.

وكان الشَّيخ قد راجع في فتح معهدٍ علميٍّ بصامطة؛ ففتح في عام (١٣٧٤هـ)، وزاره الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ حين زار المنطقة.

وأخيرًا وافق للشَّيخ القرعاوي علىٰ ميزانيةٍ خاصَّة لمدارسه؛ ففتح مدارس كثيرة تعدَّت المنطقة إلىٰ اليمن وإلىٰ أبها وبيشة والباحة والطَّائف ونجران والقُنفذة.

والمهمُّ: أنَّ الدَّولةَ دَعَّمتْ الشَّيخَ القرعاويَّ دعمًا عظيمًا؛ فجزىٰ اللهُ دولتَنا خيرَ الجزاءِ علىٰ ما قدَّمتْ للدَّعوة السَّلفيَّة مِن دَعْمٍ عظيمٍ.

***

السُّؤال (١٢): ما هي الثِّمار الَّتي جَنَتْها المنطقةُ وكانتْ مُحصِّلةً لجُهود الشَّيخ القرعاويِّ وطلَبته منذُ تأسيس مدارسِه ومعاهدِه العلميَّة؟

الجوابُ: إنَّ الحصيلةَ هي نشرُ العلم بدلًا مِن الجهل، والسُّنَّة بدَلًا مِن البدعةِ، والتَّوحيد بدلًا مِن الشِّرك، والعدل بدلًا مِن الجور، والحقّ بدلًا مِن الباطل، والحمد لله علىٰ ذلك.

لقدْ كان قبلَ مجيءِ الشَّيخ يبحثُ الواحد عمَّن يحُلُّ له قضيَّةً فَرضيَّة فلا يجد، وقد يُسافر إلىٰ مكان بعيد، ولمَّا انتشرتْ مدارس الشَّيخ القرعاوي وُجِد

الكثيرُ من طلَّاب العلم يَحلُّون المسائل الفَرضيَّة أو بعضها، وإنَّك لتجد الفرقَ بين منطقة جازان وما يجاورها في الوعي الدِّيني، تجد الفرقَ كبيرًا والبون شاسعًا؛ فالعلم نورٌ، والجهل ظلامٌ دامسٌ؛ فانظر - رعاك الله - الفرق بين حال المنطقة الآن وحالها قبْل مجيئه.

***

السُّؤال (١٣): هل لكم - يا فضيلةَ الشَّيخ - مِن كلمةٍ أخيرةٍ تودُّ أنْ تقولَها وفاءً بحقِّ هذه الشَّخصيَّة المميَّزة في عطاءاتها وجهودها المُوفَّقة؟

الجوابُ: ماذا أقولُ، وأنا أعتقد أنِّي مهما قلتُ فلَنْ أُوَفِّيَ شيخي حقَّه؛ لأنَّه كان لنا ولجميع طلَّاب العلم الأبَ الحَنونَ بل أشدّ، وكان يبذُلُ في نشر العلم كلَّ غالٍ ونفيس، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُنفقُ كلَّ ما يملكُه على طُلَّاب العلم، وأخيرًا إنَّ لشيخنا - نحن طلبته - في أعناقنا مِنَنًا؛ لأنَّه علَّمنا وربَّانا ووظَّفنا، فلم نُقدِّم في وظيفةٍ، ولم نُراجع فيها، بل إنَّه لا يشعر الواحد منَّا إلَّا حينَ يقولُ له: أنت عُيِّنْتَ في كذا، أو يُعطيه القَرار؛ فهذا قاضٍ، وهذا مدرِّس، وهذا مدير مدرسة، وهذا رئيس هيئة، وهذا عضو هيئة، وهذا إمامٌ وخطيبٌ، وهذا مُقدِّر شجاج، وهذا مأذون عقود، وهذا كاتب ضبط، وهذا كاتب عدلٍ، إلى غير ذلك.

فيا إخواني طلَّاب العلم القدامى، وأنتم يا مَن درستم في المعهد العلمي الذي أسَّسه شيخُنا في هذه المنطقة، اعرفُوا للشَّيخ حقَّه، وأكثروا مِن الدُّعاء والاستغفار له؛ فلعلَّكم إن فعلتُم ذلك تُؤدُّون بعضَ حقِّه عليكم.

وأنا أقولُ: إنَّه لم يَطلبْ مِن أحدٍ جزاءً إلَّا مِن الله، ولكن مِن باب مُكافئة المعروف؛ فهذا نعتبرُه حقًّا واجبًا علينا، نأثمُ بتركه.

اللَّهمَّ اجْزِ شيخَنا عنَّا خيرَ ما جَزيتَ شيخًا عنْ تلامذتِه، ومُحسِنًا عمَّن أحسن إليهم.

وفي الختَام: مَن أراد الاستزادةَ عن ترجمة الشَّيخ فعليه أنْ يَرجعَ إلىٰ كتاب **«النَّهضة الإصلاحيَّة في جنُوب المملكة العربيَّة السّعوديَّة لصاحبها فضيلة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي»**، بقلم تلميذِه الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي، وإلىٰ كتاب **«الطَّيف العابر»**، لعلي بن قاسم فيفي، و**«ترجمة الشَّيخ القرعاوي»**، لتلميذه الشَّيخ موسىٰ بن حاسر سهلي.

وأخيرًا؛ أشكرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما هَيَّأ مِن هذه المناسبة، ثمَّ أشكرُ القائمين بجريدة (عُكاظ) علىٰ اختيار هذه الشَّخصيَّة الدَّعويَّة الفَذَّة؛ للتَّنويه بها، وإظهار فضلها الَّذي لعلَّه يخفىٰ علىٰ كثيرٍ مِن النَّاس؛ فجزاهم اللهُ خيرًا، ووفَّقهم لما يُحبُّه ويرضاه.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسلِيمًا كثيرًا، والسَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

كتَب هذا: **أحمد بن يحيى النَّجمي**



سـؤالات

- أسئلةُ ذي القرنَين الأندونيسيّ
- أسئلةُ أهل فرنسا
- أسئلةُ الشَّيخ عبد الله الظّفيريّ
- أسئلةُ الشَّيخ طارق الهاشمي من قطر
- أسئلةُ الحجِّ

أسئلة ذي القرنين الأندونيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي - حفظه الله ورعاه -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فهذه أسئلةٌ وردتْ مِن قرَّاء مجلَّةِ (النَّصيحة) الصَّادرة من معهدِ السُّنَّة بمدينة (ماكاسر سولاويسي) الجنوبية، إندونيسيا، وهي أسئلةٌ من أقطار شتَّىٰ في البلاد، ونقدِّمها لكم مترجمةً كالتَّالي:

السُّؤال ١: هناك مسجدٌ قد تعطَّلتْ مصالحُه حيثُ بُنِيَ قريبًا منه مسجدٌ آخرُ، وبعضُ أهلِ الخيرِ يُريدُ أنْ يشتريَ هذا المسجد لمشروعِ تحفيظِ القُرآن، فهل يجوز هذا الأمر؛ علمًا بأنَّ المسجدَ وقفٌ لله تعالىٰ؟

الجواب: ينبغي أنْ يُسمَحَ لِفاعلِ الخيرِ أنْ يُجدِّده ويُحوِّله إلىٰ مدرسةِ تحفيظٍ، وإذا كانت الأرضُ وقفيَّةً؛ فهي تبقىٰ وقفيَّةً، ولا يجوزُ بيعُها.

السُّؤال ٢: هل يجوزُ للأبناءِ والبناتِ دون سبع سنين أنْ يدرسُوا الدِّين والقرآن في فصلٍ واحدٍ؟

الجواب: يجبُ أنْ لا يكون هذا؛ حتَّىٰ لا تأنس الأنثىٰ إلىٰ محادثة الذَّكَر والجلوس معه، وقد تحصلُ العلاقات بين الصِّغار، فتركُ هذا أحوطُ للدِّين؛ لتبقىٰ الأنثىٰ نافرةً مِن الذَّكَر.

السُّؤال ٣: هل يجوز بناء المسجد علىٰ أرضيَّةٍ تابعةٍ لبعضِ الأفرادِ، وليست موقوفةً؟

الجواب: يجوز ذلك بإذنٍ منه.

السُّؤال ٤: إذا جاز البناء علىٰ هذه الأرضيَّة، فهل تجبُ صلاة تحيَّة المسجد فيه؛ لأنَّ هناك مَن يقول: إنَّه لا صلاةَ لِتحيَّة مسجدٍ في مسجدٍ بُني علىٰ غيرِ أرضيَّةٍ موقوفةٍ؟

الجواب: هذا زعمٌ باطلٌ؛ بل كلُّ مسجدٍ بُنِيَ للصَّلوات الخمسِ يلزم فيه حُكم المساجد.

السُّؤال ٥: عندما يُناصح الرَّجل، أيُّهما أنفعُ له: النَّصيحةُ بالمُشافهة أو بالمُكاتبة؟

الجواب: كلُّ ذلك جائزٌ.

السُّؤال ٦: أنا لديَّ آلاتُ موسيقىٰ، لكن بعدما تعرَّفت علىٰ هذه الدَّعوة المُباركة تُبتُ إلىٰ الله، فهل يجوز لي بيعُ هذه الآلات، ثمَّ صرفُ ريعِها لمصالحِ عائلتي أو لدعْم الدَّعوةِ وغيرها؟

الجواب: إنْ بعتَها فسيضلُّ بها غيرك، ولكن أتلفها، واللهُ سيعوِّضك.

السُّؤال ٧: أيُّهما الأفضلُ بينَ أنْ نُدخلَ أولادَنا في المدارس العامَّة الَّتي فيها اختلاطٌ بين الرِّجال والنِّساء، وبين أن نُدخلَهم في المدارس الَّتي يتولَّىٰ عليها الحزبيُّون؟

الجواب: كلُّ ذلك شرٌّ، ولكن اتَّخذُوا أنتم أهل السُّنَّة معلّمًا خاصًّا بكم.

السُّؤال ٨: إذا تورَّك الإمامُ في الصَّلاة ذات الرَّكعتَين، فهل يجوز للمأمومين

الجلوس مفترشين؟

الجواب: لا يجبُ علىٰ المأمومين أنْ يرتبطوا بهيئة الإمام.

السُّؤال ٩: متىٰ يقال في الرَّجل: إنَّه عالمٌ؟

الجواب: إذا عرف تفسير القرآن؛ المأخوذ عن الصَّحابة، وعلِم أدلَّة معظمِ المسائل من السُّنَّة.

السُّؤال ١٠: ما حكم النِّكاح بالفم؟

الجواب: أمَّا مصُّ المرأة لذكَر الزَّوجِ فهذا حرامٌ لا يجوزُ؛ لأنَّ الذَّكَر ينتشرُ، فإذا انتشرَ يخرج منه المذيُ الَّذي هو نجسٌ باتِّفاق[(١)]، فإذا دخل في فمها، ثمَّ في بطنِها، فربَّما يُسبِّب لها مرضًا، وقد أفتىٰ بتحريم ذلك الشَّيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمعتُه منه مُشافهةً.

السُّؤال ١١: هل زوجة الأبِ من قبل زوجتي محرمة لي؟

الجواب: زوجة أبي زوجتك ليست محرمة عليك، إلَّا أمّ زوجتك.

السُّؤال ١٢: ما حكم الذِّكر الجماعي الَّذي يقوده أحد الحاضرين؟

الجواب: الذِّكر الجماعي بدعةٌ، لا يجوزُ لأحدٍ فعله.

السُّؤال ١٣: رجلٌ انتقض وضوؤه، وقد صلّىٰ الجمعة مع الإمام ركعةً، بعدما توضَّأ وجد الإمام قد سلَّم، فهل يُصلِّي ركعتَين أو يصلِّي ظهرًا؟

الجواب: يُصلِّي ظُهرًا.

السُّؤال ١٤: إذا انتقض وضوءُ خطيبِ الجُمعة، هل يستمرُّ في خُطبته أو يتوقَّف؟

---

(١) انظر: «التَّمهيد» لابن عبد البرِّ (٢١/ ٢٠٧الأوقاف المغاربيَّة)، و«المجموع شرح المُهذَّب» للنَّوويِّ (٢/ ٥٥٢الفكر).

الجواب: يستمرُّ في خُطبتِه، وإذا أكمل الخطبةَ يتوضَّأ.

السُّؤال ١٥: هل تجوز إقامة الجماعة الثانية في المسجد الَّذي له إمامٌ راتبٌ؟

الجواب: يجوز ذلك عند الضَّرورةِ.

السُّؤال ١٦: عادة بعض الناس في بلادنا إذا سلَّم الإمامُ وهم مسبوقون، قدَّموا واحدًا منهم أو تقدَّم واحدٌ منهم ليؤمَّهم في إتمام بقيَّة الرَّكعات، فما حُكم ذلك؟

الجواب: ذلك جائزٌ على القول الأصحِّ، وبعضُ الفُقهاءِ يكرهُه.

السُّؤال ١٧: شخصٌ وجدَ مسبوقًا يُكملُ صلاتَه، فهل يجوزُ له أنْ يأتمَّ بهذا المسبوق؟

الجواب: يجوز له على الأصحِّ.

السُّؤال ١٨: كيف التَّوبة والتَّخلُّص من الذُّنوب المتعلِّقة بالغير؛ كالغيبةِ والسَّرقة وغيرها، حيثُ إنَّ ذلك الغير لا يُعلم مكانه الآن، وهل توفي أم لا؟

الجواب: يستغفر له لعلَّه أنْ يخفف عنه بسبب استغفارِه.

السُّؤال ١٩: كم المسافة التي يجوز للمسافر أنْ يقصرَ الصَّلاة فيها؟

الجواب: أربعون كيلو وهما بريدان، وهي مرحلةٌ بالسَّير القديم.

السُّؤال ٢٠: في بلدنا بعض النَّاس يقومون باحتفال الموالد وغيرها من الاحتفالات البدعيَّة، ثُمَّ يرسلون إلى بيوتنا بعض الأطعمة منها، فهل يجوزُ لنا أكلُها؟

الجواب: لا يجوزُ لكم قَبولُ ذلك الطَّعام ولا أكلُه.

السُّؤال ٢١: قد مرَّت بنا سنواتٌ والناس في بلادنا مختلفون في تعيين عيد الفطر؛ فمنهم من يعمل بالحساب، ومنهم من يعمل برؤية الهلال، ونجد من يعمل بالحساب يتعيدون في يوم، والآخرون في اليوم التَّالي، أو العكس،

والحكومة تأذنُ للجميع، فما الموقف الصَّحيح؟

الجواب: الَّذين يأخذون بالرُّؤيةِ البصريَّة هم علىٰ الحقِّ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»(١).

السُّؤال ٢٢: هل علىٰ الرَّواتب الشَّهريَّة زكاةٌ؟

الجواب: لا زكاة فيها إلَّا أنْ تستلِمَها، وتبقىٰ عندك حولًا كاملًا.

السُّؤال ٢٣: أخي يريد الزَّواج بامرأةٍ نصرانيَّة، فما حُكم ذلك، وما نصيحتُكم له؟

الجواب: يجوز ذلك؛ لأنَّ الله أباح ذلك، ولينتبه للتَّربية.

السُّؤال ٢٤: ما حُكم بيع سلعةٍ بسعرٍ رخيصٍ دون الأسعار العاديَّة في السُّوق، وقد يؤدِّي ذلك إلىٰ إفساد الأسعار عند النَّاس؟

الجواب: للإنسان العاقل أن يتصرَّف في ماله ما لم يضرَّ بالآخرين.

السُّؤال ٢٥: هل صحيح أنَّ عائضًا القرنيَّ قد تاب، وتراجع عن أخطائه؟

الجواب: هو قال هذا، ولكن التَّوبة الفعليَّة لم نرها.

السُّؤال ٢٦: أعمال تارك الصَّلاة لا تُقبل، فإذا تاب هل تقبل تلك الأعمال؟

الجواب: الله أعلم بذلك، ولكن نرجو أنَّها تقبل.

السُّؤال ٢٧: من هو محمَّد رشيد رضا، وهل هو سلفيٌّ أم لا؟

الجواب: لا أدري، وغالبُ ظنِّي أنَّه ليس بسلفيٍّ.

السُّؤال ٢٨: ما حكم لبس البنطلون؟

الجواب: إذا كان يظهر الأحجام، فلا ينبغي لُبسه، وبالأخص للمرأة.

السُّؤال ٢٩: رجلٌ فتح تجارة برأس مالٍ زاد علىٰ النِّصابِ، فلمَّا حال عليه

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحول حسب ما عنده من البضاعة؛ فإذا رأس المال لا يزال زائدًا على النِّصاب؛ لكن قد حصل له خسارة، هل وجوب الزَّكاة باقٍ عليه؟

الجواب: إن كانت الخسارة في رأس المال، فإنَّه إذا لم يكن مدينًا، ورأسُ المال باقٍ؛ فيجب عليه أن يؤدِّيَ الزَّكاة برأس المال الموجودِ، والخسارة يلغيها.

السُّؤال ٣٠: هل يجوزُ للمرأة أن تُسافِر بدُون محرَمٍ لمرضٍ لا بدَّ أن تتداوى منه أو لضرورة؟

الجواب: إنَّ سفر المرأة بدون محرم ولا زوج ممنوعٌ شرعًا فلا يجوز.

السُّؤال ٣١: أيّهما يقدّم للطَّالبة؛ الزَّواج أو الدّراسة؟

الجواب: أقول: يقدّم لها الزَّواج؛ وهو عندها مرغوب، وكذلك المصلحة تقتضي ذلك.

السُّؤال ٣٢: ما حُكم تصوير الكتُب الَّتي كتب فيها المنع من التصوير؛ علمًا بأن التَّصوير إنَّما هو لحاجة شخصيَّة، وليس للتِّجارة؟

الجواب: أقول: الَّذي يظهر أنَّ الأفضل عدمُ التَّصوير إذا كان قد كتب على الكتاب بأنَّه لا يجوزُ تصويرُه، ولا إعادة طبعِه.

السُّؤال ٣٣: ما حُكم معاملة تجارية مع أهل البدعة؟

الجواب: أقول: ما دامت المعاملة التِّجارية مع الكفار جائزةً، فإنَّه تجوز معاملة أهل البدعة الَّذين بدعتهم مفسقة، وليست مكفِّرة.

السُّؤال ٣٤: هل صحيح أنَّ الأرض مستديرةٌ كشكل البيضة أو الكرة؟

الجواب: وأقول: إنَّ كون الأرض مستديرةً بشكلِ الكرة، هذا أصبح حقيقةً لا شكَّ فيه؛ إذ إنَّ أهل أمريكا الآن يكون الوقت عندهم قبل الظُّهر، مع أنَّا نحن

الآن في الجزيرة العربيَّة بين المغرب والعشاء، فالفارق بيننا وبينهم (٨) أو (٩) أو (١٠) ساعات، فهذا دليلٌ واضحٌ علىٰ كرويَّة الأرض.

ولكن الَّذي فيه كلامٌ: هل صحيحٌ أنَّ الأرض تدورُ أو أنَّها مُستقرَّة؟ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصَف الشَّمسَ بأنَّها تجري والأرض بأنَّها مستقرَّة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٦]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٥].

السُّؤال ٣٥: هناك زوجان بسببِ ضِيق المعيشةِ يحصل بينهما الغضبُ كثيرًا، والزَّوج أحيانًا ينطق بكلمة الطَّلاق، فما حُكم ذلك؟

الجواب: من نطق بكلمة الطَّلاق ثلاثَ مرَّات مفرقات؛ كأن يكون بين الأولىٰ والثانية يوم أو يومان أو أكثر فقد حرمت عليه زوجتُه بعد الثَّالثة، وإنَّ الَّذين يكثرون من الطَّلاق قد اتخذوا آيات الله هزوًا؛ إلَّا أنَّ هناك حديثًا عن عائشة لفظه عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَا طَلَاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ**»(١)، والإغلاقُ هو الغضبُ الشَّديدُ الَّذي تستغلق معه المسالكُ، أو هو الإكراه.

السُّؤال ٣٦: في منطقتنا بعض النَّاس يأكلون الوزغ للتَّداوي، فما حكم ذلك؟

الجواب: لا يجوز أكل الوزغ، ولا البرَم، ولا السُّلَس، ولا الْمَسافر، هذه كلُّها من الحشرات السَّامَّة، ولا يجوز للمسلم أن يأكل هذه الزَّواحفَ؛ بل هي محرَّمة تحريمًا باتًّا.

السُّؤال ٣٧: هل يجوزُ لرجلٍ أنْ يصلِّي صلاة الجمعة منفردًا؛ إذا فاتته الصَّلاة

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (٢٠٤٧).

مع الإمام؟

الجواب: لا؛ سواء فاتته الصَّلاة مع الإمام أو غير ذلك، لا تجوز صلاة الجمعة منفردًا بإجماع أهل العلم[1].

السُّؤال ٣٨: سمعتُ من بعض النَّاس أنَّه يجبُ علىٰ المُنفردِ أنْ يصلِّيَ الجمعة في بيته إذا فاتتْه مع الإمَام؟

الجواب: هذا كلامٌ لا صحَّة له، ولا تجبُ الجمعةُ إلَّا بشروطِها المعروفة.

السُّؤال ٣٩: ما هو الدَّليل علىٰ مشروعيَّة صوم ثلاثةِ أيَّام في الشَّهر؟

الجواب: الدَّليلُ قولُ النَّبيِّ ﷺ لأبي هُريرةَ حين أوصاه أن يوتر قبل أن ينام، وأن لا يدع ركعتي الضُّحىٰ، وأن يصوم من كلِّ شهرٍ ثلاثة أيَّام، والحديث متَّفقٌ عليه[2].

السُّؤال ٤٠: هل يجوزُ صيام ثلاثة أيَّامٍ متفرِّقة؟

الجواب: نعم، يجوزُ أنْ يصومها متفرِّقة.

السُّؤال ٤١: ما حُكم الاشتغال في مصنع القرطاس لغلاف الدُّخان؟

الجواب: كلُّ ما يكون من الأشياء الَّتي تستعمل للدُّخان فهو حرامٌ كحُرمة الدُّخان.

السُّؤال ٤٢: عادتي أن أجلسَ في الحيضِ تسعةَ أيَّام، وبعد أسبوع من طهري عاد الدَّم مرَّة أخرىٰ، فهل يعدُّ هذا مِن الحيض أو مِن الاستحاضة؟

الجواب: يجبُ عليكِ أن تعرفي صفة دم الحيض لتُميِّزي بينه وبين دم الاستحاضة؛ فإنْ جمع دمُ الحيض الشُّروط المعروفة فيه؛ بأن يكون لذَّاعًا عند

---

(١) قال النَّوويُّ في «المجموع» (٤/٥٠٨ الفكر): «أجمعَ العُلماء علىٰ أنَّ الجُمعةَ لا تصحُّ مِن مُنفردٍ، وأنَّ الجماعةَ شرطٌ لصحَّتها».

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١)، بلفظ: "أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»".

الخروج، وأن يكون منتنًا، وأن يكون غليظًا، وأن يكون أحمر داكنًا؛ فإن كانت فيه هذه الشُّروط فهو دم حيضٍ، ويجبُ عليكِ أن تتركي الصَّلاة فيه.

وأمَّا دم الاستحاضة؛ فهو دمٌ أحمرُ خفيفٌ، وليست فيه صفات دم الحيض.

فإذا ميَّزتِ الدَّم فعندئذٍ تتوقَّفين عن الصَّلاة عند دم الحيض، وتُصلِّين إن كان الدَّمُ دمَ استحاضةٍ.

السُّؤال ٤٣: في الصَّلاة الجهريَّة هل يجبُ علىٰ المأموم قراءة الفاتحة؟

الجواب: نعمْ؛ فعن عُبادةَ بن الصَّامتِ ﵁ قال: "صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَلاةً جَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «**أَلَا أُرَاكُمْ تَقْرَؤُونَ مَعَ إِمَامِكُمْ؟**»، قُلْنَا: أَجَلْ، يَا نَبِيَّ اللهِ، فَقَالَ: «**إِنِّي أَقُولُ: مَالِي أُنَازَعُ الْقُرْآنَ، لا تَفْعَلُوا، إِذَا جَهَرَ الْإِمَامُ بِالْقُرْآنِ فَلا يَقْرَأْ إِلَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ لا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ**» رواه الطَّبرانيُّ في «المُعجم الصَّغير»[(١)].

السُّؤال ٤٤: ما حُكم أخذِ بعضِ مال المدين إذا أبىٰ مِن أداء الدِّين مع أنَّه قادرٌ؟

الجواب: الأخذ بالقوَّةِ يُؤدِّي إلىٰ الخلافِ، والتَّضارُب، والتَّنافر، والتَّغاضب، ولكن لك أنْ تُطالبه بدَينك حتَّىٰ تأخذه بحُكم حاكمٍ.

أمَّا أنْ تأخُذ منه بعض الأشياء الَّتي له بالقوَّة فلا يجوزُ، وقد قال بعضُ أهلِ العلم بذلك في مسألة الظَّفَر[(٢)]، وأخذوها من قصَّة هند بنت عُتبة حين جاءت تشتكي زوجها أبا سُفيان فقالت: "يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، لَا

---

(١) رقم (٦٤٣).

(٢) «وهو أنْ يكونَ للرَّجل حقٌّ عند أحدٍ مِن النَّاس، ولم يَصلْ إلىٰ حقِّه، فتمكَّن مِن بعضِ مالِه، قالوا: فله أنْ يأخذَ بقدْر حقِّه من غير رجوعٍ إلىٰ مَن عليه الدَّين». «تأسيس الأحكام» للمؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ١٦٦ الميراث النَّبويّ).

يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ**»" متَّفق عليه[(١)].

فهذا حكمٌ، وذاك حكمٌ؛ إذ إنَّ هذا الحُكم في الزَّوجةِ ومَن في حُكم الزَّوجةِ: كأنْ يكونَ رجلًا تشتغل معه، ومنعك من راتبك؛ فلَكَ أنْ تأخذَ مِن مالِه بقدْرِ مرتَّبك، وتخبره فيما بعدُ.

السُّؤال ٤٥: ما حُكم الصَّلاة في الصَّفِّ المقطوعِ بعمودٍ، أو الصَّلاة في صفٍ منفصلٍ لعدم الاتِّساع في المسجد؟

الجواب: الصَّلاة جائزةٌ مع الكراهة.

أملى هذه الفتوى

الشيخ / أحمد بن يحيى النَّجمي

٦/ ٧/ ١٤٢٦هـ



(١) أخرجه البخاريُّ (٢٢١١)، ومسلم - واللفظ له - (١٧١٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أسئلة أهلِ فرنسا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذه أسئلةٌ من فرنسا عُرضت على الشيخ أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله، فأجاب عنها جزاه الله خيرًا، وهي على النَّحو التَّالي:

السُّؤال الأوَّل: ما حُكم ترك الصَّلاة؛ هل هو كُفرٌ أو لا؟ وإذا كنتُ أترك الصَّلاة جهلًا منِّي، وتبتُ إلى الله؛ فهل عليَّ شيءٌ؟ وهل يكفي أنْ آخُذ بقولِ عالمٍ واحدٍ في هذه المسألة؟

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

تركُ الصَّلاةِ يُعدُّ كُفرًا على القولِ الأصحِّ؛ للأدلَّة الواردة في ذلك؛ منها قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ومنها قوله ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[١]، وقوله ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[٢]، وقول عبدِ الله بنِ شقيقٍ العُقيليِّ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ

(١) أخرجه الترمذيُّ (٢٦٢١)، والنَّسائيُّ (٤٦٣)، وابنُ ماجه (١٠٧٩)، من حديث بُريدة الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ»[١]، فهذه الأدلَّة وغيرُها تدلُّ علىٰ أنَّ مَن ترَك الصَّلاةَ كفر؛ فمَن ترَك فرضًا مُتعمِّدًا حتَّىٰ خرَج وقتُه فإنَّه يُعتبرُ قد كفر حكمًا، ويجبُ أنْ يوقف، ويُستتابَ، فإنْ تابَ وإلَّا قُتل كُفْرًا علىٰ القول الأصحِّ، وحدًّا علىٰ رأي الجمهورِ.

ثانيًا: إنْ كنتَ قد وقعتَ في شيءٍ من هذا القبيل، وندمت، وتُبت إلىٰ الله، فندمُك وتوبتُك تعدُّ رجوعًا إلىٰ الحقِّ، ودخولًا في الإسلام من جديدٍ، ونرجو أنَّ اللهَ يعفو عنك.

ثالثًا: قولك: "وهل يكفي أنْ آخُذ بقولِ عالمٍ واحد في هذه المسألة"، قد قلنا لك الحُكم بأدلَّته، ومَن سألْتَه مِن العُلماء السَّلفيِّين فستجدُ عنده الجواب مثل جوابي أو قريبًا منه.

السُّؤال الثَّاني: حفظتُ أكثر مِن رُبع القُرآن، مع (الأربعين النَّوويَّة) و(الأصول الثَّلاثة) وأشياء أخر، ولكنِّي لم أفهم إلَّا سُورة الفاتحة، وأوَّل حديثٍ من (الأربعين)، وبداية (الأصول الثَّلاثة)؛ هل أتوقَّف عن الحفظ أم لا؟

الجواب: نحن لا نقول لك: توقَّف عن الحفظ؛ بل نقولُ لك: احفظْ ما تستطيعُ حفظَه من القُرآن والسُّنَّة، واعلم أنَّ عبد الله بن عمر كان يقول: "مكثت في حفظ سورة البقرة ثمان سنين"[٢]؛ لأنَّه كان يحفظ شيئًا قليلًا، ويذهبُ في الكسب علىٰ نفسِه[٣]، فأنت حاول بقدر ما تستطيعُ؛ أي: في حدود استطاعتِك،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢). وصحَّحه الألباني في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٧٩).

(٢) ذكره مالك في الموطأ بلاغًا (١/ ٢٠٥ إحياء التراث).

(٣) وقد علَّل شيخُ الإسلام ابن تيمية لطول المكث في الحفظ بأن السلف كانوا يجمعون بين الحفظ والعلم والعمل جميعًا؛ فقال في «مقدمة التَّفسير» (ص٩): "يجب أن يعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَيَّنَ لأصحابه معاني =

ونصحك أنْ تقرأ كلَّ يوم وليلةٍ شيئًا مِن القرآن ولو قليلًا، وأنْ تحرص علىٰ الصَّلاةِ في الجماعةِ، وأنْ تُحاول أن تقرأ شيئًا مِن الحديث إن استطعت، ولو حديثًا واحدًا أو حديثين.

السُّؤال الثَّالث: زوجتِي رأتْ في المنام أختًا تقولُ لها: إنِّي زنيتُ مع الأخت، فقالتْ زوجتي للأختِ: لمَ لَمْ تتزوَّجي به؟ فقالت: إنَّه رجلٌ كذَّابٌ غيرُ صالحٍ؛ وإنِّي أخشىٰ أنَّ الرُّؤيا ستقع عليَّ لأنِّي لم أتب توبةً صادقةً، فما تأويلُ هذه الرُّؤيا؟

الجواب: أقولُ: كان ينبغي ألَّا تذكر شيئًا مِن الأمور السَّيِّئة الَّتي قارفتها، وأنْ تستتر بستر الله، فهكذا أمر الشارع ﷺ حين قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللهِ مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا. فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ. فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ، نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ**»[1].

=

القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النَّبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: كان الرجل إذا قرا البقرة وأل عمران جَلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر علىٰ حفظ البقرة عدة سنين، قيل: ثماني سنين، ذكره مالك.

وذلك أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وتدبّر الكلام بدون فهم معانيه لا يُمكن، وكذلك قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام مُتضمِّن لفهمِه".

(١) أخرجه مالك في «الموطَّأ» (٢/ ٨٢٥إحياء التُّراث)، من حديث زيد بن أسلم مرسلًا. وضعَّفه الألبانيُّ في «الإرواء» (٢٣٢٨).

السُّؤال الرَّابع: حصل منِّي ومن زوجتي تأخيرٌ لِصلاة المغرب عن وقتها بسببِ المُداعبة الَّتي ترتَّب عليها نزولُ المنيّ، فما صلَّيناها إلَّا في وقتِ العشاء، وقد كنا ذاكِرِين لوقتِ صلاة المغرب، ولكن حصَل ما حصَل، فهل نُعتبرُ قد خرجْنا مِن الإسلام، وما الواجب علينا؟

الجواب: قد أجبنا علىٰ هذا السُّؤال فيما سبَق، فلا داعيَ لإعادتِه، وقد قلنا لك: إنَّ ندمَك هذا يكفيكَ، فلا تعرضْ سُؤالَك علىٰ أحدٍ.

السؤال الخامس: هل إذا صلَّيت العصر قبل خروجه بعشر دقائق أو ربع ساعة، هل أعتبر نفسي مدركًا للعصر أم لا؟

الجوابُ: يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ العَصْرِ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَدْرَكَ العَصْرَ»[1]. فإذا كنت أنت مفرِّطًا فأنت لحقت الوقت، ولكن لا يعفيك عن المسألة أمام الله في تأخيرها.

السُّؤال السَّادس: أدركت ركعة من صلاة الظهر في تمام الساعة الثالثة وإحدىٰ وخمسين دقيقة بسبب زحمة الطريق، مع أنَّ وقت العصر عندنا في فرنسا يبدأ في السَّاعة الثالثة وتسعة وخمسين دقيقة، وحصل عندي شكٌّ في إدراكها، فما حكم صلاتي هذه؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: كان الواجب عليك أن تنزلَ مِن السِّيارة، وتتيمَّم وتصلِّيَ، وإن كنت في نفس المدينة تتوضأ وتصلي، والمهم أنك مفرّطٌ؛ فتُب إلىٰ الله لعلَّ الله أن يتوبَ عليك.

السُّؤال السَّابع: أخَّرنا صلاة العشاء أنا وزوجتِي، وحصَل عندنا شكٌّ هل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٩)، ومسلم (٦٠٨)، من حديث أبي هريرة رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ.

صلَّيناها قبل نصف الليل أم بعده، علمًا بأني مسافر، وزوجتي مقيمة، فهل كفرنا بذلك أو لا؟

الجواب: لا، إن شاء الله ما كفرتَ، لكن لا تعد لمثل هذا.

السُّؤال الثَّامن: صلَّيت إمامًا بالنَّاس، وحصل عندي شكٌّ في طهارتي، فحاولتُ أنْ أتذكَّر، ويترجَّح عندي شيءٌ، ولكنِّي لم أتذكَّر أنَّني تيمَّمتُ حقيقةً، فارتابني خوفٌ شديدٌ وأنا في الصَّلاة، وفي اللَّحظة نفسِها اعتبرت هذا من وساوس الشَّيطان، وتركتُ الخروج من الصَّلاة خشيةَ أن يعتقد الإخوةُ أنِّي غلوتُ في الوساوس، وبعد خروج الوقت سألت شيخًا موثوقًا في علمه بأنَّ عليَّ أن أقضيَ تلك الصَّلاةَ لأن الأصل الحدث؛ بناءً علىٰ القاعدة: عند الشَّكِّ نبني علىٰ اليقين، فأمرني بالقضاء دون القوم الَّذين صلَّوا خلفي في المسجد، فما حكم عملي هذا؟ وماذا عليَّ؟

الجواب: في هذه الحالة تجبُ عليك إعادة الصَّلاة دون المأمومين؛ فالمأمومون إذا لم تصحَّ صلاتهم جماعةً فإنَّها تصحُّ صلاتهم فرادىٰ، وتبطل الجماعة فقط.

السُّؤال التَّاسع: كنتُ في الماضي مصابًا بمرضٍ في الجلد، وكنت أتيمَّم للصَّلاةِ، لكن مرَّةً عند خروجي من العمل غسلت أطرافي ووجهي، وتركتهما حتىٰ نشفا، وتيمَّمت وصلَّيتُ العصر من الجماعة، وسألت شخصًا عندنا عن إعادة تلك الصَّلاة، فقال: لا تعدها، ومع ذلك أعدتُ تلك الصَّلاة، فهل عملي صحيح؟

الجواب: كان الأولىٰ بك ألَّا تعيدَ ما دام أنَّك قد تيمَّمتَ.

السُّؤال العاشرُ: ذات مرَّة كنتُ في سفرٍ مع أحد الإخوة؛ صلَّيت الجمعة مع الجماعة، ثمَّ بعدها مباشرةً صلَّيت معها صلاة العصر جهلًا منِّي، وظانًّا أنَّ العصرَ تُجمعُ مع الجمعة، وكنتُ أعلمُ أنَّ الأصل في العبادات التَّوقُّف حتىٰ يردَ

الدَّليلُ، فما حكم عملي هذا؟

الجواب: يجبُ عليك أنْ تقضيَ هذه الصَّلاة، يعني: صلاة العصر الَّتي جمعتَها مع الجُمعة.

السُّؤال الحادي عشر: هل يجوزُ للمسلم أنْ يُؤخّر صلاة العصر عن وقتِها لوجود النَّجاسة، وعدم استطاعة التَّطهُّر، أم لا بدَّ من أدائها في وقتها ولو صلَّيتها بنجاسة؟

الجواب: أوَّلًا: إنَّ الواجب علىٰ المسلم أنْ يَتطهَّر من النَّجاسات إلَّا أنْ يكون في محلٍّ ليس فيه ماءٌ، فيكتفي بالتَّيمُّم.

ثانيًا: لا يجوزُ لكَ أنْ تُؤخِّرَ الصَّلاة لهذا السَّببِ، بل يجبُ عليك أنْ تُؤدِّيَها في وقتِها.

السُّؤال الثَّاني عشر: أمسُّ لِحيتي في الصَّلاة كثيرًا، ولا أدري كم حصل ذلك، فما حُكم صلاتِي علىٰ هذه الهيئة؟

الجواب: صلاتُك صحيحةٌ.

السُّؤال الثَّالث عشر: أنام عن صلاةِ الفجر كثيرًا حتَّىٰ يخرج وقتُها، مع أنِّي أكونُ ناويًا لها، ولكنِّي أنام بدون أنْ أضعَ مُنبِّهًا تهاونًا منِّي، هل هذا العملُ يُعدُّ تعمُّدًا منّي، وماذا يلزمني؟

الجواب: هذا يترتَّب عليه الكفر؛ إذا تهاونت بأداء الصَّلاة في وقتها بترك الأسباب المؤدِّية إلىٰ أنَّك تؤدِّيها في وقتها، ويلزمك أنْ تتوبَ إلىٰ الله من هذا العمل، ولا تعُد لمثلِه أبدًا.

السُّؤال الرَّابع عشر: في بعض الأحيان أستيقظُ في وقت الفجرِ، ثُمَّ أقولُ في نفسي: أستلقي قليلًا، فيأتيني النَّوم فلا أستيقظُ للصَّلاة إلَّا بعد طلوع الشَّمس،

فهل هذا تعمُّد لترك الصَّلاة في نظر الشَّرع؟ وماذا عليَّ؟

الجواب: إذا استيقظتَ عند صلاة الفجر أو عند الأذان لا يجوزُ لك أنْ تنامَ، بل الواجبُ عليك أن تقومَ وتتوضَّأ، وتتهيَّأ للصَّلاة، فإذا استيقظتَ في الوقت ثُمَّ نمتَ، وخرج الوقت ولم تُصلِّ، ولم تستيقظْ إلَّا بعد أن خرَجَ الوقتُ؛ فأنت مستحقٌّ أن يحكم عليك بالكفر، فتبْ إلىٰ الله، واتركْ هذه التَّصرُّفات الخاطئة.

السُّؤال الخامس عشر: فضيلة الشَّيخ، وقعتُ في جريمة اللِّواطِ قبْل زواجي، وبعد الزَّواج أحسستُ أنِّي أميلُ كثيرًا إلىٰ الأطفال، ممَّا حدَا بي إلىٰ كثرة الاستمناء أكثر مِن مرَّة.

وسؤالي هو هل أخبر زوجتي بأوضاعي قبْل الزَّواج، وهل لي أن أذهب إلىٰ السّعوديَّة، وأطلب إقامة الحدِّ، أم أستر نفسِي، ويكفيني التَّوبة من هذه المعاصي، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: لا يلزمك أن تخبر أحدًا؛ لا زوجتك، ولا غيرها، بل إن الشارع ﷺ ندَب من ألمَّ بشيءٍ من المعاصي أن يتوب منها، وأن يستتر بستر الله، فاقبل هذه النصيحة، ولا تعد تذكر هذه الأمور الَّتي فارقتَها.

وفي قولك: "هل لي أنْ أذهبَ إلىٰ السّعوديَّة، وأطلب إقامة الحدِّ، أم أستر نفسِي، ويكفيني التَّوبة من هذه المعاصي؟"، **أقول**: لا تذهب، واستر نفسَك، وتب إلىٰ الله، هذا الَّذي يجبُ عليك، وبالله التَّوفيقُ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

أملى هذه الفتوى

فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي

١١/ ٠٧/ ١٤٢٧هـ

أسئلة الشَّيخ عبد الله الظّفيريّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعدُ:

فهذه أسئلةٌ وردتْ إليَّ مِن حفر الباطن، مُرسلُها الشَّيخُ عبدُ الله الظّفيري - وفَّقه الله -، واستعنتُ بالله للإجابة عليها، وهي علىٰ النَّحو التَّالي:

السُّؤال الأوَّل: فضيلة الشَّيخ، أحسنَ اللهُ إليك، نودُّ منكم نبذةً مختصرةً عن سيرتكم الذَّاتيَّة، ومسيرتكم العلميَّة والدَّعويَّة؟

الجواب: أنا عبدٌ من عباد الله، خُلقتُ في أرض الله، وغدوتُ كما يغدو النَّاس؛ فإن كنتُ أحسنتُ فأسألُ الله أنْ يَتقبَّل إحساني، ويُثبِّتَني عليه، وإن كنتُ أسأتُ - وذلك كائنٌ ولا بدَّ - فأسألُ اللهَ أنْ يغفر لي إساءتي.

ولدتُ في ٢٠ شوال ١٣٤٦هـ، قرأتُ القرآن في الكتاتيب ثلاث مرَّات قبل مجيء الشَّيخ المجدِّد عبد الله بن محمد القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولمَّا قدم الشَّيخُ، وأسَّس المدرسة السَّلفيَّة بصامطة التحقتُ بها، وفي عام ١٣٦٧هـ عُينتُ مدرِّسا في قريتي النّجاميَّة، وفي عام ١٣٧٢هـ عُيِّنتُ إمامًا وخطيبًا ومعلِّمًا في مركز أبي سُبيلة التَّابع للعارضة، وفي عام ١٣٧٤هـ أُسِّس المعهد في صامطة، فعُيِّنتُ فيه مُعلِّما بإدارة الشَّيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي عام ١٣٨٤هـ استقلتُ من المعهد العلميِّ بصامطة علىٰ أمل أن أُعيَّن في الجامعة الإسلاميَّة، ولكن لم

يقدِّر الله، فعُيِّنتُ واعظًا ومرشدًا، وعملتُ بهذا العمل قريبًا من ثلاث سنوات، ثُمَّ أُعدتُ معلِّمًا في المعاهد العلميَّة؛ فعملتُ سنةً في المعهد العلميِّ بجازانَ، ثُمَّ أُعدتُ إلىٰ المعهد العلميِّ بصامطة، وبقيتُ فيه إلىٰ أن أُحلتُ للتَّقاعد في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ، وبعد ذلك كثَّفْتُ التَّدريس في حلقات المساجد، والحمد لله، وأسألُ اللهَ أنْ يمنحني الإخلاص والقوَّة والمثابرة حتَّىٰ الموت.

السُّؤال الثَّاني: ذكرتم - يا شيخ - العالم الشَّيخ عبدَ الله القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما مدىٰ تأثُّر المنطقة الجنوبيَّة بدعوة الشَّيخ عبد الله علىٰ وجه العموم، وتأثُّركم به علىٰ وجه الخصوص؟

الجواب: كان تأثُّر المنطقة تأثُّرًا عظيمًا، فتخلَّص الكثير من أهلها من الشِّرك؛ فوحَّدوا الله، وعملوا بالسُّنَّة، وتركوا البدع، وبدا علىٰ الكثير منهم التَّديُّن، وتركوا الغفلة، واتَّصفوا بالحرص علىٰ التَّعلُّم، وبالأخصِّ طلَّاب العلم؛ الَّذين عرفوا قدْر العلم، وسُوء الجهل، وخمول أصحابه، وضلالهم.

أمَّا تأثُّري به علىٰ وجه الخصوص أنا وأمثالي؛ فقد عرفنا عنه العلم وقدره ونفعه، وعرفنا عنه الجهل، وما فيه من مساوئ، وبذلك نجانا الله عَزَّوَجَلَّ من حالة أهل الجهل، والحمد لله.

السُّؤال الثَّالث: ما هي أسبابُ نجاحِ دعوةِ الشَّيخ عبد الله القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

الجواب: أوَّلًا: إخلاصه لله.

ثانيًا: صبره علىٰ الابتلاءات.

ثالثًا: سيره علىٰ السُّنَّة بطريقة التَّعليم.

رابعًا: بذله وتضحيته.

خامسًا: كثرةُ دعائه.

سادسًا: عملُه الدَّائب، ونشاطه فيه.

سابعًا: علمُه بالكتاب والسُّنَّة وتعليمه طلَّابه بذلك.

ثامنًا: بدؤه بالتَّوحيد الَّذي بدأت به الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

السُّؤال الرَّابع: فضيلة الشيخ، هل الدعوات الموجودة في الساحة الإسلامية سبب في تأخر المسلمين، ووجود الأحداث الرَّاهنة من التَّكفير والتَّفجير والتَّدمير؟

الجواب: نعم، وذلك مِن أعظم الأسباب الَّتي أخَّرت وسبَّبت في عرقلة سير الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك بدخولِ المفاهيم الخاطئة، والحزبيَّات المفرقة، والاتّجاهات المتناقضة، وما وجد التَّكفير والتَّفجير والقتل والتَّدمير إلَّا نتيجة لذلك؛ فقد تأثَّر كثيرٌ مِن الشَّباب السَّائرين علىٰ المناهج الخاطئة، والمتأثِّرين بفكر سيِّد قطبٍ الخارجي الضَّالّ؛ فكانوا دعاةَ سُوءٍ، وروَّاد ضلالٍ؛ ففسدوا وأفسدوا، وفجَّروا ودمَّروا.

السُّؤال الخامس: ما أثر عزل الشَّبابِ عن العلماء، ولا سيَّما في القضايا المصيرية؟

الجوابُ: أثرٌ سيِّءٌ، وذلك إن استقلَّ أصحاب المناهج المبتدعة بالشَّباب، وسيَّروهم علىٰ ما يريدون ويهوون، فكانت النتيجة أمرَّ من الحنظل.

السُّؤال السَّادس: ما هو أثَرِ التفافِ الشَّباب حول العُلماء؟

الجواب: أنَّهم لو التفوّا حول العلماء السَّلفيِّين؛ لبصّروهم بالحقِّ، وهدَوهم إلىٰ السُّنَّة، وإذًا ستكونُ النَّتيجةُ ممتازةً؛ بأنْ يسيرَ الشَّباب في الطَّريق الصَّحيح، فيرضىٰ الله عنهم، ويسود الأمن، والحبُّ في الله، والوئام، والطُّمأنينة، ويعيش النَّاس في سلام، ورغد عيش.

السُّؤال السَّابع: فضيلة الشيخ، العالم الإسلاميُّ يعيش في دوَّامة من الحروب، وسفك الدِّماء، والوقوع في المخالفات العقديَّة والسُّلوكيَّة؛ فما هو السبيل لنجاة الأمة الإسلاميَّة من ذلك؟

الجواب: إنّ السَّلامة من الوقوع في المخالفات العقديَّة والسُّلوكيَّة، والتَّمتُّع بالرَّاحة والطّمأنينة ورغد العيش؛ هو السَّير علىٰ الكتاب والسُّنَّة، ومتابعة ما جاء به الرَّسول الكريم محمَّد رسول الله ﷺ من التَّوحيد والإيمان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦]، فما للعباد مخرج من مخاوف الدنيا والآخرة إلا بالطاعة، والسَّير علىٰ ما أمر اللهُ به في كتابه، وما أمر به رسوله ﷺ في سنَّته.

السُّؤال الثَّامن: فضيلة الشَّيخ، المملكة العربيَّة السّعوديَّة دولةٌ قامت علىٰ أساس التَّوحيد والدَّعوة السَّلفيَّة؛ نودُّ من فضيلتكم تسليطَ الضَّوءِ حول هذا الموضوع؟

الجواب: **أقولُ:** الدَّولة السّعوديَّة قامت من أوَّل يومها، وفي كلِّ عهودها الثَّلاثة علىٰ التَّوحيد، ونبذ الخرافة، والسَّير علىٰ مصادر الشَّريعة؛ الَّتي هي كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وعلىٰ فهم السَّلف الصالح.

وهذا ما تعاهد عليه الشيخان من أوَّل يومٍ؛ رجل الدَّعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب، وأمير النّصرة محمَّد بن سعود رحم الله الجميع.

وبنفس هذه الدعوة قام الملك عبد العزيز بن عبد الرَّحمن الفيصل في الدَّور الثَّالث مُجدِّدًا لدعوة جدِّه الدَّعوة الَّتي نصرها محمَّد بن سعود فقد صفَّىٰ

كلَّ بلدٍ ملكها مِن الشِّرك والبدَع، وصرَّح في غير ما موضعٍ أنَّه يسير علىٰ أسس الدَّعوة الَّتي قام بها الشَّيخُ محمَّد بن عبد الوهَّاب، والأمير محمَّد بن سعود؛ وهو السَّير علىٰ كتاب الله وعلىٰ سُنَّة رسولِه ﷺ وعلىٰ فهم السَّلف الصَّالح، فهذا مبدؤه، وهذه طريقته؛ سار علىٰ ذلك بالفعل، وسار عليها أبناؤه الَّذين تولَّوا قيادة هذه الدَّولة رحم اللهُ مَن مضىٰ، ووفَّق وسدَّد مَن بقيَ؛ فهو المبدأُ الَّذي لا يُقبلُ الطَّعنُ فيه، ولا المساومة عليه في دولتنا، والحمد لله.

السُّؤال التَّاسع: فضيلة الشَّيخ، تعلمون ما يقومُ به رجال الأمن البواسل من جهودٍ جبَّارةٍ في سبيل الحفاظ علىٰ أمن هذه البلاد المباركة، فهل من كلمةٍ تُوجِّهها لهم؟

الجواب: أقولُ: هنيئًا لرجال الأمنِ ما يقومون به من الحفاظ علىٰ أمن هذه الدولة، ومَن فيها، وما فيها من أمم وموجودات، هنيئًا لهم هذا العمل الذي يعتبر جهادًا في سبيل الله، وذلك أمانٌ من النَّار لمن قام به، واستقام علىٰ الحقّ، وقد صحَّ عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «**عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» رواه التِّرمذيُّ[1]، وفي روايةٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَالَهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ**» رواه الحاكم في «المستدرك علىٰ الصَّحيحين»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٨٢٩).

(٢) رقم (٢٤٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣١٣٦).

وأقولُ: كفىٰ بهذه البشرىٰ، فهي بشرىٰ عظيمة لرجال الأمن، وما يقومون به مِن عملٍ وحراسةٍ لدولة التَّوحيد ومَن فيها، وقال ﷺ في الخوارج: «**طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ**»(١)، وفي روايةٍ: «**شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ**» رواه التِّرمذيُّ(٢)، وقال الألبانيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي روايةٍ: «**خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ قَتَلُوهُ**»(٣).

فهذه الأدلَّة تدلُّ علىٰ فضيلة رجال الأمن خاصَّةً، والذين يقاتلون الخوارج عامَّةً.

السُّؤال العاشر: فضيلة الشيخ، الجهاد ذروة سنام الإسلام؛ فما ضوابطه؟

الجواب: أقول: ضوابطه كالتَّالي:

١- أن يكون الجهاد في نصرة حقٍّ، ودحض باطل.

٢- أن يكونَ تحت رايةِ إمامٍ شرعيٍّ.

٣- أن يكون عن أمر الإمام.

السُّؤال الحادي عشر: هل الخروجُ علىٰ وليِّ الأمر الفاسق يُعدُّ جهادًا في سبيل الله؟

الجواب: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أنَّه لا يجوز الخروج علىٰ الإمام؛ سواء كان برًّا أو فاجرًا، عدْلًا أو جائرًا، وهذا هو الَّذي تُؤيِّده الأدلَّة الشَّرعيَّة، ولم يقُل بجواز الخروج علىٰ الإمام الجائر إلَّا أهل البدَع؛ وهم الخوارج

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣)، وأبو داود (٤٧٦٥) بلفظ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ**»، وحسَّنه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٩٠٦).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٣٠٠٠)، من حديث أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: «حديثٌ حسنٌ»، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح التِّرمذيِّ»: «حسنٌ صحيحٌ».

(٣) أخرجها الترمذيُّ (٣٠٠٠)، والبيهقيُّ في «الكُبرىٰ» (١٦٧٨٣)، مِن حديثِ أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحَسَّنه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٥٥٤).

والمعتزلة، وقولُهم ضعيفٌ لا يستندُ إلىٰ دليلٍ.

السُّؤال الثَّاني عشر: فضيلةَ الشَّيخ، أحسن الله إليكم، البعضُ لا يفرِّق بين العُلماء والوعَّاظ القُصَّاص، ويجعلهم في منزلةٍ واحدةٍ، فمَن هم العُلماء الَّذين يُرجَع إليهم، وما هي أوصافُهم؟

الجوابُ: العُلماء هم أهلُ العلم المتمرِّسون فيه، والسَّائرون عليه؛ الَّذين يسيرون مع الدَّليل، ويأخذون به، ويُميِّزون به بين الحقِّ والباطل، والسُّنَّة والبدعة. أمَّا القُصَّاص فهم الَّذين يعتمدون في كلماتهم ومواعظهم علىٰ القصَّة، ويحرصون علىٰ إضحاك النَّاس؛ فيجبُ أن يتَّجه النَّاس بفتاواهم إلىٰ العُلماء دون القصَّاصين.

السُّؤال الثَّالث عشر: يوجد في السَّاحة الإسلاميَّة بعض الأفكار والاتِّجاهات التي تدعو إلىٰ تحرير المرأة، وإلىٰ فصل الدِّين عن الدَّولة، فما هو موقفُ الإسلام منها؟

الجواب: موقف الإسلام منها موقف عداءٍ وذمٍّ ومحاربةٍ لها؛ لأنَّها - أي هذه الأفكار - مقصودة لهدم الدِّين، وتقويضه من بنيانه؛ لذلك فإنَّه يجبُ محاربة هذه الأفكار من جميع الفئاتِ المسلمة بدون استثناءٍ.

السُّؤال الرَّابع عشر: ما هي النَّصيحة الَّتي تودُّ أن تقدِّمها إلىٰ أبنائكم الشَّباب في العالم الإسلاميِّ؟

الجواب: أودُّ أن يفهم الشَّباب أنَّه لا يُنجيهم من عذاب الله إلَّا إجابة دعوة الله المُتمثِّلة في القُرآن ومتابعة الرَّسول ﷺ علىٰ موجب ما صحَّ من سنَّته؛ علىٰ طريقة أهل الحديثِ، والدَّليلُ علىٰ ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، فما هو الَّذي تمنَّىٰ الظالمون حين عاينوا العذاب؛ إنَّهم تمنَّوا أن يمهلوا حتىٰ يجيبوا دعوة الله، ويتَّبعوا الرُّسل؛ تمنَّوا الإمهال في وقتٍ لا يمكن فيه الإمهال.

فاحرصوا - أيُّها الشَّباب - علىٰ العمل بما طلبوا المهلة للعمل به، اعملوا أنتم بذلك الآن في وقت الإمكان، أنتم الآن في وقت العمل، ضعوا أيديكم في أيدي علماء السُّنَّة؛ أهل الحديث، أهل التَّوحيدِ. واحذروا من الخوَّان الذين يستترون بالدِّين، ويعملون للسِّياسة؛ لتنفيذ مآربهم، احذروا منهم فإنَّهم خونةٌ ظلمةٌ.

هذه نصيحتي للشَّباب الإسلاميّ عمومًا، والشَّباب السّعوديّ خصوصًا.

وأخيرًا؛ أسأل الله أن يصلح أحوالَنا وأعمالَنا، ويُسلِّم من النَّار مآلنا، إنَّه جوادٌ كريمٌ، برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.

كتبه

أحمد بن يحيى النَّجميّ

١٤/٠٦/١٤٢٨هـ



أسئلة الشَّيخ طارق الهاشمي من قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فضيلة الشيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجميّ حفظه الله

السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، وبعدُ:

نرجو منكم يا فضيلة الشَّيخ الإجابة علىٰ هذه الأسئلة - جزاكم الله خيرًا، ونسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يُوفِّقنا وإيَّاكم لمرضاتِه، ويجمعنا بكم في الفردوس الأعلىٰ؛ مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحِين، وحسُن أولئك رفيقًا. ابنُكم أبو الحارث طارق بن نعم الله الهاشمي عفا الله عنه، وقد انتهيتُ مِن تبييضها يوم الأحد ١٦ / ٦ / ١٤٢٨ هـ، وإليكم أسئلتي - حفظكم الله - وهي علىٰ النَّحو التَّالي:

السُّؤال الأوَّل: انتشرتْ في العالم الإسلاميِّ والغير إسلاميِّ ما يُسمَّىٰ بالجمعيَّات الخيريَّة، وهذه الجمعيَّات هدفُها نشرُ الإسلام بين غير المسلمين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والقيام ببعض الأعمالِ الخيريَّة؛ مِن كفالة الأيتام، وجمع التَّبرعات للفقراء والمُحتاجين.

وهذه الجمعيَّات ما إن تبدأ بأعمالها الخيريَّة لفترةٍ، ويقوم أصحابها بجمْع الأموال الطَّائلة تبدأ الحزبيَّة بالانتشار بين أصحابها إلىٰ أنْ تصلَ إلىٰ درجةِ الموالاة والمعاداة بسببها، وسواءً كانت هذه الجمعيَّات تعلنُ عن حقيقةِ منهجِها أوْ لا، إلاَّ أنَّها في النِّهاية تصبح بؤرةً لانتشار الأفكارِ المُنحرفة عن دين الله؛

كالتَّكفير والتَّفجير، ومحاربة السُّنَّة باسم السُّنَّة والدِّين؛ مع العلم أنَّ بعض هذه الجمعيَّات تكون قريبةً من المساجد أو الجوامع، وتكون جميع نشاطات الجمعيَّة داخل مبنىٰ الجمعيَّة، ويهمل المسجد إلَّا للصَّلوات الخمس، بل حتَّىٰ المحاضرات والنَّدوات لا يكون للمسجد منها إلَّا النَّزر اليسير، ويقتصر دور المسجد في هذه الحالة علىٰ جمع التَّبرعات أو علىٰ وضع الإعلانات الخاصَّة بالجمعيَّة ونشاطاتها.

وسُؤالي من شقَّين؛ الشِّقّ الأوَّل هو:

مِن أين جاءت فكرةُ إقامةِ الجمعيَّات الخيريَّة في العالم الإسلاميِّ؟

الجواب: الحمد لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعدُ:

قد يكون منشأ الجمعيَّات الخيرية لمصلحةٍ خيريَّةٍ، ومقصودٌ بها مصلحة للمسلمين؛ كالتَّشجيع علىٰ طلب العلم وغيره، فإذا دخلت فيها الحزبيَّات أفسدتْها، وسخَّرتها في أغراضها الخبيثة؛ مِن شراء الذِّمم، ونشر البدَع.

وهل لا بدَّ من إقامة جمعيَّةٍ خيريَّةٍ حتَّىٰ يُدعىٰ من خلالها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؟

الجواب: ليس بلازمٍ؛ فقد قامت دعوة إصلاحيَّة، ونجحتْ بلا جمعيَّات؛ مثل دعوة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب في نجد، ومثل دعوة الشَّيخ القرعاوي في جنوب المملكة، ومثل دعوة الشَّيخ مُقبل بن هادي الوادعي في اليمن، رحم الله الجميع.

وهل قصَّر الصَّحابةُ والتَّابعون في الدَّعوة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما قامت دعوتهم من المساجد؟

الجوابُ: لم يُقصِّروا؛ بل فتحُوا البلاد بالسَّيف، ثمَّ علَّموا النَّاس شرائع الله حتَّىٰ فقه النَّاس دينهم؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

والشِّقُّ الثَّاني مِن السُّؤال الأوَّل:

يدعو بعضُ الإخوةِ السَّلفيِّين إلىٰ إقامةِ مثلِ هذه الجمعيَّات الخيريَّة لاستقطاب الشَّبابِ المُسلم حتَّىٰ لا ينجرَّ نحو الجمعيَّات الحزبيَّة، فهل دعوتهم إلىٰ هذا الأمر دعوةٌ صحيحةٌ، وجزاكم الله خيرًا؟

الجوابُ: المنهجُ السَّلفيُّ تقبله النُّفوس السَّليمة؛ لأنَّه شرعُ الله المطهّر؛ بدون المغريات. وأمَّا الحزبيَّات فإنَّها تحتاج إلىٰ مُسوِّغٍ؛ لذا فإنَّ علينا أنْ نُبيِّنَ المنهجَ الحقَّ للنَّاس؛ فمَن أراد اللهُ به خيرًا قبله، وليس علينا أنْ نتَّخذ الأعداء وسيلةً لقَبوله، وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الثَّاني: يدَّعي البعض التَّيسير في الدِّين الإسلاميّ مستدلّين بقول النَّبيِّ ﷺ: **«يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»**(١)، وإذا كانت بعض المسائل التي يدَّعي هؤلاء التَّيسير فيها مخالفة لسنَّة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ أو نصّ صريح في كتاب الله، فهل دعوتهم إلىٰ التَّيسير إلىٰ دين الله صحيحة؟

الجواب: ليست بصحيحةٍ؛ لأنَّ ما كان فيه مخالفة لسنة من سنن رسول الله ﷺ أو حكم شرعيّ، فإن ذلك لا يعدّ تيسيرًا، بل يعدُّ تساهلًا واستباحةً لما لا يجوز، وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الثَّالث: يقوم بعضُ الدُّعاة بعرض قصصٍ واقعيَّةٍ عن المنكرات والمخالفات الَّتي تحدثُ في المجتمع الإسلاميّ بهدف الاعتبار والاتِّعاظ، وبعض

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذه القصص التي تسرد في المحاضرات يكون فيه شيءٌ من الدَّناءة وقلَّة المروءة؛ كوصف لجريمة الزِّنا واللِّواط أو عقوق الوالدين أو غيرها من المنكرات.

ولا يقف الأمر إلىٰ هذا الحدّ، بل يقوم بعض الشَّباب بعمل أقراص مدمجةٍ أو أفلامٍ قصيرةٍ لهذه الوقائع يتناقلها الشَّباب الملتزم وغير الملتزم فيما بينهم عن طريق الجوَّال أو الأنترنيت، مع العلم أنَّ بعض هذه الوقائع قد لا تكون صحيحة أو مدبلجة عن طريق الحاسب الآلي، والملاحظ أن الذي يكثر السَّماع ومشاهدة هذه القصص الواقعيَّة يزداد كرهًا وبغضًا للمجتمع الذي يعيش فيه.

وسؤالي هو: ما حكم استخدام مثل هذه الوقائع والقصص في الدعوة إلىٰ الله وإصلاح المجتمع، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: لا يجوز استخدام هذه القصص وإفشاؤها:

١- لأنَّ بعضها قد تكون كذبًا.

٢- أنَّ فيها تعريةً لأناسٍ مؤمنين أي لعوراتهم، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

٣- في الحديث: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[(١)].

٤- أنَّ في كثرة التَّناقل للقصص تهوينًا للمنكر وترديدًا له.

وكيف نردُّ علىٰ من يدَّعي أنَّ هذه القصص من باب بيان حال المجتمع الإسلاميّ، وأنَّه مجتمع غير معصوم، ويحتاج إلىٰ إصلاح، وإلىٰ الأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٠٢٥).

والحديث أخرجه مسلمٌ في مُقدِّمة «صحيحه» (١/ ١٠عبد الباقي) بلفظ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

والنهي عن المنكر؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: **أقولُ**: لا يلزم ذكر هذه الأمور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن يُصادف ذلك هوًىٰ في أنفسهم؛ لمضغ ذلك الكلام السَّيِّء، وترديده في ألسنتهم، ولعلَّ بعضَهم وهم الَّذين يذهبون إلىٰ مذهب الخوارج لعلَّهم يريدون أنْ يتَّخذوا ذلك حجَّةً علىٰ تكفير المسلمين، ونيل مآربهم.

وهل كان السَّلف رحمهم الله يستخدمون مثل هذا الأسلوب في الدعوة إلىٰ الله؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: لا نعلم أحدًا من السَّلف استخدم مثل هذا الأسلوب في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وبالله التوفيق.

السُّؤال الرَّابع: انتشرت في الأسواق والمجمعات التِّجاريَّة عباءات نسائيَّة غريبة الشَّكل، مطرزة بالذهب أو الفضَّة أو بالألوان البرَّاقة، وبعضها قد يشبه ثياب الرِّجال؛ فهل يجوز للمرأة المسلمة لبس هذه العباءة؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: ما أشبهَ ثياب الرِّجال من لباس النِّساء فلا يحلُّ للمرأة أن تلبسه لحديث: «**لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَلَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ**»[(١)].

وما حكمُ بيعها أو المتاجرة بها؟ وجزاكم اللهُ خيرًا.

الجواب: لكون العباءة معدَّة للنِّساء، والنِّساء يحلُّ لهنَّ التحلِّي بالذَّهب والفضَّة علىٰ القول الأصحِّ؛ لذلك فإنِّي لا أرىٰ البيع والشِّراء فيها ممنوعًا، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣١٥١ الرِّسالة)، مِن حديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
وأخرجه البخاريُّ (٥٨٨٥)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا بلفظ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ... ».

السُّؤال الخامس: قال بعض النَّاس انتشر لدينا طبَّالٌ ورقَّاصٌ ومغنٍّ مواطنون؛ فلماذا لا يكون لدينا إمام مسجدٍ مواطنٌ بدلًا من الأجانب، فما حُكم القائل لهذه المقولة عندما ساوىٰ بين مهنة الفسَّاق بمهمَّة إمام المسجد؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: لا يجوز المساواة بين مهن الفسَّاق، ومن يعدُّ قدوةً في الدِّين، وهذا يعدُّ من قائله اعتداءً علىٰ إمامة الصَّلاة، وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال السَّادس: ما مرتبة صحيحي ابن حبَّان وابن خزيمة بالنِّسبة لصحيحي البخاري ومسلم في صحَّة الأحاديث؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: صحيح ابن خزيمة يتلو مسلمًا، وصحيح ابن حبَّان في رتبةٍ بعد ابن خزيمة. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال السَّابع: سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف النِّيَّة في العلم، فقال: "أن تنويَ به رفع الجهل عن نفسك ودفعه"[(١)]، فكيف النِّيَّة في الإمامة والأذان؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: كيف تسألني عن مسألة أجاب فيها الإمام أحمد؛ فينبغي أن تقنع بإجابته، والحقيقة أنَّه يضاف إلىٰ هذا أنَّ الإمام والمؤذِّن ينوي بذلك أداء الواجب عليه؛ فالمؤذِّن الواجب عليه الإعلام بالوقت، والإمام يُصلِّي لقومه صلاةً يطمئنُّ عليها أنَّها تنفعه وتنفع قومَه.

وما حكم من يُصلِّي بالنَّاس أو يؤذِّن في المسجد للاستفادة من المكافأة فقط؟ وجزاكم الله خيرًا.

---

(١) انظر: «الآداب الشَّرعيَّة» لابن مفلح (٢/ ٣٧عالم الكتب).

الجواب: ينبغي له أن يصحِّح النِّيَّةَ، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

أملىٰ هذه الفتاوىٰ

أحمد بن يحيى محمد النَّجميّ

٢٠/ ١١/ ١٤٢٨هـ



أسئلةُ الحجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السُّؤال ١: هل العمرةُ واجبةٌ في العُمر مرَّةً أمْ أنَّ فعلَها سنَّةٌ؟

الجواب: العمرة واجبةٌ؛ فهي فريضةٌ كما أنَّ الحجَّ فريضةٌ؛ لقولِ الله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ولحديثِ: «**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**»(١).

السُّؤال ٢: هل للمُسلم أنْ يتركَ مِيقاتَه الأصليَّ، ويُحرِمَ مِن ميقاتٍ غيرِه؟

الجواب: إنْ كان له حاجةٌ إلىٰ مكانٍ آخرَ، وذهبَ إلىٰ هذا المكان، وبوُصوله إلىٰ هذا المكان لابدَّ أنْ يأتي علىٰ ميقاتٍ آخرَ؛ فله ذلك، كمَن يذهبُ من المنطقة الجنوبيَّة يُريدُ المدينة، ولا يريدُ أنْ يأتيَ بالعُمرةِ الآن، فيذهبُ إلىٰ المدينة، ثمَّ بعْد ذلك يُحرِمُ بالعمرةِ مِن ميقاتِ أهلِ المدينةِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَىٰ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ، مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ**»(٢).

السُّؤال ٣: مَن هم حاضرو المسجدِ الَّذين لا يَلزمُهم هديُ التَّمتُّع على القولِ الصَّحيح؟

الجواب: الَّذين لا يَبعدُون عن المسجد الحرام مسافة قصرٍ؛ فهؤلاء يُعتبرون

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، والتِّرمذيُّ (٩٣٠)، والنَّسائيُّ (٢٦٢١)، وابنُ ماجه (٢٩٠٦)، من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣١٢٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٥٢٤)، ومسلمٌ (١١٨١)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

مِن حاضري المسجد الحرامِ. ومسافة القصر ٤٠ كيلو.

السُّؤال ٤: مَن نوى بإحرامِه الإفرادَ، هل له تحويلُها إلى قِرانٍ أو تمتُّعٍ أو العكس؟

الجواب: يجوزُ له أنْ يُحوِّله إلىٰ تَمتُّعٍ؛ لأنَّ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ دخلُوا في الحجِّ بنيَّاتٍ مُختلفةٍ، فأمَرَهم النَّبيُّ ﷺ أنْ يُحوِّلوها إلىٰ عُمرةِ تمتُّعٍ، وكأنَّهم تباطؤوا في ذلك، وكان آخر أمْرِه إليهم وهو علىٰ المروة، ففعَلَ الصَّحابةُ ما أَمرَهُم به النَّبيُّ ﷺ، وعلىٰ هذا؛ فإنَّ القولَ الصَّحيحَ إدخالُ العُمرةِ علىٰ الحجِّ.

السُّؤال ٥: هل حديثُ عائشةَ يُؤيِّدُ هذه المسألةَ؟

الجواب: نعم يُؤيِّد هذا، ولكن عائشة بعذْرٍ؛ لِكونَها حاضتْ، أمرَها النَّبيُّ ﷺ أنْ تُدخِلَ العُمرةَ علىٰ الحجِّ، فتكون قارنةً.

لكن لو أراد مفردٌ أنْ يُدخلَ العُمرةَ علىٰ الحجِّ؛ يعملُ عمَلَ عُمرةٍ ويتحلَّل، فهو يقول: لبَّيكَ عُمرةً، مُتمتّعًا بها إلىٰ الحجِّ، ثمَّ يطوف ويسعىٰ ويتحلَّل؛ فله ذلك.

السُّؤال ٦: متى يسنُّ الدُّخول في النُّسك؛ هل بعد أداء الصَّلاةِ في مسجدِ الميقاتِ، أم إذا ركِبَ المُسلم دابَّته؟

الجواب: المستحبُّ أنْ يكون بعد صلاةٍ؛ فإنْ وافق صلاةَ فريضةٍ صلَّىٰ الفريضةَ، ودخَل بالتَّلبية للإحرام، وإنْ لم يُوافِق صلاةَ فريضةٍ يغتسل للإحرامِ، ويتوضأ ويُصلِّي ركعتَين، هذا هو المستحبُّ.

السُّؤال ٧: أين بدايةُ ونهايةُ الصَّفا والمروة؛ هل هو مع رُجوع العرباتِ كما هو معمولٌ به الآن، أم إذا رقى الصَّفا والمَروةَ؟

الجواب: إذا رقىٰ علىٰ شيءٍ مِن جبلِ المروةِ أو علىٰ شيءٍ من الصَّفا فهو يعتبر نهاية له، لكن الأفضل أنَّه يرقىٰ عليها إلىٰ المكان الذي يستطيع، وإذا رجع

من الشّبّاك الفاصل للعربات فهذا ما أكملَ الشّوطَ.

السُّؤال ٨: هل يجوزُ للمُحرمِ أنْ يمشطَ شعْرَ رأسِه وخاصةً للمرأة، أم أنّه لا يَجوزُ؟

الجواب: يجوز؛ لأنَّ النبي ﷺ قال لعائشةَ: «**انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِالحَجِّ، وَدَعِي العُمْرَةَ**»[١].

وكانت مُحرمةً، وكانت بسرف لمَّا أصابها الحيض.

السُّؤال ٩: متى يُلزَمُ المحرمُ بدمٍ؟

الجواب: يُلزَمُ بدمٍ إذا ارتكبَ محظورًا مِن مَحظوراتِ الإحرامِ؛ فإنْ كان المحظورُ ممَّا فيه إتلافٌ كحلقِ الشَّعر أو تقليم الأظافرِ والجماع فهذا يلزمُه.

السُّؤال ١٠: هل يجوزُ للمُحرمِ تغطيةُ وجهِه، وماذا عليه لو غطَّى؟

الجواب: لا يجوز، وأُثِرَ عن عُثمانَ أنَّه غطَّىٰ وجهَه[٢]، والصَّحيحُ أنَّه لا يجوزُ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ في الرَّجلِ الَّذي أَوْقَصَتْهُ رَاحِلَتُهُ، وَهُوَ مُحْرِمٌ فَمَاتَ: «**لا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ وَلَا وَجْهَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[٣]، ولو كان تخميرُ الوجه جائزًا لَما نهىٰ عنه النَّبيُّ ﷺ.

السُّؤال ١١: ما رأيُكم في الَّذي يقول: إذا أمكن للمُحرم أنْ يركَب سيَّارةً مكشوفةً فهو أولى؛ خروجًا مِن الخلافِ؟

الجواب: هذا غير صحيح؛ لأنَّ النَّبيّ ﷺ كان مُحرمًا، وكانوا يُظلِّلون عليه

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١٥٥٦)، ومسلمٌ (١٢١١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «موطَّأ مالكٍ» (١/ ٣٢٧ و٣٥٤عبد الباقي)، و«المصنَّف» لابن أبي شيبةَ (١٤٢٤٤ و١٤٢٤٨)، و«السُّنن الكُبرىٰ» للبيهقيّ (٩٠٨٧ و٩٩٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٠٦)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

بشيءٍ فوق رأسه[(١)].

السُّؤال ١٢: العبدُ الرَّقيقُ لو حجَّ بعد أنْ أعطاه سيِّده مالاً ليحجَّ به، وأذن له في ذلك، فهل تُغنيه هذه الحجَّة عن حجَّة الإسلامِ؟

الجواب: لا تُغنيه؛ فإذا أعتق وجبَ عليه أن يُحرمَ بحجَّةٍ أُخرىٰ، وحديثُ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ أُعْتِقَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَحُجَّ حَجَّةً أُخْرَىٰ**»[(٢)]، الحديثُ معروفٌ ومعمولٌ به، لكن ما تتبَّعتُ سندَه حتَّىٰ أحكُمَ عليه.

السُّؤال ١٣: هل الحجُّ على الفورِ أم على التَّراخي؟

الجواب: الحجُّ أصلًا علىٰ الفَوْرِ عند الاستطاعة؛ وهو وجودُ ما يُوصله إلىٰ الحجِّ، وعدم وجود الموانعِ، والنَّبيُّ ﷺ إنَّما تأخَّر حجُّه لأنَّ هناك موانعَ تمنعُه؛ منها أنَّ مكَّة كانت تحت المشركين، فلمَّا فُتحت مكَّةُ، وكان محاصرًا للطَّائف، فما رجع من الطَّائف إلَّا في شهر ذي القعدة.

وفي السَّنة التَّاسعة أرسل أبا بكرٍ أميرًا علىٰ الحجِّ، وأرسل مؤذِّنين يُؤذنون بأوَّل سورة (براءة)، وأمهل المشركين أربعةَ أشهر[(٣)]، وبعد الأربعة الأشهر كانتْ قد انتهتْ حجَّة سنة تسع، ولم يبقَ معه إلَّا الحجُّ الَّذي حجَّه في السَّنة العاشرة؛ فحجَّ وبعدها توفِّي ﷺ، وهذه الأعذار والموانع الَّتي منعت تنفيذ

---

(١) أخرج مسلم (١٢٩٨)، من حديث أمِّ الحُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «**حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، فَرَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلَالًا، وَأَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ، حَتَّىٰ رَمَىٰ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ**».

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٠١ بشار)، والضياء في «المختارة» (٥٣٧ دار خضر)، من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٧٢٩)، وانظر: «الإرواء» (٩٨٦).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٤٦٥٦)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٧)، و«سنن النسائي» (٢٩٥٨).

الحجّ أوّلًا، وإلّا فالأصحُّ أنَّ الحجّ عند كثيرٍ من أهل العلم فُرض في السَّنة السَّادسة.

السُّؤال ١٤: هل ترون الإحرام بالصَّبيِّ للعُمرة، وإذا كنتم ترون ذلك فهل لوليِّه أنْ يفسخ إحرام الصَّبيِّ؟

الجواب: إن كان سيقدر على إنفاذ هذه العُمرة، وإلّا فتركه أولى كأيَّام الزِّحام الشَّديد، والدُّخول بالطِّفل فيها خطر، لكن إذا كان في وقتِ السَّعة فالأولى الإحرام به؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ لَما قالت له تلك المرأةُ ومعها صبيٌّ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»[1].

فإن كان على الطِّفل حفَّاظة فهي غير مانعة من الطَّواف به؛ لأنَّه لا يشترط في حقِّه الطَّهارةُ؛ إنَّما يشترط في حقِّ حامله فيما يظهر - والله أعلم.

والحفَّاظة للضَّرورة، ويدفع وليُّ الصَّبيِّ فديةَ أذًى؛ لأنَّها تعتبر شبيهة بالمخيط. وإذا أحرم وليُّ الصَّبيِّ عنه فلا يجوز له أن يفسخ العُمرة.

السُّؤال ١٥: هل يجوز الطَّوافُ والسَّعيُ راكبًا، مع القُدرة على المشي؟

الجواب: نعم، ولا يأثم؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد طاف راكبًا[2].

السُّؤال ١٦: إذا كان الصَّبيُّ لا يعقلُ؛ فهل إذا أراد وليُّه الطَّواف به يطوفُ مرَّتين؛ عنه وعن الصَّبيِّ، أو يطوف مرَّةً واحدةً؟

الجواب: يكفي الطواف مرَّة واحدة، ينوي به الطواف لنفسه وللصبي المحمول معه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٦)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرج البخاري (١٦١٢)، ومسلم - واللَّفظُ له - (١٢٧٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «طَافَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَىٰ بَعِيرٍ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ».

السُّؤال ١٧: حديث ابن عبَّاس: «لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ»(١)، هل هو موقوفٌ أو مرفوعٌ إلى النَّبيِّ ﷺ؟

الجواب: المعروف أنَّه مرفوعٌ.

السُّؤال ١٨: إذا حجَّ شخصٌ عن غيره، ولم يحجَّ الوكيلُ عن نفسه، فلِمن تكون هذه الحجَّة؟

الجواب: ما تكون عن الوكيل، وإذا كان قد أخَذ مقابلًا يُلزمُ بإرجاع المقابل إلىٰ صاحبِه، وينبغي للقاضي إذا ثبت علىٰ أحدٍ أنَّه فعَل ذلك أن يُعزِّره؛ لأنَّه احتال علىٰ النَّاس.

السُّؤال ١٩: هل يُشترط فِي الوكيل للحجِّ أن يكون من بلدِ مَنْ وكَّله بالحجِّ؟

الجواب: ليس بلازمٍ.

السُّؤال ٢٠: ما معنى قول صاحب (زاد المستقنع): "فإن أعجزه كبرٌ أو مرضٌ لا يرجى برؤه لزمَه أن يُقيمَ مَن يحجُّ ويعتمرُ عنه من حيثُ وجبا"؟

الجواب: بمعنىٰ أنَّه لو وصل في الطَّريق إلىٰ مكانٍ ما يُقيمُ مَن يُكملُ الحجَّ، فإذا كان هو لا يستطيعُ فيجوزُ للعاجز أن يُنشئ من بلده مَن ينوب عنه، فهو إذا عرض له هذا العجز في الطَّريق بحيثُ لم يتمكَّن مِن إكمالِ الحجِّ أو العُمرة فعليه أنْ يُقيمَ مَن يُكمل إذا لم يكن دخل في الإحرام، أمَّا إذا دخل في الإحرام فعليه أن يكمل هو؛ إمَّا راكبًا أو محمولًا أو بأيِّ صورةٍ.

السُّؤال ٢١: هل المرأةُ المُستطيعةُ للحجِّ إذا لم تَجدْ محرمًا؛ هل يسقطُ عنها فرضُ الحجِّ أم يلزمها الإنابة بمالِها؟

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣). وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٩٩٤).

الجواب: يسقط عنها الحجُّ إلَّا إذا كانت قادرةً مِن النَّاحية الماليَّة وغير قادرةٍ مِن النَّاحية الذَّاتيَّة؛ لِعدم وجود المَحرَم، فيلزمها حينئذٍ أنْ تُنيبَ عنها من يحجُّ عنها؛ كالخادمات اللَّاتي يصلنَ إلىٰ مكَّة، وليس لهنَّ محرمٌ ولا زوجٌ يلزمها أن تنيب من يُقيمُ عنها الحجَّ حتَّىٰ يسقط عنها الفرض.

الخادمة إذا حجَّتْ مع صاحب البيت وزوجته، وكان يخاف عليها إذا جلست وحدها أو مع أقارب الزَّوج كإخوانه من الفتنة في دينها، فيحجُّ بها ارتكابًا لأخفِّ المفسدتَين لدرءِ أعلاهما؟

الجواب: هذه حالةُ ضرورةٍ؛ كالمرأة الَّتي سافرتْ للحجِّ، وفي أثناء الطَّريقِ توفِّي زوجُها أو محرمها، فبقيَتْ وحدَها، ففي هذه الحالةِ يجوزُ لها أنْ تُسافر لِتكميل حجِّها بدون محرمٍ لأنَّها مضطرَّة، ولها أنْ تُوكِّلَ من يرمي، ويهدي عنها، ويلزم الوكيل أن يكون صادقًا معها.

السُّؤال ٢٢: ما حُكم مَن أحرمَ بالحجِّ متمتِّعًا قبل شهر شوَّال، وماذا يلزمه؟

الجوابُ: إحرامه بالحجِّ ليس بصحيحٍ، ويتحلَّل بعمرة، ولهذا لأهل العلم في المسألة قولان في رجل أحرم ليلة العيد قبل غروب الشَّمس، وأدَّىٰ الطَّواف بعد دخول شوَّال، هذا المُحرم تُعتبرُ عُمرتُه عمرة تمتُّع؟ فبعض أهل العلم يقولون: إنْ كانتْ غربَتْ عليه الشَّمس وهو قد طاف أربعةَ أشواطٍ فهو يكملُ، وتعتبر عمرتُه ليستْ عمرةَ تمتُّع بل هي عُمرةٌ مفردةٌ، وإذا بدأ بالطَّواف، وغربت عليه الشَّمس مِن أوَّل ليلةٍ مِن شوَّال ففي هذه الحالة تعتبر عُمرته عمرة تمتُّع، وبعض أهل العلم يقولون: لا بدَّ أن يكون الإحرام والطَّواف والسّعي كلّها بعد دخول شوَّال، ولا شكَّ أنَّ الأحوطَ أن تكون العمرة في شوال بدءً من الإحرام.

السُّؤال ٢٣: هل مَن حاذى الميقات يجوزُ له أنْ يحرم من ذلك المكان دون الميقات المحدَّد شرعًا؟

الجواب: لا بدَّ أن يكون هذا المكان قد حدَّده وليُّ الأمر؛ فجُعل محاذيًا للميقات بعد مشورة العلماء، مثلُ ما حصل في يلملم قبل أنْ يستقرَّ.

السُّؤال ٢٤: ما حُكم مَن أحرم بالحجِّ أو العُمرة دون أنْ يصلَ إلى الميقات المكانيِّ؟

الجواب: هذا فيه خلافٌ[1]؛ فالجمهورُ يرون جواز ذلك، ويستدلُّون بأنَّ أحد الصَّحابة نذر أنَّه إذا فُتح عليه أن يحرم بالعمرة من المكان الَّذي فُتح عليه، ولمَّا فتح عليه أحرم بالعُمرة من ذلك المكان[2]، والظَّاهريَّة يقولون: إذا أحرم قبْل الميقات، فإحرامُه غيرُ صحيحٍ.

إذا أحرم شخصٌ من الطَّائرة قبل مُحاذاة الميقات خوفًا من أنْ تمرَّ الطَّائرةُ علىٰ الميقات وهو نائمٌ بدون إحرامٍ؟

الجواب: إذا كان في الطَّائرة يحتاط قبل الوصول للميقات، فإذا مضىٰ نصف الوقت يخلع المخيط، ويلبس إحرامه، ويقول: لبَّيك اللَّهمَّ عُمرةً أو حجًّا.

السُّؤال ٢٥: فضيلة الشيخ أحمد النجمي حفظه الله كثر الحديث عن موضوع التَّصاريح في الحجِّ، وسؤالي مكوَّن مِن عدَّة فقراتٍ:

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٨٣المعرفة).

(٢) أخرج البيهقيُّ في «سُننه» (٥/ ٤٦) عن داود بنِ أبي هند، أنَّ عبدَ اللهِ بن عامِرِ بن كرَيْزٍ حين فتحَ خُراسانَ قال: لَأَجْعَلَنَّ شُكْرِي للهِ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ مَوْضِعِي مُحْرِمًا؛ فَأَحْرَمَ مِنْ نَيْسَابُورَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَىٰ عُثْمَانَ لَامَهُ عَلَىٰ مَا صَنَعَ، قَالَ: لَيْتَكَ تَضْبِطُ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي يُحْرِمُ مِنْهُ النَّاسُ. وقوَّاه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٤٢٠)، وفي «تغليق التَّعليق» (٣/ ٦١).

أ) هل يأثم المسلم إذا حجَّ بدون تصريحٍ، وهل في هذا مخالفة لوليِّ الأمر؟

ب) التَّصريح لا يُعطاه الشَّخص إلَّا إذا اشترك في حملات الحجِّ المعتمدة بوزارة الحجِّ، فهل من نصيحة للقائمين علىٰ الحملات بتخفيف المبالغ عمَّا هي معروفة الآن، ممَّا يؤدِّي بالحجَّاج إلىٰ أن يستخدموا الحيَل للوصول إلىٰ مكَّة؛ لعدم القُدرة علىٰ دفع تلك المبالغ؟

ج) قد يحجُّ شخصٌ مع الحجَّاج بدون أخذ تصريحٍ لكونه مشرفًا أو داعيًا أو عاملًا في الحملة، مع أنَّه قد سبَق له الحجُّ بتصريحٍ، فهل يلحقه إثمٌ بذلك؟

د) ماذا يصنع من حجَّ بلا تصريحٍ، هل يلبس المخيط وينوي الدُّخولَ في الإحرام من الميقات، أمْ أنَّه يلبس المخيط ولا يدخل في النِّيَّة حتَّىٰ يصل إلىٰ مكَّة، وما الذي يلزمهما في كلا الحالتين؟

هـ) هل إذا حجَّ المسلم بدون تصريحٍ، وتجرَّد مِن المخيطِ، واشترط في الإحرام أنَّ محلِّي حيث حبستني، ومنع من دخول مكَّة، فماذا يلزمه؟

الجواب: أ) نعم، فيه مخالفة لوليِّ الأمر، وربَّما يترتَّب عليها إثمٌ؛ لكن الحجّ صحيحٌ.

ب) الحقيقة أنَّ أصحاب الحملات يجبُ عليهم أن يعتبروها تعاونًا مع مَن لم يحجَّ، فيخفِّفوا المكاسب، ويأخذوا ما يضمن لهم عدم الخسارة؛ فإنَّهم إذا فعلوا ذلك كسبوا الأجر مضافًا إلىٰ المكسب البسيط الَّذي يحصلون عليه؛ أمَّا إن كان مقصدُهم المكسبَ المادي فربَّما أنَّهم يحرمون من الأجر بسبب جشعهم.

ج) لا يلحقه إثمٌ.

د) **أقول:** من حجَّ بدون تصريح، وتجاوز الميقات وهو لابسٌ ثيابه العادية؛

فهو في الحقيقة قد أساء، ويترتَّب علىٰ ذلك مخالفةٌ يجب عليه بها شيءٌ من الإثم، ويجبُ عليه أيضًا دم جزاء لكونه لم يتجرَّد من الميقات. أمَّا الحجُّ فهو يعتبرُ صحيحًا، وإن كان فيه شيءٌ من النَّقص بسببِ هذه المُخالفة، ويُجبرُ بالدَّم.

هـ) هذا يُعتبر محصرًا، ويلزمُه ما يلزم المُحصر فيما أرىٰ؛ لأنَّه أقدم علىٰ علمٍ بأنَّ السُّلطة ستمنعه من دخول مكَّة، وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال ٢٦: **رجلٌ أحرم بالإفراد أو القران من أوَّل شهر شوَّال؛ فهل يبقى على إحرامه أم لا؟ أم له أنْ يفسخَ نيَّة الإحرام إلى عُمرةٍ؛ لوجود مشقَّة انتظار الحجِّ؟**

الجواب: هذا يشقُّ علىٰ نفسه، ويجبُ عليه أنْ يتحلَّل بعُمرةٍ؛ فإذا كان اليوم الثَّامن أحرم بالحجِّ، ويكون مُتمتِّعًا، وإذا كان لا يستطيعُ علىٰ دم الهدي لحالته المادِّيَّة؛ ففي هذه الحالة يصوم بدلًا عن الهدي عشرة أيَّام، وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال ٢٧: **رجلٌ يريد أن يضحِّيَ ويحجّ في نفس الوقت؛ فهل له أنْ يأخذ مِن أظفاره وشعره رغم أنَّها لم تزد عن أربعين يومًا كما ورد في الحديث[1]، أمْ أنَّه يلزمه أنْ يبقى ممنوعًا من فعل هذه الأشياء حتَّى يذبح الإمام أضحيته، ثمَّ بعد ذلك يجوزُ له أنْ يأخذَ ما شاء من أظفاره وشعره؟**

الجواب: الحاجُّ الَّذي له أضحية في بيته، ولكنَّه حجَّ؛ ففي هذه الحالة يجوز له أن يأخذ من شعرِه وأظافره؛ مِن أجل كونه في الحجِّ، وبالله التَّوفيق.

السُّؤال ٢٨: **هل زيادة: (أَوْ يُضَحَّى عَنْهُ...)، من قوله ﷺ: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ أَوْ يُضَحَّى عَنْهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْ شَعَرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ وَلاَ مِنْ بَشَرِهِ مِنْ**

---

(١) أخرج مسلم (٢٥٨) عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

شَيءٍ)، هل هذه الزِّيادةُ صحيحةٌ أم لا؟ وهل يصحُّ أمرُ الذُّرِّية بعدم أخْذِ شيءٍ مِن الأظفارِ أو الشَّعر إذا دخلت العشرُ مِن باب التَّحبيبِ والتَّعويدِ، لا من باب الإيجاب والعقوبة؟

الجواب: لا أعرفُ صحَّة: (أَوْ يُضَحَّىٰ عَنْهُ)[1]، لا يصحُّ أمْرُ الذُّرِّية؛ لأنَّه إذا فعل أمرهم بذلك؛ فكأنَّه أوجب عليهم شيئًا لم يجبْ بمحضِ الشَّرع.

السُّؤال ٢٩: مَن أحرَم مِن جبل السّعديَّة أو على امتداد وادي يلملم فهل يُجزئه الإحرام في ذلك المكان أم لا بدَّ مِن الرُّجوع؟

الجواب: من أحرم من الوادي؛ أي: وادي يلملم؛ فقد أحرَم مِن الميقاتِ؛ ولهذا فإنَّه لا يلزمُه شيءٌ، وبالله التَّوفيقُ.



(١) قال سماحةُ الشَّيخ عبدُ العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع فتاواه» (٢٥/ ٢٤١ - ٢٤٢الشّويعر): «وأمَّا قولُه: (إِنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ أَوْ يُضَحَّىٰ عَنْهُ) فهذا حديثٌ، لكنْ لَيْسَ فِيه: (أَوْ يُضَحَّىٰ عَنْهُ)، إنَّما لفظُه يقول ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ ذِي الحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعَرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا**» [مسلم (١٩٧٧)]. وفي اللَّفظ الآخر: «**وَلَا مِنْ بَشَرتِهِ شَيْئًا**» [مسلم (١٩٧٧)]. وليس فيه: (أَوْ يُضَحَّىٰ عَنْهُ) هذه زيادة من كلامِ بعض الفُقهاء أو العُلماء».

نظمُ الشَّيخ النَّجميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

- تضرُّع إلى الرَّبِّ الجليل أنْ يكتب السَّلامة يومَ الرَّحيل
- صيحة حقٍّ في صماخ الباطل

تضرُّع إلى الرَّبِّ الجليل
أنْ يكتب السَّلامة يوم الرَّحيل

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم:

أُعزِّيكِ يَا نَفْسِي بنَفْسِي فَإنْ أَكُنْ ... لِدُنيَايَ عَنْ أُخرَايَ آثرْتُ فَاعْلَمِي
بأَنَّ عَذَابَ النَّار لَيْسَ بمُنقَضٍ ... فمَا مُتْعَةٌ عَجْلَىٰ لِعُمْرٍ مُهدَّم
ومَا عُمْر أَلفٍ في خُلودٍ مُؤبَّدٍ ... بنَارٍ شَدِيدٍ حرُّهَا بتَضَرُّم
يُساقُ إِلَيهَا المُجرِمُون وَلَحظُهُمْ ... إِلَيهَا خَفِيٌّ ذلَّةً بتَنَدُّم
يَودُّونَ أَنْ لَوْ أُرجِعُوا ولَوِ افتَدَوا ... بشَيءٍ وَأَنَّىٰ الافْتِدَاءُ لِمُجْرِم
فيُلْقَىٰ بهَا الشَّخْصُ الكَفورُ فيتَّقِي ... حرَارتَها بالحَاجِبَينِ وبِالفَم
تُغَلُّ بهَا أَيدِيهِمُ، وَلَهُمْ بهَا ... قُيُودٌ ثِقَالٌ مِنْ حَدِيدٍ جَهَنَّمِيّ
ويُسلَكُ كلٌّ منهمُ، في سَلَاسِلٍ ... فتُدخَلُ مِن أَدْبَارِهِمْ وَإِلَىٰ الْفَمِ
لَهُمْ ظُلَلٌ مِنْ فَوْقِهِمْ وَكَذَا لَهُمْ ... مِهَادٌ مِنَ النِّيرَانِ يَا بِئْسَ مَقْدَمِ
طَعَامُهُمُو الزَّقُّومُ فِيهَا وَتَارَةً ... طَعَامُهُمُ الغِسْلِينُ قُبْحًا لمَطْعَمِ
شَرَابُهمُ، فيهَا الحَمِيمُ إذا سُقُوا ... يُقطِّع أمعاءَ الكفُور المُذَمَّم
لباسهمُ، القَطْران أَقْبَحُ مَلْبَسٍ ... تُحَلُّ به الأعضاء مِن كلِّ مِعصَم
يُقلَّب طورًا في الحَمِيم مُسجَّرًا ... ويُسحَبُ أُخرَىٰ لِلْقَفَا والمُقدَّم

بمـاءِ حَمِـيمٍ يَسلخُ الجلدَ حـرُّه ... تـذُوبُ بِـهِ أَكبَـادُ أَهْـلِ التَّـنَعُّمِ
فَيا رَبِّ يَا رَحمَنُ يَا مُبْدِعَ الوَرَىٰ ... وَيَا مَنْ أَبَنتَ الفَجْرَ مِن بَعْدِ مُظْلِمِ
ويا مَن هَدَيْتَ الحائرين لِمَهْيَعٍ (١) ... فأصْبحَ حَقًّا بَيِّنًا ذا تَقسُّمِ
ويا مَن حملْتَ العبدَ نُوحًا بفُلْكِه ... ونجَّيتَه يومَ العَذاب المُعمَّمِ
ويا مَن جَعلْتَ النَّار بردًا مُخفَّفًا ... علىٰ العَبْدِ إبراهيمَ غيظًا لمُجرِمِ
رَددتَ علىٰ يعقوبَ نَسْلًا مُحبَّبًا ... ونجَّيتَه مِن كَيْدِ أهل التَّجهُّمِ
ويا مَنْ سَمِعْتَ العَبْدَ ذَا النُّون إذْ دَعَا ... وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ بَطْنِ حُوتٍ بمُظْلِمِ
وَيَا مَن جَعلْتَ البحرَ يُبسًا مُقسَّمًا ... طَرَائِقَ لِلعَبْدِ الرَّسُول المُكلَّمِ
ويا مَن وَهَبْتَ العَبْدَ أيُّوبَ صحَّةً ... وأَهْلًا علىٰ طُولِ الأذىٰ وَالتَّألُّمِ
ويا مَن رَفَعْتَ العَبْدَ عِيسَىٰ إلىٰ السَّما ... ونجَّيْتَهُ مِن بَغْي بَاغٍ ومُجْرِمِ
وفضَّلْتَ خَيْرَ الرُّسْل عن كُلِّ مُرْسَلٍ ... وأَعْلَيْتَه فَوْقَ البِنَاءِ المُصَمَّمِ (٢)
وَأَعْطَيْتَه القُرْآنَ ذِكْرًا مُهَيْمِنًا ... علىٰ كُلِّ ذِكْرٍ في الزَّمَانِ المُقدَّمِ
أَجِرْني أَيَا رَبَّاه مِنْ شَرِّ حَرِّهَا ... وهَبْ لي نجاةً بَعْدَ وِرْدٍ مُحتَّمِ (٣)
وهَبْ لي ثَبَاتًا بَعْدَ مَا قَدْ هَدَيْتَني ... عَلَىٰ الحَقِّ حتَّىٰ يَسْتُرَ القَبْرُ أَعْظُمِي
تُبَيِّضُ وَجْهِي يَوْمَ تَبيَضُّ أَوْجُهٌ ... وتُعْطِينِي كِتَابِي باليَمِينِ المُكَرَّمِ
وَتَرْفَعُ فِي الفِرْدَوسِ يَا ربِّ رُتْبَتِي ... بفَضْلِكَ يَا أَهْلَ الغِنَىٰ والتَّكَرُّمِ

---

(١) **المهيع**: الطريق الواسع البيّن المنبسط.

(٢) أي: السّموات العلا.

(٣) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾.

وقلتُ أيضًا:

يَـــا رَبِّ أَنْـــتَ الرَّجَـــا وَفِيــكَ لِــيَ مَوْئِــلُ(١)
وَالْخَيْـــــرُ فِي قَبْضَـــتِكَ تُمْسِـــكُهُ أَوْ تُرْسِـــلُ
تُعْطِـــي وَتَمْنَـــعُ وَمَـــا قَدَّرْتَـــهُ سَيَحْصُـــلُ

بينما كنَّا نسيرُ أنا وولداي محمَّد ويحيىٰ إلىٰ جازان فمررنا بمَعَارض السَّيَّارات، فقلتُ لهما علىٰ سبيل الدُّعابة:

سَــأَلْتُ المَعَــارِض: مَــا شَــأْنُكُمْ؟ فَقَــالُوا: نُرِيــدُ فُلُــوسَ الزَّبُــون
لِنَجْمَــعَ مَــالًا لِأَصْــحَابِنَا وَنُعْطِــي رُكُوبًــا لِمَــنْ يَرْكَبُــون
فَــأَهْلًا وَسَــهْلًا بِأَهْــلِ الأُلُــوفِ وَمَــنْ كَــانَ ذَا فَلَــسٍ لَا يَهُــون

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم:

يَا ربِّ يَا مَن لَـهُ الأكْـوَانُ خَاضِعَةٌ ومَــنْ عَلَيْــهِ أُولُــو الإيمَــانِ يَتَّكِــلُ
ومَن لِسطوتِه تَعْنُو الوُجُوهُ(٢) ومَنْ بِبأْسِـهِ لِـذَوِي الإجـرامِ يَختضِـلُ(٣)
اِغفرْ ذُنوبِي وسَـدِّدْ خَلَّتِي(٤) وقِنِي نـارَ الْجحيمِ بفضْـلٍ مِنْـكَ يَتَّصِـلُ
اقْبَلْ لعُذرِي عن التَّقصيرِ يا سَندي فأنـتَ أكـرمُ مَـأْمولٍ لِمَـن نَزلُـوا
هَبْ لي ثَبَاتًا علىٰ الإيمَانِ مَا بَرِحَتْ رُوحِي وعندَ احْتِضارِي إنْ وَفَىٰ الأَجَلُ

---

(١) المَوْئِل: المنجىٰ والملجأ.

(٢) تذلّ وتخضع.

(٣) يبكي ويلين.

(٤) فقري وحاجتي.

ثَبِّتْ فُؤادِي وَأَنطِقْنِي بِمَا شَهِدَتْ بِهِ لِسَانِيَ إنْ هُمْ في الثَّرَىٰ سَأَلُوا
هبْ لِي مِن النُورِ حظًّا أَستَضِيءُ بِهِ إذا انْطَفَا نُورُ مَنْ في قَلْبِهِ دَغَلُ
أَظِلَّنِي حِينَ تَدْنُو الشَّمسُ وانْصَهَرَتْ جُسومُ مَن هُمْ عن الإيمان قد غفَلُوا
وباليمَينِ كِتَابي أَعْطِنِي وكَذَا وزْنِي فثقِّلْهُ إنْ خَفَّ الأُلىٰ جَهِلُوا
جُزْ بِي عَلَىٰ الْجسْرِ إِسْرَاعًا إِذَا عَثَرَتْ عَلَيْهِ أَقْدَامُ أَهْلِ الزَّيغ وَاختَزِلُوا
ونَجِّنِي بَعْدَ وِرْدٍ كَانَ مُنْحَتِمًا علىٰ الوَرَىٰ كَافِرٌ والبَرُّ والرُّسُلُ
اِرفَعْ لِمَرتَبَتِي في الخُلْدِ عالِيَةً مَعْ مَن هَدَيْتَ إلىٰ الإيمَانِ فاتَّصَلُوا
مِنْ كُلِّ عَبْدٍ وَلِيٍّ لِلإِلَهِ غَدَا مُعلَّقٌ قَلْبُهُ بِاللهِ مُتَّصِلُ
ساعٍ إلىٰ الْخَيرِ مَا يَأْلُو مُثَابَرَةً لكنَّهُ خائِفٌ مِنْ رَبِّهِ وَجِلُ
ممَّنْ إذَا تُلِيَتْ آياتُكَ ارْتجَفَتْ أَعْضَاؤُه فَرَقًا والدَّمْعُ مُنْهَمِلُ
خَافُوا مِنَ اللهِ في الدُّنيا فأَعْقبَهُمْ أَمْنًا ورَوْحًا ورَيْحانًا إذَا ارْتَحلُوا
تَبَوَّؤُوا جَنَّةً أَرْجَاؤُها اتَّسَعَتْ يَدْعُونَ فِيهَا بمَا شَاؤُوا ومَا سَأَلُوا
لا يَعترِيهِمْ بهَا خَوفٌ ولا حزَنٌ ولا عَدُوٌّ وَلَا مَوتٌ ولا حِوَلُ
قَدْ زُوِّجُوا مِن حِسان الحُور مَنْ بَلَغَتْ شَأْوَ الجَمَالِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُ مَثَلُ
بيضاءُ عَيْناءُ خرعوبٌ[(١)] وناعمةٌ فالْوجْهُ شَمسٌ وفي أخْلاقِها دَلَلُ
والْخدُّ مِنْهَا فمِرآةٌ لِصاحِبهَا والمُخُّ في سَاقِهَا لَمْ تُخْفِه الحُلَلُ
مُبرَّآتٌ فلا عَيبٌ ولا صَخَبٌ[(٢)] وَرَاضِيَاتٌ فَلَا يَسْخَطْنَ مُقْتبَلُ

---

(١) الخرعوب: الشَّابَّة الحسنة الجسيمة في قوام.

(٢) الصَّخب: الصِّياح والجلَبة.

مُطَهَّـراتٌ فـلا حَـيْضٌ ولا نَجَـسٌ ... والرِّيـقُ شَـهْدٌ فَكَـمْ تَلْتَـذُّهُ الْقُبَـلُ
لَهُـمْ بُيُـوتٌ مِـنَ المِرْجَـانِ أَوْ ذهَـبٍ ... تَخالُ مِن ظَهْرها مَن هُمْ لَهَـا دَخلُـوا
والطُّولُ سِتُّون مِيلًا في السَّمَا ذُكِرَتْ ... سيرُ الـثَّلاثِ لِعِيـرٍ أهلُها ارْتَحَلُـوا
فِيهَـا الزَّرَابـيُّ قَـدْ بُثَّـتْ وَقَـدْ مَـلأَتْ ... أَرْجَـاءَ دورٍ بهَـا كـلَّ الَّـذِي أَمَلُـوا
فِيهَـا الشَّـرَابُ بـأَكْوَاب مُنَوَّعَـةٍ ... مِـنَ الرَّحِيـقِ وَمِـنْ مَـاءٍ كَـذَا عَسَـلُ
أَمَّـا الطَّعَـام فَمَـا شَـاؤُوا أُعِـدَّ لَهُـمْ ... مِـنَ الثِّمَـارِ وَمِـنْ لَحْـمٍ لَهُـمْ أُكُـل
لِبَاسُـهُمْ مِـنْ حَرِيـرٍ نَـاعِمٍ وَكَـذَا ... يَعْلُـوهُمُ سُنْدُسٌ خُضْـرٌ لَهُـمْ حُلَـلُ
هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الـرَّحْمَنِ كَيْفَ يَشَـا ... إِذَا تَجَلَّـىٰ لَهُـمْ مِـن فـوقِهِمْ ذَهِلُـوا
عَـنِ النَّعِيـمِ وَعَـنْ أَزْوَاجِهِـمْ وَغَـدَوْا ... في لَـذَّةٍ مَـا لَهَـا وَصْـفٌ وَلا مَثَـلُ
والْحَمْــدُ للهِ تَصْـدِيقًا لِمَوعِــدِهِ ... فَالْحَمْــدُ للهِ في الــدَّارَين مُتَّصِــلُ
ثُـمَّ الصَّـلَاةُ عَلَـىٰ خَيْـرِ الـوَرَىٰ خُلُقًـا ... قَدْ خَابَ قَـوْمٌ هُمُ عَـنْ دِينِهِ جَهِلُـوا
وَالآل والصَّـحْب والأتبـاع قَاطِبَـةً ... كَمْ جَاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ كَـمْ بَذَلُوا

وقلتُ أيضًا:

هِـيَ الـدُّنْيَا فَمَـا تُبْقِـي لِـودٍّ ... فَكَـمْ خِـلٍّ قَتِيـلٍ أَوْ جَـرِيحِ
عَرَفْنَـا عَيْبَهَـا لَكِـنْ وُلِعْنَـا ... بِهَـا حُبًّـا عَلَـىٰ الْعَيْـبِ الْقَبِـيحِ

وقلتُ أيضًا:

أُحِـسُّ بِرَاحَتِـي في بَيْـتِ كُتْـبٍ ... أُقَلِّـبُ فِيـهِ طَرْفِـي بِارْتِضَـابِي
لِأَكْسِـب مِـنْ مَعَارِفِـهِ عُلُومًـا ... وَأَنْهَـلَ مِـنْ مَـوَارِدِهِ العِـذَابِ

كَجَنَّـاتٍ يَـنعْنَ بِكُـلِّ لَـوْنٍ مِـنَ الثَّمَـرِ الشَّـهِيِّ الْمُسْـتَطَابِ
يُحَـدِّثُنِي الْكِتَـابُ بِكُـلِّ أَمْـرٍ وَأَسْـأَلُهُ فَيَنْطِـقُ بِـالجَوَابِ
وَإِنْ فِـي مُشْـكِلٍ قَـدْ حَـارَ فِكْـرِي وَجَـدْتُ الْحَـلَّ فِيـهِ بالصَّـوَابِ
تُخَبِّرُنِـي الطُّـرُوسُ[1] حَـدِيثَ قَـوْمٍ وَقَـدْ حَلُّـوا قُرُونًـا فِـي التُّـرَابِ
أَلَا يَـا نَفْـسُ فَاصْـطَبِرِي وَسِـيرِي إِلَـىٰ الْمَـوْلَىٰ لِنَظْفَـرَ بِـالثَّوَابِ
وَلَكِـنْ صَـدَّنِي عَـنْ ذَاكَ دُنْيَـا إِذَا أَعْرَضْـتُ نَـادَتْ بِـاقْتِرَابِ
أُجَاذِبُهَـا فَتَجْـذِبُنِي إِلَيْهَـا وَيَقْصِـدُ أَهْلُهَـا مَعْهَـا اجْتِـذَابِي
فَكَانَـتْ بَيْنَنَـا حَـرْبٌ عَـوَانٌ وَشَـيْطَانِي يُرِيـدُ لَهَـا غِلَابِـي
فَيَـا رَبِّـي أَعِنِّـي أَنْـتَ ذُخْـرِي وَوَفِّقْنِـي لِإِصْـلَاحِ المَـآبِ

ملحوظة: قلتُ هذه الأبيات مِن واقعِ عِشْتُه، وهو أنِّي أكون في مكتبتي مُنشغلًا بالمُطالعة والتَّحصيل فيأتي إنسانٌ يطلب اشتراكي في أمْر مِن أمورِ الدُّنيا فأخرج؛ لأنَّ لي في هذا الأمر طرفًا.

والأبيات التّالية في ألقاب (السَّبَق) نظمتُها حين كنت أدرّس «سنن الترمذي» في المسجد، وهي أحد عشر لقبًا:

مجـلٍّ مصـلٍّ ثـمَّ تـالٍ وسـابق وخامسها المرتاحُ والسَّادس الحظي
وقُـلْ عاطفًـا في سابـع ثـمَّ مرمـلًا وفي تاسـع سـمّ اللَّطـيم لـتحفظ
وعاشـرها سـمّ السّـكيت وفسـكلًا لآخرهـا مَـن حـاز علمًـا فقـد حظِي

---

(١) الطروس: جمع الطرس: وهو القرطاس، والصحيفة، ويقال: هي التي مُحيت ثُمّ كتبت.

وهذه مِن أسماء (الضّيافات) نظمتُها حينما كنت أدرِّس «سنن الترمذي» في المسجد، وكتبتها علىٰ نسختي من «تحفة الأحوذي»، فوق باب: ما جاء في الوليمة:

وَلِيمَـــةٌ والخــرسُ والإعــذَارُ　　وللْبِنَـــا وسَـــمِّه الإيكَـــار
نَقِيعَـــةٌ لِقَـــادِمٍ مِـــنْ سَـــفَرِ　　عَقِيقَـــةٌ في سَـــابعٍ لِلأَثَـــرِ
مَأْدُبَـــةٌ ضِـــيَافَةٌ لِمَـــنْ طَـــرَقْ　　ثُـمَّ الحـذَاق عنـدَ حـذْق مَـن حـذَق
آخرُهـــا وَضِـيمـــةٌ تُقَـــامُ　　مِـــنْ بَعْـدِ مَـوْتٍ وهُــوَ الحَـرَامُ

ولمَّا كان تَقلُّبُ اللَّيل والنَّهار يُفني عُمرَ العبْد، وهو مُتشاغلٌ بدُنياه - غافل أو مُتغافلٌ عما ينفعه في أُخراه - حتَّىٰ يقفَ علىٰ مَنيَّته، ويُلقَىٰ في حُفرتِه؛ قُلتُ في ذلك:

تَجـرِي بنَـا الأَيَّـامُ نَحْـوَ مَصَـارِع　　كُتِبَـتْ علَينَـا سِـرُّها مَكْتُـومُ
فَـالْيَوْمُ يَـدفَعُنا لِلَيـلٍ حالـكٍ　　واللَّيْـلُ يسْـلَخُهُ ضَحًىٰ مَعْلُـومُ
والْعَبْـدُ في دَرْبِ المَسِـيرَةِ غَافِـلٌ　　حَتَّـىٰ يُـوَافِي الْمَوْتَ وَهْـوَ ظَلُـومُ
فَتَـرَاهُ جَـذْلانًا إذَا مَـرَّتْ بِـهِ　　سِـتُّونَ عَامًـا كَسْـبُهَا مَرْقُـومُ
وَاللهِ مَـا يَـدْرِي عَلَيْـهِ أَوْ لَـهُ　　أَوْ عُـدَّ فِـي الأَمْـوَاتِ وَهْـوَ مُقِيمُ
فَمَوظَّـفٌ يَسْـتَبطِئ الشَّـهْرَ الَّـذِي　　وَافَـىٰ ويَرجُـو سَـلْخَه ويَـرُومُ
مُتَوَخِّيًـا قَـبْضَ المُرَتَّـبِ غَـافِلًا　　وَبِـذَاكَ يَدْنُـو كَأْسُـهُ الْمَحْتُـومُ

وفي عام (١٤٠٤هـ) قلتُ هذه الأبيات أُعاتب بها نفسي، وأستحثُّها علىٰ العمل بطاعة الله، وعدم التسويف فيها:

ضَـاعَ عُمـري بـين عَجْـزٍ وكَسَـل　　وتَـوانٍ عَـن مُهمَّـاتِ العَمَـل

إنْ أتَىٰ اللَّيلُ فَلَيلِي نَائمٌ ... ونَهَارِي يومُ مَن كان غَفَل
أُوثِرُ الفَانِي علىٰ البَاقِي وقَدْ ... عَلِمَتْ نفسِي بأنَّ العَكْسَ جَل
يَا حَقِيرًا نَسِيَ الْمَوتَ وَقَدْ ... ضَرَبَ المَوْتُ لَهُ كُلَّ مَثَل
بمَلِيكٍ وَفَقِيرٍ هَلَكُوا ... وَغَنِيٍّ لَمْ يَذُدْ عَنْهُ الخوَل
يَابْنَ أَمْوَات أَيَنْسَىٰ المَوْتُ مَنْ ... عَلَّ مِنْ آبَائِهِ ثُمَّ نَهَلْ
آهٍ يَا نَفْسِي أَفِيقِي وَارْجِعِي ... واعْمَلِي خَيْرًا فَقَدْ حَانَ الأَجَلْ
رَبِّ وَفِّقْنِي وَأَلْزِمْنِي الْهُدَىٰ ... أَرِنِي الْحَقَّ وَبَصِّرْنِي الخَلَل

وكنتُ قلتُ قديمًا:

أُحيمدُ يا كَسولُ عن المَعَالي ... ويا رقَّادُ في سُودِ اللَّيالي
تَرومُ الْمَجْدَ مَعْ كَسلٍ وعجْز ... أَضَعْتَ العُمْرَ في طلَبِ المُحال
تَشَاغَلُ بالتَّوافِهِ ثُمَّ تَرجُو ... لِحَاقًا مَعْ أُولي الهِمَمِ العَوَالِي
فَمَا إيثَارُكَ الدُّنْيا بخَيْرٍ ... وَلَوْ كَانَ اصْطِنَاعًا للْحَلَالِ
وَخَيْرٌ مِنْهُ في الأُخْرَىٰ وَأَجْدَىٰ ... بأَنْ تَحْظَىٰ بخِدْمَةِ ذِي الْجَلَالِ
فَسَلْهُ الْعَونَ إدْمَانًا مُلِحًّا ... يُحِبُّ اللهُ مِلْحَاحَ السُّؤَالِ

أُقيمَ مخيَّمٌ في (الطّوال) مِن آخر يوم الأربعاء الموافق ١٥/ ٦/ ١٤٠٥هـ إلىٰ آخر يوم الجمعة الموافق ١٧/ ٦/ ١٤٠٥هـ، وكنتُ متألِّمًا بالأنفلونزا، فلم أتمكن من المشاركة فيه؛ لذلك فقد كتَبَ إليَّ أحدُ الطَّلبة قائلًا:

إلىٰ حضرة الشيخ أحمد يحيي نجمي المحترم: السلام عليكم.

عندما تأخَّرتم عن زيارة مخيم (الطّوال) تأخُّرًا غير عاديٍّ، لا سيَّما وأنَّه من

معهدنا - فاضت قريحتي بأبياتٍ متواضعةٍ:

سَأَقْسُو عَلَيكُمْ في الخِطَاب وأَشْجُبُ ... فَحَقِّـيَ مِـنكُمْ أَنْ أَقُـولَ وأَعْتـبُ

فَـلَا خُطبَـة مـنكُمْ ولا شـرْح آيَـةٍ ... ولكِـنْ جَفَـاءٌ إنَّنـي مُتَعَجِّـبُ

تَـأَخَّرتُمُ عنَّـا فمَـا العُـذْرُ مِـنْكُمُ ... فهـلَّا اعتَـذرْتُم بـالقَرِيض فتُعـربُ

عن العُذْرِ، فالأعـذارُ عندِي جَمِيلَةٌ ... وعُـذْرُكُمُ عِنـدِي كَـرِيمٌ مُهـذَّبُ

وقد أجبته بالأبيات التَّالية:

أتـاني عِتـابٌ مِـن صـديقٍ مُهـذَّب ... وخِيـرَة طُلَّابِـي اللَّبِيـبُ المُهَـذَّبُ

يُعَـاتِبُنِي أَلَّا أَكُـونَ مَنحْـتُهُمْ ... بشَـيءٍ مِـنَ التَّوجِيـهِ فَـالأمرُ مُغْـرَبُ

بُنَـيَّ اطْمئِنُّـوا لـم يَكُـنْ في تـأخُّري ... جَفَـاءٌ ولا عَـنكُمْ عُـدولٌ ومَـذْهَبُ

ولكنَّني قـد صرتُ نِضْـوًا[1] مؤلَّمًا ... تبرَّح بي الأمراض والجِسْمُ مُتعَبُ

ولكـن أَعِـدكُم أنَّنِـي عنـدَ ظَـنِّكُمْ ... مُقيمٌ علىٰ الأمْرِ الَّذِي هُوَ أَوْجَبُ

نمتُ ليلةً وأنا مهمومٌ بأمر مِن أمور الدِّين - فرأيتُ في النَّوم كأنِّي واقفٌ بمكان مَا، وأمامي طريق يأتي مِن جهة اليمين إلىٰ جهة اليسار، وفيه حيوانات تمشي من جهة اليمين إلىٰ جهة اليسار، وما وَصل منها ذُبِح؛ فتذكَّرت بذلك ورود الأشقياء إلىٰ نار جهنَّم، فقلتُ وأنا في النَّوم: «وِرْدُ العباد إلىٰ الجحيم مُعبَّدُ»، فلمَّا أصبحتُ تذكَّرته وزِدتُ عليه، وهي:

وِرْدُ العُصَـاةِ إلـىٰ الجَحِـيمِ مُعبَّـدُ ... والنَّـاسُ مِـنْهُمْ رائِـحٌ أَوْ غَـادِي

---

(١) مُجْهدًا.

كـلٌّ يُجِيـبُ بسُـرعَةٍ إنْ قُرِّبَـتْ سُفُنُ الرَّحِيلِ ورَنَّ صَوْتُ الحَادِي
هـذَا مَـرِيضٌ عَـزَّ نَفْـعُ عِلاجِـهِ والْيَـأْسُ مِنْـهُ طَغَـىٰ عَلَـىٰ العُـوَّاد
وعَـنِ الحِـرَاكِ تَوقَّفَـتْ أَعْضَـاؤُه واسْتَسْـلَمَتْ رِجْـلٌ لَـهُ وَأَيَـادِي
وتَجَاذبَـتْ في صـدْرِه أَنْفَاسُـهُ وتَقَعْقَعَـتْ مِـن فُرقَـةِ الأَجْسَـادِ
هَـذَا أَوَانُ السَّـيْرِ هَـلْ مِـن بُلغَـةٍ(١) وتَلَفَّـتَ المِسْـكِينُ هَـلْ مِـن زَادِ
فَهنـاكَ نَـادَىٰ: رَبِّ هَـلْ مِـنْ مُهْلَـةٍ عَلِّـي أَقُـومُ بِطَاعَـةٍ وَسَـدَادِ
فَأُجِيبَ كـلَّا كُنْتَ عُمْرَكَ مُعْرِضًـا عَـنْ طَاعَتِـي مُسْتَشْـرِيَ الإِفْسَـادِ
قـد كنـتَ تَسْـعَىٰ في هَـوَاكَ مُسَارِعًا وهُـدَايَ تَنْـأَىٰ عَنْـهُ نَـأْيَ مُعَـادِ
تُرضِـي العِبَـادَ بسَـخْطَتِي وتَسُـرُّهُمْ بمسَـاءَتِي وَتَخُصُّـهُمْ بـوِدَادِ
فَنَسِـيتَ رَبَّـكَ وَاتَّخَـذْتَ وَلِيجَـةً(٢) مِـنْ دُونِـهِ مَـن لَـمْ يُفِـدْ بمَفَـادِي
أَفَـذَاكَ شَـأْنُ المُتَّقِـينَ وَدَأْبُهُـمْ أَمْ دَأْبُ أَهْـلِ الفِسْـقِ وَالإِلْحَـادِ
فَـالْيَوْمَ لا إِمْهَـالَ قَـدْ حَضَـرَ الَّـذِي لا بُـدَّ مِنْـهُ أَضَـعْتَ وَقْـتَ الـزَّادِ

يلاحظ أنِّي بدَّلتُ بدل «العباد»: «العصاة»؛ ليكون أصدق في التَّعبير.

بَلغنِي وفاةُ صدِيقٍ؛ فتأثَّرتُ لِذلكَ، وكتَبْتُ مَرْثِيَّة للمُتوفَّىٰ مَطْلعُها:

أَلا كُـلُّ شَـيْءٍ للفَنَـاءِ يَصِـيرُ وكُـلُّ بِنَـاءٍ بِـالخَرَابِ جَـدِيرُ
وكلُّ امْرِئٍ مَا سوفَ يُدْعَىٰ لِكَأْسِه فيَكْرَعُهـا بـالرَّغم وهْـو صَـغِيرُ
كُـؤُوسٌ عَلَـىٰ عَـدِّ الأَنَـام عِـدَادُهَا تَسَـاوىٰ بِهَـا مُسْتَضْـعفٌ وخَطِيـرُ

---

(١) البلغة: ما يُتبلَّغ بها المرء، فتنتهي به إلىٰ ما فوقها.

(٢) بطانة.

فَلا الْمَالُ مُغْنٍ عِنْكَ يَوْمًا مِنَ الرَّدَىٰ ... وَلا الْجَاهُ وَالسُّلْطَانُ مِنْهُ تُجِيرُ

مررتُ بأحد الطَّلبة في المعهد، فرأيتُ ثوبه نازلًا يكاد يتجاوَزُ الكعبَين؛ فهمسْتُ في أُذنه قائلًا له: قميصُك يرعىٰ حول الحمىٰ - فسكتَ، وفي اليوم التَّالي ناوَلني ورقةً فيها أربعةُ أبياتٍ أو خمسةٌ لا أذكرها الآن؛ يَعتذرُ بها عمَّا صنع، فأجبتُه بهذه الأبيات الأربعة علىٰ نحوٍ مِن وزن أبياتِه:

العُذرُ مَقبولٌ لدَىٰ ... أَهْلِ الْمُروءةِ فاعْلَمَا

واللهُ يَقْبَلُ عُذْرَ مَنْ ... أَبْدَىٰ إِلَيهِ تَنَدُّما

فَاضْرَعْ إِلَيهِ وَلُذْ بهِ ... تَجِدِ الْهِدَايَةَ مَغْنَمَا

يَا ربِّ فَاحْفَظْنَا وَزِدْ ... مِنَّا التُّقَاةَ تكرُّما

وقلتُ أيضًا:

أرىٰ النَّاسَ يَأْبَوْن السَّلَامَةَ إنْ دُعُوا ... إِلَيْهَا وَيَلْحَونَ الَّذي دَانَ بالنُّصْحِ

فيصبح مَأبونًا[1] بكلِّ رَزِيَّة ... ومُتَّهمًا في النَّاس بالوزر والقُبْحِ

فيَا أيُّها الدَّاعي إذا كنتَ صادقًا ... تصبَّر فما للصَّابرين سوىٰ الرِّبْحِ

وخُذْ أُسْوَةً مِن رُسْلِ رَبِّكَ خَيْرهم ... محمَّد الدَّاعِي إِلَىٰ العَفْوِ وَالصَّفْحِ

نظمها قديمًا الشيخُ العلَّامة أحمد بن يحيىٰ بن محمَّد بن شبير النَّجمي.



---

(١) مُعابًا.

صيحةُ حقٍّ في صماخ الباطل

مُقدِّمة الطَّبعة الجديدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبِه، وبعدُ:

فهذه أرجوزةٌ كنتُ كتبتُها في عام (١٣٨٩ هـ)، أيَّام الحرب في اليمن، حين ظهرتْ هناك الدَّعواتُ الإلحاديَّة؛ مِن اشتراكيَّة وبعثيَّة وناصريَّة وغير ذلك، قصدتُ بها الرَّدَّ علىٰ أصحابِ النِّحلةِ الإلحاديَّة.

وتناولتُ بعضَ المُخالفاتِ عندَ المُسلمين، وسمَّيتُها: (صيحة حقٍّ في صماخ الباطل)، وكانت الأرجوزةُ مَغفولًا عنها حتَّىٰ يسَّر اللهُ الإذنَ عليها مِن وزارةِ الإعلام، حينئذٍ نفضْتُ الغبار عنها، وأخرجتُها لحيِّز الوجود؛ لينتفع بها النَّاس، والحمدُ لله ربِّ العالمين علىٰ ذلك، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

كتب: **أحمد بن يحيى النَّجمي**

١٩/ ٠٨/ ١٤٢٢ هـ



المُقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبِه، وبعدُ:

لقد تعرَّض الإسلامُ علىٰ مرِّ الزَّمن لدعواتٍ مُغرضةٍ، حاولت طمْسَ نُورِه الوضَّاء، وشفافيَّته المُشرقة، وعدالتِه وطُهرِه الَّتي لا يُعرف لها مثيلٌ، فوُجِّهت إليه السِّهام، وصوِّب إليه الاتِّهام، وصِيغتْ المكائدُ له ولأهلِه في قوالبَ شتَّىٰ، وأساليبَ مُختلفةٍ، مُدعّمة تلك الدَّعوات بزُخرفِ القولِ تارةً، وبالإغراءِ بالمال تارةً، وبالإرهابِ لِمَن خالفَها بالقتْل فما دونَه تارةً، وكلُّ تلك الدَّعوات وتلك الجهود باءت بالفشل الذَّريع، والخسارة الفادحة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٣٨]، وبقي الإسلامُ هو الإسلامُ؛ لأنَّه دينٌ ربَّانيٌّ، وشرعٌ رحمانيٌّ.

ولعلَّ مِن أخبثِ تلك الدَّعوات وأبشعِها وأشدِّها نِكايةً في الإسلام وأهلِه وأفظعِها: دعوة الإلحاد الَّتي اتَّخذتْ أشكالًا وأنماطًا عدَّة؛ فمِن بعثيَّة إلىٰ اشتراكيَّة إلىٰ علمانيَّة؛ لأنَّها تغرُّ النَّاس بألقابٍ برَّاقةٍ تتَّخذها وسيلةً للمُخادعةِ؛

كالحُرِّيَّة والعدالة والمُساواةِ، يقولونها خِداعًا بلا حريَّة ولا عدالةٍ ولا مُساواةٍ، بل كلُّ هذه الكلمات برْق خلْب، فكلُّ الدُّوَل الشُّيوعيَّة حقيقة الحريَّة فيها كبتٌ، وحقيقة العدالة فيها ظُلم من أبشع الظُّلم، وحقيقةُ المُساواةِ أنَّها كَذبٌ، بل الأمرُ عندهم بضدِّ ذلكَ.

قرأتُ عن هذه الدَّعوات، وعرفتُ مِن حقيقتِها ما جعلني أتألَّم لمَن يُمسون ويصبحون تحت وطأتها، ويُصْلَونَ في كلّ حين بنارِها، ذلك لأنَّ أمرَهم قام علىٰ جحود الباري وإنكاره بالكلّيَّة، فرأيتُ مِن الواجب عليَّ أن أُسهمَ في عِلاجِ هذه الأمراضِ بعْدَ تَشخيصِها؛ براءةً للذِّمَّة، ونُصحًا للأمَّة، وأَضفتُ إلىٰ ذلك أشياءَ مِن المُخالفاتِ عند بعضِ المُسلمين؛ لِتتمَّ الفائدةُ.

كتبتُ ما يراه القارئُ في هذه الأرجوزةِ محاولةً للإصلاح، ورغبةً منِّي، ومُساهمةً في نشْرِ الصَّلاحِ.

واللهَ أَسألُ أن يَجعلَ عملِي هذا خالصًا لوجهِه، ومُبتغًىٰ به رضاه.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نَبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تَسلِيمًا كثيرًا.

كتب هذه المقدمة

أحمد بن يحيى النّجمي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الغنيِّ الوَاحدِ الصَّمدِ البرِّ العزيزِ الماجدِ
لهُ جَميعُ الحمْدِ والآلاءِ في الدِّينِ والدُّنيا بلَا امتراءِ
حَمْدًا وشُكرًا أوَّلًا وآخرًا سِرًّا وجهْرًا بَاطنًا وظاهرًا
ثمَّ صلاةُ اللهِ معْ سَلامِ علىٰ النَّبيِّ المُصطفَىٰ التِّهَامي
والآلِ ثمَّ الصَّحْبِ والأَتْباعِ تَتْرَا لِيَومِ البعْثِ والتَّداعِي

الحثُّ على التَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّة وثوابُ مَن تمسَّكَ بهما

ودُونكم يا مَعشرَ الطُّلَّابِ ما قدْ أتَىٰ في مُحكَمِ الكتابِ
وسُنَّة الهَادِي النَّبيِّ المُجْتبىٰ وعاشَه الصَّحْبُ الكرامُ النُّجَبا
عَقْدًا، عبادةً، وفي الآدابِ حُبًّا وطاعةً لِذي المَتابِ
فاتَّبعوهُ تَهْتدُوا وتَسلمُوا ممَّا به قد دان قَومٌ قَدْ عَمُوا
مِن نَهْجِ ذي الجحدِ وذي الإلحادِ ونُكرِهِمْ لِخالقِ العبادِ
وجَحدِهم شرائعَ اللهِ الَّتي يَتْبَعُها مَن رامَ حقًّا يأْتسِي
فباتِّباع نَهْج خيرِ الخَلْقِ يُورثُكم عِلْمًا بدِينِ الحقِّ
يرفعُكم به إلىٰ أعلىٰ الرُّتَبْ يَمنحُكُم نصرًا وجاهًا ونَشَبْ[1]
أيضًا ويدخلْكُم جِنانًا عاليهْ يَرزقُكم فِيهَا قُطوفًا دانيَهْ
زوجاتُهم مِن الحِسان الخُرَّدِ[2] مِن حُورِ عينٍ ونساءِ المَولدِ

---

(١) النشب: المال والعقار.

(٢) الخرَّد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تُمسس قطُّ.

وفـوقَ ذا وفـدٌ لهـم يـومَ المَزيـدْ   إلـىٰ الإلـهِ الحـقِّ خـلَّاق العَبيـدْ
في مَوكـبٍ فيـه النَّبـيُّ المُجتبَـىٰ   والشُّـهدَا والصَّـالحون النُّجَبـا
للأنبيـا منـابرُ النُّـور تُعَـدّ   وغيـرُهم في كثُـبِ المِسْـك قَعَـدْ
مـن لُؤلـؤٍ عَلـيهمُ تيجـانُ   ثُـمَّ لهـم مِـن ربِّهـم رضـوانُ

مآلُ أهلِ العِصيان وموردُ أهلِ الكُفر والطُّغيان

يـا خيبـةَ العاصـي وسِـجنُه سـقَر   مُخلَّـدًا فيهـا فيـا بـئس المَقـرّ
ومعَـه إمامُـه إبلـيسُ   وحزبُـه الكفَّـار والمجـوسُ
مثـلُ الغـوِي مـاركسُ[1] أو لينـينُ   أو انكلَـزْ أو هيغـل اسـتالينُ
وكـلُّ كـافرٍ بـدينِ المصـطفىٰ   مُتَّبـعٌ غيـرَ سـبيلِ الحُنَفـا
ومـبغضٌ لِلحـقِّ والأديـانِ   ومُسـتذلّ فئـة الإيمـان
أفـراخ رُوسِـيا وأمريكـا ومَـن   شـايَعَهم في ظُلمِهـم يَبغـي الثَّمن
مُسـتبْدِلِي القـانون بـالقُرآن   والباطـل المـرذول بالإيمـان

إعراضُ بعضِ المُسلمين عن الإسلام، وذمُّهم له ومدحُهم للاشتراكيَّة بالزُّور والبُهتان؛ هو الَّذي صيَّرهم إلى هذه الحالةِ المُخزيةِ

هَـذَا وَبَعْـضُ المُسْـلِمِينَ أَعْرَضُـوا   عَـنْ رَبِّهِـمْ وَحُكْمِـه وافْتَرضُـوا
قـانون مـاركس لهـم نِظامًـا   واتَّهمُـوا لِـذلكَ الإسْـلامَا

(١) ماركس: فيلسوف ألماني واقتصادي ومؤرِّخ وصُحفي (توفي ١٨٨٣م)، له نظريَّاتٌ عن المجتمع والاقتصاد والسِّياسة؛ المعروفة باسم: (الماركسيَّة)، والَّتي تعتمدُ في جوهرها الفلسفيِّ علىٰ أنَّ الحياةَ مبنيَّة علىٰ الصِّراع الجدليِّ مِن أجل المكاسب الماديَّة بلا اعتبار للدِّين والأخلاق.

قالُوا: تأخُّرٌ كذا رجعيَّهْ — كذاك قالوا: بَنْجُ[1] إقطاعيَّهْ
وغير ذا مِن أسْوَإِ الأسماءِ — لم يستحُوا مِن صاحبِ النَّعماء
وعكس ذا قد مدَحُوا القانونا — شُيوعيَّة ازدَارَشْتَ[2] واستالينا
حاربها كسرىٰ وترضاها العرَبْ — يا ويلهم مِن شرٍّ ما قد اقتربْ
ثَورِيَّةً قالُوا: رُقيًّا سترىٰ — مُستقبلًا أرقىٰ مواعيد افترىٰ
وكلُّها أسماءُ شيءٍ صُورِي — تُبنىٰ علىٰ التَّضليل والغُرورِ
بل كلّ إسمٍ ما عدا الثَّوريَّه — أَوِّلْ بضدِّه تَجدْ رويَّه
حريَّة أوِّل تجد تأويلَها — كبتًا وتضيِيقًا كذا حبْسًا لها
فمَن يقُل حقًّا ويُنكرْ مُنكرًا — مُآمرٌ من حقِّه أن يُزجرَا
محاكم القانون والمَشانقُ — مُعدَّةٌ له كذا المطارقُ
وحجر حريَّات خلْق الله في — تملُّك تظاهرًا بالنَّصَف
للفُقراء خدعة مِن ذي الغِنىٰ — فعمَّموا في النَّاس فقْرًا لا غنىٰ
وكم مِن الأيتام والأرامل — قد أمَّموا أموالَهم بالباطل
وتركُوهمْ طُعمةً للجُوع — يقرصُهم في الجوف والضُّلوع
فجمعوا من عرَق المُحتاج — ودَمِهِ واللَّحمِ والأَمشاجِ[3]

---

(١) بنج: سياسي ومنظّر وقائد شيوعيّ، قاد جمهوريَّة الصِّين الشَّعبيَّة إبَّان تولِّيه قيادتَها (بين عامي ١٩٧٨ - ١٩٩٢) نحو تبني اقتصاد السوق، وبدأ هذا في أواخر السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

(٢) ازدارشت: مؤسس الدَّولة الزّرادشتية؛ عاش في منطقة أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلَّت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلىٰ موطنه الأصلي إيران حتَّىٰ ظهور الإسلام.

(٣) الأمشاج: جمع مشج، وهو كلُّ شيئين مختلطين.

مــالًا عريضًــا والقُصــور قــدْ بنَــوا ... وبـــذخوا وللطَّعـــام فنّنُـــوا
وأشـــركوا في ذاك مَـــن يُعينُهم ... في ظُلمِهـم ويحفـظ الجـاهَ لهـم
وغيـــرهم قـــد بـــاء بالحِرمـــان ... والـــذُّل والجُـــوع وبـــالهوان
فهـــذه الحريَّـــة المزعومـــهْ ... والـــدَّعوة الكاذبـــة المشـــؤومهْ
أعمـــالُهم بضـــدِّها قـــد وُســـموا ... وللخـــداع أتقنُـــوا وأحكمـــوا
زورًا وبهتانًـــا وتضـــليلًا أتَـــوا ... عكـس حقيقـة لكـلِّ مـا حكَـوا
بعـــدْلِكَ اللَّهـــمَّ دمِّـــر وانـــتَقِمْ ... كـــلَّ شـــيوعيٍّ فأنـــتَ المُنـــتقم

مبادئ الشُّيوعيَّة والاشتراكيَّة

أساسُـــها يُبنـــىٰ علـــىٰ الإلحـــادِ ... إنكـــار ربِّـــي خـــالق العبـــاد
وأنَّـــه لـــيس هـــو الَّـــذي خلَـــق ... ســبع ســمواتٍ ولا الأرض فتَــق
بالمـــاءِ والـــرِّزق وســـترًا للبشـــر ... أحيـــاء أمواتًـــا وفي بحـــرٍ وبـــرّ
وأنَّـــه لـــيس هـــو الَّـــذي بـــرَا ... جميـــع أنـــواع البرايـــا مـــا نـــرىٰ
منهـا ومـا لـيس نـراه في اللُّجـج[(١)] ... في غـــابرٍ وقابـــلٍ مِـــن الحِجَـــج
كـــلَّا ولـــم يُوصـــلْ لِكـــلٍّ رزقَـــه ... ولـــم يُهيِّئْـــه لمَـــا ينفعُـــه
أيضًـا ولـم يُجـرِ السَّـحاب بـالمطر ... والـرِّيح لـم يُرسـل صـباها والـدُّبر
كـــلَّا ولا الشَّـــمس بـــأمْرِه تـــدُور ... كواكـبٌ في الفُلْـك تجـري مـا تحُـور
كـــلَّا ولـــم يجعـــل لنـــا النَّهـــارا ... واللَّيـــل خلفـــةً ولا تـــذْكارا

---

(١) اللُّجج: الظُّلمات شديدة السَّواد.

كـلَّا ولـم يُرسـلْ بحـقٍّ رُسْـلَهُ ... ويُنـزِلُ الكُتْـب ليُـدعىٰ وحـدَهُ
كـلَّا ولا الأمـلاك تعنـوا خُشَّـعَا ... لِوَجْهِـهِ علـىٰ الجبـاه رُكَّعَـا
ولـيس مِـن بعـثٍ ولا نُشـورِ ... ولا جـزَا عـن حسَـن وبُـورِ
ولـيس للمُطيـع مِـن جنَّـات ... ولا عـذاب النَّـار للعُصـاةِ
بـل كـلُّ مشـهودٍ لهـم قـد أسندُوا ... إلـىٰ طبيعـةٍ فخـابُوا واعتـدُوا
وأنكـرُوا مِـن ذاك مـا قـد غابـا ... فاكتسـبوا الخيبـةَ والتَّبابَـا[1]
يـا ويلَهُـم أأوجَـدُوا خلْقَهَـم ... أم خُلِقُـوا مِـن غَيـرِ مـا شَـيءٍ هُـمُ
أم خلَقُـوا مـا في السَّـما والأرض ... أم وسَّـعوا في طُولِهـا والعَـرْضِ
أم سـيَّروا الأفـلاكَ في السَّـماءِ ... وأوقَـرُوا المُـزْنَ بعَـذْبِ المَـاءِ
أم فجَّـروا الأنهـارَ في الحـدائقِ ... ونوَّعـوا الثِّمـار في الحقـائقِ
والحجـم واللَّـون وفي الطُّعـوم ... كـلَّا ولكـن صـنعة القيُّـوم
أم أوجـدُوا في العَـينِ نـور الباصـر ... والأُذْن قمْـع السَّـمع للمُخـابر
أم هـم لِمـاءِ البحـر كفُّـوا عـن يـبس ... لـيس بربِّـي مـن خفـاءٍ أو لـبَس
سُـبحانكَ اللَّهـمَّ جلَّـت قُـدرتُك ... تحلُـمُ عمَّـن قـام بغيًـا يبهتُـك
تُعطـيهم رزقًـا وجاهًـا وولَـدْ ... وإنْ تشـأْ تُنـزلْ بهـم مـا لَا يُـردّ
وقـد رأىٰ مـاركس في الميثـاق أنْ ... يكـتمَ هـذا للخِـداعِ فـاعلَمَنْ
ومِـنْ مبادِيهَـا الصِّـراعُ الطَّبقِـي ... وكثـرة الثَّـوْرَاتِ، قـالوا: ذا رُقِـي

---

(١) التَّباب: الخسران.

وإن تشأْ قلتَ: هي الفوضاءُ قدْ تَستَّروا بها لأغراضٍ تُعَدّ
كالنَّهب لِلأموالِ ظُلْمًا وجشَعْ وكانتهاكِ العِرْضِ فرضًا للبِدَعْ
والحرْب لِلأديانِ والتَّشهِير بأهلِها والظُّلْم والتَّزوير
والقَطْع للحُبِّ وللأواصر والنَّشر لِلبَغضاءِ والتَّناحُر
والغدْر بالعُهودِ والخِيانَهْ لِلدِّينِ والشَّعب وللأمانَهْ
ورأَوُا التَّأميمَ للمَوارِدِ كالأرضِ والتَّصنيع ذات الواردِ
وزعمُوا أنَّ الزَّواج والأُسَر تَخلُّفًا مِن راسباتِ مَن غبَر
ورأوا الحُبَّ الطَّليقَ مُنطلَقْ مِن ربقةِ العُقولِ سُخفًا وحمَق
لكي يكون النَّاسُ كالبهائم وعاقلٌ كالحيوانِ الهائِم
مسرَّحين همُّهم أنْ يشربُوا ويَأكلُوا ويمرحُوا ويلعبُوا
وأسعرُوا حربًا علىٰ الأديانِ مجلَّلًا بالزُّور والبُهتانِ
تنكَّروا للعقلِ ثُمَّ للفِطَر يا ويلَهُم ماذا أتَوا مِن الكُبر
وقد أتىٰ أتباعهم ممَّن نُمُوا لـ(يعرُبٍ)[(١)] فطبَّقوا سُخفَهُمُ
ونسبُوا ذاك إلىٰ الإسلامِ فاكتسبُوا جُرْمًا علىٰ أجرامِ
كملبس للقردِ بالعمامَه أو تاج مَن قد حاز للإمامَه
لكي يكون قدوةً للمُقتدِي يتبعُه في عبَثٍ مَن قد هُدِي

---

(١) كناية عن العرب؛ حيث نُسبوا ليعرب بن قحطان: أوَّل مَن انعدل لسانه عن السِّريانيَّة عائدًا إلىٰ العربيَّة، وأوَّل مَن تكلَّمها.

حوارٌ مع مُلحدٍ

وشُبهةُ المُلحدِ في الإنكارِ لربِّنا المُهيمِنِ القهَّارِ
ألَّا يراه باديًا عيانَا وذا دليلٌ يُوجِبُ النُّكرانَا
لو كان حقًّا ما ادَّعاه المُثبِتُ هناكَ ربٌّ في الوجودِ يَثبُتُ
لكان شيئًا باديًا نراهُ كما نرىٰ مُشخَّصًا سواهُ
ونحنُ لا نُؤمنُ إلَّا بالَّذي نَراه أو نَلمسُه لمسًا وذِي
حُجَّتُهم كما ترىٰ مِن أصلِها واهيةٌ ثمَّ إليكَ نقضُها
وقولُنا: اسْمَعْ يا أخا الإلحادِ هدْمَ الَّذِي أصَّلتَ بالفسادِ
إنَّ قالَ شخصٌ بالَّذي أصَّلته وأنكرَ العَقلَ الَّذي أُعطِيتَه
والرُّوحَ والنَّفسَ وتيَّارًا سرَىٰ في الكهرباءِ حيثُ هذا لا يُرَىٰ
أكُنتَ في هذا مُوافقًا له أو ناقضًا ومُعلِنًا إبطالَه
أو حائدًا مُلتمِسًا تَأْويلًا كي لا تكون ناقضًا تَأصيلًا
وكلُّ هذا أنت فيه ملزمُ بما شهرتَ مِن سلاحٍ تُهزَمُ
فإنْ تكُنْ عقلَك قد أنكرتَا فَأنتَ مَجنونٌ وقد خسِئتَا
وإنْ تكُن أقررتَ بالَّذي خفِي مِن أمرِه لزِمكَ الإقرارُ فِي
وجودِ ربٍّ خالقٍ وهَّابِ وبارئٍ مُهيمنٍ توَّابِ
وإنْ تقُل: عقلِي له آثارُ وكان مِن آثارِه الأفكارُ
كذاك رُوحي إذْ بها حياتي وجودُها يُعرَفُ بالصِّفاتِ

قُلنا: إذا كنتَ قدِ استدلَلْتَا ... علىٰ الَّذي غابَ بما شهدتَا

أثبتَّه لِمَا له مِن أثَر ... لأنَّه دلَّ علىٰ المُؤثِّر

قُلْنا: فآثارُ الإلهِ أعظمُ ... مِن الَّذي أثبتَّه يا أبْكمُ

روحُك يا مِسكينُ مِن آثارِه ... وما حواه العقلُ مِن أفكارِه

والأَرضُ والسَّماءُ والهواءُ ... وتُربةٌ وشَجَرٌ والماءُ

والطَّيرُ والوحوشُ والأنعامُ ... والنَّارُ والنُّورُ كذا الظَّلامُ

والجنُّ والنَّاسُ كذا الأملاكُ ... وقمَرٌ والشَّمسُ والأَفلاكُ

وما حواهُ البحرُ مِن حيتانِ ... وما حوَتْهُ الأرضُ مِن دِيدانِ

وما حَوَتْ مِن نُطَفٍ أرحامُ ... وما حوَتْ مِن ثَمرٍ أكْمامُ[1]

وما حواه قلَمٌ وما سطَر ... وحمَلَتْه المُزْن مِن ماءِ المطَر

والأرضُ ما تُخرِجُ مِن نبات ... وما تُوارِيه مِن الأَمواتِ

وهذه وغيرُها آثارُ ... أَوجدَها مُوجِدُها الجبَّارُ

وكلُّها أَوْجدَها الإلهُ ... والرِّزق يُعطي لِمَنِ ابْتَغاهُ

أليسَ في هذا دَليلٌ مُقنِعًا ... أنَّ لِهذَا الكونِ ربًّا مُبدِعًا

هناك لاذَ المُلحِدُ المخذولُ ... بشُبهةٍ يَردُّها المَعقولُ

وعلَّة عليلَةٍ ممجوجَهْ[2] ... وفريةٍ كاذبةٍ أُسموجَهْ

فقالَ: ذا مصدرُه الطَّبيعَهْ ... وهْيَ الَّتي أتَتْ به جميعَهْ

---

(١) **أكمام**: جمع كُمّ: وهو بُرعوم الثَّمرة.

(٢) **ممجوجة**: تمجُّها الأسماعُ، أي: تَطردُها ولا تَقبلُها.

قُلنَا: فصِفْ لنَا الطَّبيعَةَ الَّتي بكلِّ ما في الكَونِ هذا أَتَتِ
سَميعةٌ بَصيرَةٌ فعَّالَهْ حَكيمةٌ مُريدَةٌ قوَّالَهْ
آمِرةٌ ناهيةٌ مُحيطَهْ رازقَةٌ لِمَن علىٰ البسيطَهْ
خالقةٌ عالمةٌ مُخترعَهْ أمْ قدْ خلَتْ مِن كلِّ هذا أجمعَهْ
فإنْ تقُل: موصوفةٌ بما ذُكِرْ فأنتَ أقررْتَ بما منه تفرّ
أنَّ لِهذا الكون ربًّا يُعبدُ وخالقًا مُهيمنًا يُوحَّد
سمَّيتَه طبيعةً بلَا دَليلْ ونحنُ سمَّيناه ربَّنا الجليلْ
فانحصرَ الخِلافُ في الإسميَّه ولَزِمَ الوِفاق في البقيَّه
وإن تقُل: ليسَتْ بذَا مَوصوفَهْ وما لها مِن صفةٍ معروفَهْ
قُلنا: فمَا لُذتَ بغيرِ العدَمِ وما تعلَّقْتَ سِوَىٰ التَّوهُّم
قالَ: فهذَا الكونُ صُدْفةً وُجِدْ وما علىٰ قولٍ سواهُ أعتمِدْ
قُلنا: فذا مِن أَبعَدِ المُحالِ قائلُه أَوْغلَ في الضَّلالِ
فهلْ بُنِيْ بيْتٌ بمَحْضِ الصُّدفَهْ؟! أو زُرِعَتْ أرْضٌ بغيرِ كُلفَهْ؟!
هل وُجِدَ الثَّوبُ بِلَا حِياكَهْ؟! أو حِليَة كانتْ بلا سباكَهْ؟!
هل صنعةٌ كانتْ بغيرِ صانعٍ؟! أو حِكمةٌ بلا حكيمٍ ضالعٍ؟!
بَعَرَةٌ دلَّتْ علىٰ البَعيرِ وَأَثَرٌ دلَّ علىٰ المَسِيرِ
وطَلَلٌ دلَّ علىٰ البُنيانِ وبصمةٌ دلَّتْ علىٰ البَنانِ[1]

---

(١) البنان: أطراف الأصابع، والمعنىٰ: أنَّ بصمة الأصبع تدلُّ علىٰ صاحبها، ولا تشتبه بغيره.

وكلُّ ذا وغيرُه ما إنْ وُجِدْ ... شَيءٌ بلَا مُؤَثِّر فيه وُجِدْ

مَن صوَّر النُّطفةَ في الأرحام؟! ... وأنطقَ الإنسانَ بالكلام؟!

أمَّن بشكلِ الآدميِّ قد عُنِي ... سوَّاه في خلْقٍ عظيمٍ مُتقَنِ

إذْ جعَلَ الوجهَ بأعلَىٰ والبَصَرْ ... لِكَي يكونَ مُدركًا لِمَا نظَرْ

وإنْ تكُنْ قدْ جُعلَتْ في الرُّكبتَين ... ما نظرَتْ غيرَ محلِّ القدمَيْن

ثمَّ اللِّسان والشِّفاه قد عرَىٰ ... عن شعَرٍ لحِكمةٍ لا تُزدرَىٰ

سلْ شعَرَ الأَجْفانِ مَن قوَّسَهُ ... بحِكمةٍ للعَيْنِ قدْ ألبَسَهُ

وكلُّ إصبع بظُفْرٍ شدَّها ... لكي يُقوِّيها بهِ أمدَّها

قد جعَل المدْخَل في أعلىٰ الجسَدْ ... ومَخرَجًا في أسفلٍ للنَّبذِ قَدْ

هيَّئهُ ربِّي بتفصيلٍ عجِيبْ ... يهدِي إلىٰ الإيمانِ ذا العَقلِ الأرِيبْ

وبينَ ذينِ مِعدَةٌ مُزوَّدَهْ ... بقوَّةِ الهضْم ومصِّ الفائدَهْ

فالمُستحيلُ في معيٍّ يَنحدِرْ ... في مَسلَكٍ مُنزلِقٍ إلىٰ الدُّبرْ

قد فُصِّلَ الجسمُ له لِيُلقِهِ ... عنه بعيدًا سالِمًا مِن رِجسِهِ

أمَّا الغذا قد أُمرتْ بصَرْفِهِ ... لِكبدٍ يعملُ في تحويلهِ

إلىٰ دمٍ ومِن هناك يُرسلُهْ ... لِلقلبِ وهْوَ بَعْدَ ذاكَ ينقلُهْ

مِن بعْدِ تكريرٍ وبعْد التَّصفيَهْ ... إلىٰ الشَّرايينِ لِنَقْلِ التَّغذيَهْ

لِنقلِها فيها إلىٰ الأعضاءِ ... بسُرعةٍ في دورةِ الدِّماءِ

هناك تستحيلُ في الخلايا ... بحسَبِ المطلوبِ للبرايا

هل كان ذا التَّرتيبُ إنتاج الصُّدَفْ ... أمْ كان تدبيرَ حكيمٍ قد عرَفْ

كلَّ الَّذي يَصلُح للخلقِ الَّذي ... أراده خليفةً في الأرض ذي

والأرضَ في البُعد عن الشَّمس جعَل ... بالمستوىٰ اللَّائق عندَ مَن عقَلْ

فإنْ تكُنْ أبعدَ مِن ذا المُستوىٰ ... لم يستطعْ حيٌّ عليها مِن ثوىٰ

لِشدَّةِ البرْدِ ولو قد قربَتْ ... لَذبلَتْ أشجارُها واحترقَتْ

واللَّيل والنَّهار كلٌّ يخلفُ ... صاحبَه في هيئةٍ لا تُخلَفُ

فاللَّيل يأتي ليُهدِّئ حرَّ ما ... كانَ النَّهارُ سابقًا قد أضْرَمَا

وبالنَّهار هكذا قد هدأَتْ ... بُرودة اللَّيل وفيه اعتدلَتْ

وباختلافٍ أنتجَتْ توازُنًا ... لولاه لم يُوجدْ بأَرْضٍ ساكنًا

في النَّيِّرين(١) حكْمَةَ الحُسبانِ ... كي يعلَمُوا عبادةَ الدَّيَّان

ثمَّ بها مصالحٌ مُرْتبطَهْ ... في زرعِهِمْ والدِّين فافهم واضْبِطَهْ

وكم ترىٰ في الكون مِن آياتِ ... أَوْدعَها الدَّيَّان للعظاتِ

لكنَّما المُلحدُ عَنْهَا قدْ عَمِي ... مَنْ لم يرَ الحقَّ فقلبُه عمِي

فانتبهَ المِسكينُ مِن سُباتِه ... وفَهِمَ المَقصودَ مِن عِظاتِه

وقالَ: حقًّا إنَّ ربِّي مَن بَنَا ... سبْعَ سمواتٍ وخَلْقًا أَتقَنَا

فَهْوَ الَّذي مِن حقِّه أَنْ يُعبَدَا ... لِأنَّه لِكلِّ شيءٍ أَوجدَا

---

(١) النيِّران: الشَّمس والقمر، ويُشيرُ إلىٰ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

إلباسُهم للشُّيوعيَّة والاشتراكيَّة بلباس العصبيَّة والقوميَّة مِن أجل التَّرويج

وألبسُوها خِدْعةً جِلبابَا ... هِذْمًا رديئًا يُعقبُ التَّبابا
قوميَّةً عُروبةً ووَطَنَا ... قالَ: اتركُوها جِيفةً ونتَنَا
وقال أيضًا: ليس منَّا مَن دعَا ... لِعصبيَّةٍ ونحوها سعَىٰ
ومَن قُتِلْ مِن أجلِها أو فيها ... فمِن جُثىٰ النَّار(١) فكُن فَقِيهَا
ولو دعَا المُختارُ للقوميَّهْ ... لَأذعنَتْ قُريش بالسَّويَّهْ
بل عَرضُوا عليهِ طَرْدَ الأعْبدِ ... وخَصِّه كلِّ شريفٍ أمجدِ
فأنكَرَ اللهُ عليه ونُهي ... عن طَرْدِ كلِّ مُبتَغٍ لِوجهِه
يدعوه بالبُكور والأَصائلِ ... أو أنْ يُطيعَ كلَّ لدِّ(٢) غافلِ
وقد أطاعَ ربَّه فيما أمَر ... خصَّ الولا لكلِّ مُؤمنٍ وبرّ
وقالَ: ما آل فُلان لِيْ وْلِيَا ... وإنَّما أهلُ التُّقىٰ لي أوليَا
وقد نفَىٰ ربِّيَ للمُوادَّهْ ... مِن أهل إيمَانٍ لِمَن قدْ حادَّهْ
ومَن تَولَّىٰ الكُفرَ والكُفَّارا ... لا عن تُقًىٰ فمِنهم، قد صارَا
روابِط الأَنسابِ والأَوطان ... مقطوعةٌ إلَّا معَ الإيمانِ

أضرارُ العصبيَّة

هذا ومِن أضرارِها في العاجلِ ... إشاعةُ الخِلافِ والتَّخاذُلِ
كذلك التَّنازُعُ المُؤدِّي ... لِفشَلٍ وضعفنَا عنْ ضدّ

---

(١) جُثَىٰ النَّار: الأشياء المجموعة فيها كالحجارة ونحوها.

(٢) اللّدادة: شدة الخصومة.

فسـاد ذات البـينِ وَهْـيَ الحالقَـهْ للـدِّين نصًّـا قَـدْ أتـىٰ فَحَقِّقَـهْ(١)
فالاجتمـاعُ سـببٌ أيُّ سَـبَبْ في نصْـرِ مَـن قـدْ طبَّقـوه والغَلَـبْ
وخُـذْ علـىٰ ذاك مثـالًا العـرَبْ إذ جُمِعُـوا علـىٰ النَّبـيِّ المُنتخَـبْ
فحقَّقُــوا بقــوَّةِ الإيمــانِ ووحــدة الإسـلامِ لا الأوطــانِ
فَتْحًـا عظيمًـا لـم يكُـن مَعهـودَا ثـمَّ علـىٰ العَـدْلِ بنَـوا بُنـودَا
كـذاكَ مِـن أضـرارِها جعْـلُ الـوَلا لِمَــن يُعــادِي الله جَلَّ وَعَلَا
وذاك مِـن لازمِـه تقـديمُ مـا لـيس بـأولىٰ نِعمـةً وأَقْـدَمَا
فـإنْ تكُـن للنَّفـع قـدْ واليتَـه أو خشـيةً للضُّـرِّ إن عادَيتَـه
فـاعلمْ بـأنَّ النَّفـعَ والضُّـرَّ معَـا في يـدِ بـارِئ الخلائـقِ اِجْمَعَـا
فـإنْ يُـرِدْكَ اللهُ خيـرًا لَـنْ يُـرَدْ أو غيـره مـا ردَّه عنـكَ أَحَـدْ

تحتمُ الإمامةِ في الدِّين، وأنَّ بيعةَ الإمامِ مقصودٌ بها الدَّوامُ، فإنْ كانَتْ مُؤقَّتةً بطلَتْ، كما هو الحالُ في بيعاتِ الجمهوريَّات

وواجـبٌ نصـبُ إمـامٍ مُسـلمِ تــوفَّرتْ فيــه شــروطٌ فــاعلمِ
ككونــه حــرًّا كبيــرًا عــاقلًا وذكَـرًا عـدلًا شُـجاعًا باسـلًا
ذا خـبرةٍ في الحـرْب والسَّـلامِ وعالمًــا بشِـرْعةِ الإسـلامِ
لكـي يُقـيمَ الـدِّينَ للمعبـودِ ويَقمــعَ الفســادَ بالحُــدودِ

---

(١) يشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه الترمذيُّ (٢٥٠٨) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإنَّهَا الحَالِقَةُ**». وصحَّحه الألبانيُّ في «غاية المرام» (٤١٤).

والمعنىٰ: أنَّ العداوةَ تحلقُ الدِّين كما يحلقُ المُوسىٰ الشَّعر ويستأصلُه.

وكـي يُشـيعَ الأمـنَ في الـبِلادِ | ويَنشـرَ الإسـلامَ بالجِهـادِ
وكونهـا عـن شَـورٍ واختيـارِ | خـالٍ عـن الحِبـاءِ والإيثـارِ
ومَـن علـىٰ النَّـاس بسيفِه غلَـبْ | ولـم يكـن لـه مُنـازعٌ وجـبْ
طاعتُـه ولـو يكـون ظالِمًـا | خوفًا مِن الفوضىٰ وحَقْنًا للدِّمَا
وأيُّ بيعـةٍ أتَـتْ مُؤقَّتَـهْ | فَإنَّهـا باطلـةٌ فأَثْبِتَـهْ
كحالـةِ المُتْعـةِ في النِّكـاحِ | كما جـرَىٰ في عصْـرِنَا يـا صـاحِ

وجوبُ طاعةِ السُّلطان في العُسر واليُسر والمنشطِ والمَكره

وطاعـةُ السُّـلطان في المعـروفِ | حـقٌّ علـىٰ القَـويِّ والضَّـعيفِ
مُحـتَّمٌ في مَكـرهٍ ومَنشـطِ | والعُسـر واليُسـر ولـو مَـعْ شَـطَطِ
لا نَنْـزِعَنْ يـدًا لنـا مِـن طاعَـهْ | بـل نَبـذلُ الـولا لـه والطَّاعَـهْ
مـا لـم نَـرَ الكُفـرَ البـواح عَيْنَا | ومـا أقـامُوا لِلصَّـلاة فِينَـا
ومَـن أتـىٰ وأمرُنـا قـد اجْتمَـعْ | علـىٰ إمـامٍ مُسـلمٍ ثُـمَّ دفَـعْ
بنـا جميعًـا نحـو ذُلِّ التَّفرقَـهْ | وهـوَّة الخُلْـف ضَـربْنا عُنُقَـهْ
أَمْـرُ الرَّسـولِ واجـبُ امتثـالِ | وغيـرُه يُبنـىٰ علـىٰ الضَّـلالِ

الوفاء بالعُهود وذمّ الغدْر

ثـمَّ الوفـاءُ بـالعُهودِ لازِمُ | وناكـثُ العهْـدِ ظَلُـومٌ آثِـمُ
لا ينظـرُ اللهُ إليـهِ أبـدًا | ولا يُزكِّيـه مِـنَ اَسْبابِ الـرَّدَىٰ
ولا يُكلِّمـهُ بغيـرِ الزَّجْـرِ مـعْ | تبكيتِـه بالغـدرات والخِـدَعْ
لِكـلِّ غـادرٍ لـواءٌ يُنصـبُ | بغـدرِه عنـدَ اسْـتِهِ ويُشـجَبُ

يقـالُ: ذي غدرتُــه ويُــذكَرُ ... بإسـمه الَّـذي بـهِ يَشـتهِرُ
وكـمْ مِـنَ الآيـاتِ فِـي القُـرآنِ ... بـذمٍّ كـلِّ غـادرٍ خـوَّانِ
يبيـعُ دينَـه بعَـرْضٍ زائـلِ ... كثعْلَـبٍ في المَكْـر والتَّحايُـلِ
يـا عابدَ الـدِّينار ناهيـكَ التَّعَسْ ... دعـوةُ خيرِ الخلْق مـا فيهـا لَبَسْ
وورطـة لـيس لهـا مِـن مَخـرجِ ... تُرديـكَ في قعْـرِ الجحيم الـوَهِجِ
يـا مَـن يريـدُ الفـوزَ بالجنـانِ ... ثـمَّ النَّجـاة مِـن لظـىٰ النيـرانِ
فـلا تُصـدِّقْ فريـةَ الثَّوريَّـهْ ... فَإنَّهـا أكذوبـةٌ مقليَّـهْ
عنـدَ أُولـي العُقـولِ والدِّيانَـهْ ... ومَـن يُحـبُّ الصِّـدقَ والأَمانَـهْ
حـذارِ مِـن كـلِّ غـويٍّ جاهـلِ ... حـذارِ مِـن تصـديقِهم بالباطـلِ

الوصيَّة بحفْظ الصَّلاةِ

يـا طالبًـا للعِلـمِ كُـنْ عَبْـدًا تقِـي ... وعَـامِلًا بمـا علِمْـتَ مُتَّقِـي
احفـظْ صـلاةً واللِّسـانَ فاخزُنَـهْ ... والعِلْـمَ أكرمْـهُ ولا تَمتهِنَـهْ
حُكمُ الصَّلاة واجبٌ في المسجدِ ... ومَـن بهـا قصَّـر فهْـو المُعتـدِي
احـذَرْ عقـاب الله في ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾[1] ... جهـنَّمُ أشـدُّ حـرًّا لـو درُوا
قـالُوا: فـذِي الآيـةُ في الجهـادِ ... قُلْنَـا: الصَّـلاةُ أكـبرُ الجهـادِ
هـمَّ النَّبيُّ المُصطفىٰ بحرْقِ مَـن ... تَخلَّفـوا عـن الجماعـةِ اعلَمَـنْ
ومَـن بصُـبحٍ والعِشَـا تـأخَّرا ... مُكـرِّرًا مُـداومًا فَهْـوَ بَـرَا

---

(١) يُشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ [التَّوبة: ٨١].

مِـن الرَّسـولِ والرُّسـولُ منـهُ بَـرِيْ وبالنِّفـاقِ أخـبرْ عنْـهُ
قـالُوا: عـن الفجْـر بنومِنـا نُصَـدّ والنّـومُ في الشِّـرعة عُـذْرٌ مُعتمَـدْ
قُلنَـا: فهـذا العُـذرُ إنْ كـانَ طَـرَا فتوبـةٌ مقبولـةٌ مِـن الـورىٰ
أمَّـا إذا كـان لِعبْـدٍ دَيـدَنا أنْ يـتركَ الفجْـرَ دوامًـا مُعلَنَـا
حتَّـىٰ إذا مـا طلعَـتْ أو كـادَتْ شمْسُ الضُّحىٰ أدراجها وعـادَتْ
قـامَ لهـا يَنقـرُ كـالغُرابِ مـعْ كسَـلٍ وغفلـةِ المُرتـابِ
فمِثـلُ ذا في مُحكـمِ الآيـاتِ مُضـيِّعٌ للـدِّين والصَّـلاةِ
مُكـردس في النَّـار صُحبةَ الكَفَـرْ فرعـون أو هامـان أو رأسِ الكَفَـرْ
ذاك أبـو جهـلِ الشَّـقيُّ المَـارقُ وابـنُ أُبـيٍّ ذلـكَ المُنـافقُ
دليلُـه في سـورةِ (النِّسـاءِ) (مَـريَم) و(المَـاعونِ) للقُـرَّاءِ
لو كان في القلْبِ شعورٌ بالوجوبْ وخشيةٌ مِن بطشِ علَّام الغُيُوبْ
مـا استوطَأَ الفِراش لكْ ولا حَلَا نـومٌ بعينَيـكَ كمِثْـلِ المُبتلَـىٰ
أَعِـزْ صـلاتَك الَّـذي أعزْتَـهُ أمْـرًا مِـن الـدُّنيا تَخـافُ فوتَـهُ
فإنَّهـا أولـىٰ بـه مِـن كـلِّ مَـا أنـتَ لـه مُـؤاثرًا مُقـدِّمَا
وأنَّهـا أوَّل شـيءٍ يُحتسَـبْ عَليكَ في يـومِ الحساب المُرتقَبْ
فـإنْ تكُـنْ تمَّـت فأنـتَ المُفلحُ أو نَقصَـتْ فمـا وراهـا مَـرْبَحُ
فـلا فـلاحَ دُونَهـا يُرجـىٰ ولَا نجـاةَ مِـن نـارٍ لِمَـن قـد أهْمَـلَا

النّتيجةُ الحتميَّة

هـذا ولمَّـا المُسـلمُونَ أعرضُـوا عـن شـرْع ربِّهـم تعـالىٰ ورضُـوا

بِغَيـــرِه مُعلِّمًـــا مُوَجِّهَـــا | مُصــرِّفًا أَمْـرَ الحَيــاةِ كلِّهَـــا
مُحكَّمًـــا في الـــدِّم والمـــالِ وفي | الأعْرَاض والأبْشَار فافهَمْ واحتَفِي
واستَنْصَـــرُوا بغَيـــرِهِ واتَّكلُـــوا | عَلَـيهِم في كـلِّ شَـيءٍ وخَلُـــوا
وقلَّـــدُوا أعــــداءَ دِيـــنِ اللهِ | في كُـلِّ شـيءٍ دونَمـا تنَـاهِي
بـل جاوَزُوا هـذَا إلَـىٰ أنْ سَخِرُوا | مِـنْ سُنَّةِ المُختـارِ بئسَمَا افتَـرُوا
فكـانَ مِـن جـرَّاء ذا أنْ أُخــذَتْ | أَرْضُ فلسـطينَ والأَقصَـىٰ هُـوِّدت
القبلةُ الأُولـىٰ ومسرَىٰ المُصطفىٰ | والحـرَمُ الثَّالـثُ مِـن غيـرِ خفَـا
وهـــذهِ نتيجــــةٌ حتميَّــــهْ | لكـــلِّ عـــاصٍ ســنَّةٌ فطريَّـــهْ
دَليلُــــه في أوَّلِ (الإِســـراءِ) | و(الرَّعــد) فافهمْـهُ بـلا امـتراءِ
إنْ عـــدتُم عُــدْنَا ولا يُغيِّـــرُ | نعمتَـــه إلَّا بمَـــن قـــدْ غيَّـــرُوا
يَـا أَسـفِي استعلَىٰ بقايَـا القِـردَهْ | وأخـذُوا مَسـرَىٰ الرَّسـولِ المَـرِدَهْ
وأَلْفُـوا فيــهِ دُويلـــةَ الغضَـــبْ | ومَـن علَـيهِم ربُّنـا الـذُّلَّ كتَـبْ
فأَصـــبحَتْ مَســـاجِدُ القُـــرآنِ | ومَـــوطِنُ الصَّـــلاةِ والإيمـــانِ
مَســـارحًا للـــرَّقص والخمُـــورِ | ولُعبــــةً لِحفنَـــةِ الفُجــــورِ
مَن لِي بقومِي أنْ يُفيقُوا مِن سبَاتْ | ويَجمعُـوا أَمْـرَهُم بعْـدَ الشَّـتَاتْ
ويَرجعُـــوا إلـــىٰ اتِّبـــاعِ الحـــقِّ | ويَنزعُـوا عـن الهـوىٰ والشَّـقِّ

طريقُ النَّجاح وحلّ المُشكلة

يـا قـوم إنْ كنتُم تُريـدونَ الصَّـوابْ | وتَطلبُـونَ الحـقَّ حقًّـا لا يُشـابْ
فَـإنَّني أُهـدِيْ لكُـمْ نصـيحَتِي | راجِ مِـنَ اللهِ العَلِـيْ مَثـوبتِي

مـا النَّصـر يـأتي مِـن طريـقِ الأُمَـمِ ... ولا سـواهم مِـن جميـعِ العجَـمِ
وإنَّمـا النَّصـرُ بعـونِ اللهِ ... كـم فئـةٍ تَغلِـبُ بـإذْنِ اللهِ
لكـنَّ نصْـرَ اللهِ مشـروطٌ بـأنْ ... ننصُـرَهُ عزَّوجلَّ فـاعلَمنْ
مـعْ أنَّـه لـيسَ بمُحتـاجٍ إلَـىٰ ... نصْـرِ عِبـادِه ولكِـنْ ابـتِلَا
ونصـرُه جـلَّ بنصْـرِ دِينِـهِ ... ونصْـرِ حـزْبِ الحـقِّ مِـن قرينِـهِ
مَـن كـانَ حيـثُ كـانَ أيًـا كانَـا ... نتَّبِـعُ السُّـنَّةَ والقُرآنَـا
مُقَـدِّمينَ مـا أتـىٰ فيـهِ علَـىٰ ... سـواه إذْ قـدْ مِـنْ حكيـمٍ أُنـزلَا
مُعتقـدِينَ أنَّـه لـنْ يَشـرَعَا ... شَـيئًا لنـا إلَّا لنفْـعٍ أُودِعَـا
ولَـيسَ ينهَـىٰ اللهُ إلَّا عمَّـا ... فيـهِ مَضـرَّةٌ علينـا تُنمَـىٰ
شَـريعَة كَامِلَـة مِـن كامـلِ ... مَوضـوعةٌ بحِكمَـةٍ مِـن عـادِلِ
تُمثِّـلُ السُّـموَّ والـدَّوامَا ... دوامُهـا يُسـايرُ الأيَّامَـا
ومَـن رَغِـبْ عنْهَـا لِغيرِهـا طعَـنْ ... في بعثـةِ الهَـادِي الرَّسـولِ المُـؤتمَنْ
فَربُّنـا لِدينِـه قـدْ أَكْمَـلَا ... ولـم يعُـدْ بحاجـةٍ أنْ يُكمَـلَا
أخـبرَ ربِّـي بكمَالِـه وذَمّ ... مَـنْ عنـهُ أَعـرَضْ أو لِغيـرِه احْتكَمْ
فـإنْ أطعْنَـا اللهَ فيمَـا قـدْ أَمَـرْ ... شـرْعًا وجانبْنَـا الَّـذي عنـه زجَـرْ
مـعْ أمْرِنـا بـالعُرفِ، ثـمَّ نهيُنـا ... عـن كُـلِّ مُنكـرٍ نهـاهُ ربُّنَـا
فقـدْ أتيْنَـا بالسِّـلاحِ الأكـبرِ ... وقـوَّةٍ جالبـةٍ للظَّفَـرِ

فصلٌ

وفي طريقِنـا إلـىٰ هـذا الغـرَضْ ... تغذيـةُ النَّشءِ بـدينٍ مُفـترَضْ

أعْنِي بِهِ إسلامَنَا المُكمَّلَا   إذْ قَدْ رَضِيهُ الله جلَّ وعلا
وذاكَ أنْ نُعنَى بتَحفِيظِهِمْ   كتابَ ربِّهِمْ بِهِ هُدَاهُمْ
وسنَّةَ الرَّسول كي نُشرِبَها   قُلوبَهم في صِغرٍ بحُبِّهَا
هذا معَ التَّربيةِ المَرضيَّةْ   علىٰ صلاة النَّفلِ والفَرْضيَّةْ
وذاكَ يحتاجُ إلىٰ اختيارِنا   رِجالًا للتَّعليم مِن خيارِنا
دِينًا تأهُّلًا كذا استقامَهْ   كي لا يكونُوا قُدوَةً هدَّامَهْ
فكمْ فَسَادٍ جرَّهُ التَّساهُلُ   وحمْلنا ذا العبْءِ قومًا قد خَلُوا
مِن دِينِهم في عمَلٍ ومظهَرِ   بل جهدُوا في صدِّ كلِّ غرَرِ
ومثلُنا في ذا كمِثْلِ مَنْ شَرَىٰ   سُمًّا، وقالَ: ذاكَ ترياقٌ يُرَىٰ
فسَاقَهُ فَوْرًا إلَىٰ الهَلَاكِ   وهُوَّةٍ سَحِيقةِ الأَدْرَاكِ

فصلٌ في الجهاد

ثمَّ الجهادُ يا فتىٰ نوعَانِ   أوَّلُها: الدَّعوةُ باللِّسَانِ
ومَا جرَىٰ مجرَاهُ مِثلُ القَلمِ   في الذَّبِّ عَنْ دِينِ الإلهِ القَيِّمِ
وثَانيًا: جهادُ أَهْلِ الحَرْبِ   بعُدَّةِ السِّلاحِ حتَّىٰ نُربِي
أُمَّتَنا ونَنشُرُ الإسلامَا   وكَي نُشيعَ الأَمْنَ والسَّلامَا
ونَستعيدَ عِزَّنا المَسلُوبَا   ومَجْدَنا المُهدَّمَ المَغلُوبَا
نَستلِمُ المِقوَدَ في المَسيرَهْ   لِعَالَمٍ مُرتبِكٍ في حِيرَهْ
لِكَي نَدلَّهمْ علىٰ الهَدْيِ الأَتمّ   ونَنشرَ الأخلاقَ فيهِمْ والقِيَمْ
مِن أجْلِ هذا قَدْ أُمرنا أنْ نُعِدّ   لِمَا استطعْنَا قوَّةً لِكُلِّ ضِدّ

ولـيس شَـرْطًا كونُهـا مُكافئَـهْ   لِقــوَّةِ العــدوِّ أو عَــدِّ الفِئَــهْ
وأيُّ نقـصٍ في السِّـلاح والعَـدَدْ   كمَّلـه الإيمـانُ فـالمعنىٰ أشَـدّ
يَـا أمَّـةَ الإسـلامِ والقُـرآنِ   لـيس لنـا سـلاحٌ كالإيمَـانِ
صـالتْ بـه جماعـةٌ فسيطَرَتْ   علىٰ جميعِ الأَرْضِ بَعْدَ اَنِ اسْقَطَتْ
عُـروشَ رُومٍ ثُـمَّ كِسرَىٰ أجمعَـا   وغيرَهـا في بعـضِ قـرنٍ وقعَـا
فقُــوَّةُ الأرضِ جميعُهــا وإنْ   تضــخَّمَتْ بقُــدرَة اللهِ اعلَمَــنْ
لكنَّــه يبلُــو ذوي الإيمَــانِ   لِـيُعطِهِمْ أجْـرًا بـلَا حُسبانِ
ولَيَبِـينَ كَـاذِبٌ مِـن صَـادقِ   ويَثبـتَ الإيمـانُ في المَـآزِقِ
دليلُــه في (آل عمــرانَ) وفي   ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾[١] بيانًـا مـا خَفِـي
فكمْ جرَىٰ علىٰ الصِّحابِ الفُضَلَا   في أوَّلِ الإسـلامِ إيـذًا وابْـتِلَا
مـنهم بـلالٌ كـان قولـه: أحَـدْ   وآلُ ياسـرٍ قضَـوا تحـتَ الكمَـدْ
ثـمَّ النَّبـيْ والمُؤمنـونُ حُصـرُوا   في الشِّعب أعوامًـا ثلاثًـا مـا شـرُوا
أيضًـا ولا ابتـاعُوا طعامًـا يُؤكَـلُ   وجهِـدُوا جُوعًـا فمـا إن نكِلُـوا
وكـم مواقـفٍ بهـا النَّبـيْ ثبَـتْ   وصـحْبهُ وصـبرُوا حتَّـىٰ انجلَـتْ
كأُحُــدٍ حُنـينِ والأحــزابِ   ووقعـةِ القُـرَّا[٢] مـعَ الأعْـرَابِ

---

(١) أي في قولِه عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢﴾ [العنكبوت: ٢].

(٢) وقعة القرَّاء: سمِّيت بذلك لأنَّه قد قُتل فيها سبعون مِن خِيرةِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ الحفظة، أخرج البخاريُّ (٣٠٦٤)، ومسلمٌ (٢٥٤١)، عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، وَعُصَيَّةُ، وَبَنُو لَحْيَانَ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ، «فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ»، قَالَ =

وثبَـت الصِّــدِّيقُ عنـد الـرِّدَّهْ ... وردَّ للإسْـلامِ أهْـلَ الـرِّدَّهْ
وفي الفُتُـوحِ ثبَـتَ الأصـحابُ ... وصـبَرُوا وصـابروا مـا ارْتَـابُوا
في قادسـيَّةٍ ويرمُـوكٍ كـذا ... مَوقعـة الجِسْـرِ نَهَاوَنـدٍ خُـذَا
وحصـن نـابِليُون والصَّـوارِي ... وجـيش طـارق ورَا البِحَـارِ
لأنَّهُـمْ بـاعُوا النُّفـوسَ ربَّهـا ... بجنَّـةٍ ولـم يرومُـوا فَسْـخَها
وهكـذا المجـدُ طريقُـهُ عَسِـرْ ... وكَنـزُه عليـه سُـورٌ مِـن صَـبِرْ
وسـنَّة اللهِ بـأنَّ العاقبَـهْ ... لِفئـةِ الإيمـانِ وهْـي الغَالبَـهْ
دليلُـه في سُـورةِ الجِـدَالِ(١) ... و(الصَّافَّات) (النُّورِ) والقِتالِ(٢)
ثـمَّ الجهـاد بكـلَا نوعَيـهِ ... فـرضٌ كفـائيٌّ دعَـا إليـهِ
كتـاب ربِّنـا وفيـه رغَّبَـا ... ثُـمَّ بـهِ أَبْـدَا وَعـادَ مُسْـهِبَا
فهْـوَ تجـارةٌ لهـا أن تُغتـنَمْ ... ومُعـرضٌ عنهـا بخُسـرانٍ رُجِـمْ
والـذُّلّ لازمٌ لتَاركيـهِ ... والعـزّ مَعقـودٌ علـىٰ أهلِيـهِ

الشَّهيدُ وفضلُ الشَّهادةِ

ثـمَّ الشَّـهيدُ يـا أخِـي مَـن قُتِـلَا ... فِـي نصْـرِ ديـنِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا
ولـم يكُـنْ يَدفعُـه حـبُّ الثَّنـا ... ولا اكتسـاب مَغْـنمٍ في ذِي الـدُّنا

=

أَنَسٌ: كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ، يَحطِبُونَ بِالنَّهارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ، حَتَّىٰ بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ، غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَىٰ رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ".

(١) أي سورة «المُجادلة».

(٢) أي سورة «مُحمَّد».

ولـم يَكُـنْ مُـنْفعِلًا بالغضَـبِ لِنُصـرةِ الباطـل بالتَّعصُّـبِ
إلـىٰ قبيـل مـذهبٍ أو وطـنِ بـل مُخلصًـا لِـذي الثَّنـا والمِـننِ
وجـادَ بـالنَّفس مِن أجْلِ المُعتقدْ عوَّضـه اللهُ حيـاةً للأبـدْ
في جنَّـةِ الفِـردَوسِ بـين الحُـورِ علـىٰ الحِجـالِ[1] في ذُرىٰ القُصـورِ
وحوْلَـه أنهـارُ خمْـرٍ تطَّـردْ ولـبنٌ والشَّـهْدُ مـا مسَّـتْه يـدْ
يُطافُ بالصِّحافِ مِن كُلِّ شَهِي وكُـلِّ مـا لـه النُّفـوسُ تَشـتهِي
وفتنــةُ القُبــورِ منهــا أَمِنُـوا كـذاك مِـن أَهـوالِ حشْـرٍ أُمِّنُـوا
أجسـامُهم مَحفوظـةٌ لا تُؤكَـلُ يَـأتُون للحشْـرِ دِمـاهُم تَنـزِلُ
اللَّـونُ لـونُ الـدَّمِ أمَّـا الـرِّيحُ فـريحُ مِسْـكٍ عَبِـقٍ[2] يَفُـوحُ
ومَـنْ يَنـلْ شَـهادةً كـانَ مُنـاهْ بـأَنْ يَنلْهَـا ثانيًـا لِمَـا يَـراهْ
مِنْ كـرَم المَـولىٰ تعـالىٰ الشُّـهَدَاءْ ربِّ أنلْناهـا نكُـونُ سُـعدَاءْ

التَّحذيرُ من التَّقاليدِ الغَربيَّة، وما جلبتْه من الآلات المُفسدة

يـا طالبًـا للعِلْـمِ أَخلِـصْ للعَلِـي واشـدُدْ يـدَيك بـالتُّقىٰ والعمَـلِ
فهْـوَ حَجيـجٌ ناصـحٌ في المَحشَـرِ ومُـؤْنسٌ في القَـبرِ عِنـدَ المُنكَـرِ
لا تَطلُـبِ الـدُّنيا بشـرْعٍ مُنـزَلِ فـالرِّزقُ مَكتُـوبٌ لنـا في الأزَلِ
احـذَرْ مِـنَ الحضـارَةِ الغربيَّـهْ وزُخـرفٍ للنَّهضـةِ العِلمِيَّـهْ
فـإنَّ فيهَـا عسَـلًا وسُـمُّ وسُـمُّها الأدنـىٰ لِمَـن يُـؤمُّ

---

(١) الحجَال: جمع حجَلة: وهي بيت يُزَيَّنُ بالثِّياب والأسِرَّة والسُّتور لها عُرًىٰ وأزرارٌ.

(٢) العَبِق: طيب الرَّائحة وذكاها.

لقـدْ غزانـا الغـرْبُ في دِيارِنـا   غـزوًا ثقافيًّـا إلـىٰ عِقَارِنـا
مُحـاولًا مسْـخَ عُقـولِ الخَلْـقِ   وقاصـدًا تشـويهَ ديـنِ الحـقِّ
وطَمْس مـا في الـدِّين مِن فضائلِ   ونَشْـرِه للـدُّعْرِ والرَّذائِـلِ
فـانتبِهُوا لِكيـدِه وأَحكِمُـوا   أُمـورَكُمْ لِـرَدِّ مـا قـد نظَّمـوا
يـا أُمَّـةَ الإسـلام هـل آنَ لكُـمْ   أنْ ترجعُوا إلىٰ الهُدىٰ مِن دِينِكُمْ
إنَّ الغِنَـا والطَّبْـلَ والمِزمَـارَا   والعُـودَ والقَيْثَـرَ والأَوتـارَا
وغيرَهـا مِـن أحـدَثِ الآلاتِ   قـد حُرِّمـتْ في مُحْكَـمِ الآيـاتِ
والسُّـنَّةِ الصَّـحيحةِ الغـرَّاءِ بـلْ   قـد أخبَـر النَّبـيُّ عَـنْ ذاكَ جبَـلْ
علـىٰ جمَاعـةٍ يَبيتُـونَ علَـىٰ   لَهْـوٍ وشُـرْبٍ ثُـمَّ يُضحُـونَ فَـلا
كمَـا روىٰ الجُعفـيُّ في الصَّـحيح   مُعلَّقًـا بِصـيغةِ التَّصـرِيح(١)
عمَّـن لـه قـد ثبتَـتْ لُقيـاهُ   إلَـىٰ النَّبـيِّ الأَشْـعرِيْ عـزَاهُ
كـذا أبـو بكـرٍ رواه مُسـنَدًا   وقبْلَـه ابـنُ أشـعثٍ قـد أَسنَدَا
والسِّـينمَا والتِّلفزيـون أَتَـتْ   داهيـةً دهيَـا وبالشَّـرّ طَمـتْ
فكـم تـرَىٰ مُحصـنةً ومُحصـنًا   أضـحَوْا بهـا أهـلَ فُجـورٍ وخَنَـا
كـذاكَ قِـدْمًا قِيـلَ في المثـالِ   ونقلـوه تَاليًـا عـن تَـال

(١) يقصد بالجُعفيِّ: الإمامَ البخاريَّ؛ حيث أخرج في «صحيحه» (٥٥٩٠) عن عبد الرَّحمن بن غنم الأشعريّ قال: حدَّثني أبو عامرٍ - أو أبو مالكٍ - الأشعريّ، وَاللهِ مَا كَذَبَنِي: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَىٰ جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

قَالُوا بِأَنَّ كثرةَ الإمْسَاسِ ... وطُولَه يَذهَبُ بالإحسَاسِ
لقدْ تردَّى الغربُ في بُركانِ ... مِنْ شَهَواتِ الجسْمِ والجُثمانِ
وجرَّنا إلى الرَّدَى فيمَا رَدِي ... بنَشْرِهِ لِكُلِّ أمْرٍ فَندِ
ومِثْلُنا في ذَاكَ كالبَصِيرِ ... قلَّد أعْمَى قَادَهُ للبِيرِ

التَّبرُّج سببٌ في العُهر

فامْرأةٌ قصَّرتِ الثِّيَابَا ... وألْقَتِ الخِمَارَ والجِلْبابَا
وخرَجَتْ إلى الرِّجالِ سَافِرَهْ ... وخالَطتْهُمُ فأضْحَتْ عَاهِرَهْ
لأنَّها قدْ عَصَتِ الرَّحْمانَا ... وأرضَتِ الفُجَّار والشَّيطَانَا
يَا أَمَةَ اللهِ أَفيقِي وارْجِعِي ... ولِسَبِيلِ الغيِّ لا تتَّبِعِي
عارٌ عَلَيْكِ يَا ابنَةَ الأمْجَادِ ... أنْ تُصْبِحِي ضَحيَّةَ الإلْحَادِ
كجِيفَةٍ تَرتَادُهَا الكِلابُ ... فَرِيسَةٌ حاقتْ بهَا ذئَابُ
أينَ الحَيا والدِّينُ والكَرَامَهْ ... أينَ الشَّرَفْ والعِزُّ والشَّهَامَهْ
الكلُّ بِعتِيهِ بِلَا أَثْمَانِ ... كي تتبَعِي عصابَةَ الشَّيطان
إنَّ الجمالَ للنِّسا قِسمَانِ ... فظاهرٌ وَهْوَ مِن الرَّحمَانِ
مُقْتَسمٌ لكنَّهُ لا ينفَعُ ... إنْ لَمْ يَكُنْ له قَرِينٌ يَشفَعُ
أَعنِي بهِ ذَاكَ الجمالَ المَعنوِيّ ... دِينٌ حياءٌ ليسَ يُجْنِفُهُ(١) الغَوِيّ
واللهُ ربُّ العرش قدْ دَعَاكِ ... للمَعنوِيْ لِأَنَّهُ يَرْعَاكِ

---

(١) أي: يُميلُه.

ويَعلـمُ الـنَّفسَ ومَـا قـدْ أودعَـهْ ... خِلالَـهـا مِـن شَـهواتٍ مُشـرَعَهْ
ألـيسَ يَعلـمْ مُنشِـئُ الإنسَـانِ ... مـا قـدْ بنَىٰ في الطَّبْعِ مِن طُغيَانِ
لكـنَّ أصـحابَ الجُحـودِ الخَدَعـهْ ... قـد حـاولُوا تَضـلِيلَنا بالجعْجعَـهْ
فـاتَّهموا الإسـلامَ أنَّـه هَضَـمْ ... حـقَّ النِّسـاءِ إذْ علـيهِنَّ حَكَـمْ
بالاحْتِجَـابِ ثـمَّ الاسـتقْرَارِ ... في مَنْـزلٍ فانتقصُـوا للبَـارِي
فخـالقُ الطَّبـعِ علـيمٌ بالَّـذي ... ركَّبـه فيـه ومـاذا يَقْتضِـي
والمـرأةُ ضـعيفةٌ في طبْعِهـا ... رَقيقـةٌ سَـريعٌ انفعالُهَـا
ومُشـتهاةٌ للرِّجـال أَبـدًا ... وَهْـيَ لهَـا شَـهيَّةٌ تعـدُو المـدَىٰ
لِـذاكَ كانَـتْ حِكمـةُ الله بـأنْ ... يَحميَهـا بالاحتجـاب فـاعلَمَنْ
حَسْـمًا لأصـلِ الشَّـرِّ والفَسَـادِ ... وحِكمَـة في صـالحِ العِبـادِ

حلقُ اللّحى تشبُّهٌ بالكفَّار

احـذرْ تقاليـدَ أوربَـا المُجرمَـهْ ... فإنَّهـا مُنكـرَةٌ ومُؤلمَـهْ
مُيوعَـةٌ وقاحَـةٌ وسَـمَجُ ... تَخنُّـثٌ تشـبُّهٌ وحـرَجُ
كـالحلْقِ لِلِّحيـةِ والإعفـاءِ ... لِشـاربٍ علامَـة الشَّـقاءِ
ومَـن يُقصِّـر لحيـةً وشـاربًا ... ليُرضـيَ الخلْـق ويَنسىٰ الخالِقـا
حِرْصًـا علىٰ رِزْقٍ وخوفًا مِن أذىٰ ... فإنَّـه مُنـتهجٌ نَهْـجَ ردىٰ
إذ قـدْ عصَـىٰ لسُـنَّة الهـادِي الأَغـرّ ... زُهـدًا بهـا ثُـمَّ قفَـا نهْـجَ الكفَـر
وتـابع طُـرًّا لمَتبـوعٍ قفَـا ... هُـمْ شُـرَكَا فِـي الـوِرد كِـدْرًا أو صَـفَا

ذمُّ التَّوليت

والتَّولَيْتُ[(١)] فيه نهيٌ قد ورَدْ ... وهْو تشبُّهٌ بزيٍّ مَن جحَدْ
وفرْق رأسٍ جانبًا في الأيسر ... تُدعىٰ بمُوضَةِ سبيلَ المُفتري

الخنافسُ

وقدْ أتىٰ قومٌ يُحبُّون الخنَا[(٢)] ... سُمُّوا خنَافسًا بأوضع الدُّنىٰ
وإنْ تُرِدْ في وصْفِهم مقَالَا ... فإنَّهم قد ارخَوُا السِّبَالا
وحلَّقُوا اللِّحىٰ، وأعفَوُا العُذُرْ ... محبَّةً منهُمْ لِمَا كَانَ نُكُرْ
وطوَّلُوا الشُّعُورَ لِلمَناكِبِ ... وطوَّلُوا الأظْفارَ كالمَخالِبِ
ولبسوا سراولًا لهم تَصِفْ ... عوراتِهم إذْ جنسُهم بِها عُرِفْ
لأنَّها قد ضُيِّقَتْ مِن عُلوِهَا ... وَوُسِّعَتْ وأُسبِلَتْ مِن سُفْلِها
سمَّوا مُشيرًا، وهو لإسْتِ اللَّابسِ ... لأنَّه مِن مُوضةِ الخنافِسِ
ولابسُ الثَّوبِ بهِ قدْ كنَسَا ... ممشَاهُ كي يُدْعَىٰ به خنافِسَا
والبعضُ حَلَّىٰ جِيدَهُ بالذَّهَبِ ... شأْن فتَاةٍ مِن ذواتِ الحُجُبِ
وهذِه صفاتُهم بالمَظهَرِ ... أمَّا صفاتُهم بحُكمِ المَخبَرِ:
فهُمْ أُناسٌ قد هوُوا التَّخنُّثا ... تمرقعُوا؛ فرغِبُوا التَّأنُّثا

---

(١) التَّوليتُ: هو مُوضة القزَع، وهي قصُّ جوانب من الرَّأس، أو قصُّ مقدَّم الرَّأس، أو مؤخّرته، وقد أخرج مسلم (٢١٢٠) عن ابن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الْقَزَعِ»، قَالَ: قُلْتُ لِنَافِعٍ وَمَا الْقَزَعُ؟ قَالَ: «يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ، وَيُتْرَكُ بَعْضٌ».

(٢) الخَنَا: الفُحش.

لكـي يَزِيـدُوا عـدَدَ النِّسـاءِ فوَقعُـوا في أعظَـمِ الـبَلَاءِ
قـدْ رَغبُـوا عـن مُطلَـقِ الفَضـائِلِ واتَّصـفُوا بـأَقبَحِ الرَّذائِـلِ
هُـمْ تركُـوا الصَّـلاةَ والمَسـاجِدَا ونابَـذُوا الـدِّينَ وأهلَـه العِـدَا
وشَـربُوا الخَمْـرَ، وكـلَّ مُسـكِرِ ورَكبُـوا لِكـلِّ فُحْـشٍ مُنكَـرِ
لهُـمْ مجـالِسٌ دخانُهـا يَعِـجّ مِـن شرِّهم ملائـكُ اللهِ تَضِـجّ
عُكـوفُهم علـىٰ بلُـوت مـن وَرَقْ وضِـمنَةٌ وكَيْـرَم شـأن الخَـرقْ
أو كُـرَةٌ، والهجـرُ، والأغـاني وأعرضُـوا عـن مَسـمعِ القُـرآنِ
شَـرٌّ بليَّـةٍ علـىٰ الإسـلامِ وشَـرُّ فِرقَـةٍ مِـن الأنـامِ
والعـذْرُ إنْ كـان مقـالِي قـدْ جـرَحْ مَـن كـانَ عـن سُوءِ صفاتِهم جنَحْ
لكنَّـه قـدْ أظهَـرَ المُوافَقَـهْ لمـا أتـىٰ في وصـفِهم بالسَّـابقَهْ
فإنَّـه بـذاكَ قـدْ تعرَّضَـا بحمْلِـه ثـوبَ الَّـذي قـدْ مَرِضَـا
وفي الحـديثِ حُكْـم شِـبْهٍ فَاضَـا علـىٰ مُشـابِهٍ فجَـا أَبعَاضَـا

التَّشبُّه بالكُفَّار في الأعياد

ومنـه أعيـادٌ جلـوسٌ وانتصـارْ أو ثـورةٌ أو مولـدٌ أو أخْـذ ثـارْ
والفِصْـحُ والنَّيـروز كلّهـا بِـدَعْ كـذا شَـعَانِين[1] كنِيسَـة فـدَعْ
إذ لـمْ يجـئْ في ذاك مِـن دليـلِ لكنَّهـا مِـن بـدَعِ التَّضـليلِ
أعيادُنـا ثلاثـة فاثنـانِ لسَـنَةٍ: فِطْـرٌ وأضْـحَىٰ الثَّـاني

(١) الشَّعانين: عيد للنَّصارىٰ يقع يوم الأحد السَّابق لِعيدِ الفِصح، يحتفلون فيه بذكرىٰ دخول السَّيِّد المسيح بيت المَقدس.

وثالِــثٌ يعتـــادُ أســـبوعيًا خصيصـــةً في دِينِنـــا تهيَّـــا
فضـــيلة خُـــصَّ بهـــا نبيُّنـــا كـــم أُمَّـــةٍ عنهـــا أُضـــلَّتْ قبْلَنَـــا
وكلُّهـــا نِيطَـــتْ بشُـــكْرِ المُـــنعِمِ علـــىٰ عبـــادَاتٍ لغُـــنمِ المُســـلِمِ
ولـــم تُكـــن أعيـــادَ لهـــوٍ وطـــرَبْ وصـــرفَ أوقـــاتٍ بغيـــرِ مُكْتَسَـــبْ

ومِن ذلك التَّحلِّي بالذَّهب

يـا قـومِ مـا هَـذَا التَّحلِّي بالـذَّهَبْ وقـدْ نَهَـىٰ عنـهُ النَّبـيُّ المُنتخَـبْ
كـــأنَّكمْ لَـــمْ تؤمنُـــوا بدِينِـــهِ أم قـدْ أتـتْكُمْ شِـرعةٌ مِـن دُونـهِ
كـلَّا ولكـنَّ الغِـلافَ اسْـتحكَمَا وغـرَّكم إمهـالُ خـلَّاقِ السَّـما
يـا ويْلكُـمْ مِـن آيـةِ المُشـاقَّهْ ومِـن عـذابِ النَّـارِ يـومَ الحاقَّـهْ
قـدْ أخبَـر النَّبـيُّ عـن حرْمـانِ لابسِـــه مـــن حِليـــةِ الجِنـــانِ
بـل أعـرَضَ المُختـارُ عـن لابسِـهِ ولـــم يُكلِّمْـــه لِعُظْـــمِ جُرمِـــهِ
لأنَّـــه علـــىٰ الـــذُّكورِ حُرِّمـــا ولبسُـــه يُغضـــبُ جبَّـــارَ السَّـــما

ومِن التَّشبُّه التَّصوير

وقـد أتـىٰ النَّهـيُ عـن التَّصـويرِ إذْ ذاكَ مِـــن خصـــائصِ القَـــدِيرِ
ومـنْ يُصـوِّرْ صُـورةً كـانَ بهـا مُضـــاهيًا لله في إبْـــداعِهَا
لـذاكَ كـانُوا هُـمْ أشـدَّ النَّـاسِ يـوم الحِسَـابِ في العَـذَابِ القاسِـي
ومَـن يُصـوِّرْ صُـورةً يكـونُ لـهْ كمِثْلِهـا جسـمٌ يُذقْـهُ التَّنكِلَـهْ
ثـمَّ يُكلّـف نَفْخـه الـرُّوح بهـا إنْ كـان ربًّـا قـادرًا فلْيُحيِهَـا
وإنَّ أمـلاكَ الإلـهِ البَـررَهْ لَـنْ يـدخلُوا بيتًـا بـهِ مُصـوَّرَهْ

كَـذاكَ طمـسٌ للتَّماثيـلِ أتَـىٰ ... في مُسـلمٍ[(١)] عـنِ الإمـام ثبَتَـا
أعنِـي بـهِ البحْـرَ أبَـا السِّـبطَينِ ... الرَّابـع التَّـاليَ ذا النُّـورَينِ[(٢)]
بصيغةِ الأمْـرِ ومِـن فِعل النَّبـيْ ... هتْـكُ التَّماثيـل أتـىٰ والصُّـلُبِ
مـا لـم يكُـن رقمًـا بثـوب يُمتهَنْ ... أو غير ذي روح كما تَرْوِي السُّنَنْ

ومِن ذلك حَمْلُ الصَّليبِ ولو في السَّاعة

لقـدْ غزانَـا الغَـرْبُ غَـزْوًا مُحكَمَـا ... مُخطَّطًـا مُرتَّبًـا مُنظَّمَـا
بالنَّشـر والتَّعلـيم والصّـناعَهْ ... كجَعْلِهـمْ مَعبـودَهم في السَّـاعَهْ
وقَـدْ أتَـىٰ عـن النَّبـيِّ مُسـنَدًا ... مَـن شـابَهَ القَـومَ فمِـنهُمُ غـدَا
ولـيس شـرطُ شـبَهٍ أنْ يَقصِـدَهْ ... بـل بمُجـرَّدِ التَّوافُـقِ اَوْجِـدَهْ
وسَابقًا قَـدْ قلـتُ: مِـن فِعْـلِ النَّبيْ ... هتْـكُ التَّماثيـلِ أتَـىٰ والصُّـلُبِ

فصلٌ في آدابِ طالب العلْم

يَـا طالبًـا للعلـمِ خُـذْ آدابَـهْ ... عَنِّـي ولا تَسـمعْ جهـولًا عَابَـهْ
أوَّلُهـا: الإخـلاصُ للهِ العلِـي ... في نَيلِـه ونَشـرِه والعَمـلِ
وثَانيًـا: فجِـدَّ في التَّحقِيـقِ ... وثالثًـا: فـاحرِصْ علىٰ التَّطبيـقِ
ورابعًـا: أنْ تـألَفَ المَسـاجدَا ... وصاحِبِ الحَبْرَ الكريمَ المَاجِدَا

---

(١) أخرج مسلم (٩٦٩) عن أبي الهيَّاج الأسدي قال: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»".

(٢) **يقصد بأبي السِّبطَين**: أبا الحسن والحسين؛ عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ويقصد بذي النُّورين: عثمان بن عفَّان رضي الله عنه؛ زوج بنتَي رسول الله ﷺ.

وسَادسًا: فكُنْ وَقورًا واتَّئدْ كُن ذا أَناةٍ في الأُمورِ تَستفِدْ
وسَابعًا: فكُنْ بهِ مُرتَفعًا عنْ كلِّ سفْسَافٍ يُثيرُ السُّمَعا
وثَامنًا: دعْ صُحبةَ الأَشرارِ فَإِنَّها عارٌ علىٰ الأَخْيَارِ
وتَاسعًا: عدّ عن الأَطْمَاعِ واقنَعْ بما يَكفيكَ لِلمَتاعِ
والْبسْ حياءً مِن وليِّ نِعمتِكْ أنْ لا يَرىٰ مَكروهَهُ في خَلوَتِكْ
وحاديًا مِن بعْد عشرٍ: فاتَّبعْ نبيَّنا وامقُتْ لكلِّ مُبتدِعْ
في أدَبٍ والزِّيِّ واللِّباسِ فإنَّه مِنْ صِفةِ الأكياسِ
وثالثًا مِن بعْدِ عشْرٍ: فاحْترِمْ شيخًا فمَنْ يُهِنْه كم حظًّا حُرِمْ
وعُدْهُ إنْ كانَ مَريضًا وابتَهِجْ في وجْهِهِ فهْوَ بذَاكَ يَبتَهِجْ
واحفظْ لهُ عِرْضًا بظَهْرِ الغَيبِ فهْوَ الأَبُ الرُّوحيُّ دونَ ريبِ
وبعْدَ هذَا فاذكُرنْهُ بالحسَنْ إنْ ثَمَّ عَيبٌ قُلْ: أنا بعضُ المِنَنْ
وكُنْ كَرِيمًا بالحُطامِ إنَّهُ يَعودُ نتْنًا يَستقِئْ مَن شمَّهُ
وكُنْ شُجاعًا قَائِلًا بالحقِّ أَمْرًا بعُرْفٍ للوَلِيِّ الحَقِّ
ونكِّرِ المُنكَرَ إنْ لم تَستطِعْ فاهرَبْ تغيَّبْ ريثَما أنْ ينْقَطِعْ
وكُنْ صَبُورًا وَاتَّصِفْ بالحِلْمِ فإنَّهُ مِن شِيَمِ اَهْلِ العِلْمِ
واحذَرْ مِن الكِتْمَانِ إنَّ كاتِمًا عِلْمًا عن النَّاسِ بنَارٍ أُلْجِمَا
ودعْ مِرَاءً للسَّفيهِ ولتقُمْ في جَوفِ ليلٍ خاشِعًا ذَا شأْنُهُمْ
فهذه عشرُونَ خصْلةً أتَتْ وبَعْدَها ستٌّ بعقْدٍ نُظِمَتْ
فاشدُدْ بها يدَيكَ في الأحداثِ إنْ رُمتَ قِسمةً مِن المِيراثِ

أقسامُ العلم

والعلْـم فـاعلَمْ أنَّـه أقسـامُ ثلاثـةٌ والرَّابـعُ الحـرامُ
أوَّلُهـا: الواجـبُ وهْـو يَنقسـمْ إلـىٰ كِفـائيٍّ وعينـيٍّ عُلِـمْ
ثانيهمـا: يُعـرَفُ بالوَسـيلَهْ واجعـلْ كغايـةٍ لـه فَضيلَهْ
ثالثُهمـا: وهْـو كمـاليٌّ عُـرِفْ واحكُـم لـهُ بشـرَفٍ إذا صُـرِفْ
في خدْمـةِ الـدِّين وكـان عَونَـا علـىٰ الهُدىٰ ثُمَّ لِعِرْضٍ صَونَا
ثـمَّ الحـرام فـادرِه نوعـانِ أوَّلُهـا المنصـوصُ في القُـرآنِ
كِسِحْرِ هـاروتَ ومـاروتَ ومـا ضـارعَه في شَـكْلِهِ فليُعلَمَـا
والثَّـان مـا تحـتَ عُمومِـه دَرَجْ مَنْعًـا ونـافىٰ الـدِّينَ أوْ عنـهُ خَـرَجْ

الخاتمةُ

هـذا زمـانٌ ظهـرتْ فيـه الفِتَن وأَصـبَحَ المُنكـرُ عُرفًـا وحسَـنْ
والعُـرفُ نُكـرًا مُـزدرًىٰ مَـن قالَـه مُسـتهتزَءًا بـه ضـعيفٌ حالُـه
يُـزَنّ بالألقـابِ، والحبائـلْ لـه تُحـاكُ كـي يَـرُوجَ البَاطِـلْ
وقـد أتَـىٰ فضـلٌ لمَـن يقفُـو السُّنَنْ عنـدَ فسـادِ النَّـاس في وقـت الفِـتَن
فقـدْ أتَـىٰ أنَّ لـه فضـلَ مائَـهْ كلُّهُـمُ شـهيدٌ أو نصـف مائَـهْ
ممَّـنْ هُـمُ قـدْ صـحِبُوا نبيَّنَـا وفي الكتـابِ فضـلُهمْ قـدْ بُيِّنَـا
وقـابضُ الـدِّين كمَـن قـد قبضَـا بكفِّـه كُرْهًـا علـىٰ جمْـرِ الغضَـا[1]

(١) **الغضا**: جمعٌ، ومفردها: غضاة، وهي شجرةٌ صحراويَّة يصلُ ارتفاعُها مِن مترٍ إلىٰ ثلاثةِ أمتارٍ، ولها قاعدةٌ خشبيَّة، وجمرُه يبقىٰ زمنًا طويلًا لا يَنطفئ.

طوبىٰ لِمَن كان غريبًا في الوطَنْ بدِينِه إذ أفسَد النَّاس السَّنَن[(١)]
أَصْلحَ نَفسَهُ وَللإصلَاحِ دعَا ووالىٰ لذوِي الصَّلاحِ
عاشَ لِربِّه بإيمانٍ وقدْ علَا علىٰ الدُّنيا بفضلِ المُعتقَدْ
لم يَنخدِعْ بزُخرفٍ وبَهْرجِ ولا دعَاوىٰ كاذبٍ مُهرِّجِ
يُقابلُ التيَّار كالطَّودِ الأَشَمّ علىٰ عقيدةٍ وعزْمٍ ما انفصَمْ
وفي الصَّحيح[(٢)] جاء عَرْضٌ للفِتَنْ علىٰ قُلوبِ المُسلِمينَ فاعْلَمَنْ
شبَّهها بالحُصُرِ المُنسَّق كما رواه صاحبُ السِّرِّ التَّقي
مُنكرُها مِن القلوبِ يَنجلِي حتَّىٰ يَعودَ بَعدُ كالسَّجَنْجَلِ[(٣)]
وقَابِل لَهَا يكونُ أسودَا كقِطعةِ الفَحْمِ غلِيظًا مُربِدَا[(٤)]
عبادةٌ في وقْتِ الهَرج شُبِّهتْ بهجرةٍ إلَىٰ الرَّسول قُصِدَتْ
قد ورَدَ التَّرغِيبُ في اعتزالِ عند شُيُوع الفسْق والضَّلالِ
فخيرُ مالِ المرءِ إذْ ذاك الغنَمْ يَتبَعْ بها القِطْرَ ويَرعَىٰ في القِمَمْ
ويدَعُ النَّاسَ ويَعبُدْ ربَّهمْ مُجتنِبًا فسادَهُمْ وشرَّهُمْ

---

(١) السَّنن: الطَّريق.

(٢) أخرج مسلم (١٤٤) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

(٣) كناية عن الوُضوح. والسَّجنجلُ: المرآةُ والذَّهبُ.

(٤) أي: يَصيرُ إلىٰ سوادٍ، والرَّبَدُ: الطِّينُ.

وذاك مَحمولٌ علىٰ مَن كانَ لَهْ تأثُّرٌ بخُلطةِ الأشرارِ لَهْ
أمَّا إذا كانَ صَبورًا يَحتمِلْ وحاذقًا مُنتبهًا لمَا يُخِلّ
وآمِرًا بالعُرفِ يَهْدِي غَيرَهُ فَمِثلُ هذا رَجِّح اختِلاطَهُ
ورغمَ هذَا كلّه فقدْ أتَتْ بشارةٌ عن النَّبيِّ ثَبَتَتْ
أنْ لا تَزالَ فِرقةٌ بالحقّ قائمةً حتَّىٰ مَجيءِ الحقِّ
يُجاهِدون مَن بغىٰ ومَن كفَر إلىٰ نُزولِ ابنِ البَتُولِ المُنتظَرْ
أعنِي بهِ عيسَىٰ المسيحَ المُرسلَا فيقتلُ الدَّجَّالَ نصًّا يُجتلَىٰ
ويُوعبُ[1] النَّاسَ علىٰ الإيمانِ ويَحكُمُ المَسيحُ بالقُرآنِ
سبْع سنين ليسَ بينَ اثْنينِ خِلافٌ في شيءٍ لعدْمِ المَينِ[2]
فذاك حينَ إذْ يفضّ المَالُ بحيثُ لا يوجدْ له قبَالُ[3]
وتُصبحُ السَّاعةُ كالحُبلىٰ المُتِّمْ تنتظرُ الطَّلق متَىٰ بها يلِمّ
وذاك ما وفَّقنِي اللهُ إليهْ علَيَّ أنْ أكونَ داعيًا إلَيهْ
وخارجًا مِن عُهدةِ الكِتْمانِ مُوجبِ لعْنِ الملِكِ الدَّيَّانِ
واللهَ أرجُو المَنَّ بالإخلاصِ في عمَلِي والعفْو والخَلاص
يا ربِّ هبْ لي منكَ عِلمًا نافعًا والرِّزق فاجعلْهُ حلَالًا واسعًا
وارزُقنِي أسبَابَ قَبُولِ العمَلِ بفضْلِكَ اللَّهمَ يا خيرَ وَلِي

---

(١) **يوعب**: يحضُّ.

(٢) **المين**: الكذب.

(٣) **قبَّال**: صيغة مبالغة علىٰ وزن: فعَّال، من: قَبِل، والمراد: لا يوجد من يقبل المال لوَفْرتِه.

ثُـمَّ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ أَبـدَا تغْشـىٰ النَّبـيَّ الهاشـميَّ أحمـدَا

والآل والصَّـحْب الهُـداة الخِيَـرهْ والتَّـابعِينَ المُهتـدِينَ الـبررَهْ

مَـا لاح في أُفْـقِ السَّـماءِ كَوكـبُ ومَا بدَتْ شمسُ الضُّحىٰ أو تغرُبُ

أحمد بن يحيى محمَّد شبير النَّجميّ



محاضرات ورسائل ومقالات مُتفرِّقة

- منهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله
- المحاضرات السبع
- لِماذا كان التَّوحيد أوَّلاً؟
- معالم التَّوحيد في الحجِّ
- السَّلفيُّون بريئون من الأعمال الإرهابيَّة
- التَّعليمُ قديمًا وحديثًا في منطقة جازان
- حادثة امتهان الدَّانمارك لصُورةِ الرَّسول ﷺ
- بيانُ مُخالفاتِ الإخوانِ وولائدهم.
- بيعة النِّساء
- أحاديثُ في الخوارج
- رسالةٌ في العلم وفَضلِه ووصايا نافعة لِطالبه
- وُجوب طاعة الرَّسول، والحذرِ من مُخالفتهِ
- أصول العقيدة الثَّابتة
- نِعمة السَّيَّارات
- متى يُشرعُ السِّترُ على مُرتكبِ المعصيةِ؟
- إحياء الموات

منهج النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمُرسلين، نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإنَّ منهجَ النَّبيِّ ﷺ وطريقتَه في الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ هي طريقةُ الرُّسل جميعًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وما من نبيٍّ أتىٰ قومه داعيًا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلَّا وهو يقول: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، وهذه هي الحقيقة الَّتي بعثت بها الرُّسل إلىٰ أقوامهم؛ أن يُبيِّنوا لهم أنَّهم ما لهم إلهٌ غيرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّ الآلهة المزعومة الَّتي يتَّخذونها من دون الله عاجزةٌ علىٰ أنْ تنفعَ نفسَها، فكيف تنفع غيرَها؟! وعاجزة أن تدفع الضّرَّ عن نفسِها، فكيف تدفعه عن غيرها؟! سواءً كان المُتَّخذ إلهًا إنسانًا كما تدعيه الرَّافضة الوثنيَّة في عليٍّ بن أبي طالب، وكما تدَّعيه الصُّوفيَّة المارقة في أشياخهم، فهؤلاء كلُّهم ضُلَّال؛ فمَن ادَّعىٰ في شخصٍ

الألوهيَّة فإنَّه قد ادَّعىٰ باطلًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أخبرنا في كتابه في مواضع متعدِّدة منه أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لمَّا ذكر نماذج من خلقِهِ ومصنوعاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال في كمال ذلك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣]، أي: إنَّ اللهَ هو الَّذي صنَع هذه المصنوعات، وخلَق الخليقة؛ فبسط الأرضَ، وأجرىٰ فيها المياه، وجعَل فيها الأرزاقَ، وخلَق فيها المخلوقات ورزقهم، ثم بعد ذلك يميتهم، وتخلُف خلائقُ مِن بعدِهم، وخلق السَّماء وأجرىٰ فيها الكواكب، وأجرىٰ فيها الشَّمسَ والقمرَ، واللَّيلَ والنَّهارَ، وخلَق ما نرىٰ وما لا نرىٰ، هذا هو الله الَّذي أوجد هذه المخلوقات وهذه المصنوعات؛ برًّا وبحرًا، وليلًا ونهارًا، وذكرًا وأُنثىٰ، إلىٰ غير ذلك.

إذن فاللهُ هو الَّذي خلَق هذه الأشياءَ، فهو الإله الحقُّ، وكلُّ مَن سواه باطل؛ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣]، **والقطمير**: هو القشرة البيضاءُ الَّتي تكون علىٰ النَّواة، وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النِّساء:١٢٤]، **والنَّقير**: هي النَّقرة الَّتي تكون في مؤخِّرة نواة التَّمر، وقال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النِّساء:٤٩][(١)].

إذن فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو خالق هذا الكون، وهو مُنشئُه، وهو الذي يرزق من فيه، ويسير هذا الكون إلىٰ ما نرىٰ؛ هو الذي خلق السماء وفيها ملائكة، بل هي مليئةٌ بالملائكة، وهم متعبدون لله؛ كما يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ** -وفي رواية: **مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ**[(٢)]-

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٢١ طيبة).

(٢) أخرجها الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (٣١٢٢)، من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحها الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٨٥٢).

إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ»، ثم يقول النَّبيُّ ﷺ: «وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»[1]، وفي روايةٍ: «وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ، وَتَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[2].

وهو الَّذي خلَق الأرض وما فيها من المخلوقات من الجنّ، والإنس، والحيوانات الَّتي جعلَها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رزقًا للعباد وعونًا لهم على طاعتِه؛ مِن حيواناتٍ مركوباتٍ، وحيواناتٍ مأكولاتٍ، وحيواناتٍ تأخذُ منها المشروبات، وحيواناتٍ تؤخذ من شعورها الملبوسات هكذا أراد اللهُ عَزَّوَجَلَّ لبني آدم، والجنُّ أيضًا.

إذن هذا هو الإلهُ المستحقُّ للعبادةِ؛ ولذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة (سبأ): ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

ثمَّ إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نهى رسولَه عن الشِّرك، وأخبره أنَّه لو أشركَ هو لحبِطَ عملُه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعراء:٢١٣]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧]، فمَن اتَّخذَ مع اللهِ إلهًا فإنَّه حينئذٍ يكونُ كافرًا، ومَن زعَم أنَّ أحدَ

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٣١٢)، وابنُ ماجه (٤١٩٠)، مِن حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٢٠١)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٧٤٠)، وابن أبي الدنيا في «المتمنِّين» (١٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢١٦)، عن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه، موقوفًا.

المخلوقين يخلق أو يرزق أو يغفر الذُّنوب أو يفعلُ ما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ فإنَّه قد اتَّخذه إلهًا مِن دُون الله، وحينئذٍ يكون عملُه مردودًا، ويُحكم عليه أنَّه محتَّمٌ الخلود في النَّار، ومحرَّمٌ عليه دخول الجنَّةِ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول عن نبيِّه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨و١١٦].

فما هو الَّذي يتبيَّن لنا مِن هذه الآيات؟

إنَّه مَن أشركَ باللهِ الشِّركَ الأكبرَ فإنَّه قد حبِط عملُه، وأنَّه محتَّمٌ عليه الخلود في النَّار، ومحرَّمٌ عليه دخول الجنَّة، وأنَّه لا يُغفر له ذنبٌ، ولا تقبل منه حسنة، ومهما عمِل من الحسنات والقُربات فإنَّها تكونُ مردودةً عليه، كما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان:٢٣].

فهذه هي طريقة النَّبيِّ ﷺ في الدَّعوةِ إلىٰ الله؛ وهي البدءُ بالتَّوحيد، وهذا هو الواجبُ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، وعن عبد الله بن عمر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسَةٍ؛ عَلَىٰ أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ**»(١)، وفي الرِّواية الأخرىٰ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ؛ عَلَىٰ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٦).

وهكذا ما خاطَب النَّبيُّ ﷺ أحدًا في دعوته إلىٰ الإسلامِ إلَّا وأمرَه بالبدءِ بالتَّوحيدِ؛ شهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، أو يقول له: تعبدُ الله ولا تشرك به شيئًا.

وبينما كان النَّبيُّ ﷺ يسيرُ في بعض أسفارِه اعترضه رجلٌ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ - أَوْ بِزِمَامِهَا- ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ -أَوْ: يَا مُحَمَّدُ- أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ**»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»[(١)].

وأرسل النَّبيُّ ﷺ معاذاً إلىٰ اليمنِ فقال له: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** -وفي لفظ[(٢)]: **فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**-، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[(٣)].

وهكذا نرىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ يُخاطبُ كلَّ مَن دعاه إلىٰ الإسلام بأنْ يبدأ بالتَّوحيدِ: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله؛ التزامًا بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حيث

---

(١) أخرجه مسلم (١٣)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٣٧٢)، من حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاريُّ -واللفظ له- (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، من حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما.

أمَر اللهُ كلَّ نبيٍّ وكلَّ رسولٍ أنْ يبدأَ بهذا الأساس الَّذي هو التَّوحيدُ: أنْ يوحَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يُدعىٰ معه أحدٌ غيرُه؛ لا ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا ضريح، ولا قبر، ولا صنم، ولا وثن؛ لا شيء إلَّا الله وحدَه، فهو المُتفرِّد في هذا الكون، وهو الَّذي يجب أن يُدعىٰ، وهو الَّذي يجبُ أنْ يُعبدَ، وهو الَّذي يجبُ أنْ يُصلَّىٰ له، وهو الَّذي يجبُ أنْ يُسألَ كلَّ ما يُريدُ العِبادُ؛ فهو قد تكفَّل به، وهو الخالق له، والرَّازق له، كما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

ثمَّ إنَّا نرىٰ جماعةً من النَّاس لهم حزبٌ، ولهم دعوة يدعون فيها إلىٰ إعادة الخلافة، فمَن أمرَهم بهذا؟ إنَّ الذي أمرهم هو إمامُهم الَّذي زعَم أنَّ الدِّين لا يستقيمُ إلَّا بوُجودِ الخِلافةِ، وهم يتظاهرون بالعبادةِ، ومع ذلك هدفُهم سياسيٌّ وهو أن يتوصَّلوا إلىٰ الحُكم؛ فهؤلاء أمرَهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنْ يبدؤوا بالتَّوحيد فتركوه، ودعَوا إلىٰ خلافة. فهل يكون من فعل ذلك مضلّلًا أو لا يكون مضلّلًا؟

الجواب: نعم، يكون مضلّلًا؛ لأنَّه بدلًا من أنْ يدعوَ إلىٰ توحيد الله، وإلىٰ دينه، وإلىٰ عبادته؛ فهو يدعو إلىٰ خلافة، ويتظاهر بالفضائل، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وتراهم يمدُّون يد الأخوَّة والتَّعاون والتَّباذل والتَّآزر مع مَن يُبغضون الصَّحابة عن آخرِهم، ويلعنوهم، بل ويلعنون أفضلَهم أبا بكر وعمر وعُثمان وسائر العشرة، عدا عليَّ بن أبي طالب -والعياذ بالله-، فهل الَّذي يفعلُ هذا يُريدُ الحقَّ -إنا لله وإنا إليه راجعون-، وإنَّما هذا -ونسأل الله العفوَ والعافيةَ-

بعيدٌ كلَّ البُعد عن الحقِّ.

فأنا أنصحُ إخواني المُسلمين جميعًا أن يتَّقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وأنْ يتركوا مثل هذه الحزبيَّات، ومثل هذه المناهج المُنحرفة المعوجَّة، وأن يأخذوا بما كان عليه رسول الله ﷺ في المنهج، وهل يجوز لك -يا عبدالله- أن تُبدِّل وتُغيِّر، وأنْ تدعوَ إلىٰ خلافةٍ، وتترك الأمرَ الَّذي أمَر اللهُ بالدَّعوة إليه ؟ الجواب: لا يجوز هذا.

هذا ما أُوصي به إخواني: أنْ يحذرُوا من هذه الحزبيَّات؛ لأنَّ فيها داءً عضالًا، وموتًا زعافًا -والعياذ بالله-، وعندما تُبدِّل ما أمرك الله به بشيءٍ يفرضُه آدميٌّ مثلُك فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فأُوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، واتِّباع كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ، واتِّباع سنَّة نبيِّه ﷺ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا بذلك حيثُ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ويقولُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

ويوم القيامة لا ينفع أحدٌ أحدًا؛ فلو أنَّ إنسانًا معه ملءُ الأرضِ ذهبًا، وبذلَه فداءً يريد أن يفتدي من النَّار؛ ما قبِل الله منه، ومصداق ذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة:٣٦].

فيا إخواني؛ العقيدةَ العقيدةَ، فالعقيدةُ أساسُ الدِّين، أمَّا لو تعبَّد إنسانٌ بالفضائل، وعقيدتُه فاسدةٌ؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

هذا ما أُوصي به وأحثُّ عليه إخواني، وأطلبُ منهم أنْ يسعَوا في النَّجاة

لأنفسِهم، «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[(١)].

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه.

حُرِّرَ بتاريخِ

يوم الأربعاء ٢٩-١٢-١٤٣٠هـ



(١) أخرجه مسلمٌ (٢٢٣)، مِن حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المحاضرات السبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :-

فإني قد أذنت للطالب حسن علي حسن جماح دغريري في تفريغ المحاضرات من الأشرطة وهي سبع محاضرات الأولى لقاء مع أهل المغرب والثانية محاضرة عبر الهاتف لأهل الإمارات والثالثة كلمة توجيهية لأهل البحرين والرابعة محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنة والخامسة محاضرة عبر الهاتف لمسجد التوحيد في ألمانيا السادسة محاضرة هاتفية للسلفيين في السودان والسابعة رحلة معاذ رضي الله عنه إلى اليمن عقيدةً ومنهجا فقد أذنت له أن يفرغ هذه ويكتبها

وبالله التوفيق.

كتبه / أحمد بن يحيى النجمي

٢٨/ ٧ /١٤٢٨هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

أما بعد فإني قد أذنت للطالب حسن علي حسن جماح

دغريري في تفريغ المحاضرات من الأشرطة

وهي سبع محاضرات الأولى لقاء مع أهل المغرب

الثانية محاضرة عبر الهاتف لأهل الإمارات

الثالثة كلمة توجيهية لأهل البحرين الرابعة

محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنة الخامسة

محاضرة عبر الهاتف لمسجد التوحيد في ألمانيا

السادسة محاضرة هامة للسلفيين في السودان

السابعة رحلة معاذ رضي الله عنه إلى اليمن

عقيدة ومنهجا فقد أذنت له أن يفرغ هذه

ويكتبها وبالله التوفيق

أحمد بن يحيى النجمي

١٤٢٧/٧/٢٨

لقاءٌ مع أهل المغرب

يوم الأحد ٩ - ٦ - ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرفِ الأنبياء والمرسلين؛ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإنَّ اللهَ أرسلَ الرُّسلَ وأنزل الكتبَ لصلاح البشريَّة؛ كلَّف الخليقة باتِّباع الرُّسل، وكلُّ أمَّة مُكلَّفةٌ باتِّباع رسولها، ونحن أمَّة محمَّدٍ ﷺ مكلَّفون باتِّباع رسولِنا محمَّدٍ ﷺ؛ فيجبُ علينا أنْ نُؤمنَ بما جاء به، وأن نتعلَّمه، ونعملَ عليه فعلًا وتركًا، عقيدةً نعتقدُها في قُلوبنا بأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الإلهُ الحقُّ، وليس أحدٌ مِن المخلوقين يستحقُّ الألوهيَّة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا مقتضىٰ شهادة: أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

ونحن إذا شهدنا بهذه الشَّهادة شهدْنا لله بوحدانيَّة الألوهيَّة، وشهدنا للرَّسول ﷺ بالرِّسالة مِن عندِ الله؛ لأنَّ الله أنزل عليه القُرآن، والقرآنُ حجَّةٌ ثابتةٌ، وهو معجزةٌ لرسول الله ﷺ، وقد تحدَّىٰ اللهُ المكذِّبين بأن يأتوا بمثلِه، وإذ لم يفعلوا فقد تحدَّاهم بأنْ يأتوا بعشرِ سورٍ ممَّن مثله، وإذ لم يفعلوا فقد تحدَّاهم بسورة ممن مثلِه؛ فالقرآن معجزٌ، وهو معجزةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقد قال ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ**

اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ»(١)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

فالقرآن كلام الله غيرُ مخلوقٍ، نزلَ على قلبِ محمَّدٍ ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، فهذه من العقائدِ الإسلاميَّة: أن نعتقد أنَّ القرآنَ معجزةٌ للرَّسول ﷺ.

إذن؛ فنحن حينما نشهدُ لله بوحدانيَّة الأُلوهيَّة؛ أي: بأنَّ جميعَ الخلائق ليس أحدٌ منهم يستحقُّ الألوهيَّة؛ فقول: أشهد أن لا إله إلَّا اللهُ؛ (لا إلهَ) نفيٌ للألوهيَّة عمَّا سوىٰ الله، و(إلَّا الله) إثباتُ الألوهيَّة لله وحدَه. والطَّاغوتُ هو الَّذي أمرنا بالكُفر به؛ قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أشهد علىٰ ألوهيَّته نفسَه وملائكته والصَّالحين من عبادِه؛ وهم أولُو العلم، قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]، وهذا فضلٌ لأولي العلْم يجبُ أنْ يعرفوه لأنفسهم، وأنْ يعرفَه لهم غيرُهم، فأنتَ يا طالب العلم احرص علىٰ أن تكونَ ممَّن أدخلَهم اللهُ في هذه الشَّهادة.

وما هو العِلْم الَّذي أشرك الله أمرَه معه ومع ملائكته؛ أهو علم الفيزياء، أو علم الكيمياء، أو علم الجيولوجيا، أو علم كذا، أو علم كذا؟! الجواب: لا، كلُّ هذا ليس بمقصودٍ، وإنَّما المقصود به العلم الشَّرعيُّ الَّذي فيه صلاح الأمَّة،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأوَّل شيءٍ يحرصون عليه هو وحدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهيَّة الَّتي استشهدهم عليها: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ فشهد اللهُ لِنفسه بوحدانيَّة الألوهيَّة، وأشركَ معه ملائكتَه، وأشرك من البشر أهلَ العلم بالشَّريعةِ، المطَّلِعون عليها، الذين صدورُهم تحوي آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وقلوبُهم تعي أحكام الشَّرع بأدلَّته من الكتاب والسُّنَّة؛ فكلُّ مسألة من مسائل الفقه الإسلاميِّ يعرفون حُكمها، ويعرفون دليلَها: هذا حُكمه واجبٌ، و دليلُه كذا، وهذا حُكمه سُنَّة؛ أي: مستحبٌّ، ودليلُه كذا، وهذا حُكمه فرضٌ علىٰ الأعيانِ، ودليلُه كذا، وهذا فرضٌ علىٰ الكفايةِ، ودليلُه كذا، وهذا حُكمه محرَّم؛ كالمحرَّمات الَّتي حرمها الله من الزِّنا واللِّواط وأخْذ الأموال بغير حقٍّ؛ عن طريق السَّرقة أو النَّهب والاحتيال والنَّصب وظُلم عباد الله، كلُّ ذلك محرَّم، وسفك دم المُسلم وإزهاق روحه محرَّم، وانتهاك عرضه محرم، فلا يجوز أن تعمل شيئًا أو أن تقول شيئًا لا يجوزُ؛ فمن بهت مسلمًا بشيءٍ حُبس في ردغة النَّار، لا يخرج منها إلَّا أن يثبت ما قال.

وعلىٰ هذا فيجبُ علىٰ المسلم أنْ يعتقدَ فضيلةَ العُلماء بما حوته قلوبهم، وما استعملته جوارحُهم؛ بالنَّظر والتَّحفُّظ في الآيات القرآنيَّة المُنزلة، وكذلك أيضا قراءتُهم لسُنن الرَّسول ﷺ، كلُّ هذا لهم فيه أجرٌ.

وما يُسْدُون إلىٰ النَّاس مِن النَّصائح والتَّوجيهات المناسبة لشرع الله عَزَّوَجَلَّ والفتاوىٰ والتَّعليم وعند مجالس الدُّروس كلُّ ذلك مما يرفعهم الله به الدَّرجات، فاحرصوا يا طلَّاب العلم علىٰ العلم بكتابِ اللهِ وبسنَّة رسول الله ﷺ؛ علم الحديث روايةً ودرايةً، ومعرفة الفقه، وأصول الفقه.

وهكذا يجبُ علىٰ المسلم أن يتعلَّم شرع اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وفي ذلك فضيلةٌ لهُ،

فكلّ شيء يستغفر لحامل العلم حتَّىٰ الطير في الهواء، والحيتان في الماء، والحيَّات في جحورها، والطُّيور في أوكارها، والحشرات في جحورها، كلُّ هذه تستغفر لحامل العلم الشَّرعي الصحيح الَّذي لا تدخله البدعُ، ولا تدخله الأهواء والحزبيَّات، هذا هو العلم الصَّحيح.

فيجبُ علىٰ طلَّاب العلم أنْ يبذلُوا جُهدَهم في ذلك تعلُّمًا وتعليمًا، وليس ببعيدٍ عنَّا ما جاء في الحديثِ: عن كثيرِ بن قيسٍ، قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١)، فهذا هو فضل طلب العلم الصَّحيح، وهذه هي الطَّريقةُ المستقيمةُ الَّتي أوجبَ اللّه علينا أن نَسلُكَها، وأمَرنا بأنْ ندعوه بالاستقامة عليها، قال تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والتِّرمذيُّ (٢٦٨٢)، وابنُ ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدَّرْداءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسَّنهُ الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٢١٢).

ويجب علىٰ طلاب العلم أن يرفضوا كلَّ الأهواء وكلَّ الحزبيَّات، وأن يسيروا علىٰ المنهج السَّلفيِّ الحقِّ الَّذي يُمثِّل ما كان عليه أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، وليس ببعيد عنَّا ما قاله رسولُ الله ﷺ في حديث الافتراقِ: «**لَيأْتِينَّ عَلَىٰ أُمَّتي مَا أَتىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ... وَإِنَّ بني إسرائيل تَفرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)].

فاحذروا الحزبيَّات، واحذروا الأهواء؛ كهوىٰ التَّشيُّع، وهوىٰ النَّصبِ، وهوىٰ الخوارجِ الَّذين يرون الخروج علىٰ الأئمَّة، والحقيقة أنَّ الأحاديث الواردة في الحثِّ علىٰ السَّمع والطَّاعةِ أحاديثُ كثيرةٌ تبلغ حدَّ المتواترِ[(٢)].

فيجبُ علينا أنْ نُؤمنَ بذلك، وأنْ نسمعَ ونُطيعَ؛ سواء كان الإمام برًّا أو فاجرًا؛ حتَّىٰ ولو كان عنده شيءٌ مِن الفُجور، ولو كان عنده بعضُ الفِسقِ؛ فإنَّ الواجب علينا أنْ نسمعَ ونطيعَ؛ لأنَّ الخروج علىٰ الأئمَّة يُسبِّبُ الفوضىٰ، ويُسبِّب الخوف وعدم الأمن، ويُسبِّبُ إزهاق الأرواح وإراقة الدِّماء، ويُسبِّبُ إتلافَ الأموال، ويُسبِّبُ انتهاك الأعراض، ويُسبِّبُ أشياءَ كثيرةً لا يُحصيها إلَّا الله، وأشهرُ شيءٍ في ذلك أنَّ الإسلامَ يُتَّهمُ بأنَّه كلَّه إرهابٌ، وهذا كلُّه بسبب أصحاب الإرهابِ الَّذين فعلوا ما فعلوا؛ فاتُّهِمَ الإسلام من أجلهم، والعياذ بالله من هذه الأهواء، وهكذا الحزبيَّات الَّتي تخلطُ الحقَّ بالباطلِ.

فيجبُ علينا أنْ نرفضَها، وأن نتركها؛ سواء كانت إخوانيَّة أو سروريَّة أو

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

(٢) انظر: «نظم المُتناثر» للكتاني (ص١٦٠ الكتب السَّلفيَّة).

قطبيَّة، أو غير ذلك؛ كالتَّبليغ والتَّحرير، وما إلىٰ ذلك من الحزبيَّات الَّتي دخل فيها كثيرٌ مِن النَّاس وأضلَّتهم عن الطَّريقِ المُستقيمِ -والعياذ بالله-.

فاتَّقوا الله - يا طلَّاب العلم - وأصلحوا ما أفسدَه هؤلاءِ المفسدون؛ أصلحُوا ما أفسدَه الحزبيُّون، اتَّقوا الله ودِينُوا بكتابه وبسُنَّة رسولِه علىٰ فهم السَّلف الصَّالح.

هذا ما أُوصي به نفسي، وأُوصيكم به، وأسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يُوفِّقني وإيَّاكم وجميعَ المسلمين إلىٰ ما فيه صلاحُ ديننا ودنيانا وآخرتنا؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ، وأنْ يُثبِّتنا علىٰ ذلك حتَّىٰ نلقاه ونحنُ علىٰ الحقِّ.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه.



محاضرةٌ عبر الهاتف لأهل الإمارات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسِنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه ﷺ، أمَّا بعدُ:

إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسلَ نبيَّه محمَّدًا ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ لِيظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، وإنَّ أساسَ هذا الدِّين هو توحيدُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أساسُه أن يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريك له، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يُقدِّمَ شيئًا سوىٰ ذلك، فهذا هو أصل الإسلامِ، وهذه هي قاعدتُه: ألَّا يُعبدَ الله إلَّا بما شرع علىٰ لسان رسوله ﷺ؛ بالكتاب المُنْزَلِ، وعلىٰ لسان الرَّسولِ المُرْسَل.

لقد بقيَ النَّبيُّ ﷺ عشر سنواتٍ يدعو إلىٰ التَّوحيد فقطْ، وجاء في الحديث عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ، قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**». قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: «**كَلِمَةً وَاحِدَةً**». قَالَ: «**يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا

سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ. قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: ١ – ٢]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص:٧]"[١]، فشهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله هي أساسُ الدِّين، وهي أصلُه، وهي قاعدتُه، وهي ثمرته؛ فلا يصحُّ إسلام عبدٍ إلَّا بذلك، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يس:٦٠-٦٣]، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا أنْ نعبده وحدَه لا شريكَ له، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ في كتابِ الله وسنَّة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء:٢٥] ، وفي الحديث عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ** [ص:١٢٩]**، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[٢].

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٢٣٢)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاريُّ (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلَّفنا بهذا، ويجب علينا أن نوحِّده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا نُشرك به أحدًا، والشِّرك هو أعظمُ ذنبٍ عُصِي اللهُ به، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧]، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فيجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يتَّقيَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنْ يُوحِّدَه؛ لأنَّ التَّوحيدَ هو أساسُ الدِّين، وأساس الملَّة، ولا يستقيمُ هذا الدِّينُ إلَّا بالتَّوحيد.

كما أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلَّفنا أيضًا أنْ تكون أمَّتُنا أمَّةً واحدةً؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون:٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء:٩٢]؛ فيجبُ أنْ نتآلفَ وأنْ نتآخىٰ نحن المسلمين، لكن علىٰ ماذا؟ علىٰ طاعةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ كلمةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وألَّا نختلف في شيءٍ، ويجب علينا أن ننتهيَ إلىٰ كتابِ اللهِ، وسنة رسول اللهِ ﷺ.

لكن الَّذي يكون عنده بدعةٌ، أو عنده معاصٍ؛ يجبُ علينا أن ندعوَه أوَّلًا بالرِّفقِ واللِّين؛ فإذا هو لم يقبل النَّصيحة فإنَّه في هذه الحالة يجبُ أنْ نُصارمَه، وأن نبتعد عنه، وأنْ نحذرَه، وفي ذلك أدلَّةٌ كثيرةٌ عن السَّلف رضوان الله عليهم.

والَّذين يقولون: نتحاور ونجتمع. لكن علىٰ ماذا؟ لا بدَّ أن نجتمع علىٰ طاعة الله، أمَّا أن نتحاوَر، وأن نتنازل عن الحقِّ الَّذي عندنا، وأنت تستمرُّ علىٰ باطلِك؛ فهذا لا يجوز لنا، بل يكون الحوار علىٰ هذا المبدإ، وأن نخضع كلُّنا

للدَّليل الَّذي يأتي به ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ والَّذي أنزله في كتابه، أو قاله نبيُّنا ﷺ، فنخضع لهذا الدَّليلِ ونُتابعه، ومَن خالف فيه فهو المحجوج.

فيا عباد الله هذا الَّذي يجبُ علينا أن نكون عليه، أمَّا أن نجتمع ونترك الكلام علىٰ من كان مُبتدعًا، أو مَن كان مُسرفًا علىٰ نفسِه بالفسقِ، مُرتكبًا للمُحرَّمات، ونسكت عنه ولا ننكر عليه؛ فهذا لم تأتِ به شريعةٌ قطُّ. وإنَّما الشَّريعة التي يجب أن نكون عليها وننتهي عندها هو العمل بالدَّليل، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، هكذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يجوزُ للإنسانِ أن يفتحَ حوارًا بينه وبين صاحب البدعة، ثمَّ يخضع له، ويتنازلَ عن الحقِّ الَّذي عنده.

أهلُ السُّنَّة يجبُ عليهم أن يثبتُوا علىٰ سُنَّتهم، ولا يقبلوا أيَّ مُساومةٍ عليها؛ فمَن قبِل الحقَّ الَّذي عليه أهل السُّنَّة، والَّذي عليه الأدلَّة مِن كتاب الله وسنَّة رسولِ الله ﷺ؛ فهذا قد أنقذ نفسَه مِن العذاب، قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران:١٠٣]، أمَّا مَن لم يقبل الحقَ فهذا نُعاديه، ونحذِّر منه، ونُنكرُ عليه.

وهكذا يجب علينَا أن نعلم ماذا عمل الصَّحابة رضوان الله عليهم؟ الجواب: إنهم سفكوا الدِّماء، وأزهقُوا الأرواح؛ مِن أجل نشر عقيدتِهم الإسلاميَّة؛ فالذي يكون معنا علىٰ هذه العقيدة لا بدَّ أنْ يَخضعَ للأدلَّة الَّتي نزلَتْ في كتاب الله، ووردَتْ في سنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وإلَّا فإنَّ هذا يكونُ مُخالفًا للعقيدةِ، ولا يُريدها، وإنَّما يُريدُ أن يستذلَّ السَّلفيِّين، ويُزحزحهم عن عقيدتِهم الَّتي كلَّفهم اللهُ بها، وهذا أمرٌ لا يجوز.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبِه.

كلمةٌ توجيهيَّةٌ لأهل البحرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفرُه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسِنا، ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله ﷺ، أمَّا بعدُ:

مَن يُطعِ اللهَ ورسوله فقد رشدَ، ومَن يعصِهما فإنَّه لا يضرُّ إلَّا نفسَه.

أيُّها المسلمون: لقد أرسلَ الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّه محمَّدًا ﷺ بالهُدىٰ ودِين الحق؛ لِيظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه، وقد أظهره فَعَلَا وانْتَشَر؛ حينما جاهد الصَّحابة وفتحوا الفتوح، ونصروا توحيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ فانتشر مِن المحيطِ إلىٰ حدود الصِّين، هذه الرُّقعة كلُّها كانت رقعة الإسلامِ في عهد بني أميَّة، ثم في عهد بني العبَّاس الَّذين بقيَ مُلكُهم إلىٰ عام (٦٥٦هـ)، حينما أغار التَّتار علىٰ بغداد، وقتلُوا الخليفة، وقتلُوا مَن قتلُوا.

المهمُّ أنَّ الله قد أظهرَ دِينَه، وأعلىٰ كلمتَه، لكن يحصل من النَّاس الفُجورُ، ويحصل منهم التَّأثُّر بالشَّهوات وبالشُّبهات، وتُركت أوامر الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيجبُ علىٰ المسلمين أن يُوحِّدوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وأنْ يعودوا إلىٰ طاعتِه، كلَّما حصل منهم خروجٌ أو بُعدٌ عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيجب عليهم أن يعودوا إلىٰ الله، وأنْ يعودوا إلىٰ أوامرِه فيفعلُوها، ويعودوا إلىٰ ترك نواهيه فيجتنبُوها.

فيجب علينا -يا عباد الله- أنْ نتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ، ونعمل بما أنزل علىٰ عبدِه ورسولِه في الكتاب المنزل، وبما نشرَه ﷺ وعمِلَه في السُّنَّة الَّتي حُفِظتْ عنه صلواتُ الله وسلامه عليه؛ فالسُّنَّة مُفسِّرة للقُرآن ومُبيِّنة له.

فيجب علينا أن نعود إلىٰ هذين المصدرين اللَّذين هما كتابُ الله وسنَّة رسوله، وعلىٰ فِعْل السَّلف الصَّالح مِن الصَّحابة والتابعين، يجب علينا أن نفعل ذلك، وأن نجتنب البدَع، وأنْ نجتنبَ المحرَّمات، وأن نجتنبَ كلَّ ما نهىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه، يجب علينا ذلك.

ويجبُ علينا أنْ نُحاسبَ أنفسَنا ونعودَ إلىٰ أمر الله عَزَّوَجَلَّ، ونحاسب أنفسنا علىٰ المخالفات، ونحاسب أنفسنا علىٰ التَّقصير في الواجبات؛ فإنْ وجدْنَا مِن أنفسِنا تقصيرًا في الواجبات حاولنا إصلاح ذلك التَّقصير، وإذا وجدنا من أنفسِنا تواصلًا علىٰ المحرَّمات حجزْنا أنفسَنا عن مِثلِ ذلك؛ لأنَّه يُغضبُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يرضىٰ عن العباد إلَّا إذا عملوا بِطاعتِه علىٰ ضوءِ ما أنزل في كتابه، وعلىٰ ضوء ما بيَّنه رسولُ الله ﷺ في سُنَّته، وعلىٰ ضوء ما كان عليه السَّلفُ الصَّالحُ.

والنَّبيُّ ﷺ أخبر أنَّ الأمم قد افترقت؛ فقال ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ... وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١)، وفي رواية: "«**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْجَمَاعَةُ»"(١).

فيجبُ علينا -يا عباد الله- أن نحاسبَ أنفسَنا قبل الحساب الَّذي سيأتي يوم القيامةِ؛ قام عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خطيبًا فقال: «إِنَّمَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ اثْنَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»(٢).

فيجبُ أن نعملَ لذلك اليوم الَّذي سيأتي وهو يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية: ١-٩] فمَن هم هؤلاء الَّذين يتنعمون في الجنَّة؟ إنَّهم الَّذين يتَّبعون كتاب الله، ويتَّبعون سنَّة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والَّذين يتأسَّون بأصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبالتَّابعين وأتباع التَّابعين من أهل الأثر ومن أهل الحديث، الَّذين يتركون البدَع، ويعملون بالسُّنن، ويُؤدُّون الفرائضَ كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، ويتطوَّعون بما قدرُوا عليه من التَّطوُّعات؛ مِن صلاةٍ وصيامٍ وتصدُّقٍ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٢) برقم (٦٣)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصحَّحه الألبانيّ في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» برقم (١٤٩٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزُّهد والرقائق» برقم الأثر (٢٥٥)، وأبو داود في «الزّهد» برقم (١٠٦).

وتلاوةِ قرآنٍ، وإحسانٍ إلىٰ الخلقِ، ودعوتهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ودلالتهم علىٰ ما في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأوامر والنَّواهي؛ دلالتهم علىٰ ذلك ليتَّعظُوا وليتَّقوا الله عَزَّوَجَلَّ، ويحذروا مخالفاته؛ فإنَّهم إذا أكثروا من المخالفات غضب اللهُ عليهم، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه:٨١].

فيا عباد الله عليكم بطاعة الله، عليكم بكتاب الله فاتلُوه، واقرؤوا تفسيره المرويَّ بالأثر؛ من تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغويّ، وسائر التَّفاسير التي فَسَّرت كتاب الله بالأثر، هكذا يجب أن نكون.

ثمَّ أيضًا علينا أنْ نتلوَ كتاب الله، ونقرأ وننشرَ سنَّة رسولِ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ننشرها في الدُّروس، وننشرها بالعمل بها، وبالدّعوة إليها في كلِّ مكانٍ؛ ندعو إلىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ونحذّر من معصيته؛ إذ إنّ معصيتَه موجبةٌ لِغضبه، وطاعتُه موجبة لرضاه، ونحن بعد قليلٍ سنموتُ، وكلٌّ منَّا سيجدُ مغبَّةَ عملِه عندما يموت، قال تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج:١-٥]، وقال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ، ثُمَّ لَتُبْعَثُنَّ، ثُمَّ لَيَدْخُلَنَّ الْمُحْسِنُ الْجَنَّةَ، وَالْمُسِيءُ النَّارَ، وَإِنَّ مَا أَقُولُ لَكُمْ حَقٌّ**»(١).

فيا عباد الله يجبُ أنْ نحاسبَ أنفسَنا، كما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ، مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، ثُمَّ تَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ**»(٢).

أيُّها المسلمون عُودوا إلىٰ النَّبع الصَّافي، عودوا إلىٰ كتاب الله، عودوا إلىٰ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» برقم (٦٦١٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٦٠)، والترمذي (٢٤٥٩)، وقال: «حديث حسن». من حديث أبي يعلىٰ شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سنَّة رسول الله ﷺ، عُودوا إلىٰ عمل السَّلف الصَّالح، ارجعوا إلىٰ الكتُب الَّتي دوِّنت هذا فاقرؤوها، وانشروها، واعملوا بها، واتركوا المخالفات الَّتي تأتي من قِبَلِ أناسٍ يتَّخذون الدَّعوة، وعندهم جهلٌ؛ فيخلطون الحقَّ بالباطل -والعياذ بالله-.

ونحن نرىٰ أنَّ هذه الدَّعوات الَّتي وُجدت علىٰ السَّاحة يجبُ أن نعلم أنَّ فيها خلطًا بين الحقِّ والباطل؛ يعتنون بالتَّعبُّد وإنْ كان بالبدَع، ويتركون سُنَّة رسولِ الله ﷺ والتَّمشِّي عليها، يتركون هذا، ويقصرون فيه، وتكون هناك متابعةٌ لأشخاصٍ علىٰ الأخطاءِ -والعياذ بالله-.

فيا عباد الله إيَّاكم وهذه الحزبيَّات فاتركوها؛ فلا إخوانيَّةَ، ولا سُروريَّةَ، ولا قطبيَّةَ، ولا تبليغَ، ولا تحريرَ، ولا كذا ولا كذا، بل سلفيَّة حقَّة، ومتابعة لكتاب الله، ومتابعة لسُنَّة رسول الله ﷺ، ومتابعة لعمَلِ السَّلفِ الصَّالح، هكذا يجبُ إنْ كنَّا نريد النَّجاة لأنفسنا، فإنَّك -يا عبد الله- يوم القيامة لو أتيتَ بملءِ الأرضِ أو ما يقاربُها ذهبًا ما قُبِل منك، ولا افتديت به، وإنَّما يُفيدُك وينفعُك ويُجنِّبك دخول النَّار ويدخلُك الجنَّة متابعتك لرسول الله ﷺ، وبدون ذلك أنت هالكٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

هذا ما أُوصيكم به، وأوصي به نفسي، واسألُوا اللهَ الثَّبات عليه حتَّىٰ تلقَوا ربَّكم وأنتم علىٰ الحقِّ وعلىٰ السُّنَّةِ.

أقولُ قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.



محاضرة الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستهديه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أَنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، أمَّا بعد:

فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسلَ رسولَه محمَّدًا ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ لِيظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه، وأوجب علىٰ مَن قرأَ كتابَه، وعلِمَ شيئًا مِن سنَّته مما يدلُّه علىٰ صحَّة المذهب وسلامة المعتقد؛ أن يدلَّ علىٰ ذلك غيرَه، وأن يُبيِّنَ الحقَّ لمن أراده، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذمَّ أهل الكتاب الكاتمين للحقِّ، ولعنَهم في كتابه، وأخبر بأنَّه يلعنُهم اللَّاعنون؛ فقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

من هذا المنطلقِ، ومن هذه القاعدة، وبناءً علىٰ هذا الواجب؛ فإنَّا نحبُّ ونريدُ أن ننصحَ إخوانَنا بما يسَّره اللهُ عَزَّوَجَلَّ من بيان لحقٍ، وتبيين لباطلٍ ادُّعِيَ أنَّه حقٌّ، وإنِّي لأشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذا اللِّقاء، ثمَّ أشكرُ دولتَنا الموفَّقة

المسدَّدة، وأشكر المسؤولين فيها، والقائمين عليها، الذين هيَّؤوا للشَّباب وسائل الإصلاح، ودَعوهُم -بما يفتحون من مدارس، وما يهيئون من وسائل- دعوهم إلىٰ الحقِّ، لكن بعض النَّاس -ونسأل الله العفو العافية- تنكَّرُوا لهذا المعروف، وحصل منهم ما هو معلوم للجميع.

فيا إخوة الإسلام نبيُّنا ﷺ يقول: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قالوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1]، فما هو النصح لله؟ النُّصح لله أن نقوم بحقِّه في العبوديَّة، وأن نقوم بحقِّه فيما أوجب من بيان الحقِّ وإيضاحِه لمن أراد الله أن يوفِّقه.

وكذلك النَّصيحةُ للكتاب بأنْ نُبيِّن ما في الكتابِ ممَّا أوجبَه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن الواجبات الَّتي يعلمُها أهل العلم الَّذين يسَّر اللهُ لهم معرفةَ العقيدةِ الصَّحيحةِ، ونبذُوا كلَّ البدَع.

وهكذا أيضًا النَّصيحة للرَّسولِ ﷺ، هي أن نبيِّن ما بَيَّن، وأن نوضِّح ما وضَّح، وأن ندعوَ إلىٰ ما دعا إليه، وعلىٰ الطريقة التي دعا إليها، ومشىٰ عليها ﷺ؛ فنبدأُ بما بدأ، وننتهي بما انتهىٰ، وندعو إلىٰ ما دعا إليه، والنَّبيُّ ﷺ ما دعا أوَّلًا وقبل كلِّ شيءٍ إلَّا إلىٰ التَّوحيد عشر سنين، وقد جاء في الحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ، قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**». قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: «**كَلِمَةً وَاحِدَةً**».

---

(١) أخرجه أحمدُ -واللفظ له- (١٦٩٤٧)، ومسلم (٥٥)، من حديث تميم الدَّاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: «يَا عَمِّ يَقُولُوا: **لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ. قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ١ – ٢]، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص:٧]"[١]، وفي رواية: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا**»[٢].

وإذا كان الأمر كذلك، وأنَّه صلوات الله وسلامه عليه أوَّل ما بدأ به الدَّعوةُ إلىٰ التَّوحيدِ عشر سنين، وما قال لأحدٍ: صلُّوا، ولا قال لأحدٍ: زكُّوا، ولا قال لأحدٍ: صوموا، ولا أوحي إليه في ذلك شيءٌ، وبعْد العشر السِّنين عَرجَ به جبريل علىٰ فوق السَّماء السَّابعة، فتلقَّىٰ مِن اللهِ أمرَه بالصَّلاة، وبعد ثلاث سنين بقيَ في مكَّة، ولم ينزل عليه شيءٌ من الأحكام الشَّرعيَّة، وإنَّما نزلت الأحكام الشرعية كلها من بعد أنْ هاجر إلىٰ المدينة.

وما معنىٰ هذا الابتداء بالتوحيد؟ معنىٰ ذلك أنَّه لابدَّ أنَّ كلَّ داعيةٍ يدعو إلىٰ الله أن يبدأ بالتَّوحيد الَّذي أمر اللهُ به رسوله محمَّدًا ﷺ، فهو الَّذي أمَر اللهُ به كلَّ الرُّسل؛ فكلُّ واحدٍ من الرُّسل يأتي إلىٰ قومِه يقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ، ويقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ويقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٢٣٢)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) رواه ابن حبَّان في «صحيحه» برقم (٦٥٢٨)، وصححه الألباني «إرواء الغليل» برقم (٨٣٤) و«التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان» برقم (٦٥٦٢) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإذا دعا داعيةٌ وكلَّف من تتلمذوا علىٰ يديه أن يدعو إلىٰ إعادة الخلافة الضَّائعة، وتركوا النَّاس يتطوَّفون بالقبور، ويدعون أصحابها، ويتمرَّغون علىٰ تُرابها، ويريقون الدِّماء لها علىٰ أبوابها، أتكون هذه الدَّعوة لها حظٌّ من الحقِّ؟ الجواب: لا. ما أمر الله أن ندعو إلىٰ خلافةٍ، بل أمر أن ندعوَ إلىٰ التَّوحيد، وبذلك أمر عبادَه جميعًا، فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف:٣]، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالاعتصام بكتابه وسنَّة رسوله؛ فقال جلَّ من قائل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فماذا نقول إنْ وجدْنا مَن يدعو إلىٰ الخلافة، ويعتني بالسِّياسة، ويجعل دعوته سريَّةً مِن أجل أن يُطيحَ بالدُّوَل القائمة، ويُوجِد علىٰ أنقاضها دولةً واحدةً حسَب زعمه، هل كلَّفه الله بهذا؟ أو أنَّه اتَّخذ طريقًا غير الطَّريق الذي سار عليه الرَّسولُ ﷺ؟ وما أظنُّ أحدًا يخشىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ويخافُ لقاءَه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والمثول بين يديه يقول: إنَّ تلك الطَّريق الَّتي سلكها ذلك الدَّاعية أنَّها حقٌّ، إلَّا من هو متجرِّدٌ عن أمر اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومتَّبعٌ لما قرَّره أولئك القوم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

أخواني ما هو الموجب لأن أذكر هذا؟ أخبروني ما هو الدافع لي أو لغيري ممَّن تكلَّموا في هذا الموضوع؟ الجواب: أنَّ هذه الدَّعوة الَّتي أُسِّست علىٰ هذا المفهوم دعوةٌ باطلةٌ تقوم علىٰ إسقاط الدُّوَل القائمة، وتأسيس دولةٍ واحدةٍ حسَب زعمهم.

وأخيرًا؛ يقولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فما معنىٰ: (اعتصموا)؟ أي: اتبعوا ذلك الكتاب الذي أنزله الله علىٰ رسولِه، واتَّبعوا القرآن الَّذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ

حميدٍ؛ اتَّبعوا السُّنَّة الَّتي جاء بها نبيُّنا محمَّدًا ﷺ، وإنَّ سنَّة النَّبيِّ ﷺ معروفةٌ ومعلومةٌ لدىٰ كلِّ مَن له معرفةٌ بالعلم الشَّرعيِّ.

إنَّ هذه الطَّريقة الَّتي سار عليها رسولُه ﷺ -كما سبق أن بينَّا- هي الطريقة التي نحن مخاطبون جميعًا بها؛ فمن زعم أنَّه يدعو إلىٰ الله فليبدأْ بالتَّوحيد؛ تقريرًا له، ودعوةً إليه، وإنكارًا علىٰ من أقرَّ الشِّركَ الَّذي يهدمُه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٤-٦٥] الخطاب لمن هنا؛ أليس لرسول الله ﷺ؟ الجواب: بلىٰ؛ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾، وإذا كان النَّبيُّ ﷺ هو نفسه متوعَّدًا أنْ يُحبط اللهُ عملَه إذا وقع منه الشِّركُ، أو وقع من غيره وهو أقرَّه عليه. ويقول جلَّ من قائل: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧]، وكذلك يقول: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعراء:٢١٣].

فهذه آياتٌ بيِّناتٌ في الكتاب الَّذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا من خلفه، فماذا نقول عندما يأتي داعيةٌ ويدعو إلىٰ شيءٍ خلاف التَّوحيد؟ يدعو بشيء لم يكلِّفه الله به أن يدعوَ النَّاسَ إليه ويترك ما أمره اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يدعو إليه، أترون أنَّه أتىٰ صوابًا أم خطأً؟ عندما يمرُّ بالنَّاس وهم يتطوَّفون علىٰ القبور؛ قبر الحسين وقبر السَّيِّدة زينب وقبر البدوي وقبر فُلان وفلان، ويجلبون لها النُّذور، ويذبحون علىٰ أبوابها؛ يريقون عليها الدِّماء، ويجأرون بأصواتهم دعوةً لأولئك الذين قد صاروا رِممًا في قبورهم.

وعلىٰ هذا أرجو أنَّه قد تبيَّن أنَّ ذلك التَّصرُّف كان خطأً مِن صاحبِه، ونحن الآن مخاطبون: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران:١٠٣] فما معنىٰ هذا الأمر؟ معناه: تشبثوا واتَّبعوا الكتاب الذي أُنزل، واتبعوا طريقة الرسل التي مشوا عليها؛ اتبعوا ذلك، وأوجب الله علينا أن نجتمعَ علىٰ الحقّ، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء:٩٢]، ويقول تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٣] فقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ لمن؟ لله، أليس كذلك. لا أحد ينكر هذا. وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ أي: اجتمعُوا علىٰ ذلك ما أمركم الله به في كتابه، فكونوا جميعًا عليه، وما أمركم به رسوله ﷺ في سنَّته، فكونوا جميعًا عليه، وما نهاكم عنه كتابه فكونوا جميعًا تاركين له، وما نهاكم عنه الرَّسول في سنَّته فكونوا جميعًا تاركين له كلّكم.

ليكن منكم الاجتماع علىٰ فعلِ أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، والاتِّعاظ بمواعظه، والإيمان بما أخبر به من المغيّبات؛ يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾ [النحل:١١١]، وأخبرنا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في أول سورة (المعارج) بأنَّ أيَّ إنسان يكونُ يوم البعث ليس همُّه إلَّا نفسه، لا يهمّه أحدٌ غيرُه؛ عندما يرىٰ نار جهنَّم يؤتىٰ بها تتلظَّىٰ وتقاد بسبعين ألفَ زمام، كلّ زمامٍ بيدِ سبعين ألف ملك[1]، فإذا كانت علىٰ مسافةٍ بعيدةٍ من الناس، ورأوها

(١) أخرج مسلم (٢٨٤٢) عن عبدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا».

زفرتْ زفرةً يجثوا لها النَّبيُّون والمرسلون؛ فعندئذٍ يودُّ الإنسان: ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج:١١-١٤] أينجيك في ذلك الموقف أنَّك اتَّبعتَ فُلانًا، وتركتَ رسولَ الله ﷺ؟ الجواب: لا. بل الرَّسولُ ﷺ حذَّر من الافتراق فقال ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ... وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفترِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)]، وفي رواية: "«**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفترِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ الْجَمَاعَةُ**»"[(٢)].

ولا شكَّ أنَّ اللهَ أمَرَ بالاجتماع ونهىٰ عن الافتراق شرعًا، ولكن قُدِّرَ في الكون أنَّه سيكونُ الكُفر، وسيكون الفسوق، وسيكون الافتراق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في عباده الحكمة البالغةُ، وله الحجَّة الدَّامغة، أيصحُّ أنَّ أحدًا يوم القيامة يعتذر بأنَّه فعَل هذا الشَّيءَ، وأنَّه لم يجد أحدًا يُبيِّن له؟ لابدَّ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُقدِّر ويجعلُ الحجَّة علىٰ الإنسان حين يتسلَّط عليه الشَّيطان؛ فيترك طريق الحقِّ،

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٢) برقم (٦٣)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيّ في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» برقم (١٤٩٢).

ويختار طريق الباطل، فيعاقبه الله علىٰ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾ [النساء:٤٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس:٤٤]، فالتَّفرُّق حصلَ سابقًا، وحصل لاحقًا، ولكن ما هي النجاة من هذا التَّفرُّق؟ ما هو الطَّريق الذي يمكن أن نسلكه وتكون به النَّجاة مِن هذا التفرُّق ومِن هذا الضياع الَّذي دعا إليه كثير من الناس؟ لا شكَّ أنَّ النَّجاةَ في اتِّباع كتاب الله وسنَّة رسولهِ ﷺ الَّتي أمَرَ اللهُ بالاعتصام بهما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وجاء في الحديث: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي؛ وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[(١)]، وذكره مالك في (الموطَّأ)[(٢)] بلفظِ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».

والأمَّة مجمعةٌ من أوَّلها إلىٰ آخرِها علىٰ أنَّ (الحبل) في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]: هو الذي أنزله علىٰ رسوله محمَّدٍ ﷺ، وهو الكتاب الَّذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك السُّنَّة.

فيجبُ علينا أن نحذر التَّفرُّقَ، وأن نجتمعَ علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنَّة رسول الله ﷺ؛ فإذا وجدنا من يدعو إلىٰ كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، ووجدنا عمله يوافق ذلك؛ فلنعلم أنَّ هذه الدَّعوة هي الحقُّ؛ تمسُّكٌ بالآثار وما عليه أهلُ الحديثِ الَّذين سلكوا طريقة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه أهل عصرِه؛ بما صحَّ لهم عن

(١) رواه الحاكم في «المستدرك علىٰ الصحيحين»، وصحَّحه برقم (٣١٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٩٣٧)، وفي «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» برقم (١٧٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مالكٌ في كتاب القدر، باب النَّهي عن القول بالقدر، برقم (٣).

ذلك -أي: عن ذلك العصر- عن النَّبيِّ ﷺ؛ فيجب علينا أنْ نسيرَ في هذا الطَّريقِ؛ فهو الذي ينجينا دون أيِّ طريقٍ غيرِه.

ونجد أنَّ بعضَ الدَّعوات تبيحُ الخروج علىٰ ولاة الأمور الَّذين هم مسلمون، فهل هذه الدَّعوة صحيحة؟ الجواب: لا، ليست بصحيحةٍ، والأدلَّة علىٰ ذلك قائمةٌ؛ فالنَّبيُّ ﷺ حذَّر كلَّ التَّحذيرِ مِن الخروج علىٰ الأئمَّة -علىٰ ولاة الأمر-؛ فعندنا حديث عُبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتَّفق عليهِ قال: **"دعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»"**[(١)]، وفي حديث عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا متَّفق عليه أيضًا: **« مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**[(٢)]، وفي حديثِ ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حينما ذهب إلىٰ عبد الله بن مطيع وهو يعدُّ الخروج علىٰ يزيد بن معاوية، فقال: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**[(٣)]، وهناك حديث عن عرفجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) واللَّفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[١]، وهناك حديث عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[٢]، وهناك حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»[٣]، وهناك حديث عن أبي هريرة[٤]، وهناك حديث عن أبي ذرّ[٥]، وأحاديث كثيرة بعضُها في الصَّحيحين، وبعضُها في (صحيح مسلم)، أمَّا الأحاديث الأخرىٰ الَّتي لم يروها أصحاب الصَّحيح فهي أيضًا كثيرةٌ.

والحقيقةُ أنَّ النهي عن الخروج علىٰ الأئمَّة والكيد لهم ونشر مثالبهم في

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٤) أخرج مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

(٥) أخرج مسلم (١٨٣٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ».

السِّرِّ أو العلن كلُّ ذلك حرامٌ لا يجوزُ، فاتقُوا الله -يا معشر المسلمين-، اتَّقوا الله يا من تقولون في العلن ما لا تقولون في الخفاء، أليس هذا من النِّفاق؟ بلىٰ، واللهِ هذا من النِّفاق؛ عندما يكون الإنسان يقولُ شيئًا في الخفاء إذا كان مع أصحابه الَّذين يأمن أنَّهم لا يُفشون سرَّه، يقولُ أقوالًا كثيرةً، ويتكلَّم في الوُلاة، ويطعنُ فيهم؛ فإذا جلَس مجلسًا فيه ناسٌ يخاف أنَّهم يُفشون عليه فإنَّه يتكلَّم باعتدالٍ، ما رأيكم في مثل هذا؟ أهذه الطَّريقة حقٌّ؟ لا، واللهِ ليست بحقٍّ، ولكنَّها طريقةُ المنافقين.

يا أخي المسلم علىٰ تقدير أن يكون في إمامِك الشَّيءُ الَّذي تقولُه؛ فإنَّ الواجبَ عليك أن تنصحه سرًّا؛ ترسلُ له نصيحةً سريَّة؛ فإنْ أخَذ بها فالحمدُ لله، و إنْ لم يأخُذْ بها فما كلَّفك اللهُ عَزَّوَجَلَّ بشيءٍ خلاف ذلك، وتكون أنت قد أدَّيت ما عليك، وبرَّأت ذمَّتك، واسكُت، واترك الكلام في وُلاة الأمر أو العُلماء السَّلفيِّين، الذين يتَّهمهم هذا الصِّنف أنَّهم مجاملون، وبأنَّهم عُلماء السُّلطة، وعُلماء السِّياسة.

هذه نصيحتي لإخواني؛ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نهانا عن التَّفرُّق، ولو أردْنا أنْ نحسب الأحزاب الموجودةَ الآن نجدُ أنَّها كثيرةٌ، والَّتي هي وليدةُ الزَّمن القريب؛ من قبل مئة سنةٍ أو سبعين سنةً أو ثمانين سنةً؛ من إخوانيَّة، وسروريَّة، وقطبيَّة، وتحرير، وتبليغ، وهكذا، وعُدَّ ما تَعُدُّ، وقد حصل أوَّلًا -أي سابقًا- جهميَّة، واعتزاليَّة، وقدريَّة، وخوارج، وأشاعرة أصحاب الكلام، ورافضة الَّذين يسمُّون أنفسَهم شيعةً، والرَّافضة هم الَّذين يسبُّون أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ويلعنونهما في مجالسهم -والعياذ بالله-، ويلعنون عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، حبيبة رسول الله، وزوجته في الدُّنيا والآخرة، والَّتي أنزل الله براءَتها من فوق سبع

سماوات، وهم إلىٰ الآن يرمونها بالفاحشة؛ يرمونها بالزِّنا، و يلعنونها في كلِّ مجلس وفي كلِّ اجتماع -والعياذ بالله-، ونسأل الله العفو والعافية.

فما كلَّفنا الله بأن نُزيل التَّفرُّقَ الَّذي وُجد، ولكن كلَّفنا أنْ نأخذَ بطريقِ الحقِّ، وأنْ نبيِّن طريقَ الحقِّ، وأن ندعوَ إلىٰ الحقّ.

إذن فيجب علينا أن نعملَ بما كلَّفنا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنْ نعتصمَ بحبلِه، ونترك التَّفرُّق وننبذه، وإنْ رأينا مَن يدعو إلىٰ التَّفرُّق، فلنعلْم أنَّه مُبتدعٌ، وأنَّ دعوتَه دعوةٌ بدعيَّةٌ، فيجبُ علينا أن نأتمر بأمرِه، وأنْ ننتهيَ عن نهيِه، وأن نُصدِّقَ خبره، وأن نحرص علىٰ ما ننجو به.

هذه وصيَّتي ونصيحتي لإخواني في الله عَزَّوَجَلَّ، والَّذي أؤكِّد عليه وأحضُّ إخواني عليه، وأدعوهم إليه؛ أن ننظُر في أسباب السَّلامة لأنفسنا؛ وأسباب السلامة لأنفسنا هي أنْ نعملَ بما أمَرنا الله به، وأنْ نجتنبَ ما نهىٰ عنه، وأن نحبَّ مَن أحبَّ، ونُبغض مَن أبغضَ، ونُوالي مَن والىٰ، ونُعادِي مَن عادىٰ، وأنْ نُعين مَن رأينا وعرفنا أنَّه يدعو إلىٰ الحقِّ؛ يجبُ علينا أن نُعينَه بقدر الإمكان، وبقدر ما نستطيعُ، فذلك هو الَّذي أمَرنا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به.

وأسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يأخذَ بأيدينا ونواصينا إلىٰ ما فيه الخيرُ، وأنْ يُصلحَ أئمَّتنا وولاة أمورنا، وأنْ يأخذ بأيديهم ونواصيهم إلىٰ ما فيه الخير.

ونقدِّم شُكرنا لله عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ لوُلاةِ الأمورِ؛ لأنَّا إذا سرَّحنا النَّظر في ولاة أمرنا ورؤساء الحكومات الموجودة علىٰ الأرض اليوم نجد أنَّ دولتنا -والحمد لله- قد هيَّأ اللهُ لها رجالًا نرجو أنَّهم أفضلُ من هو موجود من ولاة الأمر، ونسأل الله أن يزيد صالحيهم صلاحًا، وأنْ يأخذ بيدِ مَن عنده شيءٌ من الخطإ؛ سواء كان

من ولاة الأمور أو غيرهم؛ أن يأخذ بأيديهم وأن يوجّه قلوبَهم إلىٰ أخْذ الحقِّ في أيِّ مكانٍ كانَ.

اللَّهمَّ إنا نسألك أنْ تستجيبَ، وأنْ توفِّق ولاة أمورنا، وأنْ توفِّق شبابنا، وأنْ توفِّق كُهولنا ورجالنا ونساءنا وصغارنا وكبارنا؛ أنْ توفِّق الجميع إلىٰ ما تحبُّ وترضىٰ.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.



أسئلة محاضرة
الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة

السُّؤال الأوَّل: كيف نعرفُ الدَّاعية السَّلفيَّ المُتمسِّكَ بالكتاب والسُّنَّة؟ وما هي صِفاتُه؟ ومَن هو السَّلفيُّ حقًّا مع كثرة من يدَّعي ذلك؟

الجواب: الغيبُ لا يعلمه إلَّا الله، ولكن العلامات الواضحة هي الَّتي أخبرنا النَّبيُّ ﷺ عنها بقولِه: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)]، فأخبر النَّبيُّ ﷺ عن هؤلاء القوم بصفاتٍ ظاهرةٍ، ربَّما تظهر لكلِّ راءٍ، وصفاتٍ أخرىٰ تظهر للمُتأمِّل وهي أنَّهم: «**يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ**»؛ أي: مِن قول النَّبيِّ ﷺ، ولكنَّهم مع ذلك لا يمتثلون لأمرِه، بل قد تجدُ مُفارقاتٍ بين أقوالِهم وأفعالِهم، ومَن أرادَ الحقَّ ينبغي له أن يكون مُتأمِّلًا، ويكون علىٰ حذرٍ حتَّىٰ يتبيَّنَ له. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الثَّاني: إذا لم يكن السَّاعي نحو إقامةِ دولةٍ إسلاميَّةٍ من الدَّعوة السَّلفيَّة، فهل يعني هذا أنَّ السَّلفيَّ لا يُفكِّرُ في هذا مطلقًا ولا يتمنَّى ذلك بقلبه؟

---

(١) أخرجه بهذا اللَّفظ أبو داود (٤٧٦٧)، مِن حديثِ عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.
وأصله في البخاري (٣٦١١)، ومسلمٌ (١٠٦٦)، وفيه: «**يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ**».

الجوابُ: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أمرَنا بأنْ ندعوَ إلىٰ دولةٍ إسلاميَّةٍ، أمرَنا أنْ ندعوَ إلىٰ التَّوحيدِ، وإلىٰ أُسس الإسلام، ومَن كان قائمًا علىٰ رأس الدَّولة، وعلىٰ رأس السِّياسة؛ فنحنُ إذا رأينا به عوجًا نصحناه سرًّا، وبينَّا له ما يجب أن يُبَيَّنَ، وليس علينا أن نفكِّر في كوننا نُوجد دولةً إسلاميَّةً، فهذا إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الثَّالث: قرأتُ في بعض كتُب بعض السَّلفيِّين أنَّ مِن أهداف الدَّعوةِ السَّلفيَّة السَّعيُ نحو خلافةٍ راشدةٍ على منهاجِ النُّبوَّة، فهل هذا الكلام صحيحٌ؟

الجواب: هذا الكلام ليس بصحيحٍ؛ السَّلفيَّة لا تقولُ هذا، وأهل المنهج السَّلفيِّ لا يقولون هذا، إنَّما هذا قولُ أصحاب الحزبيَّات، وإنَّما أصحاب المنهج السَّلفيِّ يقولون: نحن ندعو إلىٰ الله علىٰ بصيرةٍ، وعلىٰ طريقة النَّبيِّ ﷺ، ومسألةُ الخلافة علىٰ منهاج النُّبوَّةِ هذا شيءٌ اللهُ يُوجدُه إذا شاء، ويمنعُه إذا شاء. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الرَّابع: فضيلةَ الشَّيخِ، أرجو - ولو بعُجالةٍ - أنْ توضِّح لنا كيفيَّة التَّعامُل مع بعضِ الدُّعاة الموجودِين في السَّاحة، المُخالفين لبعض المسائل السَّلفيَّة، وهل علينا ترك كلِّ ما عندهم مِن خيرٍ وشرٍّ، أو نأخذُ منهم ما يوافقُ الشَّرعَ، وندعُ ما دون ذلك؟

الجوابُ: يجبُ عليك إذا قدرتَ وتَبَيَّنَ لك منهم الجنوح إلىٰ ما يعتقده بعض النَّاس من الطُّرق الحزبيَّة؛ يجب عليك أنْ تُبيِّن لهذا الدَّاعية مخالفته للحقِّ في هذا.

وأمَّا كونه عنده حقٌّ وباطلٌ؛ فالحقُّ الذي عنده سيوجدُ عند غيره ممَّن ليس عنده اختلاطٌ، فإذا نصحتَه ولم يقبل نصيحتَك حاوِلْ الابتعاد عنه وتركه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيقضي فيه بما شاءَ. وباللهِ التَّوفيقُ.

السُّؤالُ الخامسُ: شيخنا الفاضل؛ بعض الجماعات تُنَزِّلُ هذه الأحاديث في الإمامة على جماعتها وإماراتها الدَّعويَّة مثل حديث: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١)، فما رأيُ سماحتِكم؟

الجواب: معنىٰ قوله: «**مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» أي: إنَّ أهل الجاهليَّة ما كان عليهم إمامٌ، ولا كانت في عُنق أحدٍ منهم بيعةٌ، بل كانوا قبائلَ؛ كلُّ قبيلةٍ تقدِّم الولاءَ لأفرادِ قبيلتها دون غيرِهم.

فمعنىٰ ذلك: أنَّ مَن كان في الزَّمنِ الَّذي جاء بعد النَّبيِّ ﷺ، ويترك طاعةَ ولاة الأمورِ الَّذي هو مرتبطٌ بهم، وفي دوَلِهم، ويتبرَّأُ منهم في السِّرِّ أو في العلن، ثُمَّ يموتُ؛ فإنَّه يموت ميتةً جاهليَّةً؛ يعني: مثل أهلِ الجاهليَّة الَّذين يموتون وليس في أعناقهم بيعةٌ. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤالُ السَّادسُ: هل للزَّوجة أن تطَّلع على أوراقِ زوجِها دون إذنِه؟

الجوابُ: لا ينبغي لها أن تأخذَ الأشياءَ الَّتي يختصُّ بها زوجُها، وتطَّلع عليها؛ فهذا لا ينبغي، ويجبُ عليها أن تتأدَّب مع زوجِها؛ فإن أطلَعها علىٰ شيءٍ فذاك، وإن لم يُطلعْها فما عليها. وبالله التَّوفيق.

السُّؤالُ السَّابعُ: ما حُكم إزالة شعر البدَن للمرأةِ دُونَ الوجهِ؟

الجوابُ: لا يجوز إزالةُ شعْر بدَن المرأة من أفخاذٍ وسيقان وأذرع وزنود وصدر وبطن وغير ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ما قال لأمَّتِه ذلك، ولو كان ذلك خيرًا لدلَّنا عليه صلواتُ الله وسلامُه عليه، فإنَّه ما ترَك خيرًا إلَّا ودلَّ الأمَّة عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّر الأمَّة

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١)، من حديث ابن عُمر رضي الله عنهما.

منه، ولكن هذا من تسويلِ الشَّياطينِ، وهذا الشَّيءُ ابتدَعه أهلُ هذا الزَّمن، ولا ينبغي.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أوجد هذا الشّعر إلَّا وهو يعلمُ أنَّ فيه مصلحةً لعبادِه؛ سواء كانوا ذُكورًا أو إناثًا. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الثَّامن: يوجد بين أوساطنا مَن يقولُ بجوازِ التَّعامُل في مجال الدَّعوةِ مع جميعِ الجماعات الموجودة في السَّاحة، ما دامُوا يقولون: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فما رأي فضيلتكم في هذا القول، وجزاكم اللهُ خيرًا؟

الجوابُ: هذا إمَّا أنَّه جاهلٌ مغرورٌ غرَّه غيرُه، وإمَّا أنَّ في قلبِه خبثًا، فنسأل الله أن يقصمَه، وأنْ يُريحَ المُسلمين مِن شرِّه. فالَّذي يقول هذا القولَ هذا ينشر ضلالًا، ولا يجوز له أن ينشرَ مثلَ هذا الكلام. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤالُ التَّاسع: يقول السَّائلُ أنَّه اعتمر وتحلَّل من عُمرته، إلَّا أنَّه وجد بعد تحلُّله مواطن من رأسِه فحلَق شعرَه فيها، فما حُكمه؟

الجواب: هو قد تتحلَّل، وما دام قد قام بحلق جميع رأسِه، وبقي شيءٌ؛ فهذا ما يضرُّه، وتحلُّله صحيحٌ. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال العاشر: هناك مَن يضعِّف حديث الافتراق، فما الرَّدُّ عليه جزاكم اللهَ خيرًا؟

الجواب: حديث الافتراق صحَّحه أئمَّة الحديث؛ أئمَّة الجرح والتَّعديل، وله طرقٌ مُتعدِّدةٌ عن جماعة من الصَّحابة، والَّذي يريد الآن أن يقدح فيه فهو بعيد المنال مثلُ الَّذي يريد أن يمسَّ السَّماء بيدِه. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الحادي عشر: إذا علِمْنا عن بعض النَّاس أنَّهم يجتمعون في السِّرِّ، ولهم نشاطاتٌ مخالفةٌ للمنهج السَّلفيِّ، فهل نُبلِّغُ عنهم ولاة الأمور؟

الجوابُ: فيما أرىٰ أنَّه يجبُ أنْ نُبلِّغ عنهم؛ لأنَّا إذا سكتْنا عنهم استفحل أمرُهم

وزادَ، فيجبُ أنْ نُبلِّغَ عنهم، ولا يجوز لأحدٍ السُّكوت علىٰ مثل هؤلاءِ. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الثَّاني عشر: فضيلة الشَّيخ؛ ما حُكم لبس الخاتم الحديد والسَّاعة وغيرها؟

الجواب: الخاتم ينبغي أن يكون من فضَّة، ولا بأس بلبسه، وإن كان هناك خلافٌ في لُبسه؛ فبعضُ أهل العلم قالُوا: إنَّ لُبس الخاتم لا يكون زينةً، وإنَّما يكون لحاجةٍ، ولكن كما قد حصل في زمن الصَّحابة أنَّهم لبسوا[(١)]، وجاءتْ عن النَّبيِّ ﷺ أحاديثُ في إقراره؛ فعن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ بن وائلٍ السَّهميِّ: "أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَعْرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ الرَّجُلُ كَرَاهِيَتَهُ ذَهَبَ فَأَلْقَىٰ الخَاتَمَ، وَأَخَذَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَلَبِسَهُ، وَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**هَذَا شَرٌّ؛ هَذَا حِلْيَةُ أَهْلِ النَّارِ**»، فَرَجَعَ فَطَرَحَهُ، وَلَبِسَ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ"[(٢)]، وعنِ ابن بُريدَةَ، عن أبيهِ، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: «**مَا لِي أَرَىٰ عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ؟**» ثُمَّ جَاءَهُ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**مَا لِي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الأَصْنَامِ؟**» ثُمَّ أَتَاهُ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**ارْمِ عَنْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**» قَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَتَّخِذُهُ؟ قَالَ: «**مِنْ وَرِقٍ، وَلَا تُتِمَّهُ مِثْقَالًا**»[(٣)].

---

(١) مِن ذلك ما أخرجه أبو داود (٤٢٢٩)، والتِّرمذي (١٧٤٢)، عنْ محمَّدِ بنِ إسحاقَ قال: رَأَيْتُ عَلَىٰ الصَّلْتِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاتَمًا فِي خِنْصَرِهِ الْيُمْنَىٰ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَلْبَسُ خَاتَمَهُ هَكَذَا، وَجَعَلَ فَصَّهُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، قَالَ: وَلَا يَخَالُ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَّا قَدْ كَانَ يَذْكُرُ «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَلْبَسُ خَاتَمَهُ كَذَلِكَ**». وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ في «الإرواء» (٣/ ٣٠٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (١٠٢١)، وأحمد في «مسنده» برقم (٦٦٨٠)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» برقم (٧٨٣).

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٢٢٣)، والترمذي برقم (١٧٨٥)، والنَّسائيُّ برقم (٥١٩٥)، وضعَّف سندَه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «مشكاة المصابيح» برقم (٤٣٩٦).

فهذه الأحاديث دالَّةٌ علىٰ جواز لُبس خاتم الفضَّة دون غيرِه. والحديد فيه خلافٌ.

أمَّا النِّساء فلهنَّ الحليةُ سواءً كانت ذهبًا أو فضَّةً، بمعنىٰ أنَّه مباحة لهنَّ. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الثَّالث عشر: فضيلةَ الشَّيخ، قال أهلُ العلم: لا يجوز أخذُ العلمِ مِن المفكِّرين، فمَن هم المفكِّرون؟ ولماذا لا يُؤخذُ العلمُ منهم؟

الجوابُ: المفكِّرون هم الَّذين وصفتُهم في كلمتي، الَّذين يُسَمُّونهم مفكِّرين؛ لأنَّ هذا من إضفاءِ الألقاب الطَّيِّبة علىٰ هؤلاء المُفكِّرين، ومعنىٰ مفكِّرين؛ يعني: عندهم أفكارٌ، فيجب أن نتنبه لهذا. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الرَّابع عشر: جاء في حديث أشراط السَّاعة وعلاماتها أنَّ فخِذَ الرَّجلِ يُخبِرُه بما عَمِلَ أهلُه من بعدِه[(١)]، فما المعنى؟ وهل يصحُّ تفسيرُه بأنَّ المُرادَ به الجوَّال؟

الجواب: المعنىٰ إنْ كانت قد وُجدتْ آلةٌ أو ستأتي آلةٌ تُوضعُ في الفخذِ، وتكون مسلَّطة علىٰ ما في البيت تسجِّلُ كلَّ ما حصل في بيت الإنسان، وليست الفخذ هي نفسها، وإنْ كان الله قادرًا علىٰ هذا، وستتكلَّم الأفخاذُ وغيرُها؛ ستتكلم يوم القيامةِ، ولكن في الدُّنيا آلةٌ تكون في الفخذ؛ توضعُ في الفخذ، وتكون مسلَّطةً علىٰ البيتِ، وتسجِّل كلَّ ما في البيتِ. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الخامس عشر: يدَّعي بعضُ النَّاس أنَّ ابنَ لادن هو المهديُّ المُنتظرُ، ويلقِّبونه أميرَ المؤمنين، فما توجيهكم لذلك؟

الجواب: هؤلاء هم الشَّياطينُ؛ ابنُ لادن شيطانٌ خبيثٌ خارجيٌّ، لا يجوزُ

---

(١) أخرج التِّرمذيُّ (٢١٨١) عن أبي سعيد الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّىٰ تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ**». وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٤٥٩).

لأحدٍ أن يُثنِيَ عليه، ومَن أثنىٰ عليه فهذا دليلٌ علىٰ أنَّه خارجيٌّ مثله، ويجب أن يؤخذ ويعاقبَ. وبالله التَّوفيق.

(ملاحظةٌ): إنْ وُجد أنَّ أحدًا مِن العلماء أثنىٰ علىٰ ابن لادن فهو في زمنٍ متقدِّمٍ قبل أنْ يُعلم اتِّجاهُه، وأمَّا بعد أن عُلم اتِّجاهُه فلا يمكن أن يوجد أحدٌ مِن أهل العلم يُثني عليه؛ لأنَّ أمره قد ظهَر، وتبيَّن حالُه بأنَّه ينتهج نهج الخوارج. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال السَّادس عشر: فضيلةَ الشَّيخ؛ إذا فاتتنِي الجماعةُ، هل أُقيمُ جماعةً ثانيةً في المسجدِ، أم أصلِّي بمُفردي؟

الجوابُ: إذا وجدتَ مَن يصلِّي معك فصلِ جماعةً، والنَّبيُّ ﷺ عندما سلَّموا من الصَّلاة: "دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ صَلَّىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَىٰ هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ**»"[(١)]، وفي روايةٍ: "فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَصَلَّىٰ مَعَهُ"[(٢)]. وهذا إباحة. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال السَّابع عشر: هل يجوزُ للمرأة الحائض أنْ تسعى بين الصَّفا والمروة؟

الجواب: يجوز للمرأة أنْ تسعىٰ، وذلك يتصوَّر فيما إذا كانت طافتْ بالبيت وهي علىٰ طهارةٍ، وبعد الطَّواف داهمها الحيض؛ فحينئذٍ يجوزُ لها أن تسعىٰ لأنَّه لا تشترطُ للسَّعي طهارةٌ. وبالله التَّوفيقُ.

---

(١) أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» برقم (٢٣٩٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في «التعليقات الحسان» برقم (٢٣٩٠).

(٢) أخرجها أحمد برقم (١١٤٠٨ الرسالة)، والترمذي برقم (٢٢٠)، وانظر: «الإرواء» رقم (٥٣٥).

السُّؤال الثَّامن عشر: جاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»(١)، فما المُراد بالخلاف هنا؟

الجواب: الاختلافُ نحن نراه اليوم ونشاهدُه ونلمسُه، وهذا إرشادٌ من النَّبيِّ ﷺ عند الاختلافِ؛ أنْ نتَّبعَ كتابَ اللهِ، وسنَّة نبيِّه، وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين، وما عدا ذلك فلا يجب أن ننظر فيه؛ بمعنىٰ مَن أتانا بقولٍ أو رأيٍ نعرضه علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنَّة رسول الله؛ فإن وجدنا ما يشهد لهذا القول من كتاب الله ومن سنَّة رسول الله قبلناه، لا لأنَّه قولُ فلانٍ، ولكن لأنَّ كتابَ الله وسنَّة رسول الله ﷺ شهدتْ له فقبلناه من أجل ذلك.

أمَّا إذا لم يشهد له كتاب الله وسنَّة رسوله فنحنُ نردُّه علىٰ صاحبِه، ونضرب به عرض الحائط. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال التَّاسع عشر: فضيلةَ الشَّيخ بعض النَّاس يحملُ قولَه ﷺ: «فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»؛ يحملُه على الذُّنوب والمعاصي، ولا يحملُه على هذا التَّفرُّق في الجماعات؟

الجوابُ: الاختلاف هو الاختلاف في الآراء والمُعتقدات، هذا هو الاختلاف، وليس الاختلاف هو فعل الفسوق، وما أشبه ذلك، هذا ورَد في أحاديث أخرىٰ غير هذه، وأنَّه في آخر الزَّمان يحصل ما يحصل من أنَّه يسودُ الجهل، ويقلُّ العلم(٢)،

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢ و١٧١٤٤ و١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيّ (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (٢٤٥٥).

(٢) أخرج البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١)، عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَكْثُرَ الجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ**
=

وما أشبه ذلك من الأحاديث الأخرىٰ الَّتي دلَّت علىٰ ذلك، فأمَّا هذا الحديث فالمراد به الاختلاف في العقائد والآراء والمذاهب. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال العشرون: ما رأيُ فضيلتكم في دراسة أصول الفقه مجرَّدًا عن علم الكلام؟

الجوابُ: هذا هو الحقُّ، وينبغي أنْ يكون كذلك مجرَّدًا عن علم الكلام، فعلم الكلام مذمومٌ. وبالله التَّوفيق.

السُّؤال الحادي والعشرون: هناك بعضُ المدرِّسين في مدارس العُلوم الشَّرعيَّة يقولون: هناك فرقٌ بين السَّلفيَّة وأهل السُّنَّة، فهل هذا صحيحٌ؟

الجواب: لا أهلُ السُّنَّة والسَّلفيُّون هم شيءٌ واحدٌ، وهم الَّذين وصفهم النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)]. وبالله التَّوفيقُ.

السُّؤال الثَّاني والعشرون: في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قبض العلم بقبْضِ العُلماء قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[(٢)]، فما معنى: «جُهَّالاً»؟

الجواب: معنىٰ «**رُؤُوسًا جُهَّالًا**»: قادةً يتولَّون أُمورَ المُسلمينَ ويقودونَهم بغيرِ معرفةٍ؛ فيوقعونهم في الضَّلال، ونحن نرىٰ أنَّ أصحاب الحزبيَّات اليوم قد يكون منهم مَن يُريد الحقَّ علىٰ حسب زعمه، ولكنَّه يضلُّ لقلَّة معرفته بالحقِّ. وبالله التَّوفيقُ.

=

حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ».

(١) أخرجه التِّرمذي (٢٦٤١)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وحسَّنه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٧١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

السُّؤال الثَّالث والعشرون: ما وجْهُ الشَّبَه بين الشِّيعة، وبين اليهود والنَّصارى؟ وهل جميعُ الشِّيعةِ كفَّارٌ، وما رأيُ سماحتِكُم فيمَن يُضعِّف أحاديثَ الافتراق، ويقول: إنَّها لم تَرِدْ في البخاريِّ ومسلمٍ؟

الجواب: أوَّلًا الحقيقةُ أنَّ التَّشيُّعَ كلَّه ضلالٌ، فالَّذين يقولون بتقديم عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أبي بكر وعُمر وعُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هذا كلّه ضلالٌ، وسواء مَن سبَّ منهم الشَّيخين وغيرهما ولعنهم وتكلَّم فيهم وكفَّرهم، أو مَن لم يكن كذلك، ولكن من يكفِّر أبا بكر وعُمر وعُثمان وسائر الصَّحابة، ويلعنُ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ويتَّهمها بالزِّنا بعد أنْ برَّأها الله، وأنزل براءَتها في آياتٍ تُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، وبرَّأ اللهُ جميع زوجاتِ النَّبيِّ ﷺ فقال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النُّور:٢٦]؛ فبرَّأ اللهُ جميعَ زوجاتِ نبيِّه ﷺ في هذه الآيةِ[(١)].

إذًا فهؤلاء كلُّهم علىٰ ضلالٍ، ولكن بعض ضلالهم أشدُّ من بعضٍ، والَّذي يُكفِّر الصَّحابةَ هذا كفَر بما أَنزل الله في الصَّحابة مِن المدح والثَّناء، وعلىٰ هذا يكون كفرًا بسببِ تكفيرِه للَّذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه.

وثانيًا: ليس من شرط الصَّحيح أن يكون في الصَّحيحين؛ لأنَّ الكلام والتَّضعيف هذا لأهل الجرح والتَّعديل، وليس لكلِّ النَّاسِ. وبالله التَّوفيقُ.



---

(١) انظُر: «اللُّباب في علوم الكتاب» (١٤/ ٣٤١ الكتب العلميَّة).

محاضرة عبر الهاتف لمسجد التَّوحيد في ألمانيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعدُ:

فإنَّ خيرَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّها المسلمون، أرسل الله عَزَّوَجَلَّ رسوله محمَّدًا ﷺ بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهره علىٰ الدِّين كلِّه، ولو كره المشركون، وقد أظهر الله الدِّين حتَّىٰ سار مسار الشَّمس فبلَغ مُلكُ الخُلفاء المسلمين من المحيط الأطلسيِّ إلىٰ حدود الصِّين، ونفع الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الدِّين خلقًا كثيرًا، وهداهم الله إليه؛ فانتفعوا به، وأنقذهم الله به من النَّار.

قرؤوا كتاب الله الَّذي أنزله علىٰ عبده ورسوله محمَّدٍ ﷺ، وعلموا مِن السُّنَّة فنفع الله به خلقًا لا يُحصَون.

ثمَّ بعد ذلك حصل التَّقهقُر في حفظ الكتاب وحفظ السُّنَّة ونشرهما؛ فحصل التَّقهقُر في تأثير الدِّين علىٰ النَّاس، ولهذا فإنَّ النَّاس بحاجةٍ إلىٰ نشر الدِّين.

الدِّين الحقّ هو الَّذي أرسل اللهُ به محمَّدًا ﷺ؛ وهو دين الإسلام الَّذي

يقوم على التَّوحيد ونبذ الشِّرك والطُّرق الشِّركيَّة كلِّها؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر عبادَه المؤمنين أنْ يعبدوه جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، هكذا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبادَه جميعًا بخطابٍ يعمُّ النَّاس جميعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ فيدخلُ في هذا العربُ والعجمُ، ويدخل في هذا الأسودُ والأبيضُ، ويدخل فيه كلُّ مَن له عقلٌ مِن المخلوقين؛ مِن الإنسِ والجنِّ، فرسولُ الله ﷺ عمَّت رسالتُه الإنسَ والجنَّ جميعًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول عن محمَّدٍ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّىٰ حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»(١).

فيا عباد الله: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي خلقَنا جميعًا مِن ماءٍ مهينٍ، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق:٥-٩]؛ فالَّذي أوجدَك -يا عبد الله-، وخلقَك مِن ماءٍ مهينٍ، وحوَّل ذلك الماءَ الَّذي هو نطفةٌ حوَّله إلىٰ علقةٍ، وحوَّل العلقة إلىٰ مُضغةٍ، ثمَّ إلىٰ لحمٍ ودمٍ وعروقٍ وعصبٍ وعظامٍ ومخٍّ، وغير ذلك،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) -واللفظ له-، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وأعطاك ما أعطى؛ فجعل لك البصر لتنظر به، والسَّمع لتسمع به، والفؤاد لتتفكَّر به، فالذي خلَقَك مِن تلك النُّطفة أراد منك أن تعبدَه وحدَه لا شريك له؛ ولهذا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ عندما بُعث بالتَّوحيد لم يقل لأحدٍ: صلِّ، ولا خاطب أحدًا بالصَّدقة، ولا بالصَّوم، ولا بالحجِّ، ولا بشيءٍ من ذلك عشر سنين، وكلُّ دعوته كان يقول فيها: (يا قوم اعبدُوا الله ما لكم مِن إلهٍ غيرُه).

وإذا تصفحنا القرآن نجد أنَّ كلَّ الرُّسل عندما يبعثون إلى قومهم كلٌّ منهم يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، فالتَّوحيد هو أساسُ الإسلام، وهو مقتضى شهادة: أنَّ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فالشَّهادةُ لله بوحدانيَّة الألوهيَّة كما أنَّه هو الخالق الَّذي لم يُعنه أحدٌ في خلْقِ هذا الكون ولا مَن فيه، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت:٩-١٢].

والمهمُّ -يا عبد الله- يجبُ عليك أن تتفكَّر في خلْقِك، وفي خلق هذا الكون، مَن الَّذي خلقَه؟ إنَّه اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ فهو الَّذي خلَق هذا الكون، وأوجد مَن فيه، وأمَرَهم أنْ يتَّبعوا ما أرسل به رسولَه محمَّدًا ﷺ، كما أمَر الأُمم قبْلنا كلَّ أمَّة أمَرها أن تطيع رسولَها، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء:٨٠]، ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ**

يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

فيا عبد الله: وحِّد الله واعبدْه وحدَه، وأخلِصْ له العبادةَ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال:٢٤-٢٥].

فشهادة أن لا إله إلَّا الله: معناها أنَّك تشهد -يا عبد الله- بوحدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه هو المستحقُّ للألوهيَّة، والمستحقُّ للعبادة دون سواه، فتفرده بالعبادة لا تعبد معه أحدًا سواه، وحينئذ فإنَّ الواجب عليك أن تدعوَه لرغبتِك ولرهبتِك، وتطلب منه جلب النَّفع ودفع الضّرِّ، فلا تطلبه مِن أحدٍ غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنْ أصابتك نعمةٌ شكرتَه، وإن أصابتك مصيبةٌ استغفرتَه وحمدتَه علىٰ ذلك؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبتلي عبادَه بالسَّرَّاء والضَّرَّاء، ويبتليهم بالشِّدة والرَّخاء، فوحِّد الله -يا عبد الله- ولا تعبد معه أحدًا سواه؛ لا تدع معه أحدًا غيرَه؛ فإنْ دعوتَ معه أحدًا فإنَّك تكونُ قد أشركتَ الشِّرك الأكبرَ الَّذي يُحتِّم عليك الخلودَ في النَّار، ويحرِّم عليك دخول الجنَّة، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نبيِّه عيسىٰ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة:٧٢]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخاطبًا رسولَه محمَّدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر:٦٥]، ويقول تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨و١١٦].

فيا عبد الله وحِّد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ واجعلْ عبادتَك له وحدَه لا شريكَ له؛ صلاتك وصيامك وصدقتك وزكاتك وحجّك، وجميع أعمالك؛ ذكرُك له ودعاؤك له؛ فلا تدعُ أحدًا غيره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذا هو التَّوحيدُ.

ثمَّ شهادةُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله؛ فتشهدُ له بأنَّه مرسلٌ من عندِ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، مرسلٌ إلىٰ هذه البشريَّة جمعاءَ، مرسلٌ إليهم بالكتاب المنزل عليه، وبالسُّنَّة الَّتي حقَّقها وقالها وفعلَها وترجمَها صلوات الله وسلامه عليه.

فهاتان الشَّهادتان هما أساس العبادة وأساس الدِّين، والدِّينُ ينبني عليهما.

ثمَّ بعد ذلك الصَّلاةُ؛ فالعبد مخاطبٌ بعدَ التَّوحيدِ بالصَّلاةِ، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعل الصَّلاةَ هي الرُّكنَ الثَّانيَ، وفيها تشتغل جميعُ جوارح الإنسان:

- فالقلبُ: وظيفته الخضوعُ والخشوعُ والاعتقاد.

- وكذلك اللِّسان: وظيفتُه النُّطق والاقرار بما أمر اللهُ بالإقرار به، وقراءة ما يجبُ أن يقرأ في الصّلاةِ، وكذلك ذكر ما يجبُ أن يذكر في الصَّلاة.

وهكذا أيضا الزَّكاة: خاطبَ اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بها عبادَه، فيا عباد الله هذا هو الدِّين الَّذي أمر اللهُ به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [القيّمة:٥].

وإذا تأمَّلنا في النُّصوص الشَّرعيَّة نجدُ أنَّ الله أوَّل ما خاطب به عباده هو بالتَّوحيد، فجلس النَّبيُّ ﷺ عشر سنوات لا يدعو إلىٰ شيءٍ سوىٰ التَّوحيد، ثمَّ بعد العشر السَّنوات عُرج بالنَّبيِّ ﷺ إلىٰ فوق السَّماء السَّابعة، وخاطب اللهُ بها عبدَه ورسولَه -أي: بالصَّلاة- مخاطبةً، وأوجَب عليهم خمس صلواتٍ في كلِّ

يومٍ وليلةٍ، ثُمَّ بعد ثلاث سنين هاجر من مكَّة إلىٰ المدينة، وبعد أنِ استوطن المدينةَ، وبدأ الإسلام ينتشرُ، وعند ذلك نزلتْ عليه الأحكامُ الأُخرىٰ؛ ففُرِض الصِّيام، وفُرِضت الزَّكاة في السَّنة الثَّانية مِن الهجرة، وهكذا أيضًا فُرضت سائرُ الأحكام.

والمهمُّ أنَّ أساس الإسلامِ هو التَّوحيدُ، ثمَّ الإيمان، ولابدَّ أن يشترك فيه القلبُ واللِّسان والجوارح؛ فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: الإيمان اعتقادٌ بالقلب، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح، وأنَّه لا يُقبل من الإنسان شيءٌ يقولُه ولم يكن هناك تطبيقٌ عمليٌّ؛ فإذا قال: أشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، ولم يُطبِّق الأحكام الشَّرعيَّة الَّتي أَمر اللهُ بتطبيقِها فإنَّه في هذه الحالة لا يُعدُّ مُسلمًا، بل يجبُ عليه أن يُنفِّذ تلك الأوامرَ الَّتي أَمَر اللهُ بها؛ فالصَّلاةُ يشترك فيها جميع البدنِ، والزَّكاةُ حقٌّ في المال.

ومن ناحيةٍ أخرىٰ فإنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ داعيةٍ أنْ يدعوَ إلىٰ هذا الدِّين، وهو شهادةُ أن لا إله إلَّا الله، ولا يجوز لأحدٍ أنْ يدعوَ إلىٰ شيءٍ خلاف ذلك.

وهناك جماعةٌ من أصحاب الحزبيَّات قرَّر لهم مؤسِّسُ ذلك الحزبِ أن تكون دعوتُهم إلىٰ خلافةٍ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أمَرنا بذلك، و إنَّما أمَرنا بأنْ ندعوَ إلىٰ التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل:٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، فلا يجوز أن ندعوَ إلىٰ خلافةٍ؛ فالخلافة أمرُها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الَّذي يضعُها متىٰ شاء، وهو الَّذي يسلبها متىٰ شاء، والنَّبيُّ ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**»؛ قَالُوا:

فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»"(١)، فدل هذا على أنَّ الإمارات ستكثر في المسلمين، وستكون إماراتٌ متعدِّدةٌ، وسيكون خُلفاء متعدِّدون.

فيا عباد الله: لا يجوز لنا أن ندعوَ إلىٰ خلاف ما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، فأحذِّركم من هذه الحزبيَّات أن تغترُّوا بها؛ كحزب الإخوان، وحزب السّروريَّة، وحزب القطبيَّة، وحزب التَّبليغ، وحزب التَّحرير، وغير ذلك من الحزبيَّات؛ فإنَّ هذه الحزبيَّات تخلطُ الحقَّ بالباطل، وتجعله مُلتبسًا علىٰ النَّاس، وهذه لا تجوز.

فيا عباد الله: إذا استقرأنا الأحاديثَ الواردةَ في الافتراق نجد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ... وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢)، وفي رواية: "«**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ الْجَمَاعَةُ**»"(٣)، فالأمر الَّذي ننجو به عند اللهِ مِن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١/ ٣٢) برقم (٦٣)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وصحَّحه الألبانيّ في «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» برقم (١٤٩٢).

عذابه هو أنْ نكونَ علىٰ الحالةِ الَّتي كان عليها أصحابُ النَّبيِّ ﷺ حين فارقهم رسول الله ﷺ، وكذلك في وقت الخلفاء إذ كان الغالب في زمن الخلفاء هو الحقّ، ثمَّ بعد ذلك دخلت أمورٌ ودخلت بدعٌ، فالَّذي يجبُ علينا أنْ نعودَ إلىٰ ما كان عليه السَّلفُ الأُوَلُ من اتِّباع رسولِ اللهِ ﷺ وما كان عليه، وحينئذٍ نكونُ قد عملنا ما يوجبُ لنا السَّلامة بأمر الله.

أمَّا إذا ذهبنا إلىٰ ما يقوله بعضُ النَّاس وبعضُ الدُّعاة الَّذين يخلطون الحقَّ بالباطل؛ فيُجيزون الشِّركَ، ويسكتون عنه، ويتعبَّدون بالبدَع، فنحن نكون علىٰ شفا هلكةٍ -ونسأل الله العفوَ والعافيةَ-.

فما أوصيكم به هو اتِّباع كتابِ الله علىٰ فهم السَّلف الصَّالح؛ بالتَّفسير بالأثر لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ مِن تفسير الصَّحابة والتَّابعين وأهل العلم بالحديثِ هذا هو الحقُّ.

أمَّا أهلُ البدع فإنَّهم يقرؤون القُرآن ويفسِّرونه علىٰ أهوائهم؛ فكلُّ قومٍ يُفسِّرون القُرآن علىٰ ما يتَّفق مع عقيدتِهم -والعياذ بالله-. فلنحذر من هذا، ولنحرص علىٰ أخذ ديننا من كتاب الله، وتفسيره المأخوذ عن الصَّحابة والتَّابعين وأهل الحديث.

ثمَّ بعد ذلك أيضًا نأخذه من كتب السُّنَّة كـ(صحيح البخاري) و(صحيح مسلم) و(سنن أبي داود) و(سنن النَّسائي) و(سنن التِّرمذي) و(سنن ابن ماجه) و(مسند الإمام أحمد) والمسانيد، والكتُب الكثيرة، ومثل ذلك (سلسلة الأحاديث الصَّحيحة) للشَّيخ الألبانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك (صحيح الجامع وزيادته)، فنأخذ الحقَّ من هذه الكتُب، ولنحذر كتُب أهل الأهواءِ فإنَّ فيها عسلًا وسمًّا -كما يقال-.

هذا ما أحببتُ أنْ أوصيَ به إخواني أينما كانُوا، وأسألُ اللهَ أنْ يوفِّق الجميعَ لما يحبُّ ويرضىٰ، وأنْ يجعلَنا مِن عبادِهِ المُخلصين الموحِّدين، حتَّىٰ نكسب السَّلامةَ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[١].

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِهِ.



(١) أخرجه مسلمٌ (٢٢٣)، مِن حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه.

محاضرةٌ هاتفيَّةٌ للسَّلفيِّين في السُّودانِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعدُ:

فإنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أرسلَ نبيَّه محمَّدًا ﷺ علىٰ حينِ فترةٍ مِن الرُّسلِ، وانطماسٍ من السُّبل، وانتشارٍ للغواية والضَّلالة، وعبادةٍ لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فدعا إلىٰ الله مُتجرِّدًا له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ دعا إلىٰ التَّوحيد كما أمَره اللهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأمَر سائر المرسلين بذلك، حيثُ يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، فالدُّعاءُ إلىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وأنْ يوحَّد الله بالعبادةِ كما توحَّد بالخلْق، وتوحَّد بالرّزق، وتوحَّد بهذا الكون؛ فخلقه مِن العدَم، قال الله تعالىٰ: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ [فُصِّلت:٩-١٣]، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر:٦٧].

لذلك فقد بيَّن رسولُ الله ﷺ التَّوحيد، وبيَّن ما يضادُّه من الشِّرك، وأنزل اللهُ عليه القُرآن، وبيَّن فيه أنَّ الشِّرك الأكبر كفرٌ، وأنَّه مخرجٌ عن الملَّة، ومحبطٌ للأعمال، ومحرَّمٌ علىٰ المشرك أن يُغفرَ له ذنبٌ، أو تُقبلَ له حسنةٌ، ومحرمٌ علىٰ المُشرك أن يدخل الجنَّة، ومحتَّمٌ عليه دخولُ النَّار، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعراء:٢١٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨و١١٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

ولقد ذكَّر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشركين بنعمِه، وبيَّن أنَّه المنفرد جَلَّ وَعَلَا بالخلق والرِّزق، وبالإحياء والإماتة، وبالصِّحَّة والمرض، وبالغنىٰ والفقر، وبالدُّنيا والآخرة، وأنَّ ذلك كلَّه بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو الَّذي يفعل في ذلك ما يشاءُ، وأمر عباده أن يعبدُوه وحدَه لا شريكَ له، ونهاهم عن عبادةِ غيرِه؛ فدعا رسول الله ﷺ المشركين إلىٰ نبْذِ الآلهة الَّتي يعبدونها، وأن يوحِّدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلمَّا دعاهم

إلىٰ ذلك قالوا: (أجعل الآلهه إلهًا واحدًا إنَّ هذا لشيءٌ عُجابٌ)؛ لهذا فإنَّ الواجب علينا نحن أمّة محمَّدٍ ﷺ أنْ ندعوَ إلىٰ التَّوحيد، ونحذِّر مِن الشِّرك الَّذي حذَّر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا عن إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه دعا ربَّه بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥].

وقد يقول قائلٌ: كيف يدعو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه أنْ يُجنِّبه الشِّرك، وهو الَّذي كسَّر الأصنام؟! فيقال: بأنَّ القلوب بيدِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خافَ من تقليبِ القُلوب، وخاف مِن أن يدخلَ علىٰ أولادِه وعلىٰ ذرِّيَّته الشِّركُ بالله؛ فدعا ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجنِّبه عبادة الأصنام هو وذرِّيّته.

فيا عباد الله: إنَّ الواجب علينا أنْ نشهدَ أن لا إله إلَّا اللهُ، وهذه الشِّهادة مقتضيةٌ لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالألوهيَّة دون أحدٍ سواه؛ فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المستحقُّ للألوهيَّة، فـ(لا إلهَ) تنفي جميع ما يُعبدُ مِن دون الله، و(إلَّا الله) تثبتُ العبادة لله.

فمَن شهِد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله بلسانِه، ومعتقدًا لذلك بقلبِه؛ فإنَّه يجبُ عليه أن يُتْبِعَ ذلك بالعمل؛ بأن تكون دعوته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دون سواه، وأن يدعوَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في جلْب النَّفع، ويدعوه في دفع الضّرِّ، ويدعوه في النَّصر علىٰ الأعداء، ويدعوه في رفع العاهة، ويدعوه في رفع المرض، ويدعوه في كلِّ شيءٍ، فكلُّ ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المتكفِّل به لِعبدِه، ويجبُ علىٰ المسلم أنْ يوحِّد اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعتقدَ ألوهيَّته علىٰ جميع ما في الكون، وأنَّ كلَّ مَن دُعِيَ مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ فقد دُعِيَ بغير حقٍّ، وأنَّ الله هو الإله الحقُّ الذي يجب أنْ يُدعَىٰ وحده لا شريك له، ويجب أن يُشكر فلا يُكْفَر، هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ فهو دعا إلىٰ نبذ الأصنام ودعا إلىٰ تكسيرها، ونبذ الآلهة سوىٰ

الله عَزَّوَجَلَّ؛ لذلك يجبُ علينا أن نُحييَ هذه الدَّعوة وننشرَها في العالمين نشرًا لِدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فشهادة أنْ لا إلهَ إلَّا الله مقتضيةٌ أنَّ الألوهيَّة لله وحده دون سواه، وأنَّ كلَّ إلهٍ غيره فقد أُلِّه بغير حقٍّ، وأنَّ كلَّ مَن قدَّم شيئًا من العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنَّه قد وضع هذه العبادة في غير محلِّها؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي يجبُ أن يُدعَىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذي يجبُ أن يُستغاثَ به، ويفزع إليه، ويلجأ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالآلهة الَّتي اتَّخذها النَّاس من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تملكُ لهم شيئًا، ولا تستطيع لهم نفعًا، ولا تستطيع أن تدفع عنهم ضرًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ:٢٢].

وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعجز الآلهة جميعِها؛ حيث عجزوا عن أنْ يخلقُوا ذُبابةً، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج:٧٣-٧٤].

إذًا فما هو الدِّين، وما هو الإسلامُ الذي أمر اللهُ به؟ إنَّ الدِّين هو التَّوحيد، وإنَّ الإسلام هو التَّوحيدُ، فمَن طلب دينًا غيرَ هذا الدِّين فقد ضلَّ وتاه وغوىٰ

واستحقَّ المقتَ مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعذاب في نار جهنَّم.

ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ الذي أتىٰ بهذا الدِّين هو الَّذي يجبُ أن نتَّبعه؛ كما قد شهدنا له بالرِّسالة، فشهادة أن لا إله إلَّا الله قرينتها شهادة أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، فلا تقبلُ إحداهما إلَّا بالأخرىٰ، فيجب علينا أن نخلص لله العبادة، ويجب علينا أن نعبدَ الله علىٰ ضوء ما شرعه لنا رسولُه ﷺ؛ فمَن أتىٰ بشرعٍ غير شرعِ محمَّد ﷺ فإنَّه قد ضلَّ وأضلَّ.

ربما أنَّ بعض النَّاس يدعو إلىٰ شيءٍ بزعمِه أنَّه حقٌّ؛ فيقول: ندعو إلىٰ إحياءِ الخلافة الضَّائعة؛ فيضيِّع نفسَه، ويضيع أتباعه في الدَّعوة إليها، وتُبذل المجهودات العظيمة، ويعدُّون عُددًا في هذا السَّبيل، وهذا غلطٌ فاحشٌ -والعياذ بالله-، بل الواجب علينا أن ندعوَ إلىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن ندعوَ إلىٰ مُتابعة رسولِه ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال:٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فيجبُ علينا أن نتَّبع الرَّسولَ ﷺ فنفعل ما أمَرنا به، ونتَّبعه في دعوته؛ فكما دعا إلىٰ التَّوحيد يجب علينا أن ندعوَ إلىٰ التَّوحيد، وكما نهىٰ أوَّل ما نهىٰ عنه

الشِّرك فنحنُ ننهىٰ عن الشِّرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثمَّ إذا وحَّدنا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعملْنا بذلك وتضافر علىٰ ذلك القلبُ واللِّسان؛ القلبُ بالاعتقاد، واللِّسان بالنُّطق، والجوارح بالأعمال؛ عندئذٍ ننتقلُ إلىٰ الرُّكن الثَّاني وهو الصَّلاة فنصلِّي، وعندئذٍ تُقبلُ صلاتُنا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا نحن حقَّقنا التَّوحيد.

ويجبُ علينا أنْ نعلمَ أنَّ من صلَّىٰ وهو يدعو مع الله غيرَه، واعتقد أنَّ غيره يقدرُ علىٰ جلْبِ النَّفع أو دفع الضَّرِّ؛ فإنَّ صلاتَه وأعمالَه غيرُ مقبولةٍ، بل هي مردودةٌ؛ لأنَّه اعتقد النَّفع والضَّرَّ في غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيجب علينا أنْ نبدأ بما بدَأ به رسولُ الله ﷺ مِن التَّوحيد، ونُتْبع ذلك بالرُّكن الثَّاني وهو الصَّلاة، ثمَّ الزَّكاة، ثمَّ الصَّوم، ثمَّ الحجّ -كما هو معروف-.

كذلك أيضًا أوصي بالحذَر من الصُّوفيَّة الَّتي أفسدتْ الإسلامَ، ووصل الضَّلال بأهلِها إلىٰ أنَّهم يعتقدون أنَّ اللهَ يتَّحدُ بخلقه، وهذا ضلالٌ بعيدٌ، وضلالٌ أشدُّ من ضلالِ الكفَّار الَّذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبرنا بأنَّه هو الخلَّاق لجميع هذا الكونِ؛ خلق السَّموات والأرض في ستَّة أيَّام، ثمَّ استوىٰ علىٰ العرش، وأنَّه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وأنَّه يعلم ما توسوس به نفسُ كلِّ عبدٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٦-١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٤].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق السَّموات والأرض في ستَّة أيَّام، ثمَّ استوىٰ علىٰ العرش، فالله مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلْقه، وعلمُه بكلِّ مكانٍ؛ أي: علمُه بخلْقِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مطلَّع علىٰ ما يحصلُ مِن وسواس الصُّدور، ولحظات الأبصار، وسماع الأشياءِ، وكذلك هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطَّلع علىٰ كلِّ ما يصدرُ منهم جَلَّ وَعَلَا، وإنْ كان هو مستويًا بذاتِه علىٰ عرشِه، وأنَّ كلَّ ما تحت العرش فهو مخلوقٌ.

فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ فمَن زعم أنَّ الخالقَ يتَّحدُ بالمخلوق، أو زعم أنَّ المخلوق يتَّحد بالخالق، أو أنَّه يحلُّ فيه؛ فإنَّ هذا كفرٌ مِن أعظم الكفر، يجبُ علينا أنْ نبتعدَ عنه، ومَن مات وهو يعتقدُ هذا الاعتقادَ فإنَّه قد ماتَ علىٰ كُفرٍ أعظمَ مِن كُفر فرعونَ وهامانَ -والعياذ بالله-.

هذا ونسأل اللهَ أن يوفِّقنا، وإيَّاكم لما يحبُّ ويرضىٰ.

وصلِّ اللَّهمَّ، وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.



رحلةُ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن عقيدةً ومنهجًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فنسألُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يرزقنا الإخلاصَ فيما نأتي ونذر، ونعوذُ بك أنْ نُشركَ بك ونحنُ نعلمُ، ونستغفرك ممّا لا نعلم؛ فإنَّك تعلمُ ولا نعلم، وأنت علَّام الغيوبِ، اللَّهم إنِّي أبرأ من حولِ نفسي وقوَّتها إلىٰ حولك وقوَّتك، يا ربَّ العالمين.

أيُّها الإخوة: إنَّ الدَّعوة الإسلاميَّة هي دعوةُ الرُّسل، وكلُّ مَن دعا بدعوة الأنبياء فهو خليفةٌ لهم فيها، ولا يخفاكم أنَّها تقوم علىٰ التَّوحيد: شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وما مِن نبيٍّ ولا رسولٍ بُعث لقومه إلَّا ويقولُ لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، ولقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك تفصيلًا وإجمالًا:

- فأمَّا الإجمال؛ ففي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، وكذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]، وعلىٰ هذا فإنَّ الرُّسلَ كلَّهم بدؤوا دعوتهم بالتَّوحيد، ولم يدعوا لشيءٍ غيرِه.

- ولقد أخبرنا اللهُ علىٰ سبيل التَّفصيل في معرض إخبار النَّاس عمَّا جرىٰ من

الدَّعوات الَّتي أمر الله بها عباده المرسلين؛ فكلُّ رسولٍ يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، وعلىٰ هذا فإنَّ الدُّعاةَ الَّذين يقومون بهذه الدَّعوةِ ما هم إلَّا أتباعٌ للرُّسل وخلفاء لهم، فما أعظمها من منزلةٍ! وما أفضلها من تبعيَّةٍ في ذلك! فيجبُ أنْ نعرف قدر أنفسنا وقدر ما نعمل فيها.

إذا كنَّا علىٰ الطَّريق المستقيم. ودعوتنا علىٰ الطَّريق الحقِّ الَّذي سارت عليه الرُّسل؛ لذلك فإنَّنا نرتبط بهذه التَّبعيَّة الَّتي نحن مِن أصحابها، ونحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك، والنَّبيُّ ﷺ عندما أرسل معاذًا إلىٰ اليمنِ؛ كما في حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال له: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(١). هذا الحديثُ استخرج الفُقهاءُ منه مسائلَ عدَّة تبلغ إلىٰ عشرين أو أكثر.

فأوَّلًا -وقبْل كلِّ شيءٍ-: نأخذ منه أنَّ أئمَّة المسلمين ينبغي لهم أنْ يعتنُوا بالدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يبعثوا لها مَن يقوم بها ممَّن يكونون جديرين بذلك؛ ولهذا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ بعَث معاذًا إلىٰ اليمن؛ لأنَّه كان معروفًا بفقهِه واجتهادِه، وجاء في الحديثِ الآخر: «**وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**»(٢)، وجاء

---

(١) أخرجه البخاريُّ -واللفظ له- (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، مِن حديث عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وابن حبان (٢٢١٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٢٢٤).

في الحديث أيضًا: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا حَضَرُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ مُعَاذُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رَتْوَةً بِحَجَرٍ**»(١).

كذلك أيضًا قد بعث النَّبيُّ ﷺ أبو موسىٰ الأشعريُّ علىٰ جانب من اليمن، فكان معاذٌ علىٰ جهة الحجاز في صنعاء وما بداخلها من الجهات إلىٰ جهة عدن، وأبو موسىٰ علىٰ جهة السَّواحل أيضًا إلىٰ جهة عدن، فهكذا أرسلَهما النَّبيُّ ﷺ للدَّعوة إلىٰ اللهِ، وهما أمراء علىٰ ما بُعثوا عليه؛ فمعاذٌ كان أميرًا علىٰ الجهة الَّتي أرسل إليها، وأبو موسىٰ كان أميرًا علىٰ الجهة الَّتي أُرسل إليها.

ثانيًا: يُؤخذُ مِن هذا الحديثِ أنَّ الإمام ينبغي عندما يُرسلُ أن يختار مَن يكون أهلًا لهذا العمل مِن أهل العلم والفقه.

ثالثًا: أنَّ الإمامَ المرسِل يُرْسِلُ الرَّسول فيوجِّهه بما يرىٰ أنَّه لا بدَّ مِن الاستعداد له، وكان في اليمن أهلُ كتابٍ، بمعنىٰ أنَّ المشركين أميُّون، لكن أهل الكتاب عندهم كتابٌ فهم يُجادِلون من يأتي إليهم ويدعوهم إلىٰ الله؛ ولذلك فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»، لذلك فإنَّه نبَّههم علىٰ أنَّ القومَ الَّذين بُعثَ إليهم معاذٌ أهلُ كتابٍ؛ فيهم اليهودُ وفيهم النَّصارىٰ، ومنهم مَن سيجادل؛ فلذلك قال له هذا القول: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ**».

رابعًا: أمرهم بالدَّعوة أوَّلًا وقبل كلِّ شيءٍ إلىٰ شهادةِ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ، وهاتان الشَّهادتان هما فاتحة الإسلام، وبهما يدخل

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهانيّ في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٢٢٨)، عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، والحديث في «السِّلسلة الصَّحيحة» برقم (١٠٩١)، وفي «الجامع الصحيح» برقم (١٦٨٠).

الإنسان في الدِّين، فشهادة أن لا إلهَ إلَّا الله كان العرب يعرفونها ويعرفون مقتضاها، ولذلك قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إنَّ هذا لشيءٌ عجابٌ﴾ أي: إنَّه جعل الألوهيَّة من خصائص الله وحدَه دون سواه، وكانوا يزعمون أنَّ الألوهيَّة موزَّعة بين الله وبين خلقه؛ لذلك فإنَّهم محتاجون إلىٰ معرفةِ معنىٰ: (لا إله إلَّا الله)، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزُّخرف:٨٦]، فمَن شهد بالحقِّ، وهو يعلم هذا الحقَّ الَّذي دعا إليه، فذلك هو الدَّاعيةُ الَّذي يقال عنه: إنَّه داعيةٌ ناجحٌ -إن شاء الله-.

إذًا؛ فما هو معنىٰ (لا إله إلَّا الله)؟ إنَّ (لا إله إلَّا اللهُ) كلمةٌ تتكون من نفيٍ وإثباتٍ؛ فشهادة (أنْ لا إلهَ) هذه تنفي الألوهيَّة عما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فأنت -يا هذا الشَّاهد- تشهدُ بهذا أنَّ الألوهيَّة لا تنبغي ولا يصلح لها أحدٌ غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه هو قيُّوم السَّموات والأرض، وهو ربُّ السَّموات والأرض؛ خالقها والمتصرّف فيها، خلق السَّموات وخلق الأرض في ستَّة أيَّام، ثمَّ استوىٰ علىٰ العرش، وهو مع ذلك يعلم ما يجري مِن عبادِه مِن تصرُّفاتٍ، فخطرات القلوب ولحظات الأعين ولفظات الألسُن وحركات الجوارح ووساوس القلوب كلُّ ذلك معلومٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لذلك فهو الإلهُ الحقُّ الَّذي لا تنبغي الألوهيَّة إلَّا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذاً فأنت تشهد -أيُّها المسلم- أنْ لا إله إلا الله؛ فلا أحدَ يستحقُّ الألوهيَّة إلَّا الله، فمَنْ شهد هذه الشَّهادة مُعتقدًا لمعناها، عارفًا بها، عالمًا بما يدخل فيها، وما يخرج عنها، فهذه هي الشَّهادةُ المقبولةُ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غير أنَّها لا تكون مقبولةً إلَّا بأنْ تأتي بأختها؛ وهي شهادة أنَّ محمَّدًا رسولُ الله؛ فتشهدُ للنَّبيِّ

محمَّدٍ ﷺ بالرِّسالة لأنَّه مُرْسَلٌ من عند الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ عباده ليُعلِّمهم ما يجبُ عليهم لله ربِّهم، وما يجبُ عليهم في التَّعامُل بينهم مِن جميع شرائح المجتمع، وفي التَّعامل أيضًا بالأموال، وما يحلُّ مِن ذلك، وما يحرم من البيع، وما يلتحق به مِن أخذ الأموال بغير حقٍّ، فهذا كلُّه داخلٌ في شهادة أنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

فشهادة أنَّ محمَّدًا رسولُ الله هي تكملةُ الجانب الثَّاني، وهو أنَّ محمَّدًا مُرْسَلٌ مِن عند ربِّه إلىٰ البشريَّة، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول له: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمَّد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]؛ إذًا فرسالة نبيِّنا محمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليه ما كانت خاصَّةً بقومٍ دون قوم، ولا فريق دون فريق، بل هي عامَّة لجميع البشريَّة؛ إنسِهم وجنِّهم، فلهذا يقول النَّبيُّ ﷺ في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»[(١)]، فصلوات الله وسلامُه علىٰ معلِّم البشريَّة؛ ما ترك من خيرٍ إلَّا ودلَّ الأمَّة عليه، ولا ترك مِن شرٍّ إلَّا وحذَّرهم منه.

فلهذا لا بدَّ من معرفة شهادة (أن لا إله إلَّا الله)، وأنَّ الدعوة يبدأ فيها بالأهمِّ فالمهمِّ، وأن يكفر بالطَّواغيت جميعًا، فكلُّ ما عُبد مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ فهو طاغوتٌ، وابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ يقول: الطَّواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسةٌ، وذكر من هؤلاء الخمسة: مَن عُبدَ مِن دون الله وهو راضٍ، ومن دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه، ومَن حكَم بغيرِ ما أنزل الله[(٢)].

إذًا؛ فالكفر بالطَّاغوت لا بدَّ منه، وبالأخصِّ إذا كان هذا المُسلم الَّذي دخل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥).

(٢) انظر آخر الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

في الإسلام مِن قوم عندهم طاغوتٌ يؤمنون به فلا بدَّ أن يُصرِّح بالكفر بذلك الطَّاغوت؛ فمثلًا النَّصارىٰ عندهم أنَّ عيسىٰ ابنُ الله أو ثالث ثلاثة؛ فلا بدَّ أنْ يقول النَّصرانيُّ: (وأشهدُ أنَّ عيسىٰ عبدُ الله ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه)؛ لأنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس له مِن الألوهيَّة شيءٌ، ولا بدَّ أن يعتقد هذا الاعتقادَ، وكذلك اليهود، وكذلك أصحاب القبور، وما أشبه ذلك، فكلّ طاغوتٍ يُعبدُ مِن دون الله فإنَّه باطلٌ، ويشهد أنَّه لا يستحقُّ الألوهيَّة إلَّا الله؛ هذا من ناحيةٍ.

وكذلك مِن ناحية شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ، هذه الشَّهادة مقتضيةٌ أنْ تقدّم أمر رسول الله ﷺ علىٰ أمر غيره، ونهيه علىٰ نهي غيرِه، فلا يجوز لك أن تُقدِّمَ قولَ أحدٍ علىٰ قولِه، ولا أمْر أحدٍ علىٰ أمره، ولا نهي أحدٍ علىٰ نهيِه؛ فمثلًا: الإخوانيُّ يقولُ بقولِ الإخوان، ويترسَّم ما قرَّره وما رتَّبه له إمامُهم حسن البنَّا في دعوتِه، وهو أنَّه بدل ما يدعو النَّاس إلىٰ التَّوحيد، يقولُ: لا بدَّ أنْ تكون الدَّعوةُ إلىٰ إعادة الخلافةِ الضَّائعةِ، وجاء من أتباعه منهم دكاترة وأصحاب شهادة الماجستير وغيرها، فهم منهم عُلماء في العلم الَّذي درسُوه، لكنَّهم مع ذلك قدَّموا أمر فُلانٍ علىٰ أمْرِ رسولِ الله ﷺ، واسمعوا إلىٰ ربِّكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماذا يقولُ في مستهلِّ سُورة (الحُجرات): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات:١-٢] إلىٰ أنْ قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات:٧].

وما هو سببُ نُزول هذه الآية؟

سبب نزولها أنَّه لما جاء وفد تميم قال أبو بكر: يا رسول الله أمِّر فُلانًا وقال عمر أمِّر فلان فنهاهم الله عَزَّوَجَلَّ عن التقدم بين يدي الرسول ﷺ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١] حتَّىٰ انقضت الآيةُ(١)؛ أي: لا تقدِّموا قولَ أحدٍ علىٰ قول رسولِ الله، أو لا تقدِّموا أنفسكم ولا تقدِّموا غيرَكم بين يدي رسولِ الله ﷺ، فلا يجوز لكم هذا.

ونحن نقول لهؤلاء الَّذين يدْعون إلىٰ خلافة، ويتركون الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ويوالون علىٰ ذلك ويعادون: هل أنتم أسِّستم علىٰ حقٍّ أو أُسِّستم علىٰ باطلٍ أوَّلا؟!!! حيثُ تركتُم أمرَ اللهِ الَّذي أمركم به، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، فكلُّ الرُّسل أمرهم الله بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، وأنتم يا هؤلاء تدعون إلىٰ خلافة؟! إذاً فهل هؤلاء مصيبون أو مخطئون؟ لا شك أنَّهم مخطئون؛ لأنَّهم تركوا الدَّعوة الَّتي أمر الله بها، وجاءوا بدعوةٍ غير ذلك.

ولا أريد الاستطراد في هذا الأمر فهذا بيانٌ أو إشارةٌ إلىٰ ما هم عليه مِن المخالفات لأمر الله؛ وتقديم أمْرِ غيرِه علىٰ أمرِه، وتقديم مَن ليس بمعصومٍ علىٰ أمر المعصوم.

فالرَّسولُ ﷺ أمرَنا ونهانا وبيَّن لنا الحقوقَ فيجب علينا أن نقوم بالحقوقِ الَّتي أمَرَ اللهُ بها؛ ومنها الوفاء لوُلاة الأمور بالبيعةِ الَّتي بايعناهم عليها. والأحاديث في النَّهي عن الخروج علىٰ ولاة الأمر أحاديثُ كثيرةٌ؛ فمنها: حديث

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٨٤٧).

عبادة بن الصَّامت: "دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»"(١).

وفي حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حينما ذهب إلىٰ عبد الله بن مطيع وهو يُعِدُّ للخروج علىٰ يزيد بن معاوية فقال: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

كذلك أيضًا حديثُ عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الصَّحيحين أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣).

ومنها عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**»(٤)، وإلىٰ غير ذلك من الأحاديثِ الكثيرةِ.

والمهم أنَّ كلَّ هذه الأحاديث تمنع من الخروجِ، ولكنْ هؤلاء يعدُّون للخروج ليل نهار، ونحن الآن نرىٰ نتائج هذا التَّوجُّه بما يجري في المجتمع من تفجيرات وتدميرات، وإزهاق للأرواح وسفكٍ للدِّماء، وإتلاف للأموال وإخافة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

المسلمين، وخروج علىٰ الولاة والتَّمرُّد عليهم، إلىٰ غير ذلك من الأمور، هل هذا حقٌّ أو باطلٌ؟! واللهِ إنَّه باطل.

فليتَّق اللهَ هؤلاء النَّاس، ليتَّقوا ربَّهم؛ فإنَّهم قادمون علىٰ الله، وهبْ أنَّك -يا هذا- ستصل إلىٰ وزارة، أو ستصل إلىٰ منصب في الدّولة القادمة الَّتي تقولون: إنَّها مُحقّقة الوقوع، هب أنَّك ستصل إلىٰ ذلك، فكم ستستمتع فيها؛ عشر سنوات، عشرين سنة، وثلاثين سنة، وأربعين سنة، وبعد ذلك ماذا سيكون، إنَّك ستجد عبءَ ما فعلته بين يدي ربِّك.

فالمهمُّ أنَّ الدَّعوة يُبدأُ فيها بالأهمِّ فالمهمِّ، وأنَّ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد لمَن أهمِّ المهمَّات؛ يجب عليك أنْ تُنصِّص علىٰ هؤلاء الفجرة الَّذين يعملون هذه الأعمال، ويُدمِّرون هذا التَّدمير، ويفعلون هذه الأفعال، يجبُ عليك أنْ تُنصِّصَ عليهم، وأنْ تُبيِّن حالهم، فلا تخشىٰ منهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرضىٰ عنك إذا قلت الحقَّ، وإن حصل لك شيءٌ فإنَّما هو في سبيل الله، وأنَّ هذه الدَّعوات الموجودة علىٰ السَّاحة؛ كدعوةِ الإخوانِ والسُّروريَّة والقُطبيَّة والتَّبليغ والتَّحرير وما أشبه ذلك، هؤلاء حالتهم سيِّئة، وَإنَّهم يقولون للشِّيعة الرَّافضة الَّذين يلعنون أبا بكر وعُمر وعُثمان أفضل الأمَّة بعد الأنبياء؛ يلعنونهم لعنًا صريحًا -والعياذ بالله-، وكذلك أيضًا يتَّهمون زوجة الرَّسول ﷺ الَّتي برَّأها اللهُ مِن فوقِ سبع سموات، لا يزالون يتَّهمونها بالزِّنا -والعياذ بالله-، وهكذا أمورٌ يندىٰ لها الجبين، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وهؤلاء القوم يقولون عنهم: هم إخوانُنا. فسبحان الله! الَّذي يسبُّ أبا بكر وعمر؛ هل هذا أخوك؟! الذي يكفر بآيات الله؛ هل هذا أخوك؟!

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُثني علىٰ عباده المؤمنين، وأنت تقولُ: هؤلاء الذين يلعنون

أفضل النَّاس في هذه الأمَّة، يقول: إنَّهم إخوان لك، كيف هذا؟!

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الصحابة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة:١١٧-١١٨]، ولو جمعنا الآيات الَّتي وردَتْ في ثناء الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ المؤمنين الَّذين كانوا مع رسولِه، والَّذين جاهدوا معه، والَّذين أبلَوا بلاءً حسنًا قبل موتِه وبعد موتِه، والَّذين فتحُوا الفُتوح، ورصدوا للإسلام حتَّىٰ بلغ الإسلام إلىٰ حُدود الصِّين شرقًا، وإلىٰ المحيط الأطلسيِّ غربًا، وفي ذلك الوقت ما أحدٌ يعرف شيئًا وراءه، وكذلك إلىٰ جهة الشَّمال؛ إلىٰ القسطنطينيّة، وإلىٰ عدن، وما وراء ذلك جنوبًا.

فيا عباد الله كيف يكون هؤلاء الرَّوافض إخوانًا لنا؟! والله ما هم إخوة لنا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ولقد بلغني أنَّ الإخوان المسلمين عملوا خمس حسينيات في العراق علىٰ حسابهم مجاملة للشيعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعلىٰ كلِّ حال فهذه الأحزاب يجب أن نعرف أنَّها باطلة، وأن نسير علىٰ المنهج الصحيح؛ كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، وما عدا ذلك نتركه ونسير علىٰ المنهج الصَّحيح الَّذي هو المنهج السَّلفيّ علىٰ فهم خيار الأمَّة صحابة رسول الله ﷺ ومَن بعدَهم.

نسأل الله أن يوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

لماذا كان التَّوحيد أوَّلًا؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آلِه وصحبِه، وبعْدُ:

فقد طلَب منِّي مُتَّصلٌ عبر الهاتف كلمةً بعنوان: «لماذا كان التَّوحيد أوَّلًا؟»، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ المتَّصل عرَف أنَّ التَّوحيدَ هو أصلُ العقيدة الإسلاميَّة وأساسُها، وشرطُ صحَّتها وقَبولها، وقد اقترح هذا الاقتراح ليفهم مَن لم يفهم أنَّ هذه منزلة التَّوحيد في الدِّين الإسلاميِّ.

ذلك بأنَّ توحيدَ الألوهيَّة هو الَّذي أمرَتْ به الرُّسل جميعًا من أوَّلهم نوح - عليه الصَّلاة والسَّلام - إلىٰ آخرهم محمَّدٍ ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وقال سُبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وما من نبيٍّ يُبعثُ إلىٰ قومه إلَّا وهو يقول: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

ولمَّا بَعثَ اللهُ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ إلىٰ قومِه مكَث عشرَ سنوات لا يدعو إلىٰ شيءٍ غير التَّوحيد، ثمَّ بعد العشر شُرعت الصَّلاة، وبقي ثلاث سنواتٍ بمكَّة، ثمَّ هاجر إلىٰ المدينة، وفي السَّنة الثَّانية مِن الهجرة شُرِعتْ الزَّكاة والصَّوم؛ لذلك فإنَّ التَّوحيدَ هو أصلُ الدِّين وأساسُه وقاعدتُه الَّتي عليها يُبنىٰ.

لذلك، فإنَّ مَن أفسدَ التَّوحيد بأنْ دعا مع الله إلهًا آخر، فقد أفسدَ الدِّين كلَّه،

وخرج مِن الإسلام، وصار مُرتدًّا، وحبط عملُه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥]، وقال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وقد حوَت هذا الأصلَ العظيمَ شهادةُ أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وهي تتكوَّن من جزءَين: «لا إله إلَّا الله» الجزء الأوَّل: نفي الألوهيَّة عمَّا سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: «أشهد أنْ لا إله» أي: لا معبودَ بحقٍّ في الوجود إلَّا الله، والجزء الثَّاني في قوله: «إلَّا الله» إثبات الألوهيَّة لله وحده دون سواه؛ لأنَّه هو الَّذي خلَق هذا الكون؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصِّلت: ٩]، والآيات بعدها، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٤ - ٦٦].

والآيات في الاستدلالِ علىٰ توحيد الله بالألوهيَّة كثيرةٌ؛ فمَن نطَق بهذه الشَّهادةِ، شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، فقد حاز الفوزَ، ونجا مِن الخُسرانِ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمَن قالَها مُعتقدًا معناها عاملًا بمُقتضاها، فقد حاز السَّعادةَ في الدَّارين؛ فهي الكلمةُ الَّتي أرسلَ اللهُ بها رسلَه، وأنزل بها كتُبَه، ومِن أجْلِها خُلقتْ الدُّنيا والآخرة والجنَّة والنَّار، وفي شأنها تكون السّعادة والشَّقاوة، فقائلُها ومعتقدُها يُعطىٰ كتابه بيمينه، ويَثقلُ ميزان حسناته، ويمرُّ علىٰ الصِّراط، ويدخل الجنَّة، وينجو مِن النَّار، وعنها يكون السُّؤال؛ قال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ [القصص: ٦٥ - ٦٧].

قال شيخُنا حافظُ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «معارج القَبول»**: «وهي أعظمُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها علىٰ عباده: أنْ هداهم إليه، ولهذا ذكرها في سورة (النَّحل) الَّتي هي سورة النّعم قبْل كلِّ نعمةٍ، فقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النَّحل: ٢].

وهي كلمة الشَّهادة، ومفتاح دار السَّعادة، وهي أصل الدِّين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدّين وفرائضه متفرِّعةٌ عنها، ومُتشعِّبة منها، ومكمِّلات لها، ومُقيَّدةٌ بالالتزام بمعناها والعمل بمقتضاها؛ فهي العُروة الوُثقىٰ الَّتي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهي العهدُ الَّذي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم: ٨٧].

قال عبد الله بنُ عبَّاس عنهما في تفسير «العهد»: هو شهادةُ أن لا إله إلَّا الله،

والبراءة مِن الحول والقوّة إلّا بالله، وألّا يرجوَ إلّا الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

وهي الحسنىٰ الَّتي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [اللَّيل: ٥ - ٧].

وهي كلمة الحقِّ الَّتي ذكَرها اللهُ عَزَّوَجَلَّ في قولِه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزُّخرف: ٨٦].

وهي كلمة التَّقوىٰ الَّتي ذكَرها الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]»[(٢)].

ومن هنا نعلمُ: لماذا كان التَّوحيد هو الأوَّل في الالتزام، وهو الأوَّل في الدَّعوة، وهو أصلُ الدِّين وأساسُه وقاعدتُه؟

فإسلامٌ بلا توحيد، بناءٌ بلا قاعدة.

ونعلم - أيضًا -: ضلال مَن يدعون إلىٰ خلافةٍ، ويزعمون أنَّهم يدعون إلىٰ إعادةِ الخلافة الضَّائعة؛ فنقول: إنَّ الله أمرنا بالتَّوحيد الَّذي دَعَت إليه جميع الرُّسل، وسيسألُنا اللهُ: ماذا كنتُم تعبدون؟ وماذا أَجبتُم المرسلين؟

ويا خسارة مَن أفنىٰ عمره في الدَّعوة إلىٰ خلافة!

ويا خسارة مَن أَجَابه وتَابَعَه علىٰ هذا الباطل!

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه، وسلَّم تَسليمًا كَثيرًا.

كتبهُ/ أحمدُ بن يحيى النَّجميّ

١٧/ ٤/ ١٤٢٦هـ

---

(١) أخرجه الطَّبريُّ في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «معارج القبول» (٢/ ٤١١)، نشر دار ابن القيم، الدّمام، الطّبعة الأولىٰ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، بتصرُّف.

معالمُ التَّوحيد في الحجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونستهديه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُ الله ورسولُه ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين؛ **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ خيرَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هدي مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلّ ضلالةٍ في النَّار.

ثمَّ إنَّه قد طُلِبَ منِّي أنْ ألقيَ كلمةً في منسوبي (التَّوعية الإسلاميَّة) في الحجّ؛ بعنوان: (معالم التَّوحيد في الحجّ)، حيثُ إنَّ التَّوحيدَ أساسُ الدِّين، وقاعدتُه الَّتي عليها يُبنىٰ، ومنها ينطلقُ، وشرطُه الَّذي به يصحُّ، وبوجوده يُقبلُ، وعند عدمه تردُّ جميعُ الأعمال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النُّور: ٣٩].

ومع كون المُشركِ لا تُقبلُ منه حسنةٌ؛ فإنَّه أيضًا لا يُغفر له ذنبٌ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]. ومع ذلك فإن المشرك شركًا أكبر محرّم عليه دخول الجنّة، ومحتّم عليه دخول النّار، والخلود

فيها؛ قال تعالىٰ عن نبيّه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال لقومه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. وهو موجبٌ لحبوط العمل، وعدم استفادة صاحبه منه؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وهذه كلُّها مساوئ تترتّب علىٰ ضدِّ التَّوحيد؛ وهو الشِّركُ الأكبرُ، وفي ذلك بيانٌ لمزيّة التَّوحيد، وأنَّ انعدامَه تترتَّبُ عليه كوارثُ فضيعةٌ؛ وفي هذا بيانٌ لمنزلةِ التَّوحيد من الدِّين ككلٍّ.

أمّا بالنِّسبة للحجِّ؛ فإنَّه أُسِّس علىٰ التَّوحيد، وبيان ذلك من الآتي:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧]. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرِه (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان) في (٥/ ٢٨٨): «قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: هيّأناه له، وأنزلناه إيّاه، وجعل قسمًا من ذُرِّيته من سكانه، وأمره الله ببنيانه، فبناه علىٰ تقوىٰ الله، وأسَّسه علىٰ طاعةِ الله، وبناه هو وابنُه إسماعيل، وأمره أنْ لا يُشرك به شيئًا، وأنْ يُخلص لله أعمالَه، ويبنيه علىٰ اسم الله.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾؛ أي: من الشِّرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس، وأضافه الرَّحمن إلىٰ نفسه؛ لشرفِه وفضلِه، ولتعظم محبّته في القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كلِّ جانبٍ، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرَّبِّ

- سبحانه - للطائفين به، والعاكفين عنده، المقيمين لعبادةٍ من العبادات؛ مِن ذكرٍ وقراءةٍ، وتعلُّم علمٍ وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القُرَب.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾. أي: المصلِّين؛ أي: طهروه لهؤلاء الفضلاء؛ الذين همُّهم طاعة مولاهم وخدمته، والتَّقرُّب إليه عند بيته.

فهؤلاء لهم الحقُّ، ولهم الإكرام؛ ومِن إكرامهم تطهيرُ البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره تطهيرُه من الأصوات اللَّاغية والمرتفعة الَّتي تُشوِّش علىٰ المُتعبِّدين بالصَّلاة والطَّواف، وقدَّمَ الطَّوافَ علىٰ الاعتكاف والصَّلاة لاختصاصه بهذا البيتِ، ثُّم الاعتكافَ لاختصاصه بجنس المساجد» اهـ.

والمهمُّ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ما خصَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه المزيَّة إلَّا لِما فيه من محبَّة التَّوحيدِ وبُغض الشِّركِ، الَّذي حمله علىٰ التَّفاني في دعوةِ قومِه، ثُمَّ الحوار معهم، ثُمَّ تكسير أصنامهم، ثُمَّ قرارهم لتحريقه، ورميهم له في النَّار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

ومع هذا كلِّه فإن الله عَزَّوَجَلَّ لمَّا بوَّأه مكان البيت أراه إيَّاه، وأمره ببنائه، كان ذلك علىٰ شريطةِ نشر التَّوحيد ومُحاربة الشِّرك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ ثُمَّ أعاد الوصيَّة مرَّةً أخرىٰ في هذا السِّياق مُشدِّدًا علىٰ الأخذ بها مرَّةً أخرىٰ، ومؤكِّدًا ذلك فقال في [الآية: ٣٠] من هذا السِّياق: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣٠ - ٣١].

وهذا تصويرٌ عجيبٌ لمَن وقع في الشِّرك كأنَّه سقط مِن أعلىٰ شاهقٍ؛ من قمَّة جبل، أو من فوق عمارةٍ طويلةٍ مِن ناطحات السَّحاب، أو مِن فوقِ طائرةٍ في ارتفاع شاهق، أو مِن السَّماء المعروفة ضدّ الأرض؛ أي: أنَّ مَن وقَع في الشِّرك بالله كأنَّما سقط مِن ذلك المكان العالي ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾؛ بعيدٍ في الأعماق.

وفي هذا التَّصوير تنفيرٌ عن الشِّرك، وتبشيعٌ لصورتِه، وإظهارٌ له في هذه الصُّورة البشعةِ الَّتي تشمئز منها النُّفوس.

ولقد كرَّر اللهُ عَزَّوَجَلَّ في هذا المقطع الأمر بالتَّوحيدِ والتَّحذير مِن الشِّرك؛ والثَّناءَ علىٰ الموحِّدين، وذِكْر صفاتِهم، وعواقبهم الحميدة، فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥].

ثمَّ إنَّ الحجَّ كلّه تذكيرٌ وتنويهٌ بتلك الأُسرة الموحِّدة؛ أسرةِ إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ إذ أمر اللهُ عَزَّوَجَلَّ خليلَه أنْ يُسكن من ذرِّيته بعضًا، فكان البعضُ هو إسماعيلُ وأمُّه هاجر؛ أمره اللهُ أنْ يُسكنهما في ذلك المكان القفر، والوادي الموحش، الَّذي تُحيطُ به الجبالُ من كلِّ جانبٍ، وليس به إنسٌ ولا أنيسٌ، ولا فيه زرعٌ ولا ماءٌ.

قال البخاريُّ في كتاب الأنبياء من «صحيحه»، باب رقم (٩)، رقم الحديث (٣٣٦٤):

"حدَّثنا عبدُ الله بن محمَّد، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، أخبرنا معمرٌ، عن أيُّوب السّختيانيّ وكثيرِ بن كثير بن المطَّلب بن أبي وَدَاعة، يزيدُ أحدُهما علىٰ الآخر،

عن سعيد بن جُبير، قال ابنُ عبَّاس:

أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَىٰ سَارَةَ[(١)]، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ، وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوحَةٍ[(٢)]، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾. حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيهِ يَتَلَوَّىٰ؛ أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِي تَنْظُرُ؛ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الوَادِي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ

---

(١) المنطق: كلُّ شيء شددتَ به وسطَك. لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا: أي تسحب طرف ذَلِك الثَّوب علىٰ التُّراب فتمحو أثر خطواتها «كشف مشكل الصحيحين» (٢/ ٤٠٧الوطن).

(٢) الدَّوحة: الشَّجرة الكبيرة. المرجع السَّابق.

المَجْهُودِ حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الوَادِي، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَٰلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»**.

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ - تُرِيدُ نَفْسَهَا -، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ، حَتَّىٰ ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ[1]، وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ -، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»**.

قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[2]، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ[3] تَأْتِيهِ السُّيولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا[4]، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَىٰ مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ[5]، فَإِذَا هُمْ بِالمَاءِ، فَرَجَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ بِالمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا:

---

(١) أي: تجعل له كالحوض. المرجع السابق.

(٢) أي: الضياع. المرجع السَّابق.

(٣) أي: المكان المرتفع. المرجع السابق.

(٤) **العائفُ**: الذي يتردَّد ويحوم حول الماء ولا يبرح. المرجع السابق.

(٥) **الجري**: الرَّسُول، والوكيل، سُمِّيا بذلك؛ لِأنَّهما يجريان مجرىٰ المُرْسل والمُوكل. المرجع السابق.

أَتأْذنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَلْفَىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ**».

فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلَامُ، وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَىٰ.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ**». قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ؛ قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ؛ قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ، فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧] قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾".

ومن معالم التَّوحيد في الحج رميُ الجِمارِ؛ حيثُ كان سبب ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في سُورة (الصَّافَّات) في قصَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيثُ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاكيًا عن إبراهيم أنَّه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ [الصَّافَّات: ١٠٠ - ١٠٩].

وخلاصةُ هذه القصة: أنَّ إبراهيم الخليل رأىٰ في المنام أنَّه يذبحُ ابنه الوحيد

إسماعيلَ، ولم يكن لإبراهيم يومئذٍ ابنٌ سواه؛ لأنَّ ذلك كان قبل أنْ يُبشَّر بإسحاق، وكان قد دعا ربَّه أنْ يمنحه ويهب له من الصَّالحين، فرزقه اللهُ بإسماعيل من هاجر، وبعد ولادته أمره أن يذهب به إلىٰ جبال فاران؛ وهي جبال ليس بها ساكنٌ، ثم أمره الله عَزَّوَجَلَّ أن يذبحَه.

وقد جاء إلىٰ ابنه إسماعيل يعرض عليه الأمر؛ ليرىٰ مدىٰ تجاوبه، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فكان جوابه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾. وعند ذلك استعدَّا للتَّنفيذِ.

وتصوَّر - أيُّها العاقلُ - وقع الأمر علىٰ الأب وعلىٰ الابن، لولا أنَّهما رسولان؛ لكان ما كان لعِظَم الفاجعة.

فصرعه في المكان الأوَّل، وأراد التَّنفيذَ، فقال له الشيطانُ: أتذبحُ ابنك علىٰ رؤيا؟ فرماه بحجر، فساخَ.

وتحوَّل الأب بابنه إلىٰ مكانٍ آخرَ، وأراد التَّنفيذَ، فناداه الشيطان مرةً أخرىٰ: أتذبح ابنك علىٰ رؤيا؟ فرماه بحجرٍ فساخ.

ثمَّ انطلق مرةً أخرىٰ، وعزم علىٰ التَّنفيذ؛ فيقال: إنَّه أمرَّ السِّكين علىٰ حلقه فلم يقطع، فأُتي بكبشٍ، وقيل له: هذا فداء ابنِكَ.

وتزعم اليهودُ أنَّ الذَّبيحَ هو إسحاق، وذلك باطلٌ؛ إنما هو من اختلاق اليهود، وقد ردَّ عليهم بأمورٍ[1]:

أوَّلًا: أنَّ الَّذي فُدِيَ بالذَّبح مذكورٌ في هذا السِّياق بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إلىٰ أن

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيِّم (١/ ٧١فما بعدها/ الرسالة)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٧طيبة).

قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ ثم قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١٠١ - ١١٣]. وفي هذا أعظمُ بيانٍ وأوضحُ دليلٍ علىٰ كذب من زعم أنَّ الذَّبيح هو إسحاقُ.

ثانيًا: وممَّا رُدَّ به علىٰ اليهود قوله في موضع: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]. فكيف يُبشَّر به، وبابنٍ له من بعده؛ وكلاهما نبيٌّ، ثم يؤمر بذبحه؟! وهذا مُستحيلٌ.

ثالثًا: أنَّ الذّبح كان بمكَّة، وإسحاق بالشَّام؛ وإنَّما أمر بذبح الولد الَّذي بمكَّة؛ وهو إسماعيل، الَّذي لا يختلف اثنان أنَّه تركه هو وأمَّه بمكَّة؛ وهو صغير، وأخرج الله لهما زمزم.

والمهمُّ: أنَّ الحجَّ كلَّه إحياءٌ لمآثر ذلك الرَّجل المؤمن الموحِّد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته؛ إسماعيل وأمّه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فالبيتُ بناه إبراهيمُ وابنُه إسماعيلُ، فأمر اللهُ النَّاس بالحجِّ إليه، والتَّطوُّف به، وزمزم بثقها اللهُ لإسماعيل وأمِّه، وأمر بالشُّرب منها، والصَّفا والمروة: هما الجبلان اللَّذان تردَّدت إليهما هاجر، حتَّىٰ جلَّىٰ الله كُربتها بما بثقه الله لها ولابنها من الماءِ؛ فالأمر بالسَّعي ورمي الجمار تذكيرٌ بموقف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين عزم علىٰ ذبح ابنه - عليهما الصلاة والسلام -.

فكلُّ الحجِّ تذكيرٌ بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته، وتنويهٌ بهم، وتذكيرٌ بمآثرهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -؛ فمَن طاف تذكَّر إبرهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي كسر

أصنامَ قومِه، ومَن صلَّىٰ عند المقام ونظر إلىٰ الحجر؛ الذي جعله الله آيةً، فغاصت قدماه فيه؛ وإذا سعىٰ بين الصَّفا والمروة تذكَّر هاجر وثباتها، وثقتها بربّها، وإذا شربَ مِن زمزم تذكَّر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي بُثق له ماؤها.

ومِن معالم التَّوحيد في الحجّ التَّلبية؛ الَّتي يعقدُ بها الحاجّ والمُعتمر نُسكه، وتكون هي ذكْرُه الَّذي يُكرِّره، ويتقرّب إلىٰ الله به: (لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك)، فهذه التَّلبية تتضمَّن الاستجابة لله عَزَّوَجَلَّ، والإنابة إليه، والمسارعة إلىٰ أمره بالفعل، وإلىٰ نهيه بالتّرك، وإلىٰ خبره بالتّصديق.

ومعنىٰ (**لبَّيك**): أي أُلبي دعوتك، وأستجيبُ لأمْرِك مرةً بعد مرة؛ فعلًا للمأمور، وتركًا للمحظور، وخضوعًا لقدرك المقدور، فلك الحمد علىٰ ذلك كلّه، فأنت المستحقّ للحمد علىٰ ما لك من الكمالات، وما تسديه من النعم، وتصرفه من النّقم؛ لذلك فإنّي ألبّي دعوتَك، وأستجيب لأمرك مرّةً بعد مرّةٍ، وكرَّةً بعد كرَّةٍ؛ توحيدًا لك، وكفرًا بالطّواغيت والشّركاء، فكما أنّك ليس لك شريكٌ في الملك فكذلك ليس لك شريكٌ في العبادة.

وحيثُ إنَّ التَّلبية هي لبُّ التَّوحيد وخُلاصتُه؛ لذلك فإنّ الشيطان لمّا أوقع عمرو بن لُحي الَّذي كان ملِكًا علىٰ مكَّة وما حولها زمنًا طويلًا، حتَّىٰ قيل: إنَّه رأىٰ العاشر مِن ولد ولده، فوفد إلىٰ ملوك الرُّوم، فرآهم يعبدون الأصنام، فاستحسن عبادتها، وأخذ له أصنامًا، وكرَّ راجعًا، فلمَّا قرُب مِن مكَّة أراد أن يحرم بالعُمرة، ولبَّىٰ قائلًا: لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك. فتمثّل له الشيطان في صورة بشر، وقال له: فيها زيادة. قال: وما هي؟ قال: إلّا شريكًا هو لك. فكأنَّه اشمأزَّ منها، فقال: تملكه وما ملك، فأدخل بهذه الكلمة الأخيرة

ما قبلها من الشّرك؛ وهو قوله: إلّا شريكًا هو لك[(١)].

وهكذا الشّيطانُ يموِّه علىٰ بني آدم، ويخدعهم بشيءٍ من الحقِّ؛ ليُدخل به الباطل، وحيثُ إنَّ كلمةَ: تملكُه وما ملَك؛ كلمة حقٍّ، فالله يملك المخلوقين وما ملكوا؛ لكن أراد الشيطان بها استثناء الشّريك مع الله عَزَّوَجَلَّ، وبهذا أدخل هذا الرّجل الشّرك إلىٰ بلاد العرب، وغيّر دين إبراهيم الَّذي كانوا عليه؛ لذلك فقدْ قال النَّبيُّ ﷺ في حديث الكسوف: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**»[(٢)]. أي: أمعاءه، والعياذ بالله.

وعلىٰ هذا فيجب أنْ يحذَر المُسلم أنْ يلبِّي وهو واقعٌ في الشِّرك؛ فيكون قد هدم توحيده بذلك الشرك الذي وقع فيه، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

حرَّرها

أحمد بن يحيى بن محمَّد شُبير النّجمي

٢٢/ ١١/ ١٤٢٦هـ



---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ٣٥٧ - ٣٥٨إحياء التراث العربي)، و«البداية والنهاية» (٣/ ١٨٩هجر).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٩٠٤).

السَّلفيُّون بريئون مِن الأعمال الإرهابيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آلِه وصحبِه، وبَعْدُ:

فإنَّ الله أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ ودين الحقِّ؛ لِيظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه، ولو كره المُشركون، وإنَّ سِيرةَ رسولِ الله ﷺ هي ترجمةٌ عمليَّةٌ لشريعةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الَّتي أوحاها إليه، والَّتي أمرَه اللهُ باتِّباعها في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

ولقد كان النَّبيُّ ﷺ ينهىٰ عن الغَدر والخِيانة، ويأمُر بالصِّدق والعَفاف والأمانة؛ فقد كان ﷺ إذا أَمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سَرِيَّة[١] أوصاه في خاصَّتِه[٢] بتقوىٰ الله، ومَن معه من المسلمين خيرًا، ثُمَّ قالَ: «اغْزُوا باسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا[٣]، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا[٤]، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا[٥]»، رواه مسلم[٦].

وفي رواية الطَّبرانيِّ في «المعجم الصَّغير»: «وَلَا تَجْبُنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا

(١) السَّرِيَّة: قطعةٌ من الجيش تخرج منه تُغير وتعودُ إليه، وقيل: سمِّيتْ سريَّة؛ لأنَّها تسري في اللَّيل ويخفىٰ ذهابُها.

(٢) أي: في حقِّ نفس ذلك الأمير خصوصًا.

(٣) مِن الغُلول. ومعناه: الخيانة في المغنم، أي: لا تخونوا في الغنيمة؛ فتأخذوا منها شيئًا ولو يَسيرًا قبل أن تُقسمَ.

(٤) أي: لا تُشوِّهوا القتلىٰ بقطع الأنوف والآذان، ونحو ذلك.

(٥) أي صبيًّا؛ لأنه لا يقاتل.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٣١) من حديث بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

امْرَأَةً، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا»[١].

فحرَّم الرَّسولُ ﷺ الغدرَ، وحرَّم الخيانة الَّتي يَستعملُها الإرهابيُّون، وحرَّم قتلَ النِّساء والأطفال والشُّيوخ الَّذين لا يَستطيعون القِتال، ولا يُقاتِلون.

وحرَّم الإفساد؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، وأخبر أنَّه لا يُحبُّ المفسدين، وأخبر أنَّه لا يَهدي كيدَ الخائنين.

وعلىٰ هذه الطَّريقةِ سار أصحابُه، فكانوا إذا أتَوا قَوْمًا مِن الكفَّار يدعونهم إلىٰ الإسلام أوَّلًا، فإن أَبَوْا وكانوا أهلَ كتاب، دَعوهم إلىٰ الجزية، فإنْ أبوا، أعلنوا لهم القتال، وأخبروهم أنَّهم سيقاتلونهم، فيقاتلونهم بعد الإعلان لهم. أمَّا إذا كان الكفَّار وثنيين؛ فإنَّهم يُخيَّرون بين الدُّخول في الإسلام أو القِتال، ويقاتلونهم بعد إعلانِ القِتال لهم.

أمَّا ما يعمله الإرهابيُّون في هذا الزَّمن؛ الَّذين يَلبسون الأحزمة النَّاسفة، أو يقودون السَّيَّارات المُفخَّخة، فإذا وجدُوا مجموعةً من النَّاس، فجَّر اللابسُ نفسه، أو فجَّر سيارته ونفسَه، فهذا أمرٌ ينبني علىٰ الخيانة؛ فالإسلام بعيدٌ عنه كلَّ البعد، ولا يُقرُّه أبدًا.

وإنَّ ما يُعملُ الآن مِن الأعمال الانتحاريَّة في بريطانيا أو غيرها مِن البلدان إنَّما يعملُها ويخطِّطُ لها التَّكفيريُّون الخوارجُ الَّذين ذمَّهم الرَّسولُ ﷺ بقوله: **«يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَام، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الصَّغير» (١/ ٢١٢) (٣٤٠).

الْقِيَامَةِ»[(١)]، وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ قَتَلُوهُ»[(٢)]، وقال: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»[(٣)]، وقال: «أَيْنَ مَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ»[(٤)]، وقال عنهم: «كِلَابُ النَّارِ»[(٥)]، وقال: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٦)]، وفي رواية: «قَتْلَ ثَمُود[(٧)]»[(٨)]، وقال عنهم: «أَمَا إِنَّهُ سَتَمْرُقُ مَارِقَةٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ السَّهْمُ عَلَىٰ فُوقِهِ[(٩)]»[(١٠)].

معنىٰ «مَرَقَ»: خرج مِن الجانب الآخر. والخوارج يمرقون مِن الدِّين، أي: يخرجون منه، لا يَعلقُ بهم منه شيءٌ. وعلىٰ هذا؛ فمن المعلوم أنَّ الإسلام بريءٌ مِن هذه التَّصرُّفات الهوجاء الرَّعناء، وإنَّه ليشجب فاعليها، ويُنكرُ أفعالهم.

وإنَّ الَّذين يتَّهمون السَّلفيِّين الَّذين يتَّبعون كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ، ويسيرون علىٰ نهج الصَّحابة، بالتَّفجيرات في بريطانيا أو غيرها، والَّتي تشتمل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) مِن حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٣٠٠٠) عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه، وقال: «حديثٌ حسنٌ»، وقال الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح التِّرمذيِّ»: «حسنٌ صحيحٌ».

(٣) أخرجه البيهقيُّ في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣).

(٤) أخرجه البخاريُّ (٦٩٣٠) من حديثِ عليٍّ رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٧٣) عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (١٤٣).

(٦) أخرجه البخاريُّ (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.

(٧) أي: أستأصلهم بالقتل كما استُؤصلت ثمود.

(٨) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٩) **فُوق السَّهم**: هو موضع الوتر منه.

(١٠) أخرجه البخاريُّ بنحوه (٧٥٦٢) مِن حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه.

علىٰ قتْل الأنفس، وإتلاف الأموال، وإراقة الدِّماء، وإخافة النَّاس، والخروج علىٰ الدَّولة، إنَّ الَّذين يتَّهمون السَّلفيِّين بهذا هُم الَّذين يفعلون هذه المناكر، ويريدون أن يُلصقوها بغيرهم؛ هم أصحاب تنظيم القاعدة الَّذين يتابعون أسامة بن لادن، والمسعريّ، وسعد الفقيه وأمثالهم؛ لأنَّ هؤلاء تربَّوا علىٰ كتُب المُكفِّرين من أمثال سيِّد قُطب ومَنْ معه في هذا المنهج الخاطئ؛ الَّذين يُكفِّرون أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بغير حقٍّ؛ بل يُكفِّرون بالمعاصي، والمعاصي لا يَسْلَمُ منها أحدٌ.

والحقيقةُ: أنَّه لا يجوزُ أنْ نُكفِّرَ أحدًا مِن المُسلمين إلَّا مَنْ كفَّره اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كالمشركين شركًا أكبر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥]، وقال سُبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعراء: ٢١٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

هذه هي الحقيقة الَّتي لا يجوزُ لأحدٍ أن يَحيدَ عنها، ومَنْ زعَم خلافَ ذلك من المُكفِّرين الَّذين يُكفِّرون المُوحِّدين المُصلِّين الصَّائمين، فهو مُبطلٌ وداعٍ إلىٰ الباطل. هذه هي الحقيقة الَّتي لا يَجوز الشَّكُّ فيها، ولا الميلُ عنها.

وبالله التَّوفيقُ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعينَ.

أملاها

الشيخ/ **أحمد بن يحيى النَّجمي**

٢٢/ ٧/ ١٤٢٦هـ

التَّعليم قديمًا وحديثًا في منطقة جازان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّد المُرسلين، نبيِّنا محمَّد ﷺ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين، وبعدُ:

فبِناءً علىٰ خطاب سَعادةِ المُدير العامِّ للتَّعليم بمنطقة جازان الشَّيخ محمَّد بن سالم العطَّاس - حفظه الله - رقم ٣٣/ ٢/ ٦، وتاريخ ٨/ ٩/ ١٤١٦ هـ الَّذي رغب فيه أنْ أكتب تاريخًا عن التَّعليم بمنطقة جازان خلال الحِقبة التَّاريخيَّة الَّتي بدأتْ بدُخولِ الملِك عبد العزيز بن عبد الرَّحمن آل سعود - طيَّب اللهُ ثراه - إلىٰ مدينة الرِّياض إلىٰ عهدنا الحاضر (عهد الملِك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله -).

وحيث إنَّ الإنسانَ عُرضةٌ للنِّسيان، لاسيَّما مع طُول المدَّة، وتقادم الزَّمن، وهذه الحقبة منها ما سبق حياتي، ومنها ما مضىٰ وأنا طفلٌ لا أعقل إلَّا بعض الأمور، ولم يكن هناك تأريخٌ مُدوَّنٌ يُستفاد منه، لذا فإنِّي أستميحكُم عُذرًا فيما قصر فهمي عنه، وسأكتب ما بلغه علمي واحتفظَتْ به ذاكرتي، وإنْ كان قليلًا، ونسألُ اللهَ أنْ يجعل عمل الجميع خالصًا لوجهه، مَرْضيًّا لديه، وما توفيقُنا إلَّا بالله، والسَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

أحمد بن يحيى النجمي

٢٠/١٠/١٤١٦ هـ

س: كيف كان يتمُّ التَّعليم؟

ج: كان أهل كلِّ قريةٍ يبحثون عن رجلٍ يرون أنَّه أحسنهم قراءةً، وكتابةً، سواء كان من قريتهم أو كان مِن غير قريتهم، فإذا كان من غير قريتهم يبحثون له بيتًا، أو يُبنَىٰ له بيتٌ من قشٍّ، وينتقلُ إليهم، ثُمَّ يتَّفقون معه علىٰ تعليم أولادهم بالأُجرة، وكان الأجر المعروف في ذلك الزَّمن علىٰ تعليم القُرآن كاملًا خمسة ريالات فرانسة، منها ريالٌ عند البدء، والباقي يُحدِّد الفقيه متىٰ يُدفَع، ثُمَّ يبدأ بعد أنْ يجمع له الطَّلبة، وغالبًا يكونون عشرين فما فوق، وكلّ واحد مِن الطَّلبة يبحث له عن لوحٍ، وهو عبارةٌ عن قطعةٍ من الخشب تسوَّىٰ من النَّجار، بحيث يكون أملس، ويطليه الطَّالب بالنَّورة، ثُمَّ يتركُه حتَّىٰ يجفَّ، ثمَّ يخضره بأوراق الرين أو العبِ أو العِشْرِقِ عند العدم، وأوّل ما يكتب له الفقيه: أ ب ت ث ج ح خ... إلخ، فإذا بدأ يكتب اشتغل بإعداد الدّواة، والقلم، وذلك يحتاج إلىٰ أمورٍ:

أوَّلها: أنْ يبحث عن شيءٍ من صمغ الشَّجر، وأحسنه صمغ السَّلَم، فإمَّا أن يذهب إلىٰ الشَّجر إن كان حوله شجر، وإن لم يكن حوله شجر يشتري له من السُّوق، ثَّم يضع قطعةً منه في قليلٍ من الماءِ، وينقعُه، ويبحثُ أيضًا عمَّا يسمَّىٰ بالدّمج، وهو شيءٌ أسودُ يعلق بالإناء الَّذي يُوضع فيه السِّراج القديم، فيؤخذُ شيءٌ منه، ويُوضَع مع ماء الصّمغ بِنِسَبٍ يعرفونها، ثَّم يضعون فيها خرقةً، وهذه هي الدَّواة.

أمَّا القلمُ فهم يَبْرونَه من قصب الذُّرة أو القُصيِّب، ويشقّون رأسه كي ينفد فيه المِداد، وهذه هي الطَّريقة في إعداد الأدوات الَّتي تكون وسيلةً للتَّعليم.

أمَّا التَّعليمُ نفسُه فما كنَّا نتعلَّم إلاَّ القُرآن فقط، وبدون تجويدٍ، والتَّركيز علىٰ حفظِ القُرآن نظرًا، فلم يكن هناك موادّ أخرىٰ تدرس حتَّىٰ جاء الله بالشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعرفنا التَّجويد، والتَّوحيد، والحديث،

والحساب، والفقه، والسِّيرة، والقواعد، وغير ذلك، وكان الطَّلبة في يوم الخميس يعطون المدرس خميسية، وهو أن يأتي كلٌّ واحدٍ منهم بقرشين، أو أربعة، أو قليل من الحبِّ يكفي عن ذلك.

***

س: على ماذا كان يتمّ التَّركيز في التَّعليم؟

ج: كان يتمُّ التَّركيزُ علىٰ حفْظِ القُرآن نظرًا فقطْ.

***

س: مَنْ هُم العُلماء الَّذين كان يَتعلَّم التَّلاميذُ عندهم، والَّذين كان لهم الأثر الفعَّال في نشر التَّعليم في المنطقة؟

ج: قبل مجيء الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام ألف وثلاث مئة وثمانية وخمسين (١٣٥٨هـ) ما كان عندنا في منطقتنا علماء يتعلَّم منهم الطُّلَّاب، وأقصد بذلك منطقة جازان، وإن كان فيه علماء في مدينة ضمد أو غيرها من المدن، فهم قليلون جدًّا. وكان من يريد أن يتعلَّم الفقه يذهب إلىٰ اليمن. أمَّا في هذه المنطقة فكان في كلِّ قريةٍ مَنْ يُسمَّىٰ بالفقيه، وهو لا يعرف من الفقه شيئًا غالبًا، إلَّا أنَّه يقرأ القُرآن لفظًا، ويقرأ لهم الخطبة المُدوَّنة يوم الجمعة، ويصلِّي بهم، ويكتب لهم البيوعات، والأسانيد، وغيرها، ويعطونه في مقابل هذه الخدمة شيئًا من الطَّعام - يعني حَبَّ الذّرة أو الدّخن - أو شيئًا من النُّقود أو ما أشبه ذلك.

فلمَّا جاء اللهُ بشيخنا عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتح أوَّل مدرسةٍ سلفيَّة في صامطة عام ألف وثلاث مئة وتسعة وخمسين «١٣٥٩ هـ»، ولكنَّها لم تشتهر إلَّا في عام ألف وثلاث مئة وستِّين «١٣٦٠ هـ»، فعند ذلك أمَّها طلَّاب العلم مِن القُرىٰ المُجاورة.

وقد جعَل الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُدرِّسين مِن طلبتِه الأوائل للحلقات الصُّغرىٰ، وكان يتولَّىٰ هو بنفسه تدريس الحلقة الكُبرىٰ، وكان الصِّغار يبقون إلىٰ صلاة الظُّهر، ثُمَّ ينصرفون، أمَّا الكبار فهم يبقون إلىٰ صلاة العشاء، وقد فُتِحَتْ للطَّلبة آفاقٌ جديدةٌ ما كانوا يعرفونها، فأوَّل ما يبدأ به الطَّالب شروط الصَّلاة، ومبطلاتها، ومبطلات الوضوء أي: نواقضه، وسُنن الأفعال، والأقوال في الصَّلاة، والقواعد الأربع، وغير ذلك كالأربعين النَّوويَّة، والثَّلاثة الأصول، والنَّحو المدرسي للمبتدئين قبل الآجروميَّة، ومختصرات في السِّيرة، وغير ذلك ممَّا لا أستحضره الآن؛ أمَّا درس الخطِّ والإملاء والحساب فهي موادٌّ لها عناية عند الشَّيخ بحيثُ إنَّ الطَّالبَ لا يستطيعُ أنْ يطلُب العلم إلَّا بالخطِّ والإملاء، وكانت طريقة الشَّيخ في الخطِّ هي طريقة النَّسخ.

والمهمُّ أنَّ طلَّابَ العلم وَجَدوا بغيتهم، وبذلوا جهدًا ليس باليسير، وكان الواحد يرجع إلىٰ بيته بعد العشاء، وفي الصَّباح يفطر، ثمَّ يأخذ له قرصًا في كيسٍ، ويجعل فيه دروسه، فإذا صلَّينا الظُّهر أخذنا خَصَفَةً، وفرشناها، ووضعنا الطعام عليها، وأكلنا نحنُ وشيخُنا.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أخصبتْ بقعةٌ نقل المدرسة إليها، ووزَّع الطُّلَّاب علىٰ أهل القرية بعد استئذانهم، فنفع الله بهذه المدرسة.

وفتح الشَّيخُ بعد ذلك مدارس، وكان يشتري كميَّةً من الحَبِّ، ويؤجر عليه طَحانَات، وأهله يخبزون، ويصلحون الإدام حيث كان يشتري القوطة والبامية بكمياتٍ كبيرةٍ، وبعد أن يُؤتىٰ بالطَّعام يأمر أحد طلبته الكِبار، ويوزِّع علىٰ الطُّلَّاب المغتربين، لكلِّ واحدٍ نصف قرصٍ وشيءٌ من الإدام إن أمكن.

وقد حصلتْ حصيلة كبيرة لطلَّاب العلم، واستفادوا فائدةً عظيمةً، وكان لهم

الأثر الفعَّال في المجتمع الَّذي كانت تخيِّم عليه الشركيَّات والبدع، وأعراف تنطوي علىٰ الفسق والمعاصي، فاستنار أهل المنطقة بنور العلم، وانتشر التَّوحيد بدل الشِّرك، والسُّنَّة بدل البدعة، والطَّاعة بدل المعصية، فما كان الواحد يمرُّ ببيتٍ إلَّا ويسمع هينمة القراءة[1]، وأصوات القارئين، فكانت نقلة عظيمة استنار بها المجتمع بنور الإيمان، واستضاؤوا بنور العلم، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

ولمَّا بزغ أحد تلاميذ الشيخ، وهو تلميذُه حافظُ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الَّذي ألَّف المؤلَّفات، ونَظَم المنظومات، فكانت له مؤلَّفات في جميع الموادِّ نظمًا ونثرًا، فلم يبقَ فنٌّ مِن الفُنون إلَّا وألَّف فيه؛ إمَّا نظمًا، وإمَّا نثرًا علىٰ طريقة السُّؤال والجواب، فكثر العلم وذهب الجهل، واستضاء النَّاس بنور الله حتَّىٰ أصبحتْ كثير مِن المجتمعات عندنا مجتمعات تُذَكِّر بعصور الخُلفاء بما فيها من العقيدة الصَّحيحة، والمنهج الحقِّ المأخوذ مِن كتاب الله، ومِن سُنَّة الرَّسولِ ﷺ وسِيرته وسِيرة أصحابه - رضوان الله عليهم -، والتَّابعين لهم بإحسانٍ، ولقد تمَّ ذلك بفضل الله، ثُمَّ بفضل دولتِنا الرَّشيدة الَّتي كانت تُعِينُ علىٰ الحقِّ، وتدحضُ الباطل، فإذا عارض مجتمع من المنافقين وأصحاب أغراض يبغون لأهل الحق الغوائل، وينصبون لهم الحبائل، وينسبون إليهم ما ليس فيهم، فإذا حصل شيءٌ من ذلك أرسلت الدَّولة المحقِّقين من العلماء حتَّىٰ يتبينوا الحقيقة، ومَنْ هم الأولىٰ بالصِّدق، والأقوم طريقةً، فيصبح الشَّيخ وتلاميذه هم الأعْلون بالصِّدق.

هذا بالإضافة إلىٰ أنَّ الدَّولة بذلتْ المالَ، وأرسلتْ المُساعدات، وأعانت علىٰ نشر ذلك النُّور، فانتشرتْ حتَّىٰ عمَّت مدارس الشَّيخ في منطقة جازان،

---

(١) القراءة بصوت خافت.

وتجاوزتها إلىٰ ما وراءها، ثُمَّ بعد ذلك طلَب الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأسيس المعهد العلمي بصامطة، فكان هو رابع المعاهد في المملكة، وحقَّق اللهُ به خيرًا كثيرًا، ثمَّ جاءتْ المدارس (مدارس المعارف)، فعمَّت السُّهول، والجبال، والقُرىٰ، والمدن، والأرياف، وكان لها الأثر العظيم في تثقيف النَّاشئة، فبدل ما كانتْ مدارس المعارف محصورةً في عددٍ قليلٍ لا يتجاوز المدن بعد ذلك انتشرت إلىٰ القُرىٰ، ثمَّ إلىٰ الأرياف، ثمَّ إلىٰ سفوحِ الجبال، ثمَّ إلىٰ قممها، ولم تبقَ قريةٌ إلَّا وبها مدرسةٌ أو قريبًا منها مدرسة يُعلِّم النَّاس فيها أولادهم.

وإن كان قد تولَّىٰ التَّدريس في بعض المناطق أناسٌ من الأساتذة المستقدمين عندهم شيءٌ من السِّلبيَّات الَّتي انتقلتْ بحكم التَّقليد إلىٰ طُلَّابهم غير أنَّ المنهج جيد - والحمد لله -، والتَّوحيد مدروسٌ من أوَّل فصلٍ في الابتدائي إلىٰ آخر فصلٍ في الجامعات، وهذا أمرٌ تختصُّ به الدَّولة السعوديَّة من غير الدُّوَل، ولها فيه مرتبة الشَّرف، فجزاها الله خيرًا، وبارك فيها وفي القائمين عليها، إلَّا أنَّنا نُريدُ مِن الوزارة - أي: وزارة المعارف - أن تكون العناية بالمواد الدِّينيَّة أكثر، والحثّ عليها أعظم، ونسألُ الله أنْ يهبَ للقائمين عليها عونًا، وأن يَزِيدهم توفيقًا وسدادًا، فلقد تطوَّر التَّعليم، وشمل أمورَ الدُّنيا والدِّين، وكلّ ما يتوقع من ورائه النَّفع إلَّا أنَّنا نريدُ مِن وزارة المعارف المُوقَّرة أن تكون المواد الدِّينيَّة لها نصيبٌ وافرٌ من الحصص والعناية؛ فبدَل ما يكون كتاب الحساب أو الجغرافيا أو العلوم أو الهندسة يزيد عن كتُب الدِّين ضِعْفًا أو ضعفين، نريد أن تكون المواد الدِّينيَّة لها نصيبٌ أكثر من الَّذي قبل؛ لأنّه بلغني أنَّ في بعض السَّنوات كان مقرَّر الحديث ثلاثة أحاديث، فنريد من دولتنا، ووزارة معارفنا - وفَّقها الله - أن تنظر في هذا الأمر؛ لأنَّ الدِّين هو الأساس، وأن تجعل التَّركيز

علىٰ الدِّين في الابتدائي، والمتوسط، والثانوي أكثر، وإذا تجاوز الثَّانوي الطالب فإنه لا مانع أن يختار ما يشاء بعد أن يأخذ حصيلةً من الدِّين ليست بالسُّهولة.

قلتُ: هذه نصيحةٌ لإخواني القائمين علىٰ هذا المرفق العظيم، وأرجو أن تتَّسع صدورهم لما وَجَّهته إليهم، ويأخذوه علىٰ أنَّه نصيحةٌ من أخٍ يُريد الخير لدينه وأمَّته، ووزارة التَّعليم والدَّولة علىٰ العموم، والله وراء القصد.

***

س: أين كان يتمُّ التعليم؟

ج: كان أَوَّلًا يتمُّ التَّعليم في المسجد أو بنايةٍ من القش تُجْعَل مدرسةً، وغالبًا أنَّها تكون إلىٰ جانب المسجد، ويكون بناؤها من أهل الخير في القرية علىٰ طريقة تعاون فيما بينهم، أمَّا بعد مجيء الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان إذا أراد مدرسةً أو مسجدًا في قرية، فإنه يجمع النَّاس، ويوزِّعهم إلىٰ أقسام: قسم يحفرون، وقسم يجمعون الخشب، وقسم يفتلون الحبال، وإذا وجد مع أحد خشبًا رغبةً في المشاركة، فإن أبىٰ اشتراه منه، ويدفع للبنَّاء أجرةً أو للبنَّائين، وغالبًا أن البِناءَ يتمُّ في وقتٍ خياليٍّ، ويُجْعل هذا العريش مدرسةً، وغالب المدارس في عهد الشَّيخ تتمّ بهذه الطَّريقة، أو هو الَّذي يُموِّلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أمَّا بعد ما جاءتْ مدارسُ المعارف، فسبيلها معروفٌ.

***

س: هل كان التَّعليمُ لسنٍّ محدَّدةٍ؟

ج: التَّعليم - غالبًا - قبل سنِّ البلوغ، وقد يكون خلاف ذلك، والحقيقة أنَّ تعليم أمور الدِّين لا ينبغي أن تكون له سنٌّ محدَّدةٌ، فالصَّحابة - عليهم رضوان الله - كثيرٌ منهم ما تعلَّموا إلَّا في الكبر، ومُستقبلُ العبدِ في دنياه وآخرته

كلّها مبنيٌّ علىٰ تعليم الدِّين والعمل به، وبالله التَّوفيقُ.

***

س: ما هي المتاعبُ الَّتي يَتحمَّلُها المُتعلِّم في سبيل تَعلُّمِه؟

ج: المتاعب الَّتي يتحمَّلها المُتعلِّمُ في سبيل تعلُّمه كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ، فالفُقراءُ أشدُّ النَّاس في ذلك؛ لأنَّهم يفقدون لُقمةَ العيش حتَّىٰ ولو كانتْ جافَّةً، ويفقدون المأوىٰ، ويفقدون الرَّاحة؛ لذلك فهم أشدُّ النَّاس مُعاناةً وصبرًا، وقد سبَق أن نوَّهتُ عمَّا كان يصنعه الشَّيخُ ليضمن لطُلَّاب العلم لُقمةَ العيش الَّتي يعيشون عليها، حتَّىٰ يُمكِّنهم أن يحصلُوا علىٰ شيءٍ من علْم العقيدة الَّتي بها يعرفون ربَّهم، وأهل الوطن أيضًا يتعبون بالذَّهاب والمجيء، وتركهم أشغال الدُّنيا وأمورها، والجميع يتعبون في تحصيل العلم، والصَّبر عليه، وتكرار المسائل حتَّىٰ ترسخ في أذهانهم.

المُهمُّ أنَّ طلَب العلم يحتاج إلىٰ صبرٍ كثيرٍ، ولهذا قيل في المثل: «ذبح العلم علىٰ أفخاذ النِّساء»، فالصبر في طلب العلم يحتاج إليه في السَّرَّاء والضَّرَّاء، فالفقير يحتاج أن يصبر علىٰ الفقر والحاجة لكي يُحصِّل العلم، والغنيُّ يحتاج أنْ يصبر علىٰ اللَّذَّة، والتَّمتُّع الَّذي كثيرًا ما يقطع طالب العلم عن الطَّلب، ومع ذلك يحتاج إلىٰ التَّعب والسَّهر، وكذا الذِّهن في معرفة المسائل المُستعصية.

***

س: مَن هم الرِّجال الذين تَخرَّجوا في تلك الحِقبة، واحتلُّوا مواقع وظيفيَّة معيَّنة؟

ج: أمَّا قبل مجيء الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ منطقتنا فلا أعرف أحدًا احتلَّ منصبًا، أو أعطيتْ له شهادة، وكانت الطَّريقة التَّقليديَّة في ذلك الزَّمن أنَّ مَنْ ختَم القُرآن يكتب له مُدرِّسه ما يُسمَّىٰ بالبشارة، وهي

مجموعة من الأهازيج تبدأ بالثَّناء علىٰ الله، والحمد لله الَّذي يحمد حمدًا كثيرًا ليس يحصىٰ له عددٌ، ثمَّ الصَّلاة علىٰ نبيِّه، ثُمَّ الشّكر لوالديه اللَّذين علَّماه، ثُمَّ لمُدرِّسه، وفيها وصايا وآداب، وأنا كاتب هذه الأسطر لما ختمتُ القُرآنَ كتَبَ لي المُعلِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه البشارة، وذلك في عام (١٣٥٥هـ)، وكانتْ العادة أن يذهب الطَّالب بهذه البشارة إلىٰ أقربائه، فيقرأها عليهم ليَستبشرُوا، ويقدِّموا للطَّالب شيئًا، ويكون هذا الشَّيء كلّه للمُدرّس، هذه هي التَّقاليد القديمة.

أمَّا بالنِّسبة لما بعد مجيء الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان غرضه نشر التَّوحيد والسُّنَّة، والقضاء علىٰ الشِّركيَّات والبدع، وقد سعىٰ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعيين بعض طلَّابه قضاةً، وبعضهم مدرِّسين، وبعضهم أعضاء هيئةٍ، وبعضهم أئمَّةً، واحتلُّوا مناصبَهم، وعملوا فيها خيرَ عملٍ، وقامُوا بوظائفهم خير قيامٍ.

وكان شيخُنا عنده إجازة في علم الحديث خصَّ بها بعض طلَّابه الَّذين رأىٰ أنَّهم يستحقُّونها في ذلك التَّأريخ، وهو عام (١٣٦٤هـ)، وهذا قبل أن نعرف الشَّهادات المعمول بها الآن.

وهذا ما يَسَّره الله تعالىٰ، ربَّنا لا تؤاخذنا إنْ نسِينا أو أخطأنا، وتُبْ علينا، إنَّك أنتَ التَّوَّاب الرَّحيم، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتب هذا

أحمد بن يحيى النَّجمي

٢٠/١٠/١٤١٦هـ



حادثةُ امتهان الدَّانمارك لصورةِ الرَّسول ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول السَّائلُ: الإخوة في الدَّانمارك يَطلبُون نصيحةً للمُسلمين المُقيمين في الدَّانمارك خاصَّةً، وفي الدُّوَل الإسكندنافيَّة، وفي أوروبا عامَّة؛ حول التَّعامل مع مَن قامُوا بتشويه صُورةِ الرَّسول الكريم ﷺ، واتَّهموه بأنَّه مصدرُ الإرهاب - عليهم من الله ما يستحقُّون مِن المَقت والغَضب؟

الجواب: الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وبعدُ:

فإنَّه لا يخفىٰ علىٰ كلِّ مَنْ له إلمامٌ بالشَّرع المُحمديِّ مِن المسلمين عُلوُّ مقام النَّبيّ محمَّدٍ ﷺ ورفعةُ مكانته؛ فهو الَّذي أنزلَ اللهُ عليه القُرآن، وجعلَه مُهيمنًا علىٰ جميع الكتب قبلَه، وختَم برسالته جميع الرِّسالات، وأعطاه ما لم يُعطِ أحدًا قبله مِن الأنبياء.

فهو صاحبُ المَقام المحمود؛ وهي الشَّفاعةُ العُظمىٰ في فَصل القضاء؛ وهي الَّتي يعتذر عنها جميعُ أولي العَزم من الرُّسل، ويقوم بها - صلوات ربِّي وسلامُه عليه.

وهو صاحب الحَوض المورود الذي تَرِدُه أُمَّتُه.

وهو صاحبُ اللِّواء المعقود الَّذي تُحشر تحته جميعُ الرُّسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهو الَّذي يَستفتحُ بابَ الجنَّة.

وله خصائصُ لا نُطيل بذكرها:

فقد نهىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عبادَه أن يُقدِّموا أحدًا عليه، أو يَتقدَّموا بين يديه.

ونهاهم أن يرفعُوا أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعضٍ، وأخبر أنَّ ذلك موجبٌ لإحباط أعمالهم، فقال جلَّ مِن قائل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ١، ٢].

وإنَّ الواجبَ علىٰ كلِّ مسلم أن يُعظِّمَ الرَّسول حقَّ التَّعظيم، ويُجلَّه حقَّ الإجلال، ويُوقِّره حقَّ التَّوقير؛ إذ إنَّه لا يدخل الجنةَ أحدٌ إلَّا مِن طريقِه، ولا يُقبلُ مِن أحدٍ عملٌ إلَّا بعدَ الإيمان به؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٨].

وثمن الجنَّة: طاعته واتِّباعه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النِّساء: ٦٩، ٧٠].

أمَّا نصيحةُ المُسلمين الَّذين يكونون في بلاد الكفَّار؛ فإنَّ الواجبَ عليهم أن

يُنكروا عمَل هؤلاء الكفَّار المُعتدين الظَّالمين بالطُّرُق الشَّرعيَّة، ويكتبوا احتجاجًا علىٰ هذه الدَّولة، وعلىٰ الشركة التي نَشرت (الكاريكتير)، ويُكثروا من إرسال الاحتجاجات؛ فكلُّ جماعة يكتبون احتجاجًا، ويُبرقون برقيةَ استنكارٍ لرئيس الدَّولة الَّتي وقع فيها هذا المنكر، ويرسلون صورةً من الاحتجاج، وصورةً من برقية الاستنكار؛ سواءٌ كان ذلك في نفس الدَّولة، أو في دول غيرها من دول الكفر.

كما أنَّ الواجب علىٰ الدُّول الإسلاميَّة أن تُرسل كلُّ دولةٍ احتجاجًا مفصَّلًا تُبيِّنُ فيه براءة الإسلام من هذا الفكر الغالي، ومعه برقية استنكار، وتَسحب سفيرها في تلك الدَّولة الَّتي تبنَّت هذا العمل، وتَطرد سفيرَ تلك البلد من دولتها.

أمَّا الأقلِّيَّات المسلمة الَّذين يَسكنون في الدُّول الإسكندنافيَّة أو في دولِ أوروبا؛ فهم يكتفون بالاحتجاج وبرقية الاستنكار، ويَلزمون الهدوء، ويلتزمون الصَّبر مع ما يُظهرون مِن الغضَب علىٰ ذلك حتَّىٰ لا يكون في ذلك للسُّفهاء في تلك الدول علىٰ المسلمين مدخلٌ يؤذونهم به، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قال لرسوله ﷺ مُعلِّمًا له ولأمَّته في سورة (الأنعام): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٨، ٦٩].

[وقال أيضًا في سورة (النِّساء): ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: ١٤٠]].

قال الشَّيخ عبدُ الرَّحمن بن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» لهذه الآية**: «أي: وقد بيَّن الله لكم فيما أُنزل عليكم حكمه الشَّرعيَّ عند حضور مجالس الكفر والمعاصي: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا

﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يستهان بها. وذلك أنَّ الواجب علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها؛ وهو الَّذي خَلق اللهُ الخلقَ لأجله، فضدُّ الإيمان: الكفرُ بها، وضدّ تعظيمِها: الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفَّار والمنافقين لإبطال آيات الله ونَصر كُفرهم.

وكذلك المبتدعون علىٰ اختلاف أنواعهم؛ فإنَّ احتجاجهم علىٰ باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله؛ لأنَّها لا تدلُّ إلَّا علىٰ حقّ، ولا تستلزم إلَّا صدقًا؛ بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفُسوق الَّتي يُستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتُقتحم حدودُه الَّتي حدَّها لعباده، ومنتهىٰ هذا النَّهي عن القعود معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إن قَعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مِّثْلُهُمْ﴾؛ لأنَّكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والرَّاضي بالمعصية كالفاعل لها.

والحاصل: أنَّ مَن حضَر مجلسًا يُعصىٰ اللهُ به؛ فإنَّه يتعيَّن عليه الإنكار عليهم مع القُدرة، أو القيام مع عدمها». اهـ[١].

وأقولُ: يتَّضح مِن هذه الآيات أنَّ الواجب أن يُنكروا الاستهزاء بالنَّبيِّ الكريم بالطَّريقة الَّتي ذكرتُها، ويكفي ذلك في إظهار غضبهم من هذا العمل المشؤوم.

مع العلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أخبر أنَّه: «**سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَام، يَقُولُونَ مِنْ خَيْر قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢]، وفي رواية:

(١) «تفسير السّعدي» (ص ٢١٠).

(٢) أخرجه البخاريّ (٣٦١١)، ومسلم - واللَّفظ له - (١٠٦٦)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

«لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١). وفي رواية: «قَتْلَ ثَمُود»(٢). وفي رواية: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»(٣)، وقال عنهم: «كِلَابُ النَّارِ»(٤).

فهذه أقوالُه في الإرهابيِّين؛ حذَّر منهم أشدَّ التَّحذير، ونفَّر منهم أشدَّ التَّنفير؛ فكيف يقالُ: إنَّه إرهابيٌّ؟!

إنَّ رسولَ الله ﷺ جاء بالرِّسالة الحقَّة؛ الَّتي تحملُ في طيَّاتها الحقَّ والعدْلَ، والأمن والإيمان، والرَّاحة والطّمأنينة؛ ليعبد العبادُ فيها ربَّهم بغير مُنَغِّصٍ، ولا مُكدِّرٍ، فمَن زعَم أنَّ الإرهاب مصدرُه من الرِّسالة المُحمديَّة، فهو ظالمٌ مُعتدٍ، وجاهلٌ غاية الجهل.

فعلىٰ المُسلمين أن يتَّقوا اللهَ، وأنْ يعملُوا بما يُحسِّنُ السُّمعة الإسلاميَّة؛ وهو الَّذي أمَر اللهُ به رسولَه، ومَن فعَل خلافَ ذلك فإنَّه قد أساء إلىٰ الإسلام، وتَسبَّب في إساءةِ أعدائه إليه، وما ذاك إلَّا نتيجة الجهل بشريعتِه.

فصلوات الله وسلامُه علىٰ نبيِّ الهُدىٰ؛ الرَّحمة المهداة، والنِّعمة المُسداة، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتبها

أحمد بن يحيى النَّجمي

١٢/ ١/ ١٤٢٧هـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٧٣) عن ابن أبي أوفى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (١٤٣).

بيانُ مُخالفاتِ الإخوانِ وولائدِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيانُ مُخالفات حزب الإخوان، وولائده السُّروريَّة والقُطبيَّة:

١- وقوع المؤسِّس البنَّا في الشِّرك الأكبر حين قال:

هذَا الحَبيبُ معَ الأَحبابِ قدْ حضَرَا ... وَسَامَحَ الكلَّ فيمَا قدْ مضَىٰ وجرَىٰ

٢- وُقوعه في وحدة الوُجودِ بقولِه:

اللهَ قُلْ وذَرِ الوُجودَ ومَا حوَىٰ ... إنْ كُنتَ مُرْتادًا بلُوغَ كمَالِ

فجَميعُ مَا في الكَونِ إنْ حقَّقْتَهُ ... عدَمٌ علىٰ التَّفصِيلِ والإجمَالِ

٣- إقرارُ النَّاس علىٰ الشِّرك الأكبر، وعدم إنكاره علىٰ مَن يتطوَّفون بالقُبور، وينذرون لها.

٤- عدم الدَّعوة إلىٰ التَّوحيدِ؛ توحيدِ الألوهيَّة الَّذي قامتْ فيه الخصومة بين الرُّسل - صلوات الله وسلامُه عليهم - وبين أُممِهم، كما هو بيِّنٌ في الآيات القُرآنيَّة.

٥- تركهم للبدْءِ بالتَّوحيدِ الَّذي بدأَتْ به الرُّسُل، ودعوتهم إلىٰ خِلافهِ.

٦- اللهُ جَلَّ وَعَلَا أمر بأنْ يبدأ الداعي إليه بالتَّوحيد، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وحسنُ البنا أمَر أنْ يبدأَ الدَّاعيةُ بالدَّعوةِ إلىٰ خلافةٍ، فقدَّموا أمْرَ حسن البنَّا، وأخَّروا أمْرَ اللهِ، وعادَوا مَنْ أنكرَ عليهم ذلك.

٧- أنَّ الإخوان يستعملون السِّريَّة والتَّكتُّم في تربيتهم للشَّباب، وهذا فيه ما فيه، وقد قال بعضُ السَّلفِ: «إِذَا رأَيتَ القَومَ يَتناجَونَ في أَمْرِ دينِهم فاعْلَمْ أَنَّهم علَىٰ تأسِيس ضَلالةٍ»[1].

٨- وهم ما استعملُوا السِّريَّة إلَّا ليُخفوا بعض أمرهم علىٰ النَّاس، ومِن ذلك كلامهم في الولاة والعلماء، وقدحهم فيهم سرًّا.

٩- استعمالهم للتَّقيَّة؛ وهي النِّفاق، فيتظاهرون بالخير والعبادة، وهم إنَّما يريدون السُّلطة، ويقولون في السِّرِّ شيئًا، وإذا لقوا الولاة تملَّقوا ومدحوا وأثنَوا، أمَّا العُلماء؛ فمَن بيَّن ما عندهم من أخطاءٍ فيا ويله من ألسنتهم! وبالأخصِّ إذا لم يكن له مَن يحميه.

١٠- يُلاحظ عليهم، اتّخاذُهم المُبتدعين أئمةً، وتقليدُهم في البدَع الَّتي شرعوها لهم.

١٢- منها الأناشيدُ والتَّمثيلياتُ والإضراباتُ والتَّظاهرات، ومنها الاغتيالاتُ والمسيرات إلىٰ غير ذلك.

١٣- وبهذا يتبيَّن أنَّ منهجَ الإخوان منهج ضلالٍ وانحرافٍ، تجب البراءة منه ومِن أهلِه.

١٤- إذا كان الإخوانيُّ يريدُ المُصالحة صادقًا، فليكتب ما يلي: أعترف بأنَّ المنهج الإخوانيَّ وولائده من سروريَّة وقطبيَّة أنَّها مناهج ضلالٍ وغوايةٍ، وأنَّها تربِّي النَّاشئة علىٰ الإرهاب الحسِّيِّ وهو مُنازعة ذوي السُّلطان سلطانَهم،

(١) أخرجه اللَّالكائيُّ في «شرح أُصول اعتقادِ أهل السُّنَّة والجماعة» (١/ ٢٤٤) (٢١٩) عن عمر بن عبد العزيز.

والعمل علىٰ الإطاحة بهم، والتَّوصل إلىٰ ذلك بالاغتيالات والتَّفجيرات الَّتي تحتوي علىٰ إزهاق الأرواح البريئة و إتلاف الأموال المحرَّمة كما رأينا مِن أعمالِهم.

لذلك فإنِّي أبرَأ إلىٰ الله من هذا الفِكر، وقد كنتُ أجالس أصحاب الحزبيَّات فلمَّا تبيَّن لي ما عندهم من الخطإ عزمت علىٰ مُصارمتهم وتركهم والتبرُّؤ منهم، والآن أُعلنُها صريحةً أنَّ المنهج الإخوانيَّ منهجُ ضلالٍ وغوايةٍ.

وبالله التَّوفيق، وإليه المرجعُ والمآبُ.



بيعة النساء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيُّها المُسلمون والمُسلمات!

اتَّقوا الله، واعلموا أنَّ الله تعالىٰ قد أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وقد وردت في القرآن بيعة النساء في آخر سورة (الممتحنة)، حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الممتحنة: ١٢].

روىٰ مالك في «الموطَّإ» عَنْ محمَّد بن المُنكدر، عن أُميمةَ بِنتِ رقيقةَ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ بَايَعْنَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ، وَأَطَقْتُنَّ»**. قَالَتْ: فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، هَلُمَّ نُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ. إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ. أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»**[1]. وروي

---

(١) أخرجه مالكٌ في «المُوطَّإ» (٣٦٠٢) وغيره، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٥٢٩)، وفي =

بالعكس: «إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ»[١].



=

تعليقه على «المشكاة» (٤٠٤٨).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٠٥٤ و٢٧٠٥٥ قرطبة).

أحاديث في الخوارج

وردتْ الأحاديثُ الَّتي أَخبرَ النَّبيُّ ﷺ فيها عن الخوارجِ عن جماعةٍ مِن الصَّحابةِ؛ **أَوَّلُهم عليُّ بن أبي طالب**؛ وقد ورَدَ حديثُه مِن اثنَي عشرَ طَريقًا ذكرها ابنُ كثيرٍ، وقال: «ومثلُ هذا يبلغُ حدَّ التَّواترِ»[(١)]:

الطَّريق الأوَّل: عن زيدِ بنِ وهْبٍ الجهنيّ: «أنَّه كان في الجيش الَّذين كانُوا مع الَّذين سارُوا إلىٰ الخوارج، فقَالَ عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَىٰ صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَىٰ صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، «**وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَىٰ رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ**» فَتَذْهَبُونَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَىٰ اسْمِ اللهِ».

فذكر الحديث عن مسيرهم... إلىٰ أنْ قال: «وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٩٢ هجر).

قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ أَتَىٰ نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّىٰ اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ». هذا اللَّفظُ لمُسلم[1].

ومن طريق سُويد بن غفلة عند أحمد، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

الحديث الثَّاني: وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ، لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»[3].

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، وأحمد (١/ ١٣١) (١٠٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٤) (٣٨٣١)، والترمذي (٢١٨٨)، وابن ماجه (١٦٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٨).

الحديثُ الثَّالثُ: عن أنس عند الإمام أحمد في «مسنده» قال: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: - وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ -: «**إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّىٰ يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

الحديث الرَّابع: عن أنسٍ وأبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عند الإمام أحمد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ يَرْتَدَّ عَلَىٰ فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَىٰ بِاللهِ مِنْهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**التَّحْلِيقُ**»(٢).

الحديث الخامس: من حديث جابر بن عبد الله عندَ الإمامِ أحمدَ قال: "**كَانَ النَّبِيُّ** ﷺ **يَقْسِمُ فِضَّةً فِي ثَوْبِ بِلَالٍ لِلنَّاسِ**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «**مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٣).

الحديث السَّادس: حديث أبي سعيد؛ سعد بن مالك بن سنان، وله ثماني طرُق.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٩) (١٢٩٩٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٩٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) (١٣٣٦٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٦٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٥٣) (١٤٨٤٦).

الحديث السَّابع: عن سلمان الفارسي.

والثَّامن: عن سهل بن حنيف.

والتَّاسع: عن ابن عبَّاس.

والعاشر: عن ابن عمر.

والحادي عشر: عن عبد الله بن عمرو.

والثَّاني عشر: عن أبي ذرّ.

والثَّالث عشر: عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وعنهم أجمعين.

ويُستفادُ مِن هذه الأحاديثِ:

أوَّلًا: أَنَّ الخوارجَ أهلُ عبادةٍ ونسُكٍ، مَن رآهم حَسِبَهم أتقىٰ النَّاس، وهم أفجرُ النَّاس، وقد قال نبيُّ الهُدىٰ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

ثانيًا: يُؤخذُ منها (أي: مِن هذه الأحاديث) أنَّ النَّبيَّ ﷺ وصفَهم بأنَّهم شرُّ الخلْق والخليقةِ، والعياذُ بالله.

ثالثًا: وصفهم بأنَّ قتْلاهم في النَّار.

رابعًا: وصف مَن قاتلهم بأنَّه في الجنَّة.

خامسًا: هنَّأ مَن قتلهم أو قتلُوه، فقال: «**طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ**»(٢)، وطُوبىٰ شجرةٌ في الجنَّة.

سادسًا: وصفهم بأنَّهم يخرجون مِن الدِّين لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

سابعًا: جعَل لهم علامةً، وهو الرَّجل المثدَّن (يعني: الَّذي يده اليُمنىٰ كأنَّها

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

ثديُ امرأةٍ).

ثامنًا: أن عليّ بن أبي طالب سجَد لله شكرًا لمَّا وجده (أي: الرَّجل) بالوصف الَّذي وصفه به رسول الله ﷺ[1].

تاسعًا: وصفهم بأنَّهم يُحسنُون القَولَ، ويُسيئون العملَ.

عاشرًا: وصفهم بأنَّهم يقتلُون أهلَ الإيمان، ويتركون عبدةَ الأوثان، ووصفهم بأنَّهم كلاب النَّار.

وأخيرًا، ما هي عقيدتُهم الَّتي استحقُّوا بها هذه الأوصاف؟

إنَّ عقيدة الخوارج الَّتي استحقُّوا بها هذه الأوصاف تتلخَّص في أمرَين:

الأوَّل: يُكفِّرون المُسلمين جميعًا (حاكِمين ومحكومِين)، ويعتقدون أنَّهم مُخلَّدون في النَّار، ويَستحلُّون دماءهم وأموالهم.

ثانيًا: وبناءً علىٰ ذلك يَستحلُّون الخروجَ علىٰ الحُكَّام.



(١) أخرجه أحمدُ (٨٤٨ و١٢٥٤قرطبة)، وحسَّنه لطرقه الألبانيُّ في «الإرواء» (٤٧٦).

رسالةٌ في العلم وفضله
ووصايا نافعةٌ لطالبه

أمَّا بعدُ:

يقول الله: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال جل من قائل: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المُجادلة: ١١].

وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

في هذه الآيات نوَّه اللهُ بأهل العلم، فأخبر أنه يرفعهم درجات فوق سائر المؤمنين، وما ذلك إلَّا بأنهم يكونون دعاةً وأدلَّاء علىٰ الله، فينالون من نفعِهم للنَّاس ثوابًا، يرفعهم اللهُ به علىٰ سائر المؤمنين درجاتٍ، ولذا قرن اللهُ شهادتهم بشهادته جَلَّ وَعَلَا، وشهادة ملائكته وفي ذلك رفعة لِشأنهم.

عن أبي الدَّرداء قال: سمعتُ رسولَ الله يقولُ ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ**

الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، حديث أبي الدَّرداءِ صحيح بشواهده ومتابعاته[(١)].

للحديث فوائد منها:

١- بيان فضل العلماء، والحثُّ علىٰ طلب العلم.

٢- جعل العلماء ورثة الأنبياء؛ لأنهم فازوا بالحُسنيين (العلم والعمل)، وحازوا الفضيلتين (الكمال والتكميل)، وهذا طريق العارفين بالله، وسبيل السَّائرين إلىٰ الله.

٣- ومنها أنه لما كان العالم ساعيًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من الهلكات، وكان سعيُه مقصورًا علىٰ هذا، وكانت نجاة العباد علىٰ يديه؛ جوزيَ من جنس عملِه، وجعل من في السموات والأرض كلهم ساعيًا في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له.

٤- ومنها أنَّ في الحديث إيماءً إلىٰ أنَّ طرُق الجنَّة مَحصورةٌ في طرُق العِلْمِ الشَّرعيّ وتحصيلِه.

٥- ومنها تعظيمُ الملائكة لطالب العلم واحترامُهم له ببسط أجنحتهم له رضًا منهم بصنيعه.

٦- ومنها بيانُ فضلِ العالم علىٰ العابدِ؛ لأنَّ العلم فضلُه مُتعدٍّ إلىٰ غيره بالتَّعليم والفتوىٰ والدَّعوة، بخلاف العبادة فإنَّ فضلَها قاصرٌ علىٰ صاحبِها إذا كان علىٰ السُّنَّة.

عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن ابن ماجه» (١٨٢).

كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ»(١).

رواه ابن ماجه، وفي سنده كثير بن شنظير مُختلف فيه، والأكثر على توثيقه.

حديث أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه أحمد ومسلمٌ وأبو داود والتِّرمذيّ(٢).

عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(٣).

قلتُ: هذا في هذا الحديث، والمعروف: «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

وفي لفظٍ عند ابن ماجه في هذا الحديث: «**الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، وَمَنْ**

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سُنن ابن ماجه» (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٥٢) (٧٤٢١)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧١).

يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[(١)].

حديث: «**مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أو يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ**»، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم (٦١٥٨)، وعزاه إلىٰ تخريج «اقتضاء العلم العمل»، رقم (١٠٢) عن أبي هريرة[(٢)].

«**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٣٥) رقم (٦١٥٩)، وعزاه إلىٰ (حم، د، هـ، ك)[(٣)].

عن أبي هريرة حديث: «**مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ**»، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» برقم (٥٧٠٢) وعزاه إلىٰ أحمد وابن ماجه وابن حبان، والحاكم، عن صفوان بن عسَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)].

وصايا لطالب العلم:

أوَّلًا: أنَّه يجبُ فيه الإخلاص في طلبِه ونشرِه، فلا يقصدُ به عرضًا مِن أعراضِ الدُّنيا، فإنْ كان قصد التَّوصُّل إلىٰ الوظيفةِ تابعًا للمقصدِ الصَّحيح جازَ، والمقصدُ

(١) أخرجه ابنُ ماجه (٢٢١)، من حديث معاوية بن أبي سفيان، وصحَّحه الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦٥١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٣٨) (٨٤٣٨)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٨ و٢٨٩)، وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٢٢٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩) (١٨١١٨)، وابن ماجه (٢٢٦)، وابن حبَّان (٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠ و٣٤١و٣٤٢).

الصَّحيحُ أنَّك تطلبُ العلمَ لِتعرفَ الحقَّ فتعملَ به، وتعرِفَ الباطل فتجتنبه.

ثانيًا: يجبُ أنْ تعمل بالعلم الَّذي علِمته لِتنال بذلك رضَا اللهِ والجنَّة.

ثالثًا: يجبُ أنْ تدعوَ إلىٰ الله علىٰ ضَوءِ ما علمتَ.

رابعًا: يجبُ علىٰ طالب العلم الحذر ممَّا يُخالف العلم من الحزبيَّات الممزوجة بالبدَع أو بعض الشِّركيَّات.

خامسًا: يجبُ أنْ نُتابعَ المنهجَ السَّلفيَّ، ونتركَ ما عداه مِن المناهج المُخالفة للسُّنَّة؛ كالحزب الإخوانيِّ، والحزب السُّروريِّ، وسائر الأحزابِ، ونقصد اتِّباع كتاب الله، واتِّباع سنَّة رسول الله، وعلىٰ فهم السَّلف الصَّالحِ.



وجوب طاعة الرَّسول والحذَر من مُخالفته

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

وقال حاكيًا عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة (البقرة): ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٥].

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النُّور: ٦٣].

هذه الآيات وغيرُها تدعو إلىٰ طاعة النَّبيِّ الكريم، الَّذي بعثَه اللهُ رحمةً للعالمين، وحجَّةً علىٰ الخلْق أجمعين.

أمَّا الأحاديثُ؛ فمنها:

قول النَّبيِّ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ،

وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»[١].

وفي روايةٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ وَشَرَدَ عَلَىٰ اللهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ»[٢].

وعن العرباض بن سارية قال: "صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»"[٣].

وأورده البيهقيُّ بسنده إلىٰ أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ ثِنْتَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا أَبدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، وأخرجه الحاكم[٤].

وأورد (أي البيهقي) بسندِه، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ اللهِ خطَب النَّاسَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابنُ حبَّان (١/ ٥٣) (١٧ التَّعليقات الحسان)، والطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٨٠٨)، من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٠٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيُّ (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢). وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الإرواء» (٢٤٥٥)، وفي تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السُّنن» (١/ ٦٨) (١٤١ عوامة)، و«الكبرىٰ» (٢٠٣٣٧ الكتب العلمية)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٣٢٣٢).

في حجَّة الوداع، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا؛ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ**»[(١)].

وأورد بسنده أيضًا عن عُروة أنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَب في حجَّةِ الوداع فقال: «**إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا أَمْرَينِ اثْنَينِ: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ، تَعِيشُوا بِهِ**»[(٢)].

وأخرج بسنده عن ابن وهب، قال سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: "الْزَمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «**أَمْرَانِ تَرَكْتُهُمَا فِيكُمْ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ**»[(٣)].

قلتُ: وهذا يدلُّ علىٰ أمور:

أوَّلها: أنَّ كتابَ الله وسنَّةَ نبيِّه محفوظةٌ بحفظِه إلىٰ يوم القيامة، لا تصلُ إليهما أيدي التَّغيير.

وثانيهما: أن هذين المصدرين لا يزالان معتصمًا لمن أراد اللهُ له النجاة من أسباب العطب من الأفراد والجماعات، مَن أخذ بهما نجا، ومن تركهما وذهب يلتمس الهداية من غيرهما هلك مع الهالكين.

ثالثًا: يؤخذ من هذه الروايات إنْ صحَّتْ بهذا اللَّفظِ أنَّ ما جاء في الرِّواية الأُخرىٰ بلفظ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السُّنن» (١/ ٦٨ - ٦٩) (١٤٢)، وفي «السنن» (٢٠٣٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٨)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠).

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «المدخل إلىٰ السُّنن» (١/ ٦٩) (١٤٣).

(٣) أخرجه البيهقيُّ في «المدخل إلىٰ السُّنن» (١/ ٦٩) (١٤٤).

(٤) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٨٦) مِن حديث جابر، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصحيحة» (١٧٦١).

أي: أنَّ كلمة: «وَعتْرَتِي» أنَّها تصحيفٌ لكلمةِ: «وَسُنَّتِي»؛ إمَّا أنْ يكون ذلك مقصودًا مِن بعض المُبتدعة أو غيرَ مقصود.

رابعًا: وممَّا يُستدلُّ به لضعفِ هذه الرِّواية: أنَّ العترةَ - وهم الَّذين حرُمت عليهم الصَّدقةُ - حالُهم كحالِ غيرِهم؛ فيهم الصَّالح والطَّالح، فالصَّالح صلاحُه لنفسِه، وهو غيرُ معصومٍ مِن الخطإ، والطَّالحُ حالُه أبعدُ أن يكون قُدوةً لغيره.

خامسًا: إنَّ مساواة العترة للكتابِ الَّذي هو كلام اللهِ شيءٌ باطلٌ، ولكن السُّنَّة الَّتي هي المصدر الثَّاني للتَّشريع هي الَّتي تكون قرينةً للكتابِ، كما كانت قرينةً له في الكتاب، حيثُ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. فالكتاب هو القُرآن، والحكمةُ هي السُّنَّة كما نصَّ علىٰ ذلك أهلُ العلم.

سادسًا: وفي حال العترة أعظم شاهد علىٰ بطلان هذه الرواية الأعلىٰ: مذهبٌ يرىٰ عصمة أهل البيت من الشيعة (الإثني عشرية)، ومذهبهم باطل، لا يمتُّ إلىٰ الإسلام بصلةٍ.

سابعًا: يستحيلُ أنْ يحيلَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ مَن ليس بأهلٍ، أو يخبر عن شيءٍ فيتخلَّف خبرُه، وما ورد مِن جعْل العترة قرينةً للكتابِ، وأنَّ العترةَ محلُّ العصمة، وأنَّهم لن يتفرَّقا حتَّىٰ يَردَا عليه الحوض، هذا قولٌ غيرُ صحيح بالاستقراء، ولا يُمكنُ أنْ يقولَه النَّبيُّ ﷺ ويتخلَّف، فقولُه ﷺ لا يتخلَّف أبدًا.



أصول العقيدة الثابتة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- حاجةُ النَّاس إلىٰ علْم الشَّريعةِ أشدُّ مِن حاجتهم إلىٰ الطعام والشَّراب، وأشدُّ من حاجتهم إلىٰ طبِّ الأجسام.

٢- الشرائع كلُّها متَّفقة في أصولها.

٣- الأصول التي اتفقت عليها هي:

أ- توحيد الإله المتعبَّد له، وهو اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

ب- وحدة الجهة الَّتي تُتلقَّىٰ عنها العبادة، وهو الرَّسولُ ﷺ.

ج- الإيمان بأنَّ العقول عاجزةٌ عن إدراك ما يرضي اللهَ من العقائد والأعمال فتُتَّبع، وعن إدراك ما يُسخط اللهَ من العقائد والأعمال فتُجتنبَ.

د- الإيمان أنَّ اتِّباعَ الرَّسول ﷺ هو العصمة مِن الزَّلل والخطإِ الَّذي يقعُ فيه بنو آدم نتيجةً للجهْل أو الهوىٰ.

هـ- الأمَّة كلُّها مطالبة بوحدة الإله، ووحدة التلقّي، وتوحيد الكلمة علىٰ ذلك ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢].

٤- إذا علمْنا أنه لا نجاة لأحد إلَّا باتّباع الوحي الذي جاءت به الرسل، فعلينا أن نتعلَّم ذلك من طريق الكتاب والسُّنَّة.

٥- أنَّ معرفة الشَّريعة التي جاءت من عند الله، والتي أمَر الله باتّباعها بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨﴾ [الجاثية: ١٨]،

إنَّما تتمُّ بتعليم كتاب الله وسنَّة رسولِه ﷺ، ذلك لأنَّ السُّنَّة مُبيّنةٌ للقرآن وموضِّحةٌ له.

٦- إذا علِمنا هذا، فلنعلَمْ أنَّ تعلُّم كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ فرْضٌ على الكفاية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١).

وقال ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ»(٣).

وقال: «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٥٧ الرسالة)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٢٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩). من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

نعمةُ السَّيَّارات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آله وصَحبِه، وبَعدُ:

فإنَّ اللهَ - وله الحمدُ - أنعمَ علىٰ أهل هذا العصرِ بالسَّيَّاراتِ الَّتي سهَّلت علىٰ النَّاس السَّيرَ بسرعةٍ، قلَّ بها عناءُ السَّفرِ ومشقَّتُه، وتمَّ بها التَّواصُل، ونَقْلُ ما يحتاجُه النَّاسُ مِن بلدٍ إلىٰ آخرَ، وقد أشارَ القُرآنُ إلىٰ هذه المراكبِ إشارةً مُجملةً في موضعَينِ:

- أشار إلىٰ ذلك في سورة (النَّحل)، في الآية رقم (٨)، حينَ ذكَر اللهُ المركوباتِ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾؛ أي: مِن المراكِب السَّريعة.

- وقال سبحانه في سورة (غافر) في الآيات رقم (٧٩ - ٨١): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾؛ فقولُه تعالىٰ: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إشارةٌ إلىٰ هذه المركوباتِ الَّتي وُجدت في هذا العصْر، وهدَىٰ العقول إلىٰ اختراعِها مع أنَّه قد مضَىٰ أقوامٌ لهم عقولٌ أكبرُ مِن عقولِ هذه الأمَّة، وتجربة أعظمُ من تجربتِها، ولكن لله حكمةٌ في ذلك.

والمهمّ؛ أنَّ الواجبَ علىٰ هذه الأمَّة أنْ يعرفُوا نعمةَ اللهِ عليهم بهذه المركوباتِ، وأنْ يَستعملُوها استعمالًا معقولًا يصلُ إليهم به النَّفعُ، وينتفي معه الضَّررُ؛ وذلك بأنْ يلتزمُوا بأنظمةِ المُرورِ الَّتي هي نتيجة تجارُب محَّصتْها العُقولُ، وأخرجَتْها في صورةٍ يتأدَّىٰ بها النَّفع، وينتفي بها الضَّررُ.

وقد جرَّب النَّاسُ أنَّ التَّهوُّر في السَّير مُوجبٌ لِقتْل الأنفسِ وإتْلافِها، أو تعوير الأجسام وإعطَابها، وأنَّ قطْع الإشارة ومخالفة الأنظمة موجبٌ لِذلكَ، والتَّجاوُز للسَّيارةِ الَّتي أمامَك بدونِ تَروٍّ ولا تعقُّلٍ مُوجبٌ لذلك؛ علمًا بأنَّ فاعِل ذَلِك مُتسبِّبٌ في قتْل نفسِه وقتْلِ غيرِه، ومعلومٌ ما ورد في ذلك؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، وأمَّا قتل غيرك ففيه الآية المعروفة من سورة النساء؛ وهي قول اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾ [النِّساء: ٩٣].

فيا أيُّها النَّاسُ، يا مَن تقودُون السَّيَّارات، ارحمُوا أنفسَكم، وارحمُوا غيرَكم، واعلمُوا أنَّ أهاليكم؛ مِن وَالدَينِ وأولادٍ ونساءٍ يَنتظرونكُم، ويَحرصون علىٰ سلامتِكم، فاتركُوا المُغامرةَ الَّتي لا تجلِبُ لكُم إلَّا الشَّرَّ، وسِيرُوا سَيْرًا بتعقُّلٍ تنالون به طاعةَ اللهِ، ثمَّ طاعة ولاةِ الأمورِ الَّتي هي مِن أسبابِ رضَا اللهِ، وتَغنمُون السَّلامةَ، وتَنجُون مِن النَّدامةِ، وإذا حرَص العبدُ علىٰ ذلِكَ وعَمِلَهُ، وكَتَب اللهُ عليه شيئًا لم يكُنْ له سببٌ فيه؛ فإنَّه يكونُ مأجورًا وناجيًا مِن العقابِ، واللهُ غالبٌ علىٰ أمْرِه، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١١٠)، مِن حديثِ ثابتِ بنِ الضَّحَّاك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هذه نصيحتِي لإخواني المُسلمين، الَّذين يَسيرُون علىٰ هذه المركوبات السَّريعةِ؛ بتجنُّب الخطَر، والحِرْصِ علىٰ السَّلامةِ ما استطاعُوا، واللهُ المُوفِّق، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

كتَب هذه النَّصيحة

أحمد بن يحيى النَّجمي

في ٢٧/ ٤/ ١٤٢٧هـ



متى يُشرَعُ السّتر على مُرتكب المعصية؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ الله، وعلىٰ آله وصحبِه، وبعدُ:

فقد ورد إليَّ سؤالٌ مِن مَسؤولٍ في بعض المستشفياتِ، قال فيه:

تراجع المُستشفيات بعضَ حالات الحمْل غيرِ الشَّرعيّ - أي: النِّساء غيرِ المتزوِّجات -، وعند اكتشافِ الحمْل والتَّأكُّد منه يحصلُ بعضُ التَّردُّد مِن بعض المسؤولين بين السّتْر علىٰ تلك المرأة، أو الكتابة عنها إلىٰ الإمارة؛ لاتِّخاذ الإجراءات اللَّازمةِ لِحمايةِ المرأة وجَنينِها، وتطبيقِ الحُكم الشَّرعيِّ عليها.

ويرىٰ البعض أنَّه إذا كان الحمْلُ في الأشهر الأولىٰ ينبغي إبلاغُ وَليِّها بطريقةٍ سرِّيَّةٍ للتَّصرُّف بطريقتِه الخاصَّة... إلىٰ آخر ما ذكَر، نسألُ اللهَ السّتْر والسَّلامةَ؟

الجوابُ - ومِن اللهِ أَستمدُّ العَوْنَ والتَّوفيقَ -:

أوَّلًا: أنَّ السَّتر يُشرعُ فيما إذا كان الأمر لم يَتجاوَز الفِعل (الزِّنا)؛ ففي هذ الحالةِ يُشرَعُ السّترُ، مع السَّعيِ في إزالةِ المُنكَرِ إذا كان يُمكنُ ذَلكَ؛ بالنَّصيحة أو الإبلاغ بذلكَ بصُورةٍ لا يكونُ فيها ضررٌ علىٰ المُبلِّغ؛ بأنْ يُقالَ: رأَيْنا رجُلًا يَدخُل بيتًا، أو يَخلُو بامْرأةٍ لا تَحِلُّ له.

ثانيًا: أمَّا السّتر علىٰ الحمل؛ فإنَّه لا يجوزُ؛ لأنَّ فيه تشجيعًا للفسادِ وأهلِه، وإعانة للمُفسدِين علىٰ إفسادِهم، وفي الحديثِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا**»[1]،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، مِن حديثِ عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

وأيُّ حَدَثٍ أشدُّ مِن إفشاءِ الفواحش في المُؤمنين.

ثالثًا: في السّتر على الحوامل مِن الزِّنى تضييعٌ لحُدودِ الله الَّتي شرعها اللهُ للرَّدْع عنْ مُقارفةِ تلكَ الفَواحش في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النُّور: ٢]، والنَّبيُّ الكريم ﷺ يقول: «**الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ**»[(١)].

رابعًا: وهذا هو السَّببُ الَّذي عطَّل به أهلُ الكِتابِ حدَّ الرَّجْم، الَّذي أمَر اللهُ به في التَّوراة؛ وفي الصَّحيح: "أنَّ رجلًا وامرأةً مِن اليهودِ زَنيا، فَأُتِيَ بهمَا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ؟**»، قَالُوا: إِنَّ أَحْبَارَنَا قَدْ أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ الوَجْهِ وَالتَّجْبِيهَ؛ قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ: ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ بِالتَّوْرَاةِ، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ آيَةِ الرَّجْمِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَا"[(٢)]، وفي بعض الرِّواياتِ أنَّهم قالوا: "حدُّه الرَّجْم، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الوَضِيعَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الحَدَّ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَىٰ شَيءٍ نُقِيمُهُ عَلَىٰ الشَّرِيفِ وَالوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ والجلْد مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»، **فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ**".

انظر: «فتح الباري» في (ج١٢/ ١٧٦) طبعة وزارة الدّفاع والطّيران.

خامسًا: السّتر مرغَّبٌ فيه بثلاثةِ شروطٍ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠)، مِن حديثِ عُبادةَ بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٩)، ومسلم (١٦٩٩)، مِن حديثِ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١- أنْ يكون المَستورُ فِعلًا، ولم يكُن حملٌ.

٢- أنْ يكونَ المَستورُ غيرَ مُجاهرٍ؛ فإنْ كان مُجاهرًا فلا ينبغي سترُه.

٣- أنْ لا تبلغَ الجريمةُ السُّلطان، فإذا بلغَتْ إلىٰ السُّلطان لم يَجُزْ السترُ عليه؛ لقوله ﷺ: «**إنَّ الحُدُودَ إذَا بَلَغَتْ إلَيَّ فَلَيْسَ لَهَا مَتْرَكٌ**»(١).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في (ج١٢/١٢٨) في كتاب (الحدود)، باب: لا يرجمُ المجنون والمجنونةُ: "ويُؤخذُ مِن قَضيَّته (يعني: ماعزًا) أنَّه يُستحبُّ لِمَن وقَع في مثل قضيَّتِه أنْ يتوبَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ويَستُر نفسَه، ولا يَذكُر ذلك لأحدٍ كما أشار بهِ أبو بكر وعُمر علىٰ ماعزٍ، وأنَّ مَن اطَّلع علىٰ ذلك يستر عليه بما ذكرْنا، ولا يفضحُه، ولا يرفعُه إلىٰ الإمام؛ كما قال ﷺ في هذه القصة: «**لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ**»، وبهذا جزَم الشَّافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقالَ: أُحبُّ لِمَن أصابَ ذَنْبًا فستَرَه اللهُ عليهِ أنْ يَستُرَه علىٰ نفسِه، ويتوب، واحتجَّ بقصَّة ماعزٍ مع أبي بكرٍ وعُمر، وقال ابن العربيّ: هذا كلُّه في غير المجاهر. فأمَّا إذا كان مُتظاهرًا بالفاحشةِ مُجاهرًا فإنِّي أُحبُّ مُكاشفتَه والتَّبريح به؛ لينزجرَ هو وغيرُه.

وقد استُشكِل استحبابُ السِّتر مع ما وقَع مِن الثَّناءِ علىٰ ماعزٍ والغامديَّة، وأجابَ شيخُنا (أي: العراقي) في «شرح الترمذي» بأنَّ الغامديَّة كان ظهَر بها الحبَل مع كونِها غير ذاتِ زوجٍ، فتعذَّر الاستِتار للاطِّلاع علىٰ ما يُشعِر بالفاحشة، ومِن ثَمَّ قيَّد بعضُهم ترجيحَ الاستِّتار حيثُ لا يكونُ هناك ما يُشعر بضدِّه، وإنْ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (٨/ ٢٦٣ صادر) عن حبيب بن أبي ثابت مرسلًا، وذكَر له الحافظُ في «الفتح» (١٢/ ٨٧ المعرفة) شواهدَ.

وُجد فالرَّفع إلىٰ الإمام؛ ليُقيمَ عليه الحدّ أفضلُ.

قال الحافظُ: والَّذي يَظهرُ أنَّ السّتْر مستحبٌّ، والرَّفع لِقصْد المُبالغة في التطهير أحبُّ، والعلمُ عندَ اللهِ تعالىٰ" اهـ.

سادسًا: أنَّ قوىٰ الشَّرّ مِن أهْلِ الكُفْرِ يُريدون أنْ يُحوِّلُوا المُجتمعاتِ الإسلاميَّة إلىٰ مُجتمعات إباحيَّة حتَّىٰ يكونوا مثلَهم، ومتىٰ تواردَ المُسلمون علىٰ السّتر علىٰ أهلِ الفواحِش خفَّ الوقوع فيها علىٰ كثيرٍ مِن النَّاس، وأصبَح ارتكابُها سهْلًا، وحينئذٍ ستكونُ مُجتمعاتُنا مثلَ مُجتمعاتِ الكفَّار تمامًا، ونكون بذلك قد خدمْنا الكفَّار مِن حيثُ نَشعرُ أو لا نَشعرُ.

سابعًا: أنَّ نزعةَ التَّشبُّه بالكفَّار الآن موجودةٌ في كثيرٍ مِن المُسلمين، والمتأمِّل يجدُ ذلك كثيرًا في المُسلمين في الزِّيِّ، وفي اللِّباس، وفي قصِّ الشُّعور؛ بل في أُمورٍ كثيرةٍ، ومتىٰ أُبيح السّتر علىٰ أهل الفواحش نكون قد أكملْنا المشوار في مُشابهتهم، ونكون بذلك قد أوغلْنا في البُعد عن ديننا والتَّشبُّه بأعدائنا، ونكون أيضًا قدْ عمِلْنا السَّببَ في تسليطهم علينا، نعوذُ باللهِ مِنْ ذلكَ.

ثامنًا: إنَّ الإحساسَ بألمِ العارِ قدْ يحملُ وليَّ المرأةِ علىٰ أنَّه يقتلُ الزَّانيةَ أو يَقتلُ جنينَها، ويتسبَّبُ بذلكَ في ألمٍ أشدّ؛ وهو ألمُ نارِ جهنَّم الَّتي فاقتْ نارَ الدُّنيا بتسعةٍ وستين ضعفًا كلهنَّ مثل حرِّها[1].

والحكمةُ أنْ يَصبرَ علىٰ ألمِ العارِ، ويُبلِّغ الدَّولةَ بالجنايةِ؛ لتُحالَ علىٰ حُكم

---

(١) يُشيرُ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، مِن حديثِ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

الشَّرع، وتبرأُ ذمَّته منها، ومِن جَريرتِها، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[١]، وهذا هو الطريق إلىٰ رضا الله عَزَّوَجَلَّ.

تاسعًا: إنَّ المستشفىٰ هو عملٌ حُكوميٌّ؛ وهو يعتبر طرفًا من الدَّولة، ومتىٰ وصَل الأمرُ إلىٰ المُستشفىٰ، فكأنَّه وصَل لِوليِّ الأمر؛ ذلك أنَّ الدَّولةَ هي تعدُّ بمرافقها جميعها (دوائرها الحكوميَّة) جزءًا لا يتجزَّأ، وعلىٰ هذا فنقولُ: إنَّه إذا بلغت المُستشفىٰ قضيَّةٌ كهذِه القضيَّة، وتبيَّن فيها الحملُ، فالظَّاهر أنَّه لا يجوزُ تركُه، ولا التَّغاضي عنه، ومَن فعَل ذلك؛ فإنَّه يُعرِّضُ نفسَه للعُقوبةِ أمامَ اللهِ تعالىٰ، ثُمَّ أمام الدَّولة.

عاشرًا: وبناءً علىٰ ذلك أَقولُ: إنَّ الواجبَ علىٰ وُلاة أمْر النِّساءِ أنْ يَحفظُوهنَّ مِن التَّسيُّبِ، وأنْ يُسهِّلوا تَزويجهنَّ؛ فإنَّه إذا تيسَّر الحلالُ خفَّ الوقوع في الحرام، والعكسُ بالعكس.

فيا وُلاةَ أُمورِ النِّساءِ اتَّقُوا اللهَ فيمَن تحت أيديكم، ويسِّرُوا تزويجهنَّ قبل أنْ يَعُضَّ الواحدُ منكم أصابعَ النَّدمِ حينمَا تقعُ المرأةُ في طائلة الزِّنىٰ، نسأَلُ اللهَ السّتر والسَّلامةَ، وبالله التَّوفيقُ.

كتبه

أحمدُ بن يحيى النَّجميَ

٢٢/ ٠١/ ١٤٢٧ هـ

---

(١) أخرجه البخاريّ (٣٤٧٥)، ومُسلمٌ (١٦٨٨)، من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إحياءُ المَوات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ اللهِ، وعلىٰ آلِه وصحبِه؛ أمَّا بعْدُ:

فإنَّ هذه رسالةٌ كتبْتُها في إحياءِ المواتِ وأحكامه، فالأرضُ المواتُ هي الَّتي لم يَجرِ عليها مُلكٌ لأَحدٍ، ولم يُرَ عليها أثرُ إحياءٍ مِن أحدٍ؛ لا بتحويطٍ، ولا بإزالةِ أشجارٍ، ولا بجلْبِ الماءِ إليها، ولا بزراعتِها، ولا بالبناءِ عليهَا؛ فهذه تُملَكُ بالإحياءِ؛ لِمَا روىٰ جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ**» أخرجه البخاريُّ تعليقًا[1]، في باب إحياء الموات، من كتاب الحرث والمزارعة، وبمراجعة فتح الباري للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ج٥/ ٢٣) طبعة وزارة الدفاع والطيران، علىٰ نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز؛ تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبة الحمد - تبيَّن أن المعلَّق هو رواية عمرو بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال البخاريُّ: "ورأَىٰ ذلكَ عليٌّ في أرضِ الخرابِ بالكوفةِ مَواتٌ، وقال عمرُ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»، ويُروىٰ عن عمْرِو بن عوفٍ عنِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ فِيهِ حَقٌّ»، ويُروىٰ فيه عن جابرٍ، عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وقد وصل الحافظ ابنُ حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المُعلَّقات؛ فوصل المعلَّق عن

---

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١٠٦ طوق النجاة).

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: "وَصلَه مالكٌ في (الموطَّأ) عن ابن شهابٍ عن سالمٍ عن أبيه مثله، وروينا في (الخراج) ليحيىٰ بن آدم سببَ ذلك، فقال: حدَّثنا سُفيانُ عن الزُّهريِّ عن سالمٍ عن أبيه، قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَجَّرُونَ - يعني: الأَرْضَ - عَلَىٰ عَهْدِ عُمَرَ، فَقَالَ: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا فَهِيَ لَهُ. قال يحيىٰ: كأنَّه لم يَجْعلْها له بمُجرَّدِ التَّحْجيرِ حتَّىٰ يُحْيِيَها".

ووصل حديث عمرو بن عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ، وقال فيه: «**فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»، قال الحافظُ ابنُ حجَر: «وصلَه إسحاقُ بنُ راهويه، قال: أخبَرنا أبو عامرٍ العقدي، عن كثير بن عبدِ الله بن عمْرِو بنِ عوف، حدَّثني أبي، أنَّ أبَاه حدَّثه أنَّه سمعَ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا مِنْ غَيرِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا حَقُّ مُسْلِمٍ فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»، وهو عنْد الطَّبرانيِّ ثمَّ البيهقيّ، وكثيرٌ هذا ضعيفٌ، وليس لجدِّه عمْرِو بن عوفٍ في البخاريِّ سوىٰ هذا الحديث»، قال: «وهو غيرُ عمْرو بنِ عوفٍ الأنصاريِّ البدريِّ الآتي حديثُه في الجِزيةِ وغيرِها، وليس له أيضًا عنده غيرُه».

أمَّا حديثُ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الحافظُ: «وصلَه أحمدُ؛ قال: حدَّثنا عبَّاد بنُ عبَّاد، حدَّثنا هشامٌ، عن عُروَة، عن وهبِ بن كَيسَان، عن جابرٍ؛ فذكَره، ولفظُه: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيتَةً فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ العَوَافِي مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ**»، وأخرجَه التِّرمذيُّ مِن وجهٍ آخَرَ عن هِشامٍ بلفْظ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيتَةً فَهِيَ لَهُ**» وصحَّحه».

وذكَر الحافظُ الاختلافَ الَّذي وقعَ في سنده من غير هذا الطريق؛ وقال: «ولعلَّ هذا هو السِّرُّ في ترْكِ جزْمِ البُخاريِّ بِهِ». انتهىٰ كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ أَوردَ البخاريُّ حديثَ عائشة برقم (٢٣٣٥): "حدَّثنا يحيىٰ بنُ بُكَير، حدَّثنا اللَّيثُ، عن عُبيد الله بن أبي جعفرٍ، عن محمَّد بن عبد الرَّحمن، عن عُروةَ، عن عائشةَ رَضِوَٱللَّهُعَنهَا، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ**»، قال عُروةُ: «**قَضَىٰ بِهِ عُمَرُ** رَضِوَٱللَّهُعَنهُ **فِي خِلَافَتِهِ**»".

وأقولُ: قد تبيَّن بهذا العرض للأدلَّة أنَّ الإحياءَ لا يكون إحياءً شرعيًّا يملك به المُحيي الأرض التي أحياها إلَّا إذا كان علىٰ أرضٍ مواتٍ، ليس فيها مُلكٌ لأحدٍ لا مسلمٍ ولا ذمِّيٍّ؛ فإن كان لأحدٍ فيها مُلكٌ؛ سواء كان مسلمًا أو ذميًّا فإن الإحياء لا يجوز إلا لأصحاب الملك السَّابق، ولهذا قال النَّبيّ ﷺ: «**وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»، قال ابن قدامة في «المغني» في (ج٨/ ١٤٦) تحقيق التّركي والحلو: «مسألةٌ: قال أبو القاسمِ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا لَمْ تُمْلَكْ؛ فَهِيَ لَهُ**»».

قال ابنُ قُدامةَ شارحًا لهذه العبارةِ: «وجُملتُه أنَّ المواتَ قِسمانِ:

أحدهما: ما لم يجرِ عليه ملكٌ لِأحدٍ، ولم يُوجدْ فيهِ أثرُ عمارةٍ، فهذا يُملكُ بالإحياءِ، بغيرِ خلافٍ بين القائلين بالإحياءِ، والأخبارُ الَّتي رويناها متناولة له.

القسم الثَّاني: ما جرىٰ عليه ملكُ مالكٍ، وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدها: ما له مالكٌ معيَّنٌ، وهو ضربان:

أحدهما: ما ملك بشراءٍ أو عطيَّةٍ، فهذا لا يملكُ بالإحياءِ، بغير خلافٍ. قال ابنُ عبد البرِّ: أجمعَ العُلماء علىٰ أن ما عرف بمُلك مالك غير مُنقطع أنَّه لا يجوزُ إحياؤُه لأحدٍ غير أربابه.

الثَّاني: ما ملك بالإحياءِ، ثُمَّ تُرك حتَّىٰ دثر، وعاد مَواتًا، فهو كالَّذي قبلَه سواءً. وقال مالكٌ: يُملكُ هذا؛ لعمومِ قولِه: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيتَةً؛ فَهِيَ لَهُ**»؛ ولأنَّ

أصلَ هذه الأرضِ مُباحٌ، فإذا تُركت حتَّىٰ تَصيرَ مواتًا عادتْ إلىٰ الإباحةِ؛ كمَن أخَذ ماءً مِن نهرٍ ثُمَّ ردَّه فيهِ.

ولنا أنَّ هذه أرضٌ يُعرفُ مالكُها، فلم تُملَك بالإحياءِ، كالَّتي مُلكَتْ بشراءٍ أو عطيَّةٍ، والخبرُ مُقيّد بغيرِ المملوكِ، بقوله في الرِّواية الأُخرىٰ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيتَةً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ**»، وقوله: «**فِي غَيْرِ حَقِّ مُسْلِمٍ**»، وهذا يُوجبُ تقييدَ مُطلقِ حديثِه.

وقال هشام بن عروة في تَفسيرِ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ**»: العِرْقُ الظَّالمُ أنْ يَأتِيَ الرَّجلُ الأرضَ الميتةَ لغيرِه فيغرسُ فيها. ذكرَه سعيدُ بن منصور في «سننه».

ثمَّ الحديثُ مخصوصٌ بما مُلِكَ بشراءٍ أو عطيَّةٍ، فنقيسُ عليه محلَّ النِّزاعِ؛ ولأنَّ سائرَ الأموالِ لا يزولُ الملكُ عنها بالتَّركِ، بدليل سائر الأملاك إذا تُركتْ حتَّىٰ تشعَّثتْ.

وما ذكروه يَبطُلُ بالموات إذا أحياه إنسانٌ ثمَّ باعَه، فتركَه المُشتري حتَّىٰ عاد مواتًا» يعني: فإنَّ ملكَ مالكِه لا يَزولُ بالتَّرك.

قال ابنُ قُدامة: «وباللُّقطَةِ إذا ملكَها» أي المُلتقط، «ثُمَّ ضاعتْ منه»، يعني: أن ملكه لا يزول عنها بكونها ضاعت منه. انتهىٰ ما أردت نقله من «المغني».

وقد تبيَّن ممَّا سبرتُه من الأدلة؛ وهي الأحاديث الواردة في إحياء الموات؛ المقيّدة له بما لم يكن فيه ملك لأحدٍ، ولم يجر فيه حقٌّ لمسلم؛ وهي:

أوَّلًا: حديثُ عائشة الذي رواه البخاري في إحياء الموات موصولًا مسندًا برقم (٢٢٦٨) كما سبق ذكره في أوَّل البحث، والأحاديث المعلّقة التي ذكرها البخاريّ، ووصلَها الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فأوَّلها: فتوىٰ عمر بن الخطاب،

ثانيًا: حديث عمرو بن عوفٍ، ثالثًا: حديث جابر بن عبد الله؛ تبيَّن لنا بهذه الأدلة الأمور التَّالية:

أوَّلًا: أقوال الفقهاءِ بأنَّ الإحياءِ لا يعتبرُ إحياءً شرعيًّا إلَّا إذا كان علىٰ أرضٍ مواتٍ ليس فيها ملكٌ لأحدٍ، ولا فيها أثرُ عمارةٍ لأحدٍ.

ثانيًا: إجماع الفقهاء الذي حكاه ابن قدامة في «المغني» بقوله: «ما مُلك بشراءٍ أو عطيَّةٍ، فهذا لا يملكُ بالإحياءِ، بغير خلافٍ. قال ابنُ عبد البرِّ: أجمعَ العُلماء علىٰ أن ما عُرف بمُلك مالك غير مُنقطع أنَّه لا يجوزُ إحياؤُه لأحدٍ غير أربابِه».

ثالثًا: أن ما ملك بإحياء شرعيّ، ثم تركه مالكه حتَّىٰ تشعَّث واندثر وعاد مواتًا؛ فإنَّه لا يُملك بالإحياء؛ فقد أصبح ملكًا للمُحيِي الأوَّل، خلافًا لمن أجاز إحياءه مرَّةً أخرىٰ وهم المالكيَّة، بدليل: أنه لو باعه بعد إحيائه، وتركه الذي استراه حتىٰ تشعَّث لم يجز إحياؤه لأحدٍ؛ لأنه ملك بشراءٍ. نصَّ علىٰ ذلك في «المغني» كما نقلناه عنه فيما مضىٰ.

رابعًا: أنَّ ما كان مملوكًا لطالب الصَّكّ بشراءٍ - بأن يكون اشتراه هو وأبوه أو جدُّه - أو بعطيَّةٍ أو بإرثٍ؛ فإنه لا تجوزُ معارضتُه، ولا منع الصَّكِّ عنه بحجَّة أنَّ صاحبَها ترَك عمارتَها؛ لأنَّ أحاديثَ الإحياء مُقيّدة بما لم يكن فيه ملك لأحدٍ؛ أمَّا ما كان فيه ملكٌ لأحدٍ فإنَّه لا يجوز إحياؤه، ولا تملّكه لغير أهله، ولو كانت الدَّولةُ.

خامسًا: ولا يشترط في الإحياء إذنُ الإمام؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ**»، فإذَنُ المشرِّع ﷺ إذنٌ لجميع أمَّته، فلا يُشترطُ إذنُ أحدٍ بعد إذنه ﷺ.

سادسًا: من ملك أرضًا بشراءٍ أو هبةٍ أو إحياءٍ، ثم تركها حتىٰ دثرتْ، أي

بمعنىٰ: شجرتْ وعادت مواتًا؛ فإنَّه لا يجوز لأحدٍ أخذها حتَّىٰ ولو كانتْ الدَّولة، ومَن أخذها بحجةٍ أنَّ صاحبَها ترَك عمارتَها فإنه أخذها بغير حقٍّ، بل أخذَها بالظُّلم، والظُّلمُ ظلماتٌ يوم القيامة.

سابعًا: دولتُنا دولةٌ مسلمةٌ، تحكِّم شرع الله، وتؤمن به، وتعمل عليه في محاكمها، وتحبُّ ما يريحُ مواطنيها ما دام حقًّا، وهي في نفس الوقت تحسن إلىٰ أبنائها وإلىٰ غير أبنائها، والذي نفسي بيده إني أقول هذا من قلبي لا أقول تزلُّفًا، ولا مجاملةً لأحدٍ، والواقع يشهد بذلك.

ثامنًا: الدَّولةُ - حرسَها اللهُ مِن كلِّ شرٍّ - هي مِن فضل الله غنيَّة بما أغناها اللهُ به من النفط وغيره؛ لذا فإنها ليستْ بحاجةٍ إلىٰ أخْذِ شيءٍ من غير حلِّه.

تاسعًا: موجب هذا البحث أنه قد أخبرني كثير من النَّاس أنَّه يكونُ للإنسانِ عقار زراعيَّة أو سكنيَّة، وهو بحاجة إلىٰ إخراج صكٍّ عليها - أي حجة استحكام عليها - من أجل أخْذِ قرضٍ علىٰ تلك الأرض، وتكون هذه الأرض قد ملكها صاحبُها بالشراء، أو ورثها عن أبيه أو عن جدّه الذي ملكها بالشراء، فتعارض البلديَّةُ، وتقول: لا بدَّ من بيّنةٍ أنَّها كانت مُحياةً بالزراعة أو البناء من قبل عام كذا، فإنْ عجز أو تحرَّج أن يأتيَ بشهادةٍ مُنِعَ من الصَّكِّ، وقد تبيَّض أرضُه مع أنَّها مملوكةٌ بالتَّداوُل، وهذا النظام مخالف للشَّرع، ومخالفٌ لما أجمع عليه الفقهاء، ومخالفٌ لما تقرَّر عليه المذهب الحنبليُّ من قديم الزمان، علمًا بأنه قد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك ابن قدامة في «المُغني» وابن عبد البرّ رحم الله الجميع.

عاشرًا: عاديُّ الأرضِ لله ولرسولِه، ثُمَّ هي لِوليِّ الأمر مِن بعدِه؛ لما روىٰ

أبو عُبيد القاسم بن سلَّام في كتاب «الأموال» - تحقيق محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورحم الله المؤلِّف، طبع عام (١٣٥٣هـ) - (ص٢٧٢) في كتاب الأرضين، رقم الحديث (٦٧٤): "حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ المروَزيُّ، عن عبدِ اللهِ بنِ المباركِ، عن مَعمَرٍ، عن ابنِ طاوسٍ، عن أبيه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عَادِيُّ الْأَرْضِ للهِ وَلِرَسُولِهِ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ**»". وفُسِّرَ (عادي الأرض) أي قديمُها الَّذي مِن عهْدِ عادٍ.

وقوله: «**ثُمَّ هِيَ لَكُمْ**» نقل المحقِّق محمَّد حامد الفقي عن الحافظ ابن حجر في «التلخيص» قوله: "ويُروىٰ «**مَوَتَانُ الْأَرْضِ للهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ هِيَ لَكُمْ مِنِّي أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ**». والظاهر أنَّ المخاطب بذلك هم ولاة الأمر الذين يلون أمر المسلمين؛ فهم المستخلفون فيها، والموكَّلون عليها، يَحتفظون بها لِمصالحِ الأُمَّةِ الإسلاميَّة.

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام: «والعاديُّ كلُّ أرضٍ كان لها ساكنٌ في آباد الدَّهرِ فانقرَضُوا، فلم يبقَ منهم أنيسٌ، فصار حُكمُها إلىٰ الإمامِ، وكذلك كلُّ أرضٍ مواتٍ لم يُحيِها أحدٌ، ولم يَملكْها مُسلمٌ ولا مُعاهدٌ، وإيَّاها أرادَ عمَرُ بكتابهِ إلىٰ أبي مُوسىٰ: إنْ لم تكُنْ أرضَ جزيةٍ ولَا أرضًا يَجرِي إليها ماءُ جزيةٍ، فأَقطِعْها إيَّاه، فقدْ بيَّن أنَّ الإقطاعَ ليسَ يكونُ إلَّا فيما ليس له مالكٌ، فإذا كانت الأرضُ كذلك فأَمْرُها إلىٰ الإمامِ، ولهذا قال عُمرُ: لنا رقابُ الأرض». انتهىٰ ما أردتُ نقْلَه.

الحادي عشر: ولاة الأمر هم أمناء علىٰ ما ولَّاهم الله عليه؛ تجب طاعتهم، وعدم منازعتهم، وعدم الخروج عليهم، وعدم قتالهم، وكما يحرم ذلك فإنه يحرمُ النَّقدُ لهم في العلن، وانتقاصهم في المجالس، وتوجيه اللوم إليهم من فوق المنابر، والأحاديث في ذلك كثيرةٌ، وهي في نفس الوقت صحيحة، فمنها:

حديث عبادة بن الصامت عند مسلم[١]، في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية: "حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ، عن يحيىٰ بنِ سعيدٍ، وعُبيدِ اللهِ بنِ عمرَ، عن عُبادةَ بنِ الوليدِ بنِ عبادةَ، عن أبيهِ، عن جدِّه، قال: «**بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ أَنْ لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ**»".

وحديث عبد الله بن عمر عند مسلم[٢]، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، قال: "حدَّثَنا عُبيدُ اللهِ بنُ مُعاذٍ العَنبريّ، حدَّثنا أبي، حدَّثَنا عاصمٌ وهو ابنُ مُحمَّدِ بنِ زيدٍ، عن زيدِ بنِ محمَّدٍ، عن نافعٍ، قال: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»".

وحديث عبد الله بن عبَّاس عند البخاري[٣]، في كتاب الفتن، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، وبمثله عند مسلم[٤]، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، قال: "حدَّثنا حسَنُ بنُ

---

(١) حديث رقم (١٧٠٩).

(٢) حديث رقم (١٨٥١).

(٣) حديث رقم (٧٠٥٤ طوق النجاة).

(٤) حديث رقم (١٨٤٩).

الرَّبيعِ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عنِ الجعْدِ أبي عُثمانَ، عن أبي رجاءٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ يَرويهِ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ؛ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»".

وحديث عرفجة بن شريح الأشجعيّ عند مسلم[1]، في كتاب الإمارة، باب حكم من فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمع، قال: "وحدَّثني عُثمانُ بنُ أبي شيبةَ، حدَّثنا يُونسُ بنُ أبي يَعفُورٍ، عن أبيهِ، عن عَرْفجةَ، قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ**»".

وفي روايةٍ له في نفسِ الكِتابِ والبابِ قال مسلمٌ: "حدَّثنِي أبو بكرِ بنُ نافعٍ ومُحمَّدُ بنُ بشَّارٍ، قال ابنُ نافعٍ: حدَّثنَا غُندرٌ، وقال ابنُ بشَّارٍ: حدَّثنا مُحمّدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثنا شُعبةُ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ قال: سمعتُ عَرْفجةَ قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إِنَّهُ سَتكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ؛ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»".

وحديث أبي سعيد الخدريّ عند مسلم[2]، في كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، قال: "حدَّثني وهْبُ بنُ بقيَّةَ الواسطيُّ، حدَّثنا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ، عنِ الجُرَيريِّ، عن أبي نضْرةَ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ؛ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا**»".

---

(١) حديث رقم (١٨٥٢).

(٢) حديث رقم (١٨٥٣).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم[1]، في كتاب الإمارة أيضًا، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوَّل فالأوَّل، قال: "حدَّثنا زهيرُ بنُ حرْبٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ، قال إسْحَاقُ: أخبرَنا، وقال زُهيرٌ: حدَّثنا جريرٌ، عن الأعمشِ، عن زيدِ بنِ وهْبٍ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ، قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ؛ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: **الصَّلَاةَ جَامِعَةً**، فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»**، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ، آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَأَهْوَىٰ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ، وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: «سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي»، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ

---

(١) حديث رقم (١٨٤٤).

تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ [النساء: ٢٩] قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»".

وحديث عوف بن مالك عند مسلم[١]، في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، قال: "حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ، أخبرَنا عيسىٰ بنُ يونسَ، حدَّثنا الأوزاعيُّ، عن يزيدَ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ، عن رُزَيقِ بنِ حيَّانَ، عن مُسلمِ بنِ قَرَظَةَ، عن عَوفِ بنِ مالكٍ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»".

وحديث أبي ذرٍّ عند مسلم[٢]، في كتاب الصلاة ومواضع الصلاة، باب كراهيَّة تأخير الصلاة عن وقتها المختار، وما يفعله المأموم إذا أخَّرها الإمام، قال: "حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ، عن شُعبةَ، عن أبي عِمرانَ، عن عبدِ اللهِ بنِ الصَّامتِ، عن أبي ذرٍّ قال: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ، وَأَنْ أُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَ الْقَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً**»".

وحديثٌ عن أمِّ سلمة عند مسلم[٣]، في كتاب الإمارةِ، وجوب الإنكارِ علىٰ

---

(١) حديث رقم (١٨٥٥).

(٢) حديث رقم (٦٤٨).

(٣) حديث رقم (١٨٥٤).

الأُمراءِ فيما يخالف الشَّرع، وترْك قِتالِهم ما صلَّوا، ونحو ذلك، قال: "حدَّثني أبو غسَّان المسمعيّ ومحمَّد بن بشَّار جميعًا عن معاذٍ، واللَّفظُ لأبي غسَّان، حدَّثنا معاذٌ وهو ابن هشام الدّستوائيّ، حدَّثني أبي، عن قتادةَ، حدَّثنا الحسنُ، عن ضبَّة بن محصن العنزيّ، عن أمِّ سلمةَ زوج النَّبيِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»، أَيْ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ، وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ".

وحديثٌ عن أبي هريرة عند مسلم[1]، في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوَّل فالأوَّل، قال: "حدَّثنا محمَّدُ بنُ بشَّارٍ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثنا شُعبةُ، عن فُراتٍ القزَّازِ، عن أبي حازمٍ، قال: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»".

ولأبي هريرة أيضًا حديث عند مسلم[2]، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، قال: "حدَّثنا شيبَانُ بنُ فرُّوخ، حدَّثنا جريرٌ - يعني: ابنَ حازمٍ -، حدَّثنا غيلانُ بنُ جريرٍ، عن أبي قيسِ بنِ رِياحٍ، عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ**

---

(١) حديث رقم (١٨٤٢).

(٢) حديث رقم (١٨٤٨).

الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»".

لذا فإنَّ الخروجَ علىٰ ولاة الأمر، والمنازعة لهم، والإثارة عليهم، وإيغار صدور الرعيَّة ضدَّهم، كل ذلك محرَّم لا يجوز لأحدٍ أن يفعله، ومن فعلَه فهو خارجيٌّ تكفيريٌّ يستوجب الغضب من الله عليه. ويجب علىٰ المؤمنين أن يلوموه ويمقتوه ويحذّروا منه ومن مسلكه واتّجاهه ويبلّغوا عنه الجهات المسؤولة.

وأخيرًا: هذا ما أردت التنبيه عليه، أرجو من المسؤولين في دولتنا أن يحرصوا علىٰ أن تكون الأنظمة المنبثقة علىٰ بعض الجهات الحكوميَّة؛ كوزارة الشؤون البلديَّة والقرويَّة أو غيرها من الوزارات المسؤولة أن تكون أنظمتها موافقة للشرع غير مخالفة له، وذلك يتطلَّبُ أن يكون وضعها باستشارة بعض أهل العلم المعروفين بطول الباع في الفقه الإسلامي، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوجب علينا جميعًا أن تكون أعمالنا موافقةً لشرعه، وبذلك تحصلُ النَّجاةُ من عقوبات الدُّنيا والآخرة.

وفَّق الله المسؤولين في دولتنا لكلِّ خيرٍ، ووفَّقها للحرص علىٰ أن تكون جميع أعمالنا في طاعته، وتابعة لما يرضيه.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه.

كتبها أخوكم في الله

أحمد بن يحيى محمَّد النجمي

٦/ ٦/ ١٤٢٨هـ

وصيَّة الشيخ قبل موته

وصيّته قبْل وفاتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(نصُّ الوصيَّة)

هذا مَا أوصىٰ به أحمد بن يحيىٰ النَّجميُّ:

أَنَّه يشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله ﷺ.

وأَنَّه يعتقدُ عقيدةَ السَّلف الصَّالح:

أنَّ الألوهيَّة لله وحدَه، لا يجوزُ أنْ يُدعىٰ معه أحدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسلٌ.

ويعتقدُ أنَّ رسولَ الله خاتمُ الرُّسل؛ أوحىٰ الله إليه القُرآن، وأوحىٰ إليه السُّنَّة، وخاطَب العِبادَ جميعًا بالسَّير علىٰ ضوئها، وعدم المُخالفة لها.

ويعتقدُ في صفات الله العُليا وأسمائه الحُسنىٰ: أنَّ الواجبَ اعتقادُ ما جاءت به السُّنَّة وما جاء به الكتاب مِن ذلك، علىٰ مُقتضىٰ ما يليقُ بجلالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأنَّها وإنْ اتَّفقَتْ مع صفات البشر أحيانًا في الأسماء، فإنَّ صفات الله عَزَّوَجَلَّ تليقُ بكمالِه وجلالِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا يجوزُ أنْ تُعطَّل الصِّفاتُ بزعْم مَنْ زعَم اعتقادَ الشَّبيه؛ فإنَّ الأدلَّةَ تحكمها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورىٰ: ١١]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الرُّوم: ٢٧]، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ويعتقدُ ما يعتقدُه المؤمنون مِنَ الإيمان بالسُّؤال مِن نكير ومن منكر في القبر.

ويُؤمن بالبعث بعد الموتِ، وأنَّ اللهَ يبعث مَنْ في القبور؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التَّغابُن: ٧].

ويُؤمن بنعيم القَبر وعذابه علىٰ ما أرادَه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما فسَّره به رسولُه ﷺ في بعض الأحاديث.

ويُؤمنُ بالبعث بعد الموت، والوُقوف للحساب، والجنَّة والنَّار، وما إلىٰ ذلك؛ كلُّ ذلك يُؤمن به علىٰ عقيدة السَّلف الصَّالح.

ويُوصي ذويه مِن أبنائه وقرابته وأحفادِه: أن يَحرصوا علىٰ التَّوحيد وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة كما جاءتْ، وكما رواها أهلُ العلم.

ويوصيهم بتوحيد الله، وأن لا يُشركُوا به شيئًا.

ويُحذِّرهم مِن الذَّهاب إلىٰ السَّحَرة، والكُهَّان، والمُشعوذين.

وأن يُحقِّقُوا التَّوحيدَ كما أمَر الله.

ويحافظُوا علىٰ الصَّلوات في المساجد.

ويُوصيهم بأن يتَّقوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وأنْ يتراحموا، وأنْ يسيرُوا علىٰ ما سار عليه السَّلف.

وأنْ يحرصُوا علىٰ التَّشاور في الأمور المهمَّة، والتَّواصل وعدم التَّقاطع.

ويوصيهم بأن يحافظوا علىٰ الأوقاف ما كان منها للغير وهو في محيطنا وبين أرضنا؛ بأن يُحافظوا علىٰ حدودها، ويؤدُّوا الأمانة منها لمن وُضعت له.

وأوصي أولادي بأن يحرصوا علىٰ المحافظة عليها وأدائها علىٰ ما وضعت

له؛ فينظر في الكتابة عليها في كلّ شيء بحسَبه.

وفي الأخير: أُوصي أولادي وأحفادي بتقوىٰ الله؛ فمن اتَّقىٰ فالله سيتولاه كما تولَّىٰ الصَّالحين، ومَن أضاعَ نفسَه وعمل بمعصية الله وتمرَّد علىٰ الله، فلا بدَّ أنْ يأخذه كما أخذ غيرَه من العُصاة.

هذه بِشارة ونِذَارة أسوقها إلىٰ أولادي وأحفادي.

وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّد، وعلىٰ آله، وصحبه.

حُرِّر في

١٣/ ١٠/ ١٤٢٨هـ



فهرس الموضوعات

التَّعليقاتُ النَّجميَّة على المنظومة البيقونيَّة ٣

نصُّ المنظومة البيقونيَّة.. ٥

القسم الأوّل: الصّحيح ٨

القسم الثّاني: الحَسَنُ.. ٩

القسم الثّالث: الضّعيف.. ١٠

القسم الرّابع: المرفوع ١٠

القسم الخامس: المقطوع.. ١١

القسم السّادس: المُسندُ.. ١١

القسم السّابع: المُتّصل ١١

القسم الثَّامن: المُسلسل ١٢

القسم التّاسع: العزيز ١٢

القسم العاشر: المشهور ١٣

القسم الحادي عشر: المعنعن.. ١٣

القسم الثّاني عشر: المُبهم.. ١٤

القسم الثَّالث عشر: العالي.. ١٤

القسم الرّابع عشر: النّازل ١٤
القسم الخامس عشر: الموقوف ١٥
القسم السَّادس عشر: المُرسل ١٥
القسم السّابع عشر: الغريب ١٦
القسم الثامن عشر: المنقطع ١٦
القسم التّاسع عشر: المُعضل ١٦
القسم العشرون: المُدلّس ١٧
القسم الحادي والعشرون: الشّاذ ١٨
القسم الثّاني والعشرون: المقلوب ١٨
القسم الثّالث والعشرون: الفرد ١٩
القسم الرّابع والعشرون: المُعلّل ١٩
القسم الخامس والعشرون: المضطرب ١٩
القسم السّادس والعشرون: المُدرج ٢٠
القسم السّابع والعشرون: المُدبّج ٢٠
القسم الثَّامن والعشرون: المتّفق والمفترق ٢٠
القسم التّاسع والعشرون: المُؤتلف والمختلف ٢١
القسم الثلاثون: المنكر ٢١
القسم الحادي والثَّلاثون: المتروك ٢١
القسم الثَّاني والثَّلاثون: الموضوع ٢٢

السَّلفيَّة الطَّائفة النَّاجية المنصورة ٢٣
مَنْ هم السَّلفُ؟ ٢٥
الطَّائفةُ النَّاجية المنصورة ٢٩
اعتقادُهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٣٠
اعتقادُهم في علْم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٣٠
اعتقادهم في القدر ٣٠
اعتقادُهم في أسماء الله وصفاته ٣٠
اعتقادُهم في الإيمان ٣١
اعتقادُهم في صفةِ كلامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ٣١
اعتقادُهم في القُرآن ٣٢
اعتقادُهم في الحاكميَّة ٣٣
اعتقادُهم في طاعةِ وُلاة الأُمور ٣٥
اعتقادُهم في الخوارج ٣٧
اعتقادُهم في التَّكفير ٣٩
اعتقادُهم فيما يترتَّبُ علىٰ تكفير المُسلمين ٣٩
اعتقادُهم في هجْر أهل البدع ٤٠
اعتقادُهم في الآل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ٤٠
اعتقادُهم في زوجاتِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٠
اعتقادُهم في الأصحاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ٤١

اعتقادُ أفضليَّة القُرون الثَّلاثة الأُولىٰ.................... ٤١
اعتقادُهم في نعيم القبر وعذابه.................... ٤٢
اعتقادُهم في البعث والنُّشور.................... ٤٤
اعتقادُهم في أهوالِ يوم القِيامةِ.................... ٤٥
اعتقادُهم في الجنَّة والنَّار ٤٥
اعتقادُهم في رُؤيةِ الله في الآخرةِ ٤٥
رسائل في الرُّدودِ ٤٧
الرُّدودُ مِن منهج السَّلفِ ٤٩
الرَّدُّ علىٰ الغَيثي.................... ٥٣
نسف الدَّعاوىٰ الَّتي قرَّرَها المَغْرَاوي ٦٧
حوارٌ مع الحلبي ١٠٣
ردٌّ علىٰ صُوفيٍّ ١٢٩
ردٌّ علىٰ مُفتي مصر (علي جُمعة).................... ١٤٢
دحض بعض شبهات البدري المفتري ١٧٦
حفُّ الحواجب، وتشقيرُها مُخالفٌ للشَّرع.................... ٢٠١
بيعُ الخمْر في ديار الكفَّار (ردٌّ علىٰ نجيب عصام يماني).................... ٢١٠
حقُّ النَّبيِّ ﷺ بين الغُلوِّ والتَّفريطِ ٢٢١
رسائل في الصِّيام.................... ٢٢٧
استقبال شهر رمضان ٢٢٩
فضيلة القرآن ٢٢٩

فضيلة شهر رمضان ٢٣٠

الصِّيام بين الرَّبِّ وبين العبدِ........ ٢٣١

فضائلُ شهر رمضان ٢٣٢

حِكَمُ الصَّوم ٢٣٤

تعريف الصَّوم ٢٣٥

ثبوت رمضان ٢٣٧

ما يقدح في الصَّوم........ ٢٣٩

صوم النَّافلة ٢٤١

فضلُ الصِّيام ٢٤٤

رمضان شهرُ القرآن الكريم ٢٤٤

حِكَم الصِّيام ٢٤٦

فضلُ الصّيام ٢٤٧

احرص على ألاَّ تخدش صَوْمك بمعصيةٍ ٢٤٩

مفطرات الصَّوم، وكفَّارة المُفطر بعُذرٍ وبغير عُذرٍ ٢٥٠

الحجامة في رمضان ٢٥١

القيء ٢٥٢

الكُحل ٢٥٣

التطيِّب بالبخور........ ٢٥٣

التَّبرُّد بالماءِ........ ٢٥٤

بخاخ الرّبو ٢٥٤
القُبلة والمباشرة في نهار رمضان ٢٥٥
ليلةُ القدر وفضلُها ٢٥٦
قيام شهر رمضان ٢٥٩
تفسيرُ آياتِ الصِّيام ٢٦٢
آيات الصيام ٢٦٣
الصِّيام سنَّة مَن قبْلَنا ٢٦٣
التَّقوىٰ علَّة الصِّيام ٢٦٤
الصِّيام أيَّامٌ معدودات ٢٦٥
صيام يوم الشكِّ ٢٦٥
حكم المريض، والمُسافر في رمضان ٢٦٦
معيار السَّفر ٢٦٧
الصيام للمطيق ٢٦٨
نزول القرآن في رمضان ٢٦٩
القرآن حياة النّاس ٢٧١
وجوب الصَّوم علىٰ الحاضر له ٢٧١
تيسير الله علىٰ عباده ٢٧٢
عدَّة شهر رمضان ٢٧٣
مشروعيَّة التَّكبير في ليلة العيد ويومه ٢٧٣

٥- شيوخُه ٣٣٧
٦- رحلتُه في طلَب العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٣٩
٧- حِفظُه للعلْم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٤٠
٨- ورَعُه، وثناءُ العُلماء عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٤٣
٩- أوصافُه الشَّخصيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٤٩
١٠- ثباتُه في المِحنةِ في عهْد المُعتصِم ٣٥٠
١١- منعُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن التَّحديث ٣٥٨
١٢- المحنةُ في عهْد الوَاثِق ٣٥٩
١٣- انتهاءُ المحنة بولاية المتوكِّل علىٰ الله ٣٦١
١٤- حالُ الإمام أحمدَ في دَولةِ المُتوكِّل ٣٦٣
١٥- جهادُه لأهل البدَع ٣٦٦
١٦- وفاته ٣٧٠
١٧- مؤلَّفاتُه ٣٧٣
١٨- منهجُ الإمام أحمد في تأليف «المُسند» ٣٧٥
التَّأليفُ ينقسمُ إلىٰ أقسام ٣٧٥
الخاتمة ٣٧٧
سيرةُ الإمامِ البُخاريّ ٣٧٨
ترجمته ٣٨١
السَّببُ الباعثُ له علىٰ تأليف «الجامع الصَّحيح» ٣٨١

ترجمة الشَّيخ عبد الله القرعاويّ ٣٨٣
سؤالات ٤٠٧
أسئلة ذي القرنين الأندونيسي ٤٠٩
أسئلةُ أهلِ فرنسَا ٤١٩
أسئلة الشَّيخ عبد الله الظّفيريّ ٤٢٦
أسئلة الشَّيخ طارق الهاشمي من قطر ٤٣٤
أسئلةُ الحجِّ ٤٤١
نظمُ الشَّيخ النَّجميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤٥٣
تضرُّع إلىٰ الرَّبِّ الجليل أنْ يكتب السَّلامة يومَ الرَّحيل ٤٥٥
صيحةُ حقٍّ في صماخ الباطل ٤٦٦
مُقدِّمة الطَّبعة الجديدة ٤٦٦
المُقدّمة ٤٦٧
الحثُّ علىٰ التَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّة وثَوابُ مَن تمسَّكَ بهما ٤٦٩
مآلُ أهلِ العِصيان وموردُ أهلِ الكُفر والطُّغيان ٤٧٠
إعراضُ بعضِ المُسلمين عن الإسلام، وذَمُّهم له ومدحُهم للاشتراكيَّة بالزُّور والبُهتان؛ هو الَّذي صيَّرهم إلىٰ هذه الحالةِ المُخزيةِ ٤٧٠
مبادئ الشُّيوعيَّة والاشتراكيَّة ٤٧٢
حوارٌ مع مُلحدٍ ٤٧٥
إلباسُهم للشُّيوعيَّة والاشتراكيَّة بلباس العصبيَّة والقوميَّة مِن أجْلِ التَّرويجِ . ٤٨٠

أضرارُ العصبيَّة.......................... ٤٨٠
تحتمُ الإمامةِ في الدِّين، وأنَّ بيعةَ الإمامِ مقصودٌ بها الدَّوامُ، فإنْ كانَتْ مُؤقَّتةً بطلَتْ، كما هو الحالُ في بيعاتِ الجمهوريَّات.......... ٤٨١
وجوبُ طاعةِ السُّلطان في العُسر واليُسر والمنشطِ والمَكره.......... ٤٨٢
الوفاء بالعُهود وذمّ الغدْر.......................... ٤٨٢
الوصيَّة بحفْظ الصَّلاةِ.......................... ٤٨٣
النَّتيجةُ الحتميَّة.......................... ٤٨٤
طريقُ النَّجاح وحلّ المُشكلة.......................... ٤٨٥
فصلٌ.......................... ٤٨٦
فصلٌ في الجهاد.......................... ٤٨٧
الشَّهيدُ وفضلُ الشَّهادةِ.......................... ٤٨٩
التَّحذيرُ مِن التَّقاليدِ الغَربيَّة، وما جلبتْه مِن الآلات المُفسدةِ.......... ٤٩٠
التَّبرُّج سببٌ في العُهر.......................... ٤٩٢
حلقُ اللّحىٰ تشبُّهٌ بالكفَّار.......................... ٤٩٣
ذمُّ التَّوليت.......................... ٤٩٤
الخنافسُ.......................... ٤٩٤
التَّشبُّه بالكُفَّار في الأعيادِ.......................... ٤٩٥
ومِن ذلك التَّحلِّي بالذَّهب.......................... ٤٩٦
ومِن التَّشبُّه التَّصوير.......................... ٤٩٦

ومِن ذلك حَمْلُ الصَّليبِ ولو في السَّاعة ٤٩٧
فصلٌ في آدابِ طالب العلْم ٤٩٧
أقسامُ العِلم ٤٩٩
الخاتمةُ ٤٩٩
محاضرات ورسائل ومقالات مُتفرِّقة ٥٠٣
منهج النبي ﷺ في الدعوة إلىٰ الله ٥٠٥
المحاضرات السبع: ٥١٣
١-لقاء مع أهل المغرب ٥١٥
٢- محاضرة عبر الهاتف لأهل الإمارات ٥٢١
٣-كلمة توجيهية لأهل البحرين ٥٢٥
٤- محاضرة الاعتصام بالكتاب والسنَّة ٥٣٠
٥- محاضرة عبر الهاتف لمسجد التوحيد في ألمانيا ٥٥٣
٦-محاضرة هاتفية للسلفيين في السودان ٥٦٢
٧-رحلة معاذ رضي الله عنه إلىٰ اليمن عقيدة ومنهجًا ٥٦٩
لماذا كان التَّوحيد أوَّلاً؟ ٥٧٩
معالمُ التَّوحيد في الحجِّ ٥٨٣
السَّلفيُّون بريئون مِن الأعمال الإرهابيَّة ٥٩٥
التَّعليم قديمًا وحديثًا في منطقة جازان ٥٩٩
حادثةُ امتهان الدَّانمارك لصورةِ الرَّسول ﷺ ٦٠٨

بيانُ مُخالفاتِ الإخوانِ وولائِدهم ٦١٣
بيعة النساء ٦١٦
أحاديث في الخوارج ٦١٨
رسالةٌ في العلم وفضلِه ووصايا نافعةٌ لِطالبِه ٦٢٣
وجوب طاعة الرَّسول والحذَر من مُخالفته ٦٢٨
أصول العقيدة الثابتة ٦٣٢
نعمةُ السَّيَّارات ٦٣٤
متىٰ يُشرَعُ السّتر علىٰ مُرتكِب المعصيةِ؟ ٦٣٧
إحياءُ الموَات ٦٤٢
وصيّة الشيخ قبل موته ٦٥٥
(نصُّ الوصيَّة) ٦٥٧
فهرس الموضوعات ٦٦٠

